

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة

كلية الآداب و اللغات

قسم الآداب و اللغة العربية

رقم التسجيل:.....

الرقم التسلسلي:.....

# القصديّة و تعدد الخطابات

بحث مقدّم لنيل شهادة الدكتوراه نظام (ل.م.د، L.M.D)

تخصّص: اللسانيّات و تطبيقاتها

إعداد الطالبة:

علا بوخبوز

إشراف الدكتورة:

فريدة بوساحة

شعبة: اللغة العربية

تخصّص: اللسانيّات و تطبيقاتها

أعضاء لجنة المناقشة:

- |                 |                                   |                           |
|-----------------|-----------------------------------|---------------------------|
| رئيساً          | جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة     | أ.د / محمد الأخضر الصبيحي |
| مشرفاً و مقرراً | جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة     | د / فريدة بوساحة          |
| عضواً مناقشاً   | جامعة الإخوة منتوري - قسنطينة     | أ.د / زهيرة قروي          |
| عضواً مناقشاً   | جامعة باجي مختار - عنابة          | أ.د / بشير إبرير          |
| عضواً مناقشاً   | المدرسة العليا للأساتذة - قسنطينة | د / رشيد فلكاوي           |
| عضواً مناقشاً   | جامعة عباس لغرور - خنشلة          | أ.د / صالح خديش           |

السنة الجامعية: 2015-2016م / 1436هـ-1437هـ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ  
وَعَلَىٰ آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي  
وَاجْعَلْ لِي سَمْعًا وَبَصِيرَةً

[سورة طه من الآية 25 إلى الآية 28]

## الإهداء

إلى من تجسدت فيهما لمسة من فضل الله عليّ مع عظم فضله  
والديّ

"علي" و"عقيلة"

أمي؛ أحن من نعمت في حضنه ووجه يقطرتي لقدت الخير  
أبي؛ أعز من نعمتي بوافر عطائه وطائفة نصحه  
من علماني أن الجد والمثابرة أساس كل نجاح  
ورسنا في نفسي أن قيمة الإنسان تتجلى في أثره الطيب  
في حياة الآخرين

تاج رأسي من سقوتك بالذل لهما إلى العلياء  
أهدي هذا العمل، وأسال

الله

أن يبارك جهدهما ويثيبهما عني وعن إخوتي  
أفضل الثواب هو القادر على ذلك ولا أحد غيره



علا بوخبوز





إنَّ الحمد والشكر لله أمده على فضله وأشكره على كريم عطائه، هو العالم بالعمال  
الغني عن السؤال ذو المنِّ وله منَّا دائم الامتنان. ولما كان شكر الله لا يتم إلا بشكر من  
البيضاء من العطاء والعمون حتى يأتي هذا العمل على هذه الصورة، وممن أخصهم بوافر  
الشكر وكبير التقدير لمساندتهم لي في هذا العمل أذكر:

• أستاذتي الفاضلة الدكتورة "فريدة بوساحة"، مثال الالتزام والدقة، والتي أكرمتني  
بالإشراف على عملي وعملت على بلورة فكرته، ثم صبرت على قلة خبرتي وأمنت بقدراتي  
المتواضعة، وأصل شكرها بشكر الأساتذة الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة لقبولهم المساهمة في  
إثرائه بأرائهم وتوجيهاتهم، ثم أشكر كل من ساهم في إنماء زادي ودعم مكتبة بحثي  
وأخص منهم الأستاذ "ميكوس".

• أختي "محرزة"، أقرب الناس إلي، من تسعى دائما إلى تقديمي في مدارج العلا  
وتبذل في ذلك العالي والنفيس دون انتظار الشكر، وأصل شكرها بشكري لكل إخوتي:  
الذين ساعدوني كثيرا في فترة من حياتي اتسمت بالصعوبة، وما هوّنا علي إلا التفاهة  
حولى ودعمهم لي.

• الأستاذة "مريم بن حملاوي"، رفيقة أتمنى دائما قربها، على انقطاعي عنها، فمن  
سعادة المرء أن يعيطه الله بأشخاص طيبين مثلما يبحثون فيه الإحساس بأن الدنيا ما زالت  
بخير، وأصل شكرها بشكري لكل الطيبين الذين ساعدوني ولو بعبارة تشجيع، منهم  
أستاذتي وزملائي وكما أشكر كل عمال المكتبات الجامعية وكذا كل من ساهموا في كتابة  
وطبع هذه الأخرى.

لهم مني وافر الشكر وكبير التقدير

علا بوجوز



A scroll of aged parchment with a white center and a black title. The scroll is unrolled, showing its texture and the way it is bound at the top and bottom. The title is written in a stylized, bold font.

**مقدمة**

◀ مقدمة البحث:

بسم الله الذي جعل الإنسان بالعقل يمتاز وبالعلم ينماز وبالععمل بهما إذا أحسن فاز، أحمدته عزّ من والاه، وأسأله الفتح في العقل والعلم والعمل آناء كل حزب وأمر، ثم أسمى ابتهالات الدعاء بالصلاة والسلام على "محمد" خير من امتاز بالعقل مئة القاهر الجبار، وانماز بنبراس المفيد من العلم والتنكار، ثم بادر للفوز في العليين الأبرار، فرام سدره المنتهى مقام المقربين الأخيار، أمّا بعد:

إنّ النظريات اللسانية الحديثة في تطور متسارع بانبة أفكارها على ما سبقها من النظريات ومحاولة تقادي ما يكدي مناهج من قبلها أو يبطل جدواها فبعد أن سادت الدراسات التاريخية للغة ردحا غير قليل من الزمن ظهر الاتجاه البنيوي الواصف الذي يعطي القيمة للتشكيلة اللغوية نفسها فلا يقيم لغيرها وزناً سعيا منه لدراسة اللّغة دراسة علمية صرفة، ولكن المشتغلين فيه اصطدموا بالمعنى كقيمة فاصلة في الألسن، ماهيته ودراسته؛ فكان لزاماً عليهم أن يولوه أهمية ويستحضروه في البحث.

ورحبت الدراسات اللسانية الحديثة بإدماج الباحثين لمسائل المعنى والدلالة؛ إذ أنّه وبعد أن كرس "تشومسكي" (N.Chomsky) دراسة الوحدات اللسانية المكوّنة للمدونة اللغوية بوضع قوانين ضابطة للتحويلات التي تحدث عن طريق تغيير أو ترتيب العناصر أو عن طريق الحذف والإضافة سيبقى الفضل محفوظاً لـ "فيرث" (J.R. Firth) في إعادة الاعتبار للمعنى في حقل البحث وتأكيد به بأن المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال وضع العلامة اللغوية في سياقات مختلفة، ففتح بذلك مجالاً ولفت نظراً إلى أهمية دور السياق في تحديد معنى الكلام داخل الوقائع اللسانية المختلفة خاصة مقامات التخاطب العادية (اللّغة اليومية)، بعد تخبطت المقاربات اللسانية داخل حيز الشكل لا الفحوى، بعيداً عن اعتبار المقام والقصدية.

غير أنّ الدرس الفلسفي الحديث وقرّ أرضية مرنة ومتينة في آن واحد؛ لتناول اللّغة ومساائلها كظاهرة فعلية للإنسان، ترتبط به وبمميزاته الخاصة وقدراته المختلفة، خاصة منها مجالاً فلسفة العقل وفلسفة اللّغة، إذ أخذت توسّع الدراسات اللغوية شيئاً فشيئاً، فالمبادئ الحديثة؛ لمعالجة الإنتاج اللغوي



للفرد والجماعة على حد سواء ارتكزت على خلفيات فكرية وفلسفية أهمها مبدأ "القصدية" في الفلسفة "الفينومينولوجية" الذي أرسى مفاهيمه الفيلسوف "هسرل" (Husserl) وطوّر تطبيقاته على الإنتاج اللغوي مجموعة من فلاسفة اللّغة العادية خاصة منهم "سيرل" (J.Searle) الذي مدّ مساهمته إلى حدّ وضع مبادئ هامة في فلسفة اللّغة انطلاقاً من أبحاثه في فلسفة العقل، وكذا مبدأ التأويلية لـ "غدامير" (Gadamer) و "هيدغر" (Hudguer)، مبدأ اشتغل به عدد من الفلاسفة واللّسانيين على حد سواء لملاءمته طبيعة النصوص اللّغوية، الأدبية منها بصفة خاصة؛ لما تحتويه من سمات فنية ومعانٍ مستتبطة ومكثفة يعجز الدرس البنيوي عن الوصول إليها، كما يعمل "بول ريكور" (Paul Ricoeur) بالاستناد إلى التأويل على إظهار مجموع المعاني التي ينطوي عليها فائض المعنى كما يسميه.

إنّ تشعب هذه الطروحات وتباين منطلقاتها وأهدافها، إنّما جاء وعيا بدور السياق التخاطبي العام للواقعة، أو الإنتاج اللّساني، إلا أنّ ربط الخطابات بسياق عام تنتج فيه لا بد أن يقودنا بشكل أو بآخر لربطها بمنتجها. لقد اتخذ هذا المجال البحثي يتطوّر شيئاً فشيئاً، عند الغرب، فقادتهم إلى إثراء الفكر الإنساني بفتح النقاش حول مجموعة من القضايا الجدلية المنطلق في جوهرها، من بينها؛ هل سبب التوسع في المعنى هو ارتباط اللّغة بمنتجها أو ارتباطها بمتلقيها أم يرجع إلى فحوى الخطاب والوسيلة التي يبلغ بها بين هذا وذاك تدخل دراسة اللّغة مرحلة مهمة تتمثل في ربط الرسالة بمحيطها ومستخدميها وطريقة استخدامها وأدوات هذا الاستخدام.

على اتساع دوائر النقاش في مثل هذه القضايا عند الغرب، خاصة في أوروبا وأمريكا، لا يزال الفضاء البحثي العربي الحديث يشهد احتشام طرح مسألها، أو حتى محاولات تطبيق مثيلاتها على اللّغة العربية، للوقوف على إمكانات العقل العربي على الإنتاج اللّساني من جهة، وكذا قدرة اللّغة العربية في حد ذاتها كونها لغة حية لها من الإمكانيات المفرداتية والخاصية الاشتقاقية ما يعطي لمستعملها أوسع الفضاءات للإنتاج داخل فسحة تمتد بين الاقتباس والإبداعية، مروراً بكل أشكال الأنساق الخطابية، التي ينجزها العرب يومياً وفي كل مكان وزمان على امتداد جغرافي لا بأس به.

إنّنا ننطلق في دراستنا هذه، من حقيقة، أنّ اللّغة؛ هي الوسيلة التعبيرية الإنسانية الأكثر وفرة والأقلّ تكلفة، وتعلّقها بمستخدميها يجعلها عرضة للتغيير والتبدل، فلأبي حد تمثل هذه اللّغة قصد

مستعملها من جهة؟ وكيف يؤثر هذا القصد في بناء اللّغة وتعدد أشكالها من جهة أخرى؟ مثل هذه الأسئلة هي التي دفعتني إلى الرغبة في البحث العلمي في مجال اللّسانيات، والمساهمة ببحثي هذا:

## "القصدية وتعدد الخطابات"

وأغنيا منه جملة من الأهداف:

- ✓ أحدها يتمحور حول ضرورة الوقوف على أهمية اللّغة الذهنية للإنسان، باعتبار أن اللّغة ملكة عقلية يعدّد قدراتها الاستعمال وتتميز من فرد إلى آخر بالإبداعية والحدس، ولا يخفى علينا أنّ محاولة بناء نظرية تفسيرية للعقل البشري غاية عظمى يسعى للوصول إليها الباحثون عن طريق بناء نظرية لغوية وظيفية في جانب الملكة الذهنية اللّغوية.
- ✓ والثاني يحاول إظهار أهمية النقاش بخصوص اللّغة وفلسفة اللّغة والعقل البشري -بعد أن فتحت إسهامات التحويليّين\_التوليديّين ومن جاء بعدهم المجال للبحث في مسائل اللّغة الذهنية، والقدرات العقلية لإنتاج اللّغة واستقبالها - وما أفرزته من نظريات ومناهج ترمي إلى تأطير وتوجيه وتخصيص نتاج الموروث الإنساني للدراسات اللّغوية للوصول إلى نتائج دقيقة.
- ✓ الثالث يسعى إلى لفت النظر إلى ضرورة وجود أعمال باللّغة العربية في هذا المجال من الدراسات، نظرا لجدّة موضوع اللّغة الذهنية وندرة المؤلفات المتناولة لها داخل المكتبة العربية وحاجة الدارسين العرب لها لتدعيم التحليل وتعميق الفهم، نتيجة احتشام مقارباتها حاليا رغم تشعب مجالات معالجتها.
- ✓ أمّا الأخير فيعمل على وضع إسهام -بجهد مبدئي ضئيل- في فتح النقاش حول اللّغة الذهنية في المناخ اللّساني العربي الحديث، الذي يشهد صحوة ملموسة، نحسبها جادة مؤثرة إيجابا في مسار الدراسات اللّسانية العربية حاضرا ومستقبلا، بما يساعد في تطوير الوعي اللّساني العربي ويتعدى في نفعه إلى باقي المؤسسات الاجتماعية مدنية كانت أو رسمية.



"القصدية"؛ هي أحد المفاهيم المركزية داخل الفلسفة الفيونومينولوجية والخاصية الأساسية للشعور، التي تسمح بربط الحالات الذاتية للفرد بباقي العالم، وما يميّز لفظ "القصدية" في اللغة العربية ضمّه لمعنيي: النية وهي ما يستبطنه منتج اللغة بصبغة موجّهة، وكذا الهدف الذي يريد الوصول إليه بإنتاجه للخطابات، وما تؤكد المقاربات اللسانية في النحو الوظيفي الحديثة أنّ الخطابات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بنوعين من المستخدمين؛ الأول منتجها والآخر متلقيها وبينهما عديد الخطابات لا يمكننا حصرها في سلسلة العناصر اللسانية التي يتكون منها كل خطاب؛ أي مجموع الملفوظات التي تظهر من عملية الإنجاز، وبهذا لا يقتصر فحوى الخطاب على الوحدات التي تكوّنه، فلا بد أن لقصد الطرفين أثر كبير في تعدد معاني الخطابات حتى تؤدي الوظيفة الأساسية من إنتاجها.

لما ينتج الباث خطاباً ما بناء على قصد واضح عنده؛ في إنتاجه هذا، يمكننا افتراض الوقوف على ثلاثة مظاهر لقصده فقد يقصد الباث قصدية مطابقة لمعنى وحدات خطابه وقد ينتج خطاباً يحتمل أكثر من قصدية كلّها يتحملها الخطاب، والحال الثالثة لا يطابق فيها فحوى الخطاب قصدية الباث (ويعاكسه أو يشط عنه)، وهذا يسبب الإنتاج المتعدّد للخطاب.

أما المتلقي ففيه تتسع دائرة الفهم أو التأويل انطلاقاً من قصدية يخفيها، فنحن لا نجزم دائماً بأن المتلقي (متلقي الخطاب) خال الذهن أو "برئ" الفهم بل أنّه يتلقي الخطاب وهو حائز على ثقافة ومعارف ورغبات وحامل لموسوعة أي له خلفية ذهنية خاصة به قد تتفق مع خلفية الباث، كما أنّ اختلافهما وارد أيضاً، وهذا يؤدي إلى الاستقبال المتعدّد للخطاب، حتى يمكنه أن يصل إلى ما لا يقصده الباث أو ما يعاكسه تماماً؛ والمتلقي بذلك لا يؤسس فهم الخطاب من فراغ.

إنّ "القصدية" كمبدأ لنشأة الأفعال الإنسانية عامة، والأفعال الخطابية منها خاصة، ليست حقيقةً مجهولةً أو مغلّفةً عند العلماء العرب والمسلمين؛ انطلاقاً من مبدئين أساسيين متأصلين في الفكر الإسلامي، يتمثلان في:

### 1- الأعمال بالنيّات.

### 2- الصدق في قصد الفعل.

إذ نجد في تراثنا اللغوي وعي العلماء العرب بقصد المتخاطبين وبحثهم عن معنى المعنى، وتحليلهم للكلام حسب؛ المقام، ومقتضى الحال، وسجلات المقال، ولنا في مختلف

مصنفات اللّغة والبلاغة وعلم الكلام وكذا ما أُلّف في الفقه والتفسير ومقاصد الشريعة الإسلامية ... وغيرها بصمات تتجذر في الفكر الإنساني وتبعث الهدى لكل من يرمي إلى حسن التبصّر، ولكن هذا الدرس القيم يبقى مبعثراً في طيات هذه المصنفات وينتظر عيئاً ممنهجة تفحص دُرره وتظهر قيمته وفاعليته.

حالياً يشهد حقل الدراسات اللسانية حركية فكرية متسارعة التوجّهات تصبو إلى محاولة الإحاطة بطبيعة اللّغة البشرية في إطاراتها الطبيعية، خاصة في حالة التواصل وحركياته المتعددة اللامتناهية. إنّ موضوع الإنجاز اللغوي في صورته التخاطبية بشقيها التبليغي والتعاملي أخذ يشغل مجال البحوث في آفاق علمية متعددة منها المناطقة واللسانيين والفلاسفة والاجتماعيين والنفسانيين ... وتعدّ التداوليات من فروع اللسانيات الحديثة الخاصة بهذا النوع من الدراسة، ففي سعي الدارسين للبحث في ماهية اللّغة ووظائفها، عدّ "مارتينييه" (Martinet) للغة عدة وظائف جعل أهمها التواصل لبنائه لعلاقات بين مستعملي اللّغة، وقسم "جاكسون" (Jakobson) وظائف اللّغة إلى ستة ربطها بجهازه التواصلية الشهير وأسندها إلى أجزائه؛ متكلم (انفعال)، متلقي (إفهام)، الموضوع (مرجعية)، الانتباهية (أداة التواصل)، الإرسالية (الشعرية)، اللّغة الوصفة (ميثا لغوية). غير أن ما غفل عنه هذا النموذج هو قصوره على تحليل التواصل مع الأخذ في الحسبان تأثير المتلقي في المنتج والإنتاج اللغوي، أي جعل العملية أشبه بجهاز لاسلكي لا يحمل رسالتين في وقت واحد، من ناحية أخرى تعرض عملية التواصل إشكالا آخر يتمثل في تحديد دلالة ملفوظاتها بين الدلالة الحقيقية والدلالة الإحالية، فليس من المسلّمات أن نقر أن الحقيقة هي ما يعتقد المنجز أو أننا في عالم مثالي، لذا ظهر تيار يفترض أن معظم ما نقوله هو في جوهره ضمني إلى ما يؤدي إليه وما يفهم منه وما يقتضيه، ويقر "سيرل" بأهمية الضمني ويعتبره الشرط السياقي لنجاح العمل اللغوي غير أنه يطلق عليه مصطلح "المفهوم". كما سلطت التداولية الضوء على الضمني في مرحلة أولى من منظور كلاسيكي للمنطق الدلالي، ثم هي تثريه بمنظور "القصدية" الذي كشف عنه "أوستن" (Austin) و"سيرل" تدريجياً، وأن المقصد يقع في صميم شروط النجاح وكذا في صميم القوة المتضمنة وحتى في مفهوم العمل ذاته، ويشغل "غرايس" (Grice) على المضمّر، ويقسم الدلالة إلى طبيعية (غير قصدية) وغير طبيعية (قصدية)، من ناحية أخرى ظهر تحليل دقيق جداً لظواهر الضمني في اللّغة العادية، يعود إلى مختلف لسانيي التلفظ والتداوليين، من أمثال: "ديكرو" (Ducrot) و"أوريكيوني ك.كربيرات" (Orecchioni)، غير أن

## مقدمة

الدراسات اللغوية التي تناولت الجانب التداولي ومختلف الأبحاث في الوظيفية والتأويلية والتوليدية للغة، على أهمية أبحاثها وسعيها الحثيث لمعرفة كيفية إنجاز الفعل اللغوي ومحاولة وضع نحو كلي للغات الإنسانية لم تتطرق إلى مفهوم "القصدية" وحقيقتها ودورها اللساني في تعدد الخطابات.

فما مفهوم "القصدية" من وجهة النظر اللسانية؟ أ لـ "لقصدية" منطوق خاص للظهور على المستوى السطحي للفعل اللغوي؟ بصفة أخرى هل للقصدية قوانين للبروز على مستوى الألفاظ (ألفاظ الجملة) المنطوق بها فعلاً أم أنها متغيرة ولا حدود للترسيمات القولية الأخيرة؟ بالمقابل هل للتأويل مثل هذه القوانين في ذهن المتلقي أم أن الأمر سيان متغير من وضعية ذهنية إلى أخرى حسب الظروف ومن شخص لآخر حسب القدرات؟ وبين هذا وذاك ما تأثير ذلك على حياة اللغة ككائن حي وعلى نموها وثرها الخطابات، وما دور "القصدية" في توجيه معنى أو دلالة الخطابات؟ وما مدى فاعليتها في تعدد الخطابات وتنوع مدلولاتها؟ وهل تختلف مدلولات الخطاب باختلاف مقاصد وقصود أطراف التواصل؟ وكيف يغير قصد المتلقي (المخفي غالباً) دلالة الإنجاز اللغوي؟ وما أهمية "قصدية" المتلقي في التأثير على المنجز حتى ينجز نوعاً معيناً من الخطاب، ويحمل دلالة ما؟ وكذا فكرة الافتراضات المسبقة لدى المتلقي والتي يحملها قبل أن يتلقى الخطاب وأثرها في توجيه معنى الخطاب على وجه ما؟ وكذا مجموع الاستلزمات الحوارية ومختلف تمظهرات الحالة الفكرية للمتخاطبين على مستوى الناتج اللغوي للإنجاز الكلامي وأيهما يكون تابعاً للآخر، بمعنى هل الاستلزام الحوارى يقتضى "قصدية" معينة أم أن القصدية هي التي توجّه الاستلزام الحوارى في وجهة معينة؟.

مثل هذه القضايا على أهميتها أغفل الدرس اللساني الكثير من حيثياتها - التركيز على المقام اللغوي مدة طويلة من الزمن - ربما لضبابيتها أو لعدم وضوح المجالات الدراسية التي تدرس داخلها وكذا المناهج الموصلة لذلك؛ لأنّ موضوعاً كـ "القصدية" عندما نقرر النظر فيه أو محاولة تناوله بالدراسة يجدر بنا تأسيسها على علوم كثيرة وبالخصوص الفلسفة والمنطق، كما نستعين بجانب من الدراسات في علوم إنسانية أخرى كعلم النفس، وعلم الاجتماع، ... حتى يمكننا اللجوء إلى دراسات في العلوم الطبيعية والفيزياء والرياضيات، والذكاء الاصطناعي والحاسوبية، وعلى غرابة هذا الطرح فهو حقيقة، ذلك أن موضوع كاللغة الذهنية والقصدية بصفة خاصة يستدعي منا محاولة الإمام بعلوم عدّة وكذا تحري الدقة والتحديد وهذا ما قد يشكل عائقاً في طريق مثل هذه الأبحاث ويجعلها غير مطروقة كثيراً وبالشكل اللائق



## مقدمة

بها، ويعز وجودها في المكتبة العربية؛ ويفاقم ضبابية الأفكار حولها وصعوبة وضع اليد على ملامحها وأدواتها، وسأحاول مستعينة بالله خوض هذا البحث ولا أدخر جهدا في إيفائه حقه. ولبلوغ ذلك تم تقسيم البحث إلى مقدمة، مدخل، أربعة فصول، وخاتمة، وتأتي على الشكل التالي:

- مقدمة:
- مدخل البحث: أطر تعدد الخطابات.
- الفصل الأول: الجهاز المفهومي لمصطلح "القصدية".
- الفصل الثاني: القصدية ولغة الحقيقة.
- الفصل الثالث: القصدية والأفعال الخطابية.
- الفصل الرابع: القصدية وفاعلية التفاعلات الخطابية.
- خاتمة.

جاءت المقدمة لتهيئة حسن التلقي للبحث والتعرف المقتضب على دوافعه وأجزائه وأهدافه على السواء، بعدها ارتأى البحث ضرورة وضع أهم الأطر التي تتمظهر وفقها الخطابات على اختلافها شكلا وقصدية، فتجلى ذلك في **مدخل تمهيدي**؛ إذ يركز على تحديد مفهوم الخطاب في الدراسات اللسانية يحاول تحديد أطر إنجازها؛ بصفة أخص أهمها وأكثرها تأثيرا في عملية التخاطب في الوقائع الخطابية.

عقد **الفصل الأول** لبيان أهم المبادئ النظرية التي يتركز عليها مفهوم "القصدية" والمناخات الفلسفية الباعثة لها في "الفينومينولوجيا"؛ يتناول أول مباحثه التأصيل لـ "القصدية" كمصطلح وكمفهوم في الفكرين العربي والغربي على حد سواء، فيما يتطرق المبحث الثاني من هذا الفصل إلى مفهوم القصدية في فلسفة العقل، وقيمتها في تسيير الأفعال الإنسانية عامة وفعل التخاطب اللغوي بشكل خاص، أما الثالث فحوى بيان وعي العلماء المسلمين القدماء بماهية القصدية في الأفعال الإنسانية ودورها في تعدد الخطابات، وتمايز الناس بها في الإنتاج الخطابي العادي والفني، رابع مباحث هذا الفصل جاء رحلة حوارية فلسفية بين عدد من العقول البشرية حول أكبر الألغاز التي حيرت العقل البشري ألا وهي علاقة القصدية والعقل البشري بالجسد ذلك أن العقل أصعب الأشياء التي يقصدها العقل بالعقل.

أما **الفصل الثاني**: فأول الفصول التطبيقية؛ تمحور حول "القصدية" ولغة الحقيقة، عاملا على توضيح قدرة الخطابات على إظهار الحقيقة، والجدل المتمثل في اللغة المنطقية هي الحاملة للحقيقة



والأنسب لتوصيلها أم اللّغة العادية بسط في المبحث الأول منه، في الوقت الذي ركز المبحث الثاني على العملية التخاطبية ومراحلها المختلفة وطريقة بناء الخطابات، وفق نموذج مستعمل اللّغة الطبيعي، المعتمد من علماء اتجاه النحو الوظيفي (نظرية "نحو الخطاب الوظيفي" وكذا "نحو الخطاب الوظيفي الموسّع")، ولما كان الإنتاج والتلقي الخطابين لا ينفكان عن الكفاءات التخاطبية للمتخاطبين، وجب إفراد مجموعة من القضايا المساهمة في بروزها بالدراسة والتحليل في باقي هذا الفصل، فبسط المبحث الثالث أهمّ القضايا الفلسفية التي تتبني عليها عمليتا الإنتاج والفهم القصديين للخطابات العادية؛ متناولاً قضيتي اسم العلم والإحالة، في حين أفرد المبحث الرابع بالتحليل دور القضايا اللسانية صوتية كانت أو نسقية، ودلالية كانت أو تداولية.

**والفصل الثالث:** ضام بالدراسة والتحليل ثم محاولة التعديل، لجملة من القضايا؛ المرتبطة بعلاقة "القصدية" بالأفعال الخطابية حال الإنجاز، وجاء في خمسة مباحث؛ يؤصل المبحث الأول منه للمنطقات الأساسية لنظرية الأفعال الخطابية والفرضيات التي بنيت عليها، وخاصة إسهامات أفكار "أوستين" في بلورة ذلك، في حين جاء المبحث الثاني منه لبيان جهود "سيرل" وكيف انتقل بتحليل الأفعال الخطابية إلى مرحلة جديدة قامت على مفهوم القوة الإنجازية للأفعال الخطابية، حيث تمكّن من التفرقة الدقيقة بين الفعل القضوي والفعل الإنجازي في الأفعال الخطابية، منطلقاً؛ من تحديده لسمات الأفعال الخطابية، وقد حاول المبحث مراجعة وتعديل عدد من الأفكار والمقاربات المرتبطة بذلك، وحلّل المبحث الثالث منه معايير تقسيمها ثم تقسيم "سيرل" لها تبعاً لتلك المعايير، ودور "القصدية" في ذلك، وكمرحلة متقدّمة جاء المبحث الرابع ليرسخ معنى المعنى الطبيعي (غير القصدي) والمعنى غير الطبيعي (القصدي) عند "جرايس" وإفادة "سيرل" من ذلك المفهوم ليشرح عملية الانتقال الاستدلالي لتحديد القصديّة غير المباشرة في الخطابات، ليفرد المبحث الخامس من هذا الفصل القول في القوى الإنجازية الأصلية في اللّغة العربية وما يتفرع عنها من قوى إنجازية مستلزمة في الخطابات العادية سواء كانت خطابات آنية أو مسكوكة (مقتبسة).

**الفصل الرابع:** فرض نفسه كضرورة ترسّخ أوجه وأحوال "القصدية" في توجيه الخطابات الطبيعية في الوقائع الخطابية المتباينة والاستراتيجيات التي يعمد إليها القاصدون لإرساء قصديّة خطاباتهم على تعدّدها بين طرفي التخاطب، اختص المبحث الأول منه بتناول مظهرات "القصدية" المختلفة عند طرفي العمليات الحوارية العادية تبعاً لأشهر المبادئ التخاطبية وأهمها تصويراً للوقائع التخاطبية بين

المتخاطبين في اللغة الطبيعية، فيما جاء المبحث الثاني لدراسة "القصدية" بين طرفي التخاطب في الأفعال الخطابية المركبة داخل أقسام الحوار الحجاجي، أما المبحث الثالث فمثير يظهر فيه جلياً محاولة الوقوف على لمسات فقط لـ "القصدية" في مختلف حالات المتخاطبين الشاطة ومختلف الأخطاء والمغالطات والمفارقات الناتجة عنها، ولإن كانت باقي المباحث تحتاج لمساحة أكبر من البحث والتحليل والتمحيص فهذا المبحث بالذات يطلب المزيد من الحبر المسكوب والعقول المحللة بالنظر والتدقيق، وهذا أمل ودعوة ليعطى لمثل هذه المواضيع مساحات وفرص أكثر للتناول بالدراسة والتحليل ومزيد بذل الجهد فيها لفهم وتوجيه أفضل للدرس اللساني، العربي على الخصوص، بما يعود بالخير على مجال تطبيقها الفعلي.

ليتم البحث بخاتمة تجمع أهم ما توصلت إليه الدراسة من نتائج حول قيمة "القصدية" في رسم توجهات اللغة الذهنية عند البشر إنتاجاً وتلقياً.

وأنا أمل أن تكون دراستي هذه جادة ودقيقة، أحاول بها إضافة الجديد والمشاركة في إثراء المكتبة العربية بإنتاج علمي يرقى إلى المستوى العلمي المطلوب، ويملاً بعض الفراغ في المكتبة العربية، ولبوغ ذلك اعتمد المنهجين: المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الوظيفي، هذا حسب اقتضاء فصول البحث؛ يخدم المنهج الوصفي التحليلي وضع الأطر المصطلحية والجوانب النظرية للمفاهيم، وكذا تتبع طرق بعض القضايا الجدلية ذات الصلة بموضوع "القصدية" في فلسفة اللغة في حين أنّ المنهج الوظيفي يتم به معالجة نماذج الخطابات التطبيقية كونه ينطلق من ثلاث مبادئ أساسية تتمثل في؛ الوظيفة الأصل للغة هي التواصل وتنعكس الوظيفة إلى حد كبير في بنية اللغة ويحكم هذا الانعكاس ثلاثة عوامل: عملية الاكتساب اللغوي للإنسان وانقسام اللغات إلى أنماط ومسلسل التطور اللغوي، وكل هذه العوامل لاشك أنّ للإنسان فيها دوراً هاماً، لذا فالمنهج الوظيفي هو الأنسب لتتبع الشق التطبيقي لتحليل الخطابات والإنجازات اللغوية في مختلف فصول هذه الدراسة.

وتجدر الإشارة إلى أن الخطابات والإنجازات اللغوية التي تمثل الجانب التطبيقي ستكون خطابات مختلفة حسب أقسام البحث وتتنوع بين حوارات تؤخذ من الواقع اللساني لهجية محلية كانت أم فصحي، ومن الحصص التلفزيونية ومن الخطابات المكتوبة الموثقة هنا وهناك في المصنفات وسيشار لها في حينها، تبعاً لمكانها في المباحث المختلفة للفصول.

أما عن مصادر الدراسة فتتعدد بتنوع مباحث هذه الدراسة؛ حيث ترجع إلى كتب في الفلسفة اللغوية ومصادرها غربية كانت أو عربية كما تعود إلى كتب اللسانيات والدراسات اللغوية المعاصرة في مختلف تخصصاتها كعلم اللغة النفسي و علم اللغة الاجتماعي واللسانيات الوظيفية، كما لم تستغن عن كتب البلاغة والمصنفات التراثية في اللغة، وكذا القواميس والمعاجم سواء كانت عامة أو متخصصة، إلا أنّ مكتبة هذا البحث وأمثاله تضع الباحث أمام حقيقة أنّ مكتبته أكبر من أن يحصيها في آخر العمل ضمن مسرد محدود للمصادر والمراجع فقد تطلّب البحث الاطلاع على عدد كبير من المصادر والمراجع في مختلف ميادين، العلوم الإنسانية كعلم النفس و علم الاجتماع، والعلوم التجريبية كالفيزياء وعلوم التشريح وغيرها، وأهمها كانت الكتب الخاصة بفلسفة اللغة؛ من أجل التأسيس الفكري والتحصيل العلمي الأفضل بغية تكوين قاعدة متينة تخولني ولوج ولو بعض القضايا ذات الأهمية الكبرى، وتم ذلك بالتدرج حتى يتسنى لي ذلك، ولجأت أكثر للمصنفات التي قام بترجمتها مجموعة من الدارسين وأجادوا، فعملية الترجمة تلك كانت غاية في الأهمية لتقريب جملة من الأفكار والقضايا والمبادئ، نظرا لصعوبتها، فالعلماء المترجمون على باعهم يعترفون في بداية معظم الترجمات على صعوبة مثل هذه القضايا واستعصائها على الفهم والاستيعاب، فما بالك إذا كان الاطلاع عليها بغير اللغة الأم للباحث، إنّها تصبح مغامرة يقوده فيها غيره ممن هم أكثر علما ومعرفة وتمرسا، أذكر منها مؤلفات "هسيرل" باعث "مبدأ القصدية" في الأفعال الإنسانية عامة واللغة بصفة خاصة؛ في الفلسفة التحليلية الحديثة، كـ"أزمة العلوم الأوروبية والفينومينولوجيا الترنزنداننتالية" و"مباحث منطقية" و"فكرة الفينومينولوجيا" و"دروس في الوعي الباطني بالزمن"، وكذا مؤلفات غيره من الفلاسفة منهم "فتغنشتاين (Wittgenstein) صاحب "بحوث منطقية" و"الرسالة" و"هيدجر" في "الكيونة والزمن" و"مبدأ العلة" و"نداء الحقيقة"، و"بول ريكور" في "نظرية التأويل وفائض المعنى" و"من النص إلى الفعل". وغيرهم من الفلاسفة أمثال: "هابرماس" (Habermas) و"جاك دريدا" (Derrida) وغيرها، مع الاعتماد على كتابات وأفكار كل من "أوستن" و"سيرل" و"غرايس"، رواد فلسفة اللغة العادية حاليا، بعد المصنفات المترجمة لجأت إلى مؤلفات أساتذة في فلسفة اللغة العرب وعلى نذرتها- وأعيد التأكيد أن ندرة المصادر البحثية المتخصصة في هذا الموضوع كان عائقا كبيرا أمامي وكذا الغياب شبه الكلي لدراسات تطبيقية حوله فاقم الوضع-، كانت ذات جودة ودقة مهّدت بعض الدلول وبسطت كثير القضايا، وأخص بالذكر والعرفاء كتب الأستاذ: "صلاح إسماعيل" وكذا كتب الأستاذ: "طه عبد الرحمن".



## مقدمة

ثم لم يكن ركوب الصعب في مثل هذه البحوث في الصعوبة الكبيرة لعملية انتقاء وجمع المصادر والمراجع الساندة له، والتي هونها عليّ من يستحق الشكر ويُدعا له بالعون من الله في كل ما يحزبه من أمر، بقدر ما واجهت المعظلة في فهم ما بين دفتي كل منها، خاصة ما تعلق منها بمواضيع فلسفة اللغة وتكوين الحالات القصديّة الأصليّة والمشتقة منها ومختلف القضايا المرتبطة بها وقد توزعت بين فلسفية ولسانية، والتي ما كان لي أن أفهمها وأقف على ملامحها دون دعم أستاذتي وحسن توجيهها وسعة صدرها لقلّة خبرتي وضعف رصيدي المعرفي.

لهذا ولغيره مما يصعب حصره عدداً، وردّه جهداً، أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة المشرفة الدكتورة: "فريدة بوساحة" التي أكرمتني بقبول الإشراف على أطروحتي هذه، ووافقت على تبني فكري كما عملت على بلورتها، ثم حرصت على حسن إنجازها، وأرجو من الله أن أكون عند حسن تأطيرها لي وصدق ظنّها بي خيراً دوماً، وأسأله عز وجلّ أن يوفّقنا إلى الأجرين أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، والله من وراء القصد وعليه التوكّل وإليه المصير.



علاء بوضبور

عويّنة الفول

التاسع من ذي الحجة

سنة ست وثلاثين وأربع مئة وألف

مہینہ تہذیب

## مدخل تمهيدي:

- توطئة:

I. ماهية الخطابات:

II. الخطابات بين النسق الشكلي والتفاعل الخطابي:

II. 1- إطار المخاطب والمخاطب.

II. 2- إطار النسق والقصد.

II. 3- إطار السنن والحرية.

II. 4- إطار الزمان والمكان.

II. 5- إطار التراكم والتجدد.

❖ خلاصة القول من المدخل التمهيدي.

## مدخل تمهيدي:

### - توطئة:

اللغة؛ فعل إنساني، هو أجل ما يمكن أن يدرس؛ انطلاقاً من مبدأ محاولة فهم الإنسان لماهية حياته ووجوده وما يدور حوله ، فاللغة هي أكثر الأشياء اطراداً في خدمة ربط الفرد بذاته وما يحيط به وبغيره من أفراد . سواء التقى بهم أم كان البعد زمانياً و مكانياً هو السمة بينهم، ويخول للغة هذه الخاصية و القدرة؛ مرونتها و وفرتها فتضمن بذلك مادة طيعة للاستعمال.

فاللغة بشكل من الأشكال هي سرّ هذا الوجود، بإستيعابها؛ كلّ الأشياء وأسمائها، وكلّ الأفكار ومعانيها، تتحول إلى رموز وعلامات لكل ماهو مادة أو روح لهذا العالم، تتخذ اللغة أشكالها ومضمونها فتوفر بذلك لنا الراحة في الاستعمال وتجلية قصودنا.

والواقع أن اللغة ليست شكلاً صرفاً ولا مضموناً صرفاً إنّما تتراوح بين هذا وذاك، من هنا تعددت معالم دراستها، و مناهج البحث فيها، فتباينت بين البحث التاريخي والمقارن، وبين البحث البنيوي والبحث التحويلي والبحث الوظيفي، حتى فتحت التداولية أفقا جديداً؛ رُبط فيه ربطاً ثلاثياً بين الشكل والمضمون والأشخاص المستخدمين له.

**التداولية** مقارنة لدراسة اللغة ؛ تهدف إلى دراستها في ميدانها الطبيعي، ووسطها الاستعمالي، ومنطلقها عدم إخضاع اللغة لمجموعة من الأنظمة والمعايير المتفق عليها داخل الجماعة اللغوية بل على العكس تتبع مسار هذه التطبيقات اللغوية وهي في حالة حرية نوعاً ما، تتبني على قدرات منشئها وتفاعلاته الخطابية .

والظاهر - حسب مسار هذه المقاربة اللسانية- أن جذور التداولية<sup>1</sup> يرد لها عديد الدارسين دون تحفظ إلى مباحث الفلسفة اللغوية، وإنما يصح هذا الرد في الدرس الحديث والمعاصر، أما جذورها البعيدة فتتمدد إلى أعماق سحيقة في تاريخ الفكر الفلسفي يصل إلى "بروتاجوراس" [ Protagoras (450 ق م)] الذي جلس في "أبديرا" وأعلن أن "الإنسان مقياس الأشياء جميعاً"<sup>2</sup>.

ويفهم من هذا المبدأ العام للتداولية أن فعل الإنسان هو محور فهم العالم، وهذا يفتح مجالاً واسعاً من الذاتية، والتبريرات الفردية ( ذات الصبغة الخاصة ) لذلك وصفت التداولية بالنفعية والواقعية والذاتية والعملية وتبنى الفلاسفة مصطلح "البراجماتية" ، وكان "بيرس" [ Peirce ] أهمهم وزاد بأن ربط الفعل الفردي بخلفيته العقلية "إذ يقول "والآن فإن العنصر اللافت للنظر أكثر بالنسبة للنظرية الجديدة هو تعريفها للعلاقة المتصلة بين المعرفة العقلية والهدف العقلي ، وبهذا الاعتبار فإنه يحدد أفضلية اسم البراجماتية"<sup>3</sup>.

1- التداولية: أصل المصطلح في اللغة اليونانية Pragma بمعنى الفعل أو العمل أو النشاط. والمصطلح " Pragmaticus " يوجد في اللاتينية المتأخرة ، كما أن مصطلح " Pragmaticu " يوجد في اليونانية، وكلا المصطلحين بمعنى عملي. للاستزادة أنظر: الصراف (علي محمود حجي): في "البراجماتية"؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة - دراسة دلالية ومعجم سياقي-، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2010م، ص 5.

والترجمة العربية المستعملة في مجال اللسانيات لهذا المصطلح هي "التداولية"؛ مصطلح من وضع الأستاذ طه (عبد الرحمن) في وجود الكثير من الترجمات الأخرى له، منها "البراجماتية": هي الترجمة العربية التي استعملها الأستاذ إبراهيم مصطفى إبراهيم .

2- إبراهيم ( إبراهيم مصطفى ) : مقدمة كتاب رواد الفلسفة البراجماتية لموريس (تشارلز)، ترجمة: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2011م، ص 8.

3- المصدر نفسه: موريس (تشارلز): رواد الفلسفة البراجماتية، ص 28.

لهذا وجدت الفلسفة التحليلية (مجال فلسفة اللّغة) في التداولية أرضية خصبة لتتبع النشاط اللّغوي للإنسان، فكانت بذلك فلسفة اللّغة العادية ثمرة هذا الاحتكاك والتأثر، بعد أن سادت لفترة ليست بالقصيرة فكرة البحث عن اللّغة المثالية (العليا)، وظهرت مباحث فلسفة اللّغة العادية محاولة الإمام بكنه الظاهرة اللّغوية والوصول إلى أبعادها الشكلية والمعنوية.

وحتى نتبين ذلك سنفرد بإذن الله في قابل هذا البحث حديثا لتجلية تيار الفلسفة التحليلية وما يتصل بها من أبحاث خدمت مجال دراسة اللّغة في وسطها الطبيعي و علاقتها بمستخدميها، ويعالج إسهامات فلاسفتها في بعث التفكير في مواضيع تحلل الفعل الإنساني عامة والنشاط اللغوي بشكل خاص، على اعتبار أنه؛ أظهر و أعقد و أهم الأفعال الإنسانية التي تموضع الفرد في فضائه الاجتماعي. لكن قبل ذلك ارتأيت، أن أضع إطارا تمهيديا أحدد فيه القاعدة المفاهيمية لما يطلق عليه في الدراسات اللسانية الحديثة مصطلح "الخطاب" وكذا حاجتنا إلى تبين مفهوم "التفاعل الخطابي"، لنفهم الخطاب كمصطلح وكواقعة إنسانية لغوية.

## I. ماهية الخطابات:

إن مصطلح "الخطاب"؛ لفظ متجذر الصياغة، متجدد الاستعمال ذلك أنّه رغم أصلته في اللسان العربي وحضوره إلا أنّ استعماله في الدراسات اللسانية الحديثة مضطرب جدا، ونستطيع أن نعزو هذا الاضطراب إلى تعدد المستعملين و مقاصد استعمالهم هذه تبعا للخلفيات المعرفية لمختلف الدارسين،" وعلى هذا الأساس اكتسبت كلمة خطاب دلالات لها علاقة بما يدور في المشهد الثقافي المعاصر وما يحتوي عليه من مميزات على عدة مستويات" (1) حسب توجهاتهم والفكرية وضرورتهم البحثية.

(1) - قادري (علمية) : التداولية و صيغ الخطاب من اللّغة إلى الفعل التواصلية، مداخلة منشورة ضمن فعاليات الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي"، جامعة "محمد خيضر" بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب العربي، 15-17 نوفمبر 2008م، ص 599.

وأصل مادة كلمة "خطاب" في اللغة العربية هو: (خ - ط - ب): جاء في لسان العرب؛ "الخطب الشأن أو الأمر ، صغر أو عظم وقيل هو سبب الأمر يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول هذا خطب جليل، وخطب يسير. الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام ، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً و هما يتخاطبان" (1) . و "خطب : خاطبه أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام" (2). وجاء في "القاموس المحيط" في فصل الخاء، باب الباء مادة (خطب): و "الخطاب كالشَّداد المتصرف في الخطبة...والخاطب على المنبر خَطابة بالفتح والخطبة بالضم وذلك الكلام خطبة أيضا أو هي الكلام المنثور المسجّع ونحوه ، ورجل خطيب حسن الخطبة" (3).

من هذه التعاريف يمكننا ملاحظة أن استخدام الأصل اللغوي يتقاطع كثيرا مع الاستعمال المتخصص لكلمة (خطاب) في الدراسة اللسانية ونقف بصفة خاصة على معاني: مراجعة، مواجهة، إحسان، تصرّف. وجلها معاني تستدعي أكثر من شخص في المشهد الوصل بينهم عبر اللغة قائم، ومنها نستنتج أن الخطاب عند القدماء فعل إنساني جماعي يستدعي المراجعة والمشاركة والمواجهة، قائم على التفاعل وللمرء في صياغته تصرف ما، وأن الإحسان فيه وارد لهذا نجد صاحب "العقد الفريد" يقول: "إعلم أن جميع الخطب على ضربين منها

(1) - ابن منظور(محمد بن مكرم الإفريقي المصري) (ت 811هـ): لسان العرب ، طبعة محققة ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، دط، دت، م1، ص360.

(2) - الزمخشري (جار الله محمود بن عمر)(ت 538هـ): أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط1 ، 1998 م ، ج1 ، ص255 .

(3) - الفيروز أبادي الشيرازي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط ، وبهامشه تعليقات وشروح ، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للطبعة الأميرية سنة 1301 هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، دت ، 1979 م ، ج1 ، ص (62 . 63) .

الطوال ومنها القصار؛ ولكل ذلك موضع يليق به ومكان يحسن به<sup>(1)</sup> فيقرّر بأن الخطاب مرتبط بموضعه ومقصده، وتختلف مضامينه وتعدد أشكاله بتغير المواقف والأماكن والمواضع التي يتم فيها.

كما أن الناس في حسن تصرفهم في الخطاب مراتب وقدرات، ويزيد "جار الله" على ما سبق ذكره بأن حسن التعامل مع الواقعة التخاطبية فقط لا يكفي إنما يسهب مقرا بأن معرفة أبعديات التخاطب وكنه اللغة المستخدمة يوضع في صدارة حسن إدارة الخطابات وتجلية مقاصدها وعدم تحميلها ما ليس فيها قائلًا في "الكشاف": "فمعنى فصل الخطاب الخطاب البين من الكلام المخلص الذي يتبينه من يخاطب به لا يقف في كلمة الشهادة المستثنى منه، ولا يتلو ﴿فويل للمصلين﴾ إلا موصولًا بما بعدها ولا و﴿الله يعلم وأنتم﴾ حتى يصله بقوله ﴿لا تعلمون﴾ ونحو ذلك مظان العطف وتركه والإضمار والإظهار والحذف والتكرير"<sup>(2)</sup>. بهذا يؤكد أن معرفة اللغة والدراية بطرق استعمالها ومواطن الربط والعطف، والقطع والإضمار لأجزاء الخطاب، أو الإظهار والإفصاح وغيرها من التصرفات تعد من أبعديات حسن التخاطب أو فصل الخطاب، وهو بقوله هذا يحذر من شط قصد المتلقي عن قصد الباث أخذًا بناصية الكلام إلى غير وجهته الحقيقية، وهذه الفكرة وإن كانت من سمات النص المفتوح إلا أنّها مضرب النصوص المباشرة أو النصوص الموجّهة التي يعد عدم الوقوف على قصودها سوء تفاعل معها.

(1) - ابن عبد ربه الأندلسي (أحمد بن محمد) (ت 328هـ): العقد الفريد، تحقيق: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983م، ج 4 - كتاب الوسطة في الخطب، ص 145.

(2) - الزمخشري (جار الله محمد بن عمر): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد مرسى عامر، دار المصحف، القاهرة، مصر، ط 2، 1977م، ج 3، ص 5، 137.

توصلنا فكرة "الزمخشري" هذه إلى أهمية الحديث عن التفاعل الخطابي معناه و مؤداه غير أننا قبل الحديث عنه، سنرى بعض الآراء اللسانية الحديثة في تعريفها للخطاب.

جاء آنفاً أن مصطلح "الخطاب" اكتسب عدة معانٍ تابعة لمختلف الاستعمالات في الخلفيات المعرفية العربية الحديثة، ولعل هذا التعدد إنما جاء انعكاساً لتعدد وافد وفود المصطلح في حد ذاته والدراسات المخضعة له للبحث والتمحيص؛ فتيار "تحليل الخطاب" تيار غربي النشأة معاصر المولد، ومع صدور معجم في تحليل الخطاب<sup>(1)</sup>؛ يكون هذا الفرع المعرفي الجديد قد احتل مكانة مرموقة وتحول إلى فرع مركزي في الدراسات الإنسانية والاجتماعية وخاصة في اللسانيات وفلسفة اللغة<sup>(2)</sup>، فدور وأهمية الخطاب كمنشأ اجتماعي فاعل و رابط و متمم لمختلف الأفعال الإنسانية داخل الوسط الجمعي له والقالب الاجتماعي له أعطى الدارسين الرغبة في محاولة الإحاطة بأسباب هذه الأهمية وآليات إيقاعها ثم

**1 - Patrick Charaudeau & Dominique Maingueneau : Dictionnaire d'Analyse du Discours**, Editions du Seuil 2002, 27 , Rue Jacob ,Paris VI<sup>e</sup> – France .

ترجم الأستاذ محمد يحياتن أهم مصطلحات تحليل الخطاب من هذا المعجم إلى اللغة العربية في طبعة:

- دومنيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2008 م. وترجمه أيضاً من الفرنسية إلى العربية مجموعة من الأساتذة التونسيين للمركز الوطني للترجمة، تونس. بطبعة:

- منغونو دومينيك - باتريك شارودو: معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري و حمادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008م.

(2) - يقول المترجمان عن هذا المعجم "كل هذا يقوم دليلاً على ثراء هذا المصنف المخصص لفن هو في الواقع حديث العهد بل مازال يتطور ويتسع ويتشعب قصد الإمام بكل أنواع الخطابات من التي كانت منذ زمن بعيد موضوع نظر وتحليل و شرح ونقد إلى أبسط الملفوظات المنتجة في الأنشطة العادية وفي أبسط ظروف الحياة اليومية مما لا يكتثر به عادة، ولكنه، عندما يتصدى له الباحث بالنظر، يكتشف فيه من خفايا التواصل وتقنياته واقتضائه ما هو جدير بتظير لا يقل قيمة عن تظير تقنيات النصوص "الراقية" وأسرارها واقتضائها... "المصدر نفسه: ص 5.

كفاءات تطبيقها آثار إنجازها عبر مقارنة تحليل الخطاب، "حيث يدرس مختلف منطوقات المجتمع، من المنطوقات الرفيعة إلى المنطوقات العادية، ومن تحليل النصوص المقدسة إلى الأحاديث العائلية"<sup>(1)</sup> دون بسط أحكام معيارية أو انتقائية تفضيلية لبعض أشكال الخطابات دون أخرى، كتفضيل التراكيب الفصحى على حساب العامية أو تفضيل الخطابات ذات البنيات النسقية التامة الإسناد على حساب الخطابات المتكونة من مقاطع الصوتية أو من بعض العناصر التركيبية فقط.

ولما كان "تحليل الخطاب" مجالا معرفيا جديدا يهتم بدراسة مختلف منطوقات المجتمع، فإن الظاهر أن "الخطاب" مصطلح يطلق مبدئيا على كل منطوق مهما كان منشأه ومؤداه. وقد اعتبر مصطلح "الخطاب" ترجمة أو تعريبا للمصطلح "discourse" في الإنجليزية و"diskurs" في الألمانية، وفي "معجم المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب": "إن مصطلح "خطاب"، من حيث معناه العام المتداول في تحليل الخطابات، يحيل على نوع من التناول للغة، أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، فاللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاطا لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى لا يحتمل الجمع: يقال (الخطاب) و(مجال الخطاب) إلخ، وبما أنه يفترض تفصل اللغة مع المعايير غير اللغوية فإن الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف"<sup>(2)</sup>، أي أن الخطاب هو نشاط للغة ينشأ بشكل مقصود بعيدا عن الاعتباطية، وكل "خطاب" هو نشاط خاص تتقاطع فيه اللغة مع مكونات أخرى خارج لغوية، ف"الخطاب مجموع خصوصي، لتعابير، تتحدد

(1) - بغورة (الزواوي): الفلسفة واللغة - نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص 213 .

(2) - دومينيك مانغونو: أهم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 38 . لا يوجد هذا المقطع من الترجمة في الطبعة التونسية، مع أنها ترجمة للمعجم كله.

بوظيفتها الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي<sup>(1)</sup>، إذ لا يمكن بأي شكل من الأشكال أن ينتج الناس داخل جماعة لغوية الخطاب دون سند فكري وجملة معقدة من العلاقات والأفكار والقصدات الدافعة لمثل هذا النشاط الاجتماعي أصلاً والرباط بين الأفراد شكلاً والمهم جداً وظيفة ودورا، وإنما يُعزز إنتاجه بترابطه بمجموع متعلقاته التي لا يمكن أن يفصل عنها حال محاولات الفهم أو التحليل، فالخطاب وإن كان شكلاً هو يرتبط بفاعليه.

فتحليل الخطاب؛ حقل معرفي يركز دراسته مباشرة على شكل الخطاب ومضمونه، من حيث أنه بنية لسانية حاملة لبنية قصدية، لكل منها مميزاتها الخاصة وآلية اشتغال؛ اشتغالا لا يمكن له أن يفصل هاتين البنيتين بعضها عن بعض. وحسب "جابر عصفور" هناك مصطلحات كثيرة تحيل إليها كلمة خطاب في اللغات الأوروبية "ك(العرض) و(السردي) و(الخطبة) و(الخطبة الطويلة)...ثم(الموعظة) و(الخطبة المنمقة) و(المحاضرة) و(المعالجة البحثية) وأخيرا (اللغة) من حيث هي أفعال أدائية لفاعلين أو ممارسة اجتماعية لذوات تمارس الفعل الاجتماعي وتتفعل به بواسطة اللغة"<sup>(2)</sup>. ويتفق "الجابري" مع الكثير من الدارسين؛ على أن "النص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو "خطاب"، فالاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص، تماماً مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام،...، وهناك، إذن جانبان يكونان الخطاب: ما يقوله الكاتب وما يقرؤه القارئ"<sup>(3)</sup>، إنَّ الفرق الممكن الاعتداد به بعيداً عن الشكل المادي (مسموع، مكتوب) يكمن أساساً في زمنية التلقي وما يمكن أن تؤثر به في تكوين القصد أو ردة فعل معينة قد تتلاشى مع الزمن كحال أن تصل رسالة دعوة مثلاً بعد التاريخ

(1) - علوش (سعيد): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، وشوسبريس، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1985، ص76.

(2) - جابر عصفور: خطاب الخطاب - آفاق العصر، نقلا عن - قادري (عليمة): التداولية و صيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلي، ص601.

(3) - الجابري (محمد عابد): الخطاب العربي المعاصر - دراسة تحليلية نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1994م، ص10.

المذكور للحضور المفترض، بهذا يكون الخطاب المكتوب أبطن في استدعاء عقل المتلقي مع هذا يبقى يحتفظ بقيمته كخطاب.

انطلاقاً من هذا المفهوم خصوصاً، مع ثراء وغنى الدراسات اللسانية الحديثة وتلاحق مباحثها، في سعيها الدائم إلى إبراز قيمة الخطاب بعيداً عن مجرد تتبع شكله النسقي (التركيبية). نجد أن اللسانيات الوظيفية اتخذت الخطاب موضوعاً للدرس سواء أكان الخطاب نصاً كاملاً أم جملة أم مركباً اسمياً أم مفردة واحدة، بتعبير آخر أصبح موضوع المقاربة اللسانية يقاس "لا بالتقسيمات التركيبية التقليدية بل بكل ما يمكن أن يشكل وحدة تواصلية في موقف تواصلية معين"<sup>(1)</sup>. فالوحدة التواصلية؛ أهم صفات الخطاب، تتوفر مهما كان شكل الخطاب أيضاً، ليس فقط مهما كان حجم الخطاب، فالرسالة والبرقية مثلاً تشكل خطابات ناجحة متى تلقاها المرسل إليه وتفاعل معها ومع مضمونها، لذا فالقلم لسان اليد كما يقال، ينتج خطاباً كامل المقومات يؤدي وظيفته التواصلية متى حمّل وأرسل من المنتج إلى المتلقي، ومهما كان صنفه وطبيعته، من أمثلة ذلك اللصق الإشهاري والرسالة و... وحتى النص الإبداعي، بعيداً عن الخلط "بين مفهوم الخطاب كمصطلح نقدي وبين الكلام بمفهوم "دي سوسيور"<sup>(2)</sup>.

يزيد "بول ريكور" (Paul Ricoeur) على هذا المعنى أن النص (الخطاب المكتوب) يتميز بالامتداد وسنحل فكرته هذه بعد أن نورد النص الذي ذكر ذلك فيه، إذ يقول: "ما هو الخطاب؟ لن نطلب الجواب من المناطق، ولا حتى من المدافعين عن التحليل اللساني، بل من علماء اللغة، الخطاب هو الرأي المخالف لما يسميه هؤلاء بالنسق أو النظام اللساني، الخطاب يعني حدث الكلام"<sup>(3)</sup>، إنّه بهذا وكثير معه يقرّون بأن الخطاب بعيد كل

(1) - المتوكل (أحمد): التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005م، ص58.

(2) - أبو حميدة (محمد صلاح زكي): الخطاب الشعري عند محمود درويش -دراسة أسلوبية-، مطبعة المقداد، غزة، فلسطين، ط1، 2000م، ص29.

(3) - ريكور (بول) (1986م): من النص إلى الفعل -أبحاث التأويل، ترجمة: محمد بريدة وحسان بورقية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 2001م، ص141.

البعد عن مجرد كونه نسقاً لسانياً وتتابعاً خطياً لداليات معينة تحمل مضامين وتحترم نظاماً لسانياً محدداً، ثم يردف "ريكور" مسهباً في إرساء سمات الخطاب التي يتميز بها؛ ويضمن في هذه السمات أهم منطلقات الخطاب (التفاعل) سواء كان شكل الخطاب شفويا (تلفظ/ مباشر/آني/...) أو كان شكل الخطاب كتابيا (نص/مباشر وغير مباشر/ ثابت /...) والسمات حسبه هي (1):

• **السمة الأولى :** أن الخطاب تحقق دوماً زمنياً وفي الحاضر، بينما نظام اللغة تقريرى، وغريب عن الزمن، "إميل بنفنست" (E. Benveniste) يسميه "إلحاح الخطاب".

• **السمة الثانية :** في الوقت الذي تتطلب فيه اللغة أي ذات - بذلك المعنى الذي لاينطبق فيه سؤال "من يتكلم؟" على هذا المستوى- يحيل الخطاب على متكلمه بفضل مجموعة من أدوات الوصل كالضمائر مثلاً: لذا نقول إن إلحاح الخطاب مرجعي ذاتي.

• **السمة الثالثة :** بينما تحيل علامات اللغة فقط على علامات أخرى داخل نفس النظام وبينهما تستغني اللغة عن العالم كما تستغني عن الزمنية والذاتية، يكون الخطاب دائماً على صلة بموضوع ما، يحيل على عالم يتوخى وصفه، التعبير عنه وتشخيصه لهذا، لا تتحقق وظيفة الكلام الرمزية إلا في الخطاب.

• **السمة الرابعة:** بينما لا تعتبر اللغة سوى شرط للتواصل الذي تقدم له أنساقاً ما، لا يتم تبادل الإرساليات إلا في الخطاب، بهذا المعنى لا يملك الخطاب لوحده عالماً فقط، بل آخر مخاطباً إليه يتوجه.

(1) - المصدر السابق: ص 141-142.

إن هذه السمات الأربع للخطاب هي التي تعطيه هويته وحركيته وتضمن له التنوع والتجدد، عاملة على تعدد أشكاله ومحمولاته المتضمنة، وتعدد أشكاله من حيث أنه مستوى نسقي أو نظام لغوي ينتمي إلى خلفية معرفية للغة معينة، فد "ثمة كلمات في لغات تنظمّ الجمل بين بعضها البعض، من ضمنها الروابط (connecteurs) المنطقية (لأن، بالفعل، إذن، لكن)، وضامائر التردد التوكيدي (pronoms anaphoriques) (ضمير الغائب، الضمائر التي تعوّض عن المكان). لعل ذلك ما يؤدي إلى اشتغال الخطاب اللغوي الذي يتجاوز بمرونة فائقة حدود الجملة"<sup>(1)</sup>، فالخطاب يتحقق زمنيا متى ما ارتبط ؛ بذات محددة يحيل عليها، وعالم حقيقي الوجود من حول أقطاب الخطاب، وذات تتفاعل معه عند استقبالها له، سواء كان هذا الاستقبال في لحظة إنتاجه (حال الخطاب الشفوي) أو بعد حين (حال الخطاب المكتوب)، ويتوفر كل فرد منّا إلى جانب معرفته بلغة معينة، مجموعة تمثلات ذهنية للوجود من حوله، وهو دائم المزوجة بين هذه التمثلات الذهنية وتلك المعارف اللغوية حتى يتسنى له التواصل مع هذا العالم المحيط به وهذه الموجودات أو بطريقة أوسع هذا الوجود، لهذا فيمكن "النظر إلى ضروب الخطاب ليس باعتبارها فقط طرق تمثيل بينها نسبة معينة من الأمور المشتركة والثابتة، إنّما تشكل أيضا روابط مهمة في العلاقة المنطقية الجدلية بين اللغة وعناصر أخرى في البعد الاجتماعي"<sup>(2)</sup>.

لا يخضع الخطاب في مستوى الحادثة الخطابية؛ لكل سمة من تلك السمات الأنفة الذكر على حدة بعيدا عن التفاعل، فارتباطه بمنطقه وما يتوجه إليه وتأطيره بفضاء زمني وآخر مكاني يجعل من اللّغة الخطابية عبارة عن عملية سنن كما تسميها "أوريكيوني" (C.K. Orecchioni).

(1) - أشار (بيار): سوسيولوجيا اللّغة، تعريب: عبد الوهاب ترو، منشورات عويدات، لبنان، ط1، 1996م، ص21.

(2) - فاركلوف (نورمان): تحليل الخطاب - التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، وتوزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص240.

بعد هذا العرض التأسيسي لمفهوم الخطاب لغة واصطلاحا حسب النظرة الموجّهة انطلاقا من دراسات وآراء لغويين تجدر الإشارة إلى أهم مقومات الخطاب وهو **التفاعل** أي تجسيد فاعليته كحدث في **تفاعل اجتماعي** يتطلب التشارك المؤسس والمتبادل بين أقطاب الخطاب وفي أطره العامة.

## II. الخطابات بين النسق الشكلي والتفاعل الخطابى:

يحيل مصطلح التفاعل الخطابى مباشرة على المشاركة، غير أنه يتوقف بنا عند حقيقة هذه المشاركة فهي مجرد تبادل لأشكال نسقية تطبيقية للغة أم أنه اشتغال وحدث حقيقي وعلى نطاق أوسع، يكاد يجمع المشتغلون في حقل اللسانيات حديثا؛ على الشكل الثاني للتفاعل، جاء هذا بعد زمن ليس بالهين هيمنت فيه الدراسات اللسانية على الشكل البنائي للخطاب، ودعت بعضها إلى موت المؤلف أو (المنتج)، ودعت أخرى إلى موت القارئ (المتلقي)، لكن قبل أن نتحدث عن الخطاب كحدث موسّع؛ نعرج على معنى التبادل الخطابى، فنقف عنده؛ يقول "مانغونو": "يطلق لفظ التبادل على التفاعلات الخطابية التي قد يكون المشاركون فيها متلفظين مشاركين علما بأن تلفظاتهم يحدد بعضها البعض الآخر؛ كالمراسلات في الإذاعة، الأحاديث، وعلى عكس ذلك فإن الأثر الأدبي أو المحاضرة الأكاديمية وخطاب رئيس الدولة ليست من قبيل التبادل، نظرا لعدم وجود التداول على الكلام **Monological / Monologique** " (1). **فالتبادل** مصطلح يوحي بوجود فواصل زمانية أو مكانية على تعدد أشكالها وآثارها على درجة التفاعل الخطابى، وكذا أشكال الخطاب وتلقيه، ففي حين تضمن الوحدة التواصلية التفاعل دائما، لا تضمن الوحدة التواصلية التبادل الخطابى في موقعة الإنشاء، فالخطاب في إطار التبادل مرهون؛ لا يتسم بالحرية وينبني بشكل تراكمي محدد وفي التبادل تتجلى، صفة المشاركة؛ أي وجود طرفين يتداولان على الحوار ويتبادلان الأدوار حيث يكون الأول منجزا والثاني متلقيا ثم يغيران المواقع فيصبح الأول متلقيا ويصبح الثاني هو المنجز، وينفي "مانغونو" وجود صفة التبادل الخطابى إذا لم يتم التغيير في المواقع، فيعطي هذا الشكل اسم آخر هو "المداخلة" قائلا: "أما بالنسبة لما هو

(1) - مانغونو: معجم المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ص 43 .

أدنى من التبادل، فيتعلق الأمر بتدخلات (Interventions) منوطة بمتلفظ واحد، أما ما تجاوز ذلك فإننا نكون حينئذناك حيال كيان خطابي أوسع، من ذلك مثلا حين نسأل عن أخبار الأسرة كلها، كثيرا ما توجد تبادلات ما بين قوسين وتسمى كذلك التبادلات المتضمنة (Enchassés) “ (1).

بالإضافة إلى هذا المفهوم الذي حدده لنا "مانغونو"، من الإجحاف بأي شكل من الأشكال أن نحصر التفاعل الخطابي في مجرد التبادل مهما كان نوعه مداخلة أو كيانا، ويشير مصطلح الخطاب عند "بيار أشار" "وبكل بساطة إلى الكلام في موقع الممارسة، وذلك من خلال السياق أو من خلال مرجعية براغماتية القصد Pragmatique de l'intention". (2)، وهو بذلك متعلق عنده بسياق لساني وآخر تداولي لكن في موقع الممارسة الفعلية وحدود هذه العلاقات.

أما الخطاب عند "باختين" (M. Bakhtine) فيتضمن مفهوما قد يتقاطع هو الآخر مع "أشار" في صبغة الخطاب الاجتماعية، فنراه يراهن على المنهج الاجتماعي في اللسانيات، ويفسره تفسيراً سوسيوولوجيا، مع إعطاء الخطاب حقه من الاعتبار، فيعرف الخطاب على أنه: "خطاب في الخطاب، وتلفظ في التلفظ، لكنه في الوقت ذاته خطاب عن الخطاب، وتلفظ عن التلفظ وكأن "باختين" يريد تفسير الخطاب بالخطاب نفسه، وأن الخطاب الواحد قد يكون شاملا لعدة خطابات، وكأنه ينفي عن الخطاب التفرّد والتجرد فهو دائم الارتباط بالعلاقات الخارجية والمجتمع عامة" (3). أي أن الخطاب يظهر سلطة ما وتوجيها للواقعة الخطابية ومختلف الصلات التي يطبقها في الواقعة الخطابية حال التخاطب.

إنّ مثل هذا الوعي بقيمة الخطابات في الوقائع الخطابية وتأثيره في فعل التفاعل يظهر في دراسات أخرى تعطي للخطاب دورا ولعناصره البنائية فاعلية في ذلك، من ذلك ما قال به أصحاب كتاب

(1) - مانغونو: المصدر السابق: ص 43.

(2) - أشار (بيار): سوسيوولوجيا اللغة، ص 21.

(3) - اسحالية (عبد الحكيم): الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم واللّسانيات ، دراسة منشورة في مجلة 'حوليات التراث'، جامعة مستغانم (الجزائر) ، العدد 9 ، 2009م ، ص 145-146. و أنظر - باتريك شارودو - دومينيك منغونو: معجم تحليل الخطاب، ص 236.

"Les tours de parole et L'approche séquentielle" أن المتخاطبين حال التفاعل يستخدمون الخطاب حتى لتحديد أدوار المتخاطبين وتدخلهم في التخاطب فتقاسم التخاطب عندهم ينبري عبر مبدأ عام حسبهم هو "لكل متخاطب دور" <sup>1</sup> "chacun son tour" ، وهذه الأدوار مضمونة عبر الخطابات انطلاقا من احترام المتخاطبين لثلاث قواعد يظهرها خرج الخطاب وهي قواعد تخصيص الأدوار<sup>2</sup>:

1. يختار المتكلم المتكلم الموالي، يظهر ذلك مثلا في حال الأسئلة أو الطلبات فالتكلم أو المخاطب يتوجه إلى مخاطب معين ينتظر منه الرد في الدور الموالي.
2. إذا لم يختار المتكلم المتخاطب الموالي، يأخذ المبادرة أحد المتخاطبين و يأخذ بذلك حق الدور وعلى الآخرين احترام أخذه لحق الدور.
3. إذا لم يختار المتكلم المخاطب الموالي، ولم يبادر أحد المتخاطبين بأخذ الدور على المتكلم استئناف الحديث.

إن مثل هذه القواعد إنما تضمن في المحاورات قلة الصمت والتداخل، ذلك أن الصمت يقطع عمليات التخاطب ويؤثر عليها سلبا، وكذا التداخل أو التشابك chevauchement قد لا يسمح للمتخاطبين بحسن التركيز لبناء الحالات القصدية الأكثر ملاءمة للتدخلات المنجزة فعلا. إلا أن هذه الدراسة إنما بنيت على مبدأ الدعامة فيه قصد المتخاطبين أصلا، وأن التفاعل الخطابي يدفعه قصد المتخاطبين وتعززه الخطابات.

ف نجد أن التفاعل الخطابي يبدو أوسع بكثير من مجرد المفاهيم الضيقة للخطاب، فشكل الخطاب وأطراف التخاطب وإن كانت أطرا لحدث الخطاب، إلا أنها لا تسمح بتضييق مساحة الخطاب بل على العكس من ذلك هي التي تدفعه إلى التعدد زمانيا ومكانيا، شكلا ومضمونا، ويعزز صفة التفاعل

1 - Sacks H., Shegloff E., Jefferson G.(1979j) : Les tours de parole et L'approche séquentielle . voire : Traverso (véronique ):L'analyse des conversations, Armand Colin, Paris, France, impression4, 2009j, p30.

2 - Ibid: p30-31.

هذه امتداد الخطابات، ويجعل منها موضوعا لدرس ثري يسبر أغوار الفكر الإنساني، يقول "بيار أشار": "والحال أن الخطاب، كاستعمال للكلام لا يرتبط حصرا بعلم الاجتماع، فالاستعمال الفعلي يشكل أفقا غير منظور يكشف اللساني البنية (حيث يتم دمج التغيير) داخل العبارة المثبتة. وتُخضع تلك البنية بدورها كل التأويلات، ولكن عندما ينطق شخص ما بعبارة معينة، وفي ظروف خاصة، يمكن لنا أن نتصور ذلك تبعاً لمختلف وجهات النظر التي تتشابه في هذا الموضوع تلتصق العبارة بالتاريخ الشخصي للناطق، كما أنّها تتكيف داخل متواليات من الأفعال وتتطابق مع المعايير الاجتماعية وتقيم العلاقات بين المتخاطبين وتحدد الميزة الاجتماعية"<sup>(1)</sup>. والخطاب يمكنه أن يحتمل التفاعل الزمني والمكاني، حين يستدعي أحدا عبارات فيكسبها لواحق إضافية لما كانت تتحلى به من قبل أو تتقبل حمله؛ فالخطاب يصبح هنا خطابات على مستوى الشكل والمضمون، وهذا التفاعل الأول أما الآخر فهي تفاعلات، فمن ناحية يرتبط الخطاب بعالم غير عالم منتجه ومن جهة أخرى يرتبط بذات بل بذوات غير الذات الأولى، وهنا يصبح التفاعل أظهر وأوجب وأكثر تعددا، وأبعد أفقا وأثقل تحميلا.

انطلاقا مما سبق وروده يمكننا أن نحدد بعض أطر التفاعل الخطابى، مع التحفظ لوجود غيرها كالثقافة والدين والأعراف ... - غير أننا سنحلل أكثرها ارتباطا بالتفاعل وأظهرها أثرا فيه؛ بصفة مطردة، وهي:

1. إطار المخاطب والمخاطب.
2. إطار النسق والقصد.
3. إطار السنن والحرية.
4. إطار الزمان والمكان.
5. إطار التراكم والتجدد.

(1) - أشار (بيار): سوسولوجيا اللغة، ص 22.

## II. 1- إطار المخاطب والمخاطب:

إن اللّغة هي النواة الأساسية لأي عملية خطابية، واللّغة أيضا أهم ميزة إنسانية، لهذا لا خطاب في غياب ذات إنسانية تعطيه نواته الأولى، والإنسان اجتماعي بطبعه؛ يتواصل مع غيره ، وتتعدد أشكال التواصل، و أسهلها على الإطلاق استعمال اللّغة وتفعيلها، وللمتخاطبين أهمية كبيرة في تأطير التفاعل الخطابي، تقول "أوركويوني" عن دور المخاطب والمخاطب أنّهما ورغم أنّهما "غير قابلين التعيين دائما فإنّهما يسهمان بالقوة في الفعل المقولي: النشاط المزدوج : إنتاج / معرفة / Production / Reconnaissance ، يوضع وظيفتي المرسل والمستقبل، بشكل معقد نظرا لأن كل مرسل هو في آن واحد مستقبله الحقيقي وكل مستقبل مرسل بالقوة. وعلى هذا الأساس "كيلولي" [ A. Culioli ] يفضل تسميتهما بفاعلي القول **Enonciateurs**: فاعلا القول هما العنصران الأساسيان اللذان بدونهما لا يكون فعل قولي" (1) .

وتتعدد أشكال التفاعل بين المتخاطبين تبعا لطبيعة العلاقة بينهما والخلفية الثقافية والدينية لكل واحد منهما (اللّسانية، الثقافية، الاجتماعية ... )، قابلية التعاون الخطابي بينهما من تذبذبا، وغير ذلك مما يحكم علاقتهما فتترواح بذلك بين التبادل والتعاون أو التناظر والتضاد ...، و مع هذا فالتحدث لا يعني دائما التبادل الحر للمعلومات التي تمر بانسجام ، غير مرتبطة بالمناسبات الملموسة لمقام الخطاب و المبادئ النوعية لشركاء التبادل الكلامي (2). فالمخاطب في واقعة التواصل ليس له مطلق الحرية في إنتاج كل ما يعرفه أو يرغب في قوله بل يُؤطره ويؤثر في فاعلية تفاعله مع ضوابط خارج لسانية منها المناسبة والمقام وشريك

(1) - أوركويوني (كاربرايت): **فعل القول من الذاتية في اللّغة** ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2007، ص17 - ص18 .

(2) - المصدر نفسه ، ص10 .

التفاعل (المخاطب)، وكذا حال المخاطب ، فإذا كان المتكلم لا يمتلك إرادة مطلقة في قول ما يعرف؛ لأن علمه محدود فإن المستقبل كذلك لا يفهم إلا ما يعقله من قوله، وأن مقصدية رهن ما يسمعه أو يبصره (ما تمده به حواسه)، مع أخذ كل إكراهات التواصل في الحسبان<sup>(1)</sup>. ويتصرف فاعلا الخطاب ( على أشهر التقديرات) في الخطاب داخل مساحة تفاعلية معينة حتى لا نحكم عليها بكونها محدودة، فالمخاطب ينتج الخطاب آخذا في الحسبان معرفته الخاصة بما يقصده ومن يقصده بالفعل الخطابي. ففاعلا القول من أطر التفاعل الخطابي في الواقعة التواصلية ومكوّن أساسي من مكوّنات الوحدة التواصلية.

## II. 2- إطار النسق والقصد:

لا شك أن الصورة المادية للخطاب تترك أثرها في عملية التفاعل؛ فالخطاب الشفوي يكون التفاعل معه أنيا مباشرا في حين أن الخطاب المكتوب (النص) يمتد نوعاً ما ويتوسّع ، وفي الوقت الذي يتحدد الأول بمتلقين معينين ممن يشهد واقعة الخطاب، يتمدد الثاني - نسبيّاً - إلى جميع من يعرف القراءة ويتلقى المكتوب، "فالخطاب، ليس اللّغة، هو الذي يتوجه إلى شخص ما، هنا يكمن التواصل، لكن، أن يكون الخطاب موجّهاً إلى مخاطب حاضر بدوره في حال الخطاب شيء و أن يوجّه كما جرت العادة في حالة كل ظاهرة من ظواهر الكتابة إلى من يعرف القراءة ، شيء آخر... في الوقت ذاته ينكشف الخطاب باعتباره خطاباً، في كونية توجهه، وبانفلاته من الطابع المؤقت للحدث، ومن الإكراهات المعيشة من طرف الكاتب ومن ضيق المرجعية المعلن عنها"<sup>(2)</sup>. فالخطاب يتمظهر داخل إطار المتواليات النسقية التي يتكون منها أو يتقوّل فيها وإنّما تتمايز الخطابات باختلاف خيارات المنجز في انتقاء وكيفية ترتيب هذه المتواليات، يقول "المتوكل": "إلا أن الملفوظ، كي يكون خطاباً، يجب أن ينتظم

(1) - يوسف (أحمد): سيميائيات التواصل وفعالية الحوار المفاهيم والآليات ، منشورات مخبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، ط 1، 2004م، ص 103.

(2) - ريكور (بول) : من النص إلى الفعل : ص 146.

في شكل معين وفقا لقواعد بنيوية معينة، وهذا الشكل إما نص أو جملة أو مركب أو مجرد كلمة وهي ما يسمى المقولات الخطابية أو أقسام الخطاب<sup>1</sup>، حيث يحمل كل قسم من الخطاب مضمونا يوكل المتكلم له نقل قصده، مهما كان ذلك القسم حرفا وكلمة ومركبا ونصا كاملا، يعمل على الوصول بشكل محرك للتفاعل، ومؤثر في التخاطب عامة، هذا عن نسق الخطاب والشكل المحمل فيه القصد من إنتاجه.

أما المضمون على مستوى الخطاب فيتفرق بين مضمون لساني بحث ( لغوي - مدرجات معجمية ) وبين مضمون خارج لساني ( ما وراء القول ) ولكل منهما آليات اشتغال في ذهن المتكلم والمتلقي على حد سواء وسيأتي الاسهاب في بيان ذلك في ثنايا هذه الرسالة "بإذن الله" ، يقول "عبد السلام عشير" : "القلب اللساني سريع الاشتغال فلا ينبغي قضاء وقت طويل من أجل فهم المعنى الحرفي للقول، وعلى العكس من ذلك فإن الأمر يتطلب وقتا طويلا على مستوى الأنظمة والعمليات المركزية من أجل فهم ما يقوله شخص ما بمعنى آخر، يتطلب الأمر كثيرا من الوقت وكثيراً من الجهد لمعرفة لماذا وفي أي اتجاه ... قيل ذلك القول"<sup>(2)</sup>، بهذا يكون للمضمون سلطة معينة في تحديد أو تعديد الخطاب بشكل أو بآخر عند مختلف المستويات وآليات الإنتاج والتلقي.

## II. 3 - إطار السنن<sup>(3)</sup> والحرية:

ترتكز كل واقعة خطابية في إطار التواصل على قاعدة مشتركة بين أطراف الخطاب؛ حتى تضمن التفاعل بينهم، وصفة التشارك تضمن نجاح الخطابات، ثم إن لكل إنسان لغته الخاصة مهما تشابهت اتفقت لغته مع لغة الآخرين المتواصلين معه (أفراد نفس الجماعة اللغوية )، وابتغاء نجاح

(1) - المتوكل (أحمد): الوظيفة بين الكلية و النمطية، دار الأمان، المغرب، ط1، 2003م، ص22-23.

(2) - عشير (عبد السلام): عندما نتواصل نغير ، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل و الحجاج ، أفريقيا الشرق الدار البيضاء ، المغرب ، د ط ، 2006 ، ص 31 .

(3) - غالبا ما يعرف السنن بأنه جملة من القوانين أو سلسلة من القواعد التي تسمح بإضفاء الدلالة على عناصر المرسله لتحمل بنيتها الكلية المعنى المراد لها من قصد التواصل. ينظر- يوسف (أحمد): سيميائيات التواصل و فعالية الحوار - المفاهيم والآليات، ص 141 .

عملية التواصل معهم لابد من وضع إطار من السنن المشترك؛ "إن مثل هذه الشبكات السننية التي نقف عليها في المراسلات تتطلب تعاوناً ملائماً قصد تثمين غنى المعنى و السماح لعملية التبادل التي تقتضي بدورها أخذ مفهوم "القصدية" في حسابها في أثناء مدارس أفعال الخطاب"<sup>(1)</sup>، فالإتفاق حول قواعد سننية مشتركة يساهم في التأثير في نسبة التفاعل الخطابي ويؤثر في مسار الواقعة الخطابية بشكل من الأشكال ويحل تعقيد وحبكة المحمولات الخطابية التي قد تمثل عائقاً في إدراك قصد المتخاطبين، والسنن المشترك يسهل حسب "ك.أوركينيوني" "طريقة إدراك اللبس، والشكوك وإخفاقات التواصل، رغم وجود آخرين حذرين اتجاه هذه الإخفاقات، ويناصرون أحادية تصويرية جذرية، كما هو الشأن بالنسبة لـ"لويس كارول" (Carroll Lewis)، الذي يعلن الارتباط بالمنطق الرمزي **Logique Symbolique**"<sup>(2)(3)</sup>.

فالإخفاقات في مختلف الوقائع الخطابية واردة وهي مؤثرة لا محالة في مسار الخطابات والتفاعلات الخطابية، ذلك أن الكثير من المتخاطبين لا يتلقون الخطابات بذهن خالٍ أو فهم برئ، وكما لكل متكلم مجال حرية للدفاع على وجهته الخطابية، في إطار من السنن المشترك بالمقابل يتوفر لكل متلق هامشاً من الحرية كذلك في عملية التلقي، يقول "عشير عبد السلام": "داخل اقتضاءات مجالية متنوعة، يتمتع فيها المتخاطبون بقسط كبير من الحرية، وإذا لم تتوفر الحرية، فإن ما يطرحه ويدافع عنه الناس لن يكون سوى قول نظري خالص و فارغ من سلطة الإقناع"<sup>4</sup>.

## II. 4- إطار الزمان والمكان:

إن انتشار الخطاب مكاناً وتفاعل الأشخاص معه واقع داخل الحادثة الخطابية، ذلك لأنه يحدث في حيز من الفضاء العام، وإذا زواج هذا الانتشار آخر زمني يعطي الواقعة الخطابية أبعاداً تجعله أكثر خصوبة، وينفتح على إمكانات التعدد. إننا نتفاعل مع الخطابات لحظة إنتاجها، أو يحدث أن نتلقى

(1) - يوسف (أحمد): سيميائيات التواصل وفعالية الحوار، ص 122 .

(2) - حرية الباحث في تحميل العلامات اللسانية أي دلالة قصدية يرغب فيها.

(3) - أوركينيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ص 19 .

(4) - عشير (عبد السلام): عندما نتواصل نغير، ص 22 .

الخطاب بعد حين من إنتاجه، أي يصل متأخراً أو مصاحباً لآخر جديد، فهل طريقة تفاعلاتنا معه تكون نفسها في الحالتين؟ ، في الوقت الذي قد يلغي مقصود الخطاب الثاني الخطاب الأول فلا يجعل له وزناً قصدياً؛ فيسقط بذلك سمة من سماته كخطاب، مع احتفاظه بحقيقته الوجودية سابقاً. إذا فالإطار الزمني والمكاني للخطابات يعطي أبعاداً متعددة لأشكال التفاعل الخطابية، لنفترض<sup>(1)</sup> متكلماً يطلب من مخاطبه غلق النافذة باستعمال القول: "أغلق النافذة" ولنفرض أن الغرفة التي يوجد فيها المتخاطبان لها أكثر من نافذة، فهذا الواقع لا يمكن أن يكون إلا متقاسماً وهذا يعني أن هذا المعطى لا يكفي لتحديد المرجع الصحيح للنافذة، يعطينا هذا الافتراض صورة مبسطة لتأطير المكان للتفاعل الخطابية بين المشاركين، وكذا الحال لو افترضنا على شاكلة الأنف الذكر أن العبارة السالفة الذكر -أغلق النافذة- قالها المتكلم للمخاطب بعد أن قام المخاطب بفتحها تَوّاً لكونه يشعر بالضيق أو بحرارة الفضاء الداخلي، لنا أن نتصور مشاهد مختلفة من مظاهر تفاعل المخاطب مع مثل هذا الخطاب في زمانه ذاك.

## II. 5- إطار التراكم والتجدد:

أما في الحديث عن إطار الظهور التراكمي للخطاب أم تجده، ما يجري الحبر الكثير ذلك أن كل خطاباتنا هي جديدة في لحظة إنتاجها ( شفويًا أو كتابيًا )، غير أن جدّة صياغتها تتطلب إعادة نظر إذا أخضعناها للدراسة اللسانية؛ فكثير من خطاباتنا هي خطابات سابقة لنا، استعملها قبلنا غيرنا أمامنا سواء كانت موجهة لنا أو موجهة لغيرنا، فنحن نفتبسها ثم نلبسها قصداً متجدداً من عندنا فنعطيها قوة جديدة بقاعدة تراكمية.

يمكن أن ندلل على هذه الفكرة - على سبيل التمثيل لا التعديد- بالتحليل الذي أورده "الغذامي" في مؤلفه "ثقافة الأسئلة" عن زخم المصطلح النقدي المعاصر "موت المؤلف" وما أثاره

(1) - موشلار ( جاك ) و ريبول ( آن ) : القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة : مجموعة من الأساتذة و الباحثين من الجامعات التونسية بإشراف : عز الدين المجدوب ، مراجعة : خالد ميلاد ، منشورات دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة، تونس ، 2010م. ص253 .

من تفاعل معه، وهو يبيّن بأن الصيغة الأجنبية لهذا المصطلح تحمل تراكماً فكرياً عبر الزمن له لا يؤخذ منه كخطاب في اللغة العربية فيقول: "...ولكنني واثق أنك تدرك معي الفارق بين هذين القولين ( **Death of the author** ) و ( **موت المؤلف** ) إن المؤلف بالعربية تعني من يجمع المختلفات فيآلف فيما بينها والموت عندنا - كمسلمين- هو مرحلة انتقالية إلى حياة أخرى. أما المصطلح الإنجليزي ومثله الفرنسي (؟) فإنه يقدم كلمة **Author** ذات الارتباط بـ **Authenticity** ، وهو ارتباط يوحي بفكرة (الأصالة والصدق). كما أن كلمة **Death** تحمل تاريخياً ذا عاطفة عنيفة حول الزواج المطلق عند المسيحيين. " **Till death do us part** " إته الرباط الذي لا فكاك منه ...، مما يجعل مفهوم (موت المؤلف) في الفكر الغربي مفهوماً يرتبط بالتححرر من القيود المفروضة تاريخياً ونفسياً. أما عندنا فإن الأمر لا يحمل تاريخية هذا الصراع، ولسوف يكون المصطلح أكثر هدوءاً وأقرب إلى الموضوعية الجمالية الخالصة (1). فـ " **Death of the Author** " كخطاب نقدي معاصر ينطلق من مادة تراكمية عبر التاريخ الغربي ليحمّله معنى وجود عاطفة رفض وثورة ضد علاقة أبدية مفروضة بالقوة، متصلة بالأصل والصدق معاً أي مرجع النص الرامز للأمانة والقداسة. وهذا قصد جديد محمّل بقصود سابقة له تجعل منه قصداً تراكمياً يستدعي زيادة على قصد التححرر العام من أي مرجع، قصد التمرد الرفض الذي لا مهادنة فيه حتى للمقدس من الروابط.

إنّ القدرة على بثّ الروح الجديدة في خطابات قديمة أو متوارثة ومألوفة إنّما يعزى إلى تجدد القصديّة من إنجازها بشكل من الأشكال داخل مجال جديد للتفاعل الخطابى رهين الواقعة الخطابية المنجز فيها، وبذلك يكسبه المنجز قصداً جديداً وإمكانية استعمال بشكل مكتسب، لا تنحصر هذه الميزة

(1) - الغدامي (عبد الله) : ثقافة الأسئلة، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 2، 1993م، ص 201-202.

في الخطابات العادية بل من الدارسين من يعدّ هذا الإلباس المتجدد للخطابات التراكمية هو ما يفعل القدرة الإبداعية خطابيا ويعلي كعب الأدباء والشعراء عن باقي الأشخاص وحتى فيما بينهم، ف”الشاعر بقدرته الإبداعية الفذة، وحسه المرهف يستطيع أن يخلق من اللغة العادية اليومية، والتي تتمثل في شكل مفردات وتراكيب وصور، لغة جديدة مستحدثة تمثل لغة العمل الفني، وهذه اللغة لا تخلق من فراغ، ولا من مادة غريبة عليها، إنّها من نفس لغة الحياة اليومية، بعد تخليصها من ربة الاستعمال اليومي، وما يحمله للألفاظ من دلالات مختلفة“<sup>1</sup>، فالمنتج يقوم بتجديد الخطاب المتراكم انطلاقا من قصديته الخاصة والخاصة جدا فيصوغه بطريقة تثبت فيه الصبغة المتقردة له لحظة الإنجاز فيعيد له الحياة في قصد متجدد في إطاره المتشكل فيه.

وموازاة مع بثنا حياة جديدة في خطابات متراكمة، لبعض المتخاطبين قدرة على تجديد التفاعل الخطابي ساعة الإنتاج أو حال التلقي، وهذا نلمسه فعلا عند من نصفهم بالقدرة اللغوية الإبداعية والحدس الخلاق؛ ولعل هذا له من الأثر الواضح في العملية الخطابية وتوجيه مسار التفاعل؛ ”إن الاستعمال العادي للغة - الذي يكرر كل ما هو معطى و موجود مسبقا-، يحول القول إلى نفق مسدود، ولكن الابتكار أو الخلق هو الذي يفتح الأفق أمام الاختلاف والتجديد“ (2).

(1) - أبو حميدة (محمد صلاح زكي): الخطاب الشعري عند محمود درويش -دراسة أسلوبية-، ص35-36.

(2) - عشير (عبد السلام): عندما نتواصل نغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، ص209.

## ❖ خلاصة القول من المدخل التمهيدي:

حاولت في هذا المدخل التمهيدي التأسيس لقاعدة مفاهيمية للخطاب لأحدد اتجاهها لسير باقي الفصول هذه الدراسة؛ فقبل أن أشرع في دراستي للقصدية وتعدد الخطابات، كان الحري بي وضع نظرة علمية أرمي فيها إلى تحديد مفهوم "الخطاب"، ثم الحديث على أهم تجليات "التفاعل الخطابي". وانطلاقاً مما سبق إيراده، الخطاب إنتاج لساني في أول مظهره، تساندها أدوات أخرى مادية كانت أو معنوية، يتشارك في هذا الفعل ذات باثة، وعلى الأقل ذات متلقية.

للخطاب مهما كان شكله، ومهما كان مضمونه، سمات يتسم بها فتمايزه عن باقي الإنتاجات اللغوية عامة، وهي: تَحَقُّقُ الخطاب كفعل إنساني في زمنه، فارتباط الخطاب بذات معينة، يجيب وجودها عن سؤال مهم في الواقعة الخطابية "من يتكلم؟"، ثم ارتباط الخطاب بذات مستقبلية تتفاعل معه، فيكون له فيها أثر، فيصبح للخطاب بهذا الأثر دور في الوجود كله، وبهذا يرتبط الخطاب بعالم زمني ومكاني، فيتحقق فعلياً زمانياً، كما يحيل على عالم حقيقي وموضوع يتحدث عنه فعلاً. قد لا تختلف الذات المتلقية على الذات الباثة (الشخص أول من يتلقى الخطاب الذي أنتجه، كما يحدث أن لا يتجه لغيره بالخطاب بل يكون في حالة حوار ذاتي، سواء كان داخلياً (حال التفكير) أو خارجياً (حوار الذات))، ومن الخطابات ما يتوجه إلى أكثر من متلقٍ فيوصف بأنه كيان خطابي.

والتفاعل الخطابي هو مظهر الوحدة التواصلية (لبّ الخطاب)، وتتسع مظاهر التفاعل الخطابي، وتتباين أشكالها حسب الوقائع الخطابية ذاتها، وله أطر فاعلة فيه، وما سبق ذكره من أطر عدناها بناءً على أهميتها وأثرها فيه مع ضرورة الإشارة إلى انفتاح أشكالها وأنواعها.

في حين يبقى التفاعل الخطابى يجسد إنسانية كل إنسان، فالإنسان عاقل في خلقه، اجتماعي في طبيعه، متكلم في ميزته، ولذلك فالتصدي لدراسة تعدد مظاهر التخاطب خاصة من الناحية الذهنية (المرتبطة أساسا بالإنسان) يجدر بها استحضار كل الأطر والقضايا الفاعلة، بعيدا عن العزل أو التجزئة، حتى لا يبعد الخطاب عن قصده الأصلي وينؤ عما وضع له أولا، وذاك الأول مرمانا ودراسته دراسة وصفية تحليلية علمية هدفنا، بعيدا عن أي توجيه قصري للخطابتن لأن الأخير يميل بنا لمجانبة الدراسة العلمية الموضوعية.

**الفصل الأول:**

**الجهاز الهضمي لهيكله**

**"التشريحية".**

## الفصل الأول : الجهاز المفاهيمي لمصطلح "القصدية".

تمهيد:

### I. أصل مصطلح "القصدية":

1. المفهوم اللغوي لمصطلح "القصدية".
2. المفهوم الاصطلاحي لمصطلح "القصدية".
3. تأصيل مصطلح "القصدية" في الفلسفة.

### II. مفهوم "القصدية" في فلسفة العقل :

1. طبيعة الحالات القصدية ومميزاتها.
2. أنواع الحالات القصدية.
3. مفاهيم ومصطلحات مصاحبة لمصطلح "القصدية".

### III. القصدية في الفكر الإسلامي:

1. القصدية في الفكر اللغوي الإسلامي.
2. القصدية في الفكر الفلسفي الإسلامي.

### IV. موطن القصدية في جسم الإنسان:

1. موطن القصدية في جسم الإنسان في الفكر الغربي.
2. موطن القصدية في جسم الإنسان في الفكر الإسلامي.

❖ خلاصة القول في الفصل الأول.

## الفصل الأول : الجهاز المفاهيمي لمصطلح "القصدية".

### تمهيد:

يحضى الإنسان بقدرات عقلية، تميّزه عن باقي الكائنات الحية والأشياء في الوجود وأهم هذه القدرات "القصدية"، باعتبارها السمة التي تربطه بغيره من الأشياء الموجودة معه (مادية كانت أو مجردة)، مقيمة له أهم صفة يتصف بها. فالإنسان مخلوق اجتماعي بطبعه، وللقصدية دور في إيفائه هذه الوظيفة الحيوية، ولما كانت اللّغة؛ أسرع وأسهل وأكثر، الوسائل التي يستعملها للارتباط بمجتمعه، كان للقصدية اللّغوية أثرا في إنجازاته اللّغوية تلك، مع ذلك تأخر اهتمام اللّسانيين بالقصدية اللّغوية وحدود فاعليتها، ودأبوا لزمن ليس بالهين على تحليل اللّغة ظاهرة مادية صرفة وأهملوا فيها الإهتمام بالمتكلم والمتلقي على حد سواء وقللوا من قيمة المعنى والقصد.

غير أن التداولية فتحت أفق التحليل اللّساني، ورصدت أبعادا أخرى للإنتاج اللّغوي تضمن له التعدد في الاستعمال، إذ درست التداولية اللّغة بعيدا عن الانحصار في الشكل المادي لها من جهة والغوص في المعنى التجريدي من جهة أخرى، وكلاهما ينأ بالّغة عن الاستعمال، بالأخص عن المستعملين لها ويجعلها كيانا مستقلا بذاته له سلطته المطلقة على الإنسان، في حين أن لمستعمل اللّغة دورا هاما في إنتاج اللّغة والبأسها المعاني المقصودة من إنتاجها.

ولقد أذكى فكرة "القصدية" في اللّسانيات حديثا أفكار تيار الفلسفة التحليلية وما تعلق منها بفلسفة اللّغة العادية خاصة، إلا أن البحث فيها مازال مشوبا بالضبابية مع احتشام في خوض مثل هذه الدراسات على أهميتها والحاجة إليها، ويمكن إيعاز ذلك إلى:

- صعوبة الإحاطة بمفهوم القصدية وغموض ماهيتها.
- صعوبة التحليل، وغياب الدراسات التطبيقية عليها.
- استعصاء مواضيع فلسفة اللّغة على التحليل التطبيقي.
- تشعب متعلقات مفهوم القصدية في عدد كبير من العلوم مع قلة الدراسات حولها.

## I- أصل مصطلح القصدية:

حتى تستقر لنا إحاطة واضحة بمفهوم القصدية، يتسنى لنا الارتكاز عليها في التحليل الأمثل للاستعمال اللغوي في حياة الإنسان اليومية يحسن التدرج في المعرفة اللغوية فالاصطلاحية لـ"القصدية" ثم الأفكار المتعلقة بها، وهذا ماسنحاول فعله في هذا الفصل الأول.

### I 1- المفهوم اللغوي لمصطلح "القصدية":

#### I 1.1- مادة (ق-ص-د) في المعاجم العربية:

مفهوم القصدية في أجمل تعريفاتها: هو عقد أمر والتصميم على شيء معين، التوسط في الأمر ومنها العدل ويرد أيضا للكمال؛ إذ يعود أصل مصطلح "القصدية" في اللغة العربية إلى الجذر الثلاثي المجرد: (ق-ص-د) ويجمع حسب "ابن فارس" ثلاثة أصول: "قصد: القاف والصاد والذال: ثلاثة أصول يدل أحدها على إتيان شيء وأمه والآخر على كسر وانكسار والآخر على اكتناز في الشيء"<sup>1</sup>. في حين نجد في "العين" معنى الاستقامة "قصد: القصد استقامة الطريقة، وقصد يقصد قصداً فهو قاصد. والقصد في المعيشة ألا تسرف ولا تقتدر"<sup>2</sup>، إذ يعدد "الفراهدي" معان القصد في الاستقامة والتوسط، "والقصيد: ما تم شطر أبنيته من الشعر والقصيد مخة العظم إذا خرجت وانقصت أي انفصلت من موضعها وخرجت"<sup>3</sup>. انطلاقاً مما سبق يمكن تحديد استعمالات لفظ "قصد" عند العرب في:

#### أ - إتيان الشيء و أمه والاعتزام تجاهه:

يقول "ابن فارس" في "مقاييس اللغة" من استعملاته "قصدته قصداً ومقتصداً، ومن الباب اقصد السهم، أصابه فقتل مكانه، وكأنه قيل ذلك لأنه لم يجد عنه"<sup>4</sup>، أي وجهه إليه توجيهها وأراد

1- ابن فارس (أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا) (395هـ): مقاييس اللغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد

هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط، 1979م، ج5، ص 95.

2- الخليل (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي) (100هـ - 175هـ): العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم

السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مصر، دط، دت، ج5، ص 54-55.

3- المصدر نفسه: العين، ج5، ص 55.

4- ابن فارس: مقاييس اللغة، ج5، ص 95.

إصابته. يعزز هذا الاستعمال معنى الاستقامة الذي ورد عند "الفراهدى" ويؤكد "ابن منظور" صاحب "لسان العرب" "القصد: استقامة الطريق، قصد يقصد فهو قاصد" 1، ويورد المعنى صراحة قائلاً: "والقصد: الاعتماد والامّ... وكونه اسماً أكثر في كلامهم. والقصد إتيان الشيء: تقول قصدته وقصدت له و قصدت إليه" 2، غير أن هذا الإتيان والامّ ينتج عن رغبة مستقرة في النفس يتولد عنها اعتزام اتجاه أمر ما، إذ "قال "ابن جني": أصل "ق-ص-د" ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجّه والنهوض والنهوض نحو الشيء. على اعتدال كان ذلك أو جور. هذا أصله في الحقيقة وإن كان قد يخص في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل" 3. فالقصد اعتزام ولا عبرة بصفته فلا فرق إن كان لخير أو شر، عن عدل أم لا، فهو مقصود دائماً وإن غلب استعماله للخير. ولهذا رد بعضهم تسمية "القصيدة" إلى هذا الاستعمال يقول "ابن منظور": "وقالوا شعراً قُصد إذا نُقِحَ وجُودَ وهُدِّبَ وقيل سمي الشعر التام قصيداً لأن قائله جعله من باله فقصدَ قصداً ولم يحتسبه حسياً على ما خطر بباله وجرى على لسانه. بل روى فيه خاطره واجتهد في تجويده ولم يقتضبه اقتضاباً فهو فعيل من القصد وهو الامّ" 4. فالقصيدة إذن سميت كذلك لكمالها ولاتجاه بال قائلها نحو ما تحويه، فالمعاني تستقر أولاً في بال صاحبها ثم يرسم لها صورتها المادية من ألفاظ وأوزان، فإذا استقرت وحضرت أصبحت قصيداً أي مراداً، وتحمل اشتمالها على معنى التروي والصنعة أي أنها ليست آنية هوائية بعيدة عن التوجّه والإرادة والعزم والقصد. ومنها استعمال مادة قصد بمعنى القريب أيضاً؛ إذ يقول عزّ وعلا: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ...﴾ [التوبة 42]، "وقاصداً بمعنى قريباً وجاءت صفة للسفر" 5 أي لو كان سفراً سهلاً وقريباً لامشقة فيه لاتبعوك لكنهم متخاذلون يخشون لفح الحر ووطأة الحرب في "تبوك" ولا يرجون ثواب الله والجهد في سبيله. فـ"القاصد القريب: يقال بيننا وبين الماء ليلة قاصدة أي هينة السير لا تعب فيه ولا

1- ابن منظور (محمد بن مكرم الأفرقي المصري): لسان العرب، دار صادر، بيروت

لبنان، 1994م، ط3، م3، ص353.

2- المصدر نفسه: م3، ص353.

3- المصدر نفسه: م3، ص355.

4- المصدر نفسه: م3، ص354.

5- صالح (بهجت عبد الواحد) : الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان

الأردن، ط3، 1993م، م4، ص300.

بُطء<sup>1</sup>، ذلك أن القريب هو أدنى للوصول إليه، وأقصر الطرق الطريق المستقيم وأسرع قاطع له هو القاصد أي العازم المتجه، وفعل التوجه يقرب القصد.

### ب - الاكتناز والتمام والكمال والعدل:

يستعمل "القصد" عند العرب بمعنى الاكتناز والسمن، ف"الناقة القصيدة المكتنزة الممتلئة لحما، قال الأعشى: قطعت و صاحبي سرح كناز ❁ كركن الرغن ذُعْبَةً قصيداً<sup>2</sup>؛<sup>3</sup> أي ممتلئة لحما. ويربط "ابن فارس" استعمال اسم القصيدة رجوعاً إلى هذا المعنى، فالقصيدة سميت حسبه كذلك لتمام أبنيتها فيقول: "ولذلك سميت القصيدة من الشعر قصيدة لتقصيد أبياتها ولا تكون أبياتها إلا تامة الأبنية"<sup>4</sup>، غير أن "ابن منظور" يعيد استعمال اسم القصيدة بمعنى الأم (إرادة التأليف) أي أنها قصدت بالنظم والبناء، أخذاً منه بما قاله "ابن جني": "والقصيدة من الشعر ما تم شطر أبياته... سمي بذلك لكمالهِ وصحة وزنه، وقال "ابن جني": "سمي قصيداً: لأنه قصد واعتمد. وإن كان ما قصر منه واضطرب بناؤه نحو الرمل والرجز شعراً مراداً مقصوداً وذلك أن ما تم من الشعر وتوفر أثرٌ عندهم وأشدّ تقدماً في أنفسهم مما قصر واختل، فسّموا ما طال ووفر قصيداً أي مراداً ومقصوداً وإن كان الرمل والرجز أيضاً مرادين ومقصودين والجمع قصائد"<sup>5</sup>؛ إذ يرجح "ابن جني" تسمية القصيدة على اعتبار الاعتزاز لا الإمتلاء وتمام التكوين، وإن لم ينكر ذلك، فقد ألمح إلى أن العرب لا تسمي الرمل والرجز قصيداً رغم أنها مرادة ومقصودة بالنظم، ولو بصرنا قليلاً في كنه هذين الاستعمالين نجد العرب تعد كل مندوحة أساس الكمال وتمام القصيدة في اكتمال إعرابها على ما رام قائلها قوله بتميز يأخذ بالباب من عجز على صوغ مثلها تمثيلاً لما يكنزه صدره من قصود قصر على بثها، لذا يمكننا وصل هذه المعاني

1- الجوهري (إسماعيل بن حماد) (ت 292 هـ): الصحاح - تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور

عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1990، ج2، ص525.

2- الأعشى (ميمون بن قيس): ديوان الأعشى، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجمازية، المكتبة

النموذجية، الحلمية الجديدة، مصر، دط، دت، ص323. [كناز: ناقة ضخمة، الرغن: أنف الجبل، ذُعْبَة: ناقة سريعة]

3- ابن فارس: مقاييس اللغة، ج5، ص96.

4- المصدر نفسه: ج5، ص96.

5- ابن منظور: لسان العرب، م3، ص354.

بمعنى العدل، فلاريب أن العدل من صفات الكمال الإنساني وفضيلة تنبل في كل الحضارات ويحضى صاحبها بالتبجيل والاحترام لكماله باتصافه بها.

تستعمل العرب (ق-ص-د) بمعنى العدل، "والقصد العدل: وفي الحديث: "القصد القصد تبلعوا"، أي عليكم بالقصد من الأمور في القول والفعل، وهو الوسط بين الطرفين ... والقصد في الشيء خلاف الإفراط وهو ما بين الإسراف والتقتير والقصد في المعيشة ألا يُسرف ولا يقتر يقال فلان مقتصد في النفقة وقد اقتصد"<sup>1</sup>. ويمكن ربط هذا الاستعمال بالاستعمال السابق ومرد ذلك؛ أن العرب أحبوا دائماً الاعتدال والتوسط في الأمور كلها وعدوه قصداً أي كمالاً وامتلاءً بالخير؛ فالإعتدال قصد والكمال قصد وما دخل العدل والتوسط في الأمور إلا ونحى بها إلى الكمال والتمام لذلك مدحته العرب. ويمكن أن ندرج في ذلك "المقتصد من الرجال الذي ليس بقصير ولا جسيم ويستعمل في غير الرجال"<sup>2</sup> أي من كمل بترفعه عن نقيصتي القصر المعيب والطول المشين فهو مقتصد بينهما أي معتدل، وفي الآية الكريمة: ﴿ تَمَّ أَوْزُنُنَا الْكِتَابِ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (32) ﴾ [فاطر 32] أي منهم المسيء، ومنهم المحسن السابق في فعل الخير، ومنهم بين بين؛ المتوسط بين ظالم وسابق، وهو بذلك نقيض المسيء المُنقصِ العمل والأجر والمحسن الفاعل للخيرات، وفي قوله جل وعلا: ﴿... مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (66) ﴾ [المائدة 66] فوردت على صيغة التأنيث صفة للأمة<sup>3</sup> بمعنى معتدلة، وعملها لم يقصر ترفعا منهم عن الظلم وسعيهم للكمال.

### ج - كسر الشيء و قطعه:

جاءت مادة (ق-ص-د) في المعاجم العربية بمعنى الانكسار، "قصدت الشيء كسرته والقصدة: القطعة من الشيء إذا تكسر، والجمع قصد و منه قصد الرماح، ورمح قصدٌ. وقد انقصد:

- 1- ابن منظور: المصدر السابق: م3 ص354 و أنظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين: ج5، ص55 .
- 2- الخليل: العين، م5 ص55، وأنظر الجوهري: الصحاح - تاج اللغة و صحاح العربية: ج2، ص525.
- 3- صالح (بهجت عبد الواحد): الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 1993م، م3، ص102.

ترى قِصْدَ المُرَّانِ تُلقَى كأنَّها ❁ تذرَعُ خرصان بأيدي الشواطِبِ 1. "2 كما جاء في "العين": "وانقصد الرمح أي انكسر نصفين حتى يبين، وكل قطعة منه قِصْدَة، ويجمع على قصد، ورمح قصد أي قسم نصفين أو أكثر" 3. أي تكسرت وبانت كل قطعة منه عن الأخرى بالانفصال، وعملاً بمبدأ تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني نلمس تقارب معاني ألفاظ، قصر أنحسر طوله إلى مسافة أقصر، ومنه قصف الثوب أي قصر عن التغطية حتى الكعبين، وقصد انكسر فقصر طول كل قطعة منه بالموازنة مع الطول الكلي للشيء قبل الكسر.

## I. 1. 2- ورود لفظ "قصد" في القرآن الكريم:

جاءت مادة "قصد" في القرآن الكريم بصيغ متعددة، غير أنه غلب مجيؤها بصيغة "اسم الفاعل"، وفي ذلك دلالة لارتباط معنى فعل القصد غالباً بفاعل فاعل له دائماً، فلا وجود لفعل القصد دون وجود شخص فاعل له، لقد جاء لفظ "قصد" بصيغة "فعل الأمر" في قوله تعالى ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)﴾ [لقمان 19]، إذ جاء على لسان "لقمان" الحكيم يوصي ابنه بالتوجه في مشيه وإرادة الهدف الواضح بعيداً عن العبث والكسل مع غض للصوت والترفع عن اللغط، كما جاء على صيغة المصدر، و"المصدر" منه في قوله جلَّ جلاله: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (9)﴾ [النحل 9]، جاء مبتدأ مؤخرًا والغرض منه التعظيم<sup>4</sup>، أما وروده على صيغة "اسم الفاعل" فقد جاء أربع مرات الأولى على

1- البيت ل" قيس بن الخطيم (قبل الهجرة): " جاء في الديوان:

تري قصد المران تهوي كأنها تذرَعُ خرصان بأيدي الشواطِبِ.

[قصد: كسر/ المران: الرماح/ الشَّطْبَة: السعفة الطويلة، الشاطبة من النساء: التي تشققها وتأخذ قشرها الأعلى تعمل منه الخُصْر]. قيس بن الخطيم : ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت لبنان، دط، 1967م، ص 85.

2- ابن فارس: مقاييس اللغة: ج 5، 95.

3- الخليل: العين، ج 5، ص 55.

4- صالح (بهجت عبد الواحد): الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ، م 6، ص 120 .

وزن "فاعل" والأخر على وزن "مفتعل" وفي اللّغة: لاسم الفاعل دلالة مزدوجة القيمة على الحدث والفاعل معا متلازمين زمانيا، في مثل هذه السياقات، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (32)﴾ [قمان32]، "جاءت لفظة مقتصدٌ بمعنى معتدل"1، أي معتدل توسطا بين الإفراط في ارتكاب المعاصي والتقريط في التزام الأوامر.

### خلاصة القول:

بهذا يمكننا أن نخلص إلى أن استعمالات لفظة قصد في اللسان العربي يبرز منها القصد التّوجه وإليه يعزى الإرادة والعزم، القصد الكمال وإليه يعزى الاعتدال، أما الكسر فورد عنهم وأكثر ما ورد خاصا بالرمح والعظم على سبيل المصاحبة الاستعمالية وقد يعزى ذلك لقصر كل قطعة ناتجة عن الكسر عن الطول التام لها قبل حدث الكسر. ومصطلح "القصدية" يرجع إلى استعمال اللفظة بمعنى التّوجه والأم مع إرادة وإعتزام.

بعد تناول مصطلح "القصدية" واستعمالاته في اللّغة العربية، في الفكر الغربي يمكننا القول أن استعمال مصطلح "القصدية" يتسم بالاتساع والتشّتت نظرا لأصل اشتقاقه واستعمالاته المتعددة في اللّغات الأوروبية والأنجلوساكسونية، إذ مازالت تعتمد صياغة المصطلحات عامة فيها على الجذور اللاتينية، وأصل التسمية فيها يعود إلى المادة المتوفرة فيها، وفيما يأتي التحديد لمقابله في بعض اللّغات الأجنبية وكذا تأصيل استعماله فيها.

## I. 1. 3- الألفاظ المقابلة لمصطلح "القصدية" في اللّغات الأجنبية:

القصدية (Intentionality): "اسم مشتق من الفعل اللاتيني (Intendo) ويعني حرفيا الشّد أو المدّ، أي الاتجاه نحو شيء أو الإمتداد نحوه"2؛ والتّوجه نحو الشيء، يعني أن هذا الشيء خارج عن المتوجّه، والشّد يوحي بالقوة لفعل التّوجه، أما المدّ ففيه دليل على البعد الفاصل أو وجود

1- صالح (بهجت عبد الواحد): المرجع السابق: م9، ص178.

2- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل - دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، 2007، ص 169.

مسافة فاصلة بين المتوجه والهدف أو الشيء الذي يتوجه إليه ويروم الوصول إليه وتقريبه منه أو التقرب منه، جاء في معجم اللغات الثلاثي "الوجيز": إنجليزي-فرنسي-عربي:

"نية، قصد، عزم، تصميم، غرض. هدف Intention, dessein, but / Intention

ومقصود/ معتمد Intentionné / Intentioned"<sup>1</sup> وفي "موسوعة شرح المصطلحات النفسية"

ورد "قَصَدَ - عَمَدَ - سَعَى لهدف / Intention / وقصدي - عمدي / Intentional"<sup>2</sup>، إن أصل مصطلح "القصدية" "Intention" في اللاتينية الجذر (Intendo) المستعمل بمعنى الشد والمد والتوجه، وتستعمل في اللغات الألمانية والفرنسية والإنجليزية بمعنى التوجه والعزم والإرادة، من جهة، والهدف والغاية والمرمى، من جهة أخرى، مما أورث خطأ وصعوبة تحديد في المفهوم الإصطلاحي للقصدية وقد أشار "سيرل" لهذا الخلط في بداية كتابه "القصدية" منوها بضرورة الإحتراز من هذا بالضبط الدقيق للمفاهيم، وهو ما نرمي إليه في ما بقي من هذا الفصل، حيث سيضم المبحث الثاني التحديد المصطلحي للقصدية والمصطلحات المصاحبة له، قبل ذلك يحدّد المطلب الموالي مفهوم مصطلح القصدية.

## I. 2. المفهوم الاصطلاحي لمصطلح "القصدية":

يدخل الاستعمال الاصطلاحي لمفهوم القصدية في الاستعمال الأول من الاستعمالات اللغوية المذكور والمؤصلة آنفا، التوجه والأم مع عزم واعتماد، فاستعماله الاصطلاحي يرتبط بالعقل، ف"القصد: توجيه النفس إلى الشيء، أو انبعاثها نحو ما تراه موافقا، وهو مرادف للنية، وأكثر استعماله في التعبير عن التوجه الإرادي أو العملي، وإن كان

1- السابق (جروان): معجم اللغات الوجيز: (ثلاثي: إنجليزي، عربي، فرنسي)، منشورات دار السابق، بيروت، لبنان، ط1، 1974م، ص462.

2- الشربيني (الطفي): موسوعة شرح المصطلحات النفسية، إنجليزي، عربي، دار النهضة العربية، لبنان، ط2001م، ص180.

بعض الفلاسفة يطلقونه على التّوجه الذهني. <sup>1</sup> فالاشتغال في مجال القصدية يعني بالضرورة أهمية معرفة أن القصد هو التّوجه والأمّ بعزم وإرادة فوجب التفريق بين نوعين من القصد عُد كل منهما ظاهرة لفعل إنساني في مستوى ما من مستوياته ذهنيًا كان أو حركيًا، "أما القصد الدال على التّوجه الإرادي فهو إما مشروع (**intention-projet**) وإما هدف (**intention-but**) فإن كان مشروعًا دل على مجرد العزم على الفعل والانبعاث نحوه، وإن كان هدفًا دل على الغاية التي من أجلها حصل التّوجه" <sup>2</sup>، فالقصد بذلك قصدان، التّوجه الإرادي والتّوجه الذهني، التّوجه الإرادي يتمثل في رغبة الفرد في فعل شيء ما، والتّوجه الذهني هو عمل العقل على إدراك شيء أو ظاهرة ما، والقصد الدال على التّوجه الإرادي يتكون بتظافر قطبيه، القصد المشروع (العزم) والقصد الهدف (المراد) .

ثم إن للاتجاه الإرادي للفعل مفهوم خاص في علم اللاهوت، انطلاقًا من إرادة الفعل وهدفه، ففي إرادة الأفعال قد تكون هذه الأفعال خيرة أو شريرة في حين قد يتعكس قصد الهدف فيها مع قصد المشروع فتصبح الخيرة شريرة والشريرة خيرة. وهو كذلك أيضًا في الفكر الإسلامي، و"يطلق اصطلاح اتجاه القصد (**direction-d'intention**) في علم اللاهوت الأدبي على الموقف الفكري الذي يوجب على المرء فعل شيء له جانبان، أحدهما جميل والآخر قبيح، كالربان الذي يخرق السفينة لا ليغرق أهلها بل ليتقاضي من وقوعها في أيدي الأعداء، فهو إنما يفعل ذلك لاعتماده إلى خرق السفينة في مثل هذه الظروف أفضل من بقائها سليمة هذا معنى قولهم: الغاية تبرر الوسيلة، أو قولهم إنما الأعمال بالنيّات فكأنّ قيمة الفعل تابعة لنية الفاعل أو كأنّها مستقلة عن النتائج الخارجية الناجمة عنها، ومع ذلك فإنّ فلاسفة الأخلاق يقولون أن جهنّم مفروشة بالنيّات الطيبة، فلا يكفي أن تكون النية صالحة حتى يكون الفعل حسنًا" <sup>3</sup>. فيتحكم في القصد التّوجه وهذا التّوجه له اتجاه يكون له بداية (قصد مشروع) وحد (قصد هدف)، وفي الجانب الديني له ثواب وعقاب، وانطلاقًا من تظافر

1- صليبا (جميل): المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1971م، ج2، ص193.

2- المرجع نفسه: ج2، ص193.

3- المرجع نفسه: ج2، ص193-194.

قصد المشروع وقصد الهدف يتعين كل منهما، لهذا حصرت قيمة الفعل في نية الفاعل، غير أن هذا المبدأ فيه نظر فليس دائماً يثاب الإنسان على نيته الحسنة. فإذا ترتب عنها شر وجب عليه ما يصحح به مزار فعله؛ ألا ترى أنه لو ضرب أحد الوالدين ولده قاصداً تأديبه فقتله ألا ينفي حسن قصده سوء فعله كونه قاتلاً وما يترتب على ذلك من مسائل في القصاص إن كان معتمداً أو مخطئاً، لهذا لا يكفي القصد لتحديد الفعل غير أنه جزء منه، ثابتة أصالته فيصبح كأنه مستقل عن النتائج الخارجية الناجمة عنه .

أما القصد من حيث أنه الاتجاه الذهني لظاهرة ما، فهو إدراك ظاهرة ما بطريق العقل مدعوماً بآلياته الإدراكية جاء في "المعجم الفلسفي": "أما القصد الدال على التوجه الذهني، فهو القصد الذي أشار إليه الفلاسفة المدرسيون في القرون الوسطى و الفلاسفة الظاهريون والوجوديون في العصور الحديثة"<sup>1</sup>، وبهذا المفهوم ظهر مصطلح القصدية مع انبعاث مبادئ الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجيا) في الفكر الغربي الحديث، إذ تعد أهم مبادئه الثلاثة<sup>2</sup> ويقرر "هسرل" أهمية القصدية إنطلاقاً من حقيقة وجودها، قائلاً: "إن المعيشات المعرفية تتطوي، بحسب طبيعتها، على قصد **intention**، أي أنها تقصد شيئاً ما وتتعلق بهذا النحو أو ذاك بموضوع"<sup>3</sup>، فالمعيشات المعرفية (الظواهر مادية كانت أو معنوية) تتضمن في حال إدراكها قصداً، بصفة طبيعية، فالقصد عند "هسرل" حاصل في كل معيش معرفي، بتوجه الوعي نحو موضوع ما، وعدّ قصدية ظاهرة ما ملازمة لها (للظاهرة) مؤكداً "إن النظر المسدد جهة الظاهرة المحضة لا يكون موضوعه خارجاً عن المعرفة، خارج عن الوعي"<sup>4</sup>، فالقصدية صفة العقل المرتبط بظاهرة معينة يروم إدراكها وبناء معقول حولها، فيكون بذلك شكلاً من أشكال المعرفة حولها، وأرسي "هسرل" مبدأ القصدية كسمة للعقل البشري موضحاً الصبغة

1 - صليبيا (جميل): المرجع السابق، ج2، ص194.

2 - المبادئ الثلاثة للفلسفة الفينومينولوجيا هي: العيان المقولي (إدراك الشيء) (الظاهرة) من حيث هو حاضر للوعي)، ومفهوم القبليّة (المعرفة الأولية)، والقصدية (توجه العقل نحو الظاهرة).

3- هسيرل (إدموند): فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: إنقزو فتحى، المنظمة العربية للترجمة لبنان، ط1، 2007م، ص93.

4 - المصدر نفسه: ص 79.

المجردة للقصد في علاقته بموضوعه وكيفية ظهوره فيه قائلا: "إن فعل التعلق بموضوع ما هو شيء منها، في حين أن الموضوع ليس كذلك، بل الموضوع بإمكانه أن يظهر، و أن يكون له في ظهوره نحو من الإنعطاء في حين أنه غير حالٍ مع ذلك في الظاهرة المعرفية فعلا reel. "1، ففعل القصدية من أفعال العقل؛ يربط العقل بالظاهرة الماثلة أمامه، فيحصل التعلق بالموضوع، وفعل التعلق يتم بين شيئين متمايزين ولكنهما يرتبطان ببعضهما البعض بشكل من أشكال العلاقة الواصلة، فالقصدية إذن تختلف عن الموضوع المقصود، إلا أنها تمثله، ولا يفرق "هسرل" بين المواضيع المقصودة سواء طبعت بالصبغة المجردة أو الصبغة المادية، فلا فرق بين الأجسام أو الأفكار في ذلك، إذن المواضيع المقصودة نوعان؛ مواضيع مادية، ومواضيع معنوية، و "هسرل" يعتبر فعل القصد متمايزا عن الموضوع المقصود.

ويأخذ فلاسفة العقل على هذا التعريف للقصدية مأخذ، ولا فرق إذا كان الموضوع المقصود شيئا ماديا ماثلا أمام العقل المدرك أو شيئا مجردا، تقوم عملية الإدراك بالإحاطة به، ومما أخذ على "هسيرل" وأستاذه "برنتانو" أنهما عدّا كل الأفعال العقلية قصدية تحمساّ منهنما لإرساء مفهومها في الدرس الفلسفي. ففي الدرس الفلسفي الحديث تُحَدُّ القصدية بأنّها "صفة للحالات العقلية والحوادث التي يتم بها التوجه إلى موضوعات العالم الخارجي وأحواله أو الإشارة إليها؛ فإذا كان هناك اعتقاد ما مثلا، فإنه لا بد أن يكون خاصا بهذا أو بذاك أو أن تكون الحالة كذا وكذا، وحين أشعر بالخوف فلا بد أن يكون خوفا من شيء ما أو من توقع حدوث شيء ما وإن كان لدي رغبة لا بد أن تكون رغبة في حدوث شيء أو أنّ شيئا يجب أن يحدث، وحين يكون لدي قصد معين يجب أن يكون قصداً لفعل ما"2 فتوجه العقل نحو شيء ما أو موضوع ما يعني وجود علاقة بين العقل والموضوع المقصود، وخلافا لـ "هسرل" وأستاذه يقرّ فلاسفة العقل وجود بعض الأفعال اللاقصدية للعقل البشري يتساوى فيها مع كثير من الكائنات الأخرى كبعض حالات الشعور (الغضب أو الرغبة أو الخوف...). أما الملاحظة

1 - هسيرل: المصدر السابق: ص 93-94.

2 - سيرل (جون) (1983م): القصدية - بحث في فلسفة العقل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2009م، ص 21.

الأخيرة فأقرار فلاسفة العقل أن بعض الكائنات الأخرى تظهر بعض مظاهر الأفعال القصدية وإن وُسمت بأنها بدائية مقارنة بالقصدية عند الإنسان، كالنباتات مثلا في بحثها على أشعة الشمس.

### I. 3. تأصيل مصطلح "القصدية" في الفلسفة:

يكاد يجمع الدارسون حديثا على أن مصطلح "القصدية" ينتمي إلى الفلسفة الظاهرية (الفيينومينولوجية)، غير أن للمصطلح وجوداً واستعمالاً من قبل؛ فقد استعمله "المدرسيون" في القرن الثالث عشر والرابع عشر ومع تتبع مساره في فكر هذه التيارات، لنا أن نعطي لها مجال من التعريف.

#### I. 3. 1. في الفلسفة المدرسية (عند السكولائيين):

كان فلاسفة المدرسيون أصحاب تيار قاده رجال الدين والكنيسة في العصور الوسطى في حلقاتهم التعليمية بهذا سموا بالمدرسين و عرفت مبادئهم على فترتين زمنيةتين "في مذهبين: أولهما يسمى عصر "آباء الكنيسة" وليس للفلاسفة فيها من الشأن إلا القليل، والثاني يسمى "العصر المدرسي" لأن التعليم كان يقوم به جماعة من الرهبان في "مدارس الكنائس"... ويمتد هذا العصر إلى قيام النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر"1، وعملت الفلسفة المدرسية على الأخذ بفلسفة "أرسطو"، و"أهم سمة للفلسفة المدرسة منهجها الذي يهتم بالتعريفات والأقيسة المنطقية إلى درجة المباحكات اللفظية"2؛ أي أنها اهتمت بالتأطير المنطقي وإعمال العقل في تحديد المفاهيم تأطيرا للنقاش في القضايا الفلسفية، أما اهتمام المدرسين بمفهوم القصدية: فينطلق من اهتمامهم باعتبار الذات الإنسانية، وقيمة الفرد وأفعاله، تبعا لكونهم شغلوا أنفسهم بكيفية حدوث المعرفة. "فالقصدية Intentionality مصطلح ابتكره المدرسيون في العصر الوسيط"3، حدّه امتداد العقل نحو ظاهرة ما بغية إدراكه، فالامتداد إنما يحصل من العقل في اتجاه شيء ما أو موضوع ما بغية إدراكه والتعامل معه.

1- نجيب محمود (زكي): قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، لبنان، دط ، 1936م ، ص3.

2- بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة عزت قرني ،سلسلة عالم المعرفة ،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992 م، ص24.

3- إسماعيل (صلاح) : فلسفة العقل- دراسة في فلسفة جون سيرل ، ص 169 .

يتم التّوجه والإمتداد حسبهم في شكلين أو حسب طبقتين من أشكال القصد فهم "يطلقون لفظ القصد على اتجاه الذهن نحو موضوع معين، ويسمون إدراكه المباشر لهذا الموضوع بالقصد الأول، والتفكير في هذا الإدراك بالقصد الثاني" 1. فالقصد مستويان قصد أول وآخر يعتبر تابعا للأول يشرح "جورج أنطوان" هذا المفهوم قائلا: "اعتبر المدرسيون العني أو القصد علاقة تربط المدرك بالمدرك، أو بشيء ما إطلاقا، ولقد فرقوا بهذا الصدد بين العني الأول (préma-intention) أو العني المباشر (directa-intention) من جهة، وهو إدراك الأشياء الفردية في الترابط الطبيعي للأشياء، وبين العني الثاني (socunda-intention) أو العني التأملي (reflexa-intention) من جهة أخرى، وهو إدراك العام من المفاهيم والبنية التصورية، أو التأمل بخصايات التفكير كفعل تجريدي تسلسلي" 2، فالقصد الأول (المباشر) هو إدراك الشيء الموجود إدراكا من قِبَلِ العقل المفكر ويغلب عليه أنه إدراك للحسي مع عدم انتفاء تعلقه بالقضايا المجردة كذلك. أما القصد التأملي (غيرالمباشر، الثاني) فالتفكير فيما تكوّن في القصد الأول أي التفكير أو التّوجه نحو إدراك القصد المكوّن حول شيء ما.

لا يمكن عزو هذا المفهوم لفلاسفة القرون الوسطى خاصة؛ بل هو متأصل قبلهم وليس الفكر الإسلامي بفارغ منه، فالباحث الباصر يجد في كتابات "الفارابي" (ت 329 هـ) (950 م) 3 كـ"الحروف" شرحا وافيا لمفهوم القصدية وللمقاصد؛ للمقاصد الأولى والثواني ولكيفية حدوثها وكذا وعيه بعلاقتها بالإنتاج اللّغوي - سيرد ذلك في موضعه من هذه الدراسة - ويرجع "صلاح إسماعيل" استلهاهم هذا الفكر عند المدرسيين إلى "الفارابي"، و"أنّه قد تابع مناطقة العصور الوسطى الفارابي في

1- صليبا (جميل): المعجم الفلسفي، ج2، ص194.

2- خوري (أنطوان): مدخل الي الفلسفة الظاهراتية، سلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير بيروت، لبنان، ط1، 1984م، ص184.

3- الفارابي (ت 329 هـ): عالم إسلامي جليل الرؤى يصنّف ضمن الفلاسفة، لقب بالمعلم الثاني. وحديثه عن المقاصد الأولى والمقاصد الثانية وفي الشرح بل له فكرة تعرض في مكانها من هذا البحث غاية في السبق حول صلة هذه المقاصد باللّغة، وهو لب بحثنا هذا وسيأتي تحليل رأيه فيها في قابل هذه الدراسة.

التمييز بين المقاصد الأول ( **first-intentions** ) والمقاصد الثانية ( **second-intentions** )<sup>1</sup>، ولا غرابة في هذا الرأي إذا ما عزوناه إلى أن الإجهادات الفكرية للفلاسفة المسلمين في العصر الذهبي<sup>2</sup> كانت مبعث الكثير من النقاشات في قضايا فلسفية مختلفة في الفكر والأخلاق والشعور خاصة كما كانت مصدر العلوم المرموقة والموثوقة، في المقابل لا يغيب عن فكرنا أن الحضارة الإسلامية احتكت بميراث من الفلسفة اليونانية القديمة الموصوفة بالحكمة، فالفكر الإنساني ميراث الإنسانية جمعاء لا يُجدد صاحب اللّمسة فيه فما بالك بالرائد؛ والحكمة ظالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق الناس بها.

إنّ "الفارابي" يقرّ الصّبغة القصدية لأفعال العقل البشري، كما يفرّق بين المقاصد الأولى، التي يكونها في تعلّقه بشيء أو ظاهرة ما، والمقاصد الثانية المكوّنة حول الأفكار المكوّنة أولاً أي المقاصد المدركة أولاً، كما أنّه يرتب حسبها الإنتاج اللّغوي الإنساني ويعتبره تابعاً للقصدية الفعلية، ونجد أفكاره هذه ماثورة في أكثر من مؤلف له.

### خلاصة القول:

تبث وجود مفهوم ومصطلح "القصدية" قبل العصر الحديث، في كل من الفكر الإسلامي والفكر المدرسي والفكر الإسلامي سابق في معرفة "القصدية" كمفهوم ووجود شكلها الأول والثاني، غير أن العرب عبروا عنها بمصطلح آخر هو "المعقول" أما مصطلح "القصدية" فهو من وضع المدرسين كما مرّ ذكره.

### I. 3. 2. في الفلسفة الظاهراتية (الفيينومينولوجية):

تعد الفلسفة الظاهراتية عامة فلسفة وُلدت في الفكر الحديث نتيجة إعادة بعث مفهوم ومصطلح "القصدية"، وجاء هذا البعث بعد فترة غاب فيها استعمال المصطلح والمفاهيم المترتبة عنه، و"صحيح أن الفلاسفة أصحاب الاتجاه التجريبي والعقلي اهتموا بطبيعة التفكير وكيف يرتبط بموضوعاته، ولكن مصطلحات القصد لم تعرف طريقها إلى نظرياتهم"<sup>3</sup> فرغم أن القصدية حادثة ذهنية، متعلقة بالمعرفة، إلا أن

1- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 169.

2- العصر الذهبي: اسم أسبغ على العصر العباسي في فترته الثانية، وخلافة هارون الرشيد بشكل خاص.

3- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 170.

الفلاسفة العقلانيين والفلاسفة التجريبيين على اختلاف مناهجهم، واتفاق رأيهم في قدرة العقل على الإدراك، لم يهتموا بالقصدية كمفهوم ولم ينسبو لها أي دور في محاولة المعرفة والإجابة على الأسئلة التي تعترض مسائل المعرفة.

إن إحياء مصطلح "القصدية" كان على يد "برنتانو" [Brentano franz, 1838م- 1917م] ثم انتعش في كتابات فلاسفة اللغة العادية وفلاسفة العقل في كل من أوروبا وأمريكا، ويعد "إسماعيل (صلاح)" لمصطلح القصدية إحياءين على حد تعبيره، إذ كان "الإحياء الأول لمصطلح القصدية في القرن التاسع عشر على يد "برنتانو" في كتابه "علم النفس من جهة نظر تجريبه" عام 1874م<sup>1</sup>، فاتحا بذلك مجال النقاش والتدريس حولها من جديد، وقد أورد "فرحة (محمد)" نص "برنتانو" الذي تحدث فيه عن الوجود القصدية فقال: "يقول "برنتانو": "تتصف كل ظاهرة ذهنية بأنها تسير إلى مضمون ما، وعلى أنها متجهة نحو موضوع ما... ففي التمثيل شيء ما متمثل وفي الحكم شيء ما مثبت أو منفي. وفي الحب شيء ما محبوب وفي الكره شيء ما مكروه، وفي الرغبة شيء مرغوب... بدأ يكون الوجود القصدية للموضوع هو الصفة الأساسية التي تميز الظاهرية العقلية عن الظاهرة الطبيعية"<sup>2</sup> بهذا النص ذكر "برنتانو" مصطلح الوجود القصدية وأحيا استخدامه، ولعل مرد ذلك إلى ما يروي عنه أنه كان رجل دين تأثر بفكر الكنيسة إذ لم يكن بعيدا عن تفكيره، لكونه كاهنا ومتمرسا في الفكر المدرسي، ولطالما إهتم رجال الفكر الديني بمثل هذه المواضيع المتمحورة حول كنه الفرد وفكره واللطفية الربانية التي بين جنبيه (الروح)، ومن رقائق ما يروي أن "برنتانو" كان بصيراً، و"هسرل" أنجب تلاميذه وأحبهم إليه عمل دائما على مرافقته وقيادته في ظلمته البصرية في حين كان هذا المعلم (برنتانو) قائده في ظلام الجهل ومنير دربه في مدارج العلم والمعرفة وإعمال العقل لهذا فتأثراً بمعلمه، شغلت قضية القصدية حيزا أساسيا من أفكار "هسرل" وكان بذلك البصير باصراً فقاد المبصر إلى التبصر في مثل هذه القضايا التي مر عليها زمن من التهميش أو النسيان أو حتى

1- المصدر السابق: ص 170.

## 2- Bernano : psychology froman empirical stand point:

أنظر: فرحة (محمد): المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، اللاذقية، سورية، م 31، العدد 1، 2009م، ص 95.

الإقصاء<sup>1</sup> نظراً لتسلط الفكر العقلي والتجريبي الذي يؤمن فقط بكل ما هو مادي خاضع للتجربة العلمية البحتة، والملاحظة فالاستنتاج .

أما الإحياء الثاني للمصطلح حسب "إسماعيل (صلاح)" جاء على أيدي فلاسفة التحليل في الستينات والسبعينات من القرن العشرين وبخاصة: "رودورك تشزم" (m.Roderiock-Chisholm) (1916م - 1999م) و"يلفرد سيلر" (Sellars-wilfrid) (1912-1989) و"كواين" (Quine-w.v.) (1908م - 2000م) 2، هذا الإحياء الثاني جاء بهدف بحث وترسيخ مفهوم دقيق للقصدية. فبعد هيمنة المناهج العقلية التجريبية البحتة، التي أخضعت كل شيء للتجربة والملاحظة ثم استخلاص النتائج، جاءت مرحلة التأسيس للمفاهيم العقلية فأظهرت إشكال التحديد الدقيق للمفاهيم السائدة حول أفعال الإنسان العقلية والنفسية منها خاصة. فحاولوا بهذا العمل ليس مجرد إعادة استعمال المصطلحات ومنها مصطلح القصدية فقط بل تعدوا إلى العمل على تحديد معالمها كظاهرة عقلية بتحديد أصل المصطلح ومحاولة التعريف المنطقي للحدود القصدية، وقد جاء عملهم هذا امتداداً لكتابات "راسل" (Russell-bertrand) (1872 - 1970 م) و"فريجه" (Frege-gettlob) (1848م-1925م)، بعد أن أحدث فيهم "برنتانو" الإحياء الأول للمصطلح وحاول وضع مفهوم له ، فهم لم يستلهموها من كتابات "هسرل" على كثرتها ودقتها، إنما استقوا أفكارهم والقواعد الأساسية لأعمالهم "من كتابات "فريجه" في مثل مقاله: "في المعنى والإشارة" و"راسل" في مقال "في الإشارة"، والفيلسوف التحليلي الذي يعد استثناء من ذلك هو "رودورك تشزم" في كتابه "الإدراك دراسة الفلسفة" ذلك بأن أثر "برنتانو" فيه واضح لاسبيل إلى إنكاره<sup>3</sup>.

ويعد "جون سيرل" بحق رائد إرساء مبدأ "القصدية" كمبدأ في فلسفة اللغة العادية حديثاً ثم في فلسفة العقل التي اعتبرها سابقة لفلسفة اللغة وخدمة لها وللكتير من مجالات المعرفة الإنسانية وفتح بذلك أفقا واسعا حول الحديث على القدرة العقلية الفردية لوضع اللغة ولبعث الأفعال الإنسانية بصفة

1- للاستزادة أنظر؛ خوري (أنطون): مدخل إلى الفلسفة الظاهرية، ص184 .

2- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص171.

3- المصدر نفسه: ص171.

عامة، فالقصدية هي الميزة المركزية لكل ما هو إنساني، كسمة للعقل البشري، رغم وجود دعاوى المساواة بين مخ الإنسان وأي آلة ذكية في القيام بالعمليات العقلية المعقدة، بهذا يعد "سيرل" صاحب نظرية القصدية في العقل البشري حديثاً.

وحرص "سيرل" على ضبط مصطلحاته ضبطاً يقلل من الالتباس المعرفي الناتج عن فضفضة المصطلحات القائمة من قبل. من ذلك أن "سيرل" ابتعد عن استعمال مصطلح "الأفعال القصدية" على إطلاقه واقترح له بديلاً أكثر دقة وملاءمة هو "الحالات القصدية" ( **Intentional States** ) ثم عمل على دمجهما معاً لتفسير الأفعال الإنسانية عامة، والأفعال اللغوية منها خاصة لأنها محط النظر عنده، فيقول : "حين يتم وضع تفسير قصدي للأفعال يجب أن يتطابق المضمون اللغوي (القضية) للتفسير مع المضمون اللغوي للحالة القصدية التي تؤدي إلى إنتاج السلوك ... قد تكون هذه الحالات التي تعمل بصورة قصدية سببية إما مقاصد أو حالات سابقة كالرغبات والمعتقدات والمخاوف والآمال... إلخ ، والتي تسبب وجود المقاصد كوسيلة من وسائل الفكر العملي..."<sup>1</sup> فالقصدية إذا جزء من الفعل وليست الفعل كله، لذلك ميز بين الأفعال القصدية والحالات القصدية، والأفعال اللاقصديّة، والأفعال اللاقصديّة المطابقة للحالات القصدية دون أن تكون مقدمات لها فالفعل القصدي هو الفعل الذي يصدّق وقوعه في الواقع الحالة القصدية المصاحبة له، والأفعال اللاقصديّة أفعال يجانب فيها الفعل المتحقق الحالة القصدية الموجودة أو تغيب فيه الحالة القصدية المصاحبة. أما الحالات القصدية فعنها يطول الشرح حتى بيان المقصود منها.

قد اتسم مفهوم القصدية بالصعوبة دائماً؛ كون موضوع القصدية مرتبط بالناحية التجريدية للفكر الإنساني، كما صاحب مصطلح القصدية مصطلحات عديدة أخرى، في الفكر الغربي أو الإسلامي على حد سواء، كالفكر والإدراك والوعي والعقل، وعند قرنها بالفعل اللغوي خاصة تصاحبها مصطلحات أخرى كالمعنى والغرض والتفسير والتأويل؛ لهذا سيتناول المبحث المقبل، مفهوم القصدية في فلسفة العقل والمصطلحات المصاحبة له في الفكر الإنساني، لهذا وذاك يتناول المبحث الموالي مفهوم القصدية بصفة متخصصة وما يصاحبه من مفاهيم في فلسفة العقل.

1 - سيرل: القصدية ، ص141.

## II. مفهوم "القصدية" في فلسفة العقل:

لا يكون تحديد طبيعة الحالات القصدية دون البناء الخاص لها في كل عقل عبر أفعال قصدية خاصة بها و حولها ، وهذا أشبه بدراسة اللّغة وتحليلها عبر استعمال تعابير اللّغة المُحَلَّلة نفسها، فالعقل أثناء عملية الإدراك يبني معارفه على قدراته التمثيلية من جهة وما يستقبله من مختلف الحواس من جهة أخرى.

### II. 1. طبيعة الحالات القصدية ومميزاتها:

سبق ذكر أن القصدية هي السمة الأساسية للعقل، وبها يتم توجه العقل إلي الأشياء، وتتنوع مضامين الحالات القصدية باختلاف الأشياء المتوجهة إليها، غير أن فلاسفة العقل يجزمون بوجود حالات قصدية لا تتعلق بشيء معيّن بل هي حالات قصدية وكفى، و"يعد القول إن المعتقدات والرغبات تقصد شيئاً قولاً خاطئاً ويؤدي إلى الخلط بين الأشياء ؛ فالمعتقدات والرغبات حالات قصدية ولكنها لاتقصد شيئاً"<sup>1</sup> ويمكن فهم ذلك بالمثل التالي يحدث أن يبدي أحد الناس إنزعاجاً أو خوفاً أو حتى حالة من السرور، فإذا سئل عن سبب حالته تلك يقول ببساطة لا أدري ففي مثل هذه الحالات لا يكون الخوف من شيء محدد ولا تكون السعادة والفرح وفق مسبب معين؛ معنى ذلك أنه يمكن أن تنشأ حالات قصدية دون أن يربطها العقل بشيء معين ، وذكر "سيرل" الكثير من نماذج الحالات القصدية التي قد تنتج دون شيء تتعلق به منها الإعتقاد، الخوف، القبول، الضغينة...<sup>2</sup>، لهذا تتعدد أشكال القصدية (أنواعها) بثبوت أو إنقضاء وجود تعلق بشيء ما ، و من حيث اختلاف العلاقات القائمة بين فعل القصد والشئ المقصود ، ثم من حيث ترجمته بإنتاج لغوي ممثلٍ لهم، وقبل تفصيل هذه الأنواع تجدر الإحاطة بمميزات الحالات القصدية عامة بغض النظر عن تصنيفها.. إذن فما هي مميزات الحالات القصدية التي تميزها عن غيرها؟

تتسم الحالات القصدية بمجموعة سمات تميّزها وتحدد طبيعتها سواء كانت قصدية أولية أم ثانية أم حتى قصدية مشتقة، ومن هذه السمات:

1 - المصدر السابق، ص 24 .

2 - أنظر: المصدر نفسه، ص 24 .

1. التفرقة بين فعل القصد والموضوع المقصود.
2. يبني اشتراك القدرة التمثيلية للعقل والعلاقات السببية بالعالم الحالات القصدية.
3. للحالات القصدية شروط تحقق.
4. يضم فعل القصد مضمونا يشترط صدقه .
5. تعدد اتجاهات المطابقة بين الحالات القصدية والعالم.

## II. 1.1. فعل القصد والموضوع المقصود:

فرق فلاسفة العقل بين فعل القصد والموضوع المقصود ، فقد أبرز "هسرل" أنّ الموضوع المقصود هو شيء متمايز على فعل القصد، في وجود دعوات بأن العالم إنما هو ما يوجد فقط في عقولنا ولا وجود له في الواقع ، و"من خلال هذا التمييز بين المضمون و الموضوع ، يستطيع هسرل أن يفسر الوجود المستقل للقصدية بطريقة جديدة، وإن فعل ما يكون قصديا بالاعتماد فقط على مضمونه، وإن مضمون فعل ما هو مستقل عن وجود أي شيء خارج العقل"<sup>1</sup>، ففعل القصد يختلف على الشيء المقصود، فتمثيل صورة القلم مثلا أو الطاولة في العقل تختلف على حقيقة وجود القلم أو الطاولة في الواقع، فالصورة العقلية (المقصودة) ناتجة عن عمليات عقلية معقدة بناها العقل بما توفر له من قدرات تمثيلية ومعلومات نقلتها له الحواس، حول الشيء المقصود (القلم- الطاولة)، فالفرد يرى الطاولة في الواقع من بعدٍ أو بعدين على الأكثر ثم يبني لها صورة عقلية عامة مبنية على الخبرة السابقة، فالطاولة كحالة قصدية في العقل تختلف إذن عن الطاولة الموجودة في العالم الواقعي، وفعل قصد العقل الطاولة أو القلم يختلف عن الطاولة كمضمون قصدي ثم كموضوع واقعي، بهذا يصبح تفسيرنا لوجود حالات قصدية غير مرتبطة بشيء معيّن أسهل مع هذا الفصل بين الحالة والموضوع.

## II. 1.2. بناء الحالات القصدية:

يبني اشتراك القدرة التمثيلية للعقل والعلاقات السببية بالعالم الحالات القصدية، وإنّ القدرة التمثيلية للعقل؛ خصيصة بكل عقل إنساني ولا يمكن أن تتطابق قدرات أي عقليين فيها مهما كانت ظروف وطرائق بنائها ونشأة أصحابها متشابهة، وهي خضم جدل واسع عن آليات العقل في عمليات التمثيل فهي بنائية أم تفكيكية، يؤكد الكثير من فلاسفة العقل أنّها تتراوح بينهما؛ إذ يقول

1- فرحة (محمد): المفهوم الفينومينولوجي للنظرية القصدية عند هسرل ، ص 100.

"لاند" [Lalande andré] (1867م - 1963م): " ولن يتمثل المرء إطلاقاً منظراً طبيعياً بالعلاقات القائمة بين عناصره المختلفة إذا وجب عليه أن يبدأ بإدراك منفصل لشجرة وقنطرة ونهر وقمة جبل، ثم كيف لكل من هذه أن يُعرف أولاً إلا من حيث هو كل ؟ ولن يمكن إيجاب أن البلاتين ثقيل جداً، أو أن ضلع السداسي يساوي برمقه (  $\frac{1}{2}$  قطره )، ما لم يحصل عند المرء أولاً تمثيل غير متجزئ لحضور إجمالي يصير بلاتينا وثقلاً أو دائرة ومركزاً وسداسياً وبرمقا (  $\frac{1}{2}$  قطره). وقد نوقشت عبثاً مسألة هل الحكم تحليل أم تأليف؛ فهو كلاهما معاً، فهما لحظتان مكوّنتان للتفكير عندما يستولي التفكير على موضوع<sup>1</sup>. فـ "لاند" يجزم عند وصفه لكيفية تمثيل العقل للموضوعات بناء العقل لتمثيلات مجزئة أو كلية على حد سواء بها يبني العقل حكمه وإدراكه للموضوع المقصود.

إنّ الحواس تعد مداخل المعلومات للعقل حتى يشرف على تمثل باقي متعلقات المواضيع المقصودة، والحواس عند الإنسان؛ خارجية وداخلية، الخارجية منها معروفة عند الكثير من الناس، من لمس وبصر وسمع وشم وتذوق، والداخلية "تقسم أقساماً عدة، تجاوز أقسام الحواس الظاهرة الخارجية؛ منها حاسة الشعور بالرضى، وحاسة الحاجة إلى طعام و... وسواها من الحواس التي لما نزل موضع درس وتقيب وبحث لإثبات أعضائها، ودراسة ظواهرها وإدراكاتها"<sup>2</sup> وترسل الحواس، مجتمعة أو فرادا المعلومات التي تلتقطها حسب خصائصها من الموضوع المقصود، إلى العقل لمساندة عملية التمثيل الخاصة به فتنتج بذلك حالة قصدية حول ذلك الموضوع، فكلها ترسل ما جمعت من معلومات إلى المراكز العصبية، فيبني العقل عليها عمليات التمثيل التي يكون بها حالته القصدية حول الموضوع المقصود.

إلى جانب القدرات التمثيلية العقلية والمعلومات التي تمده بها الحواس، يستثمر العقل جملة من المعطيات مختزنة بشكل سابق تكون عامة نتاج الحكمة والخبرة الإنسانية في العقل البشري، فلا أحد منا يمشي بيديه أو ينظر بأنفه إنّما نحن نتعلم ممن سبقنا الطرق الأفضل للتعامل مع أجسامنا ومع الأشياء الأخرى غيرنا، فيكون الفرد في عقله ما يشبه شبكة من المعلومات والقدرات التي يعمل على استدعائها لاستعمالها متى احتاج إليها لتكوين حالات قصدية جديدة حول شيء أو واقعة ما، و"إذا لاحقت خطوط

1- لاند (أندريه): العقل والمعايير، ترجمة: نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1979م، ص14.

2- كشاش (محمد): اللغة والحواس، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م، ص30.

الشبكة، سوف تصل في نهاية المطاف إلى مجموعة من القدرات، وطرق تعامل مع العالم، وميول، وقدرات عامة أسميها جميعا "خلفية Background"<sup>1</sup>، معنى هذا أن العقل في عملية تكوين الحالات القصدية الأصلية لا ينطلق من فراغ بل يتكئ على خلفية قصدية يستثمر ما فيها من معلومات تساند عمله.

أما إذا أراد الفرد إخراج هذه الحالة القصدية المتكونة إلى خارج العقل يعتمد إلى تكوين حالات قصدية مشتقة من الأصلية، يضيف عليها الآلة التعبيرية المناسبة، وتتسع أشكال القصدية المشتقة باختلاف أداة الترجمة تلك على كثرتها من إشارات أو رموز أو تصرفات، وتعد اللّغة أظهرها على الإطلاق وأكثرها انتشارا، وتبنى هي الأخرى على شاكلة الحالات القصدية الأصلية المتعلقة بها.

## II. 1. 3. شروط تحقق الحالات القصدية:

إنّ مفهوم "شروط التحقق"<sup>2</sup> يعد من أساسيات إرساء مبدإ القصدية في الأفعال الإنسانية، يتمثل في وقوع الحالة القصدية للموضوع المقصود بالصفة الصحيحة لفعل القصد، فهي "تلك الشروط التي تحددت بواسطة "المضمون القصدي" إذا أردنا إشباع الحالة النفسية أو تحقيقها، ويعد لهذا السبب تعيين "المضمون" تعيينا لشروط التحقق"<sup>3</sup> فكل حالة قصدية، تظهر شروط تحققها في مضمونها هي، فإذا اعتقدت أنني ناجحة يكون تحقق اعتقادي هذا بكوني ناجحة فعلا في العالم الواقعي. قس على هذا اعتقادي بأن الإنسان طيب أو أن الطقس جميل أو الكتاب على المكتب، فشروط النجاح لكل واحد من هذه الحالات القصدية متضمنة فيها (طيبة الإنسان، الطقس هادئ ومنعش، استقرار الكتاب على المكتب)، معنى هذا أن شروط تحقق الحالات القصدية شروط سياقية، خاصة، ومتغيرة ترتبط أساسا بالحالة التي تعود إليها، كما تكون "شروط تحقق الحالة القصدية داخلها؛ فما يجعل عبارة "الثلج لونه أبيض" أنها كذلك أي أن لها شروط تحقق خاصة بها وليس بغيرها، كذلك، ما يجعل رغبتني في نزول المطر رغبة حقيقية يتمثل في أن هناك شروط معينة سوف تحقق هذه الرغبة أو تشبعها وليس أي شروط

1- سيرل: العقل-مدخل موجز، ترجمة: ميشيل حنا متياس، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007م، ص 139.

2 - "شروط التحقق": "Conditions of satisfaction" يطلق عليها أيضا "شروط الإشباع" أو "الرضا" أو "النجاح" "Success" أو "الصدق" "Truth".

3 - سيرل: القصدية، ص 34.

أخرى غيرها"<sup>1</sup> أي أننا لا نبحث على شروط تحقق الحالة القصدية إلا من خلال ما تحتمله العبارة من استخدامهما في المقام الذي استخدمت فيه و الإعتقاد الذي حوته في ألفاظها ، ولكل إعتقاد أو رغبة أو أي حالة قصدية أخرى شروطها الخاصة بها.

### III.1.4. يضم فعل القصد مضمونا يشترط صدقه:

سبق ذكر كيفية بناء الحالات القصدية، وكل حالة قصدية إنما تبنى على حالات قصدية أخرى، لذلك فتشكيل حالة قصدية ما تبنى على حالات قصدية سابقة، وفي حال بناء الحالة الجديدة تصاحبها قصود أخرى ، تتعلق بماهية الأشياء وخصائصها وصفاتها، فلا يمكننا التعامل مع شيء دون أن نبنى حوله شبكة من المعلومات الخاصة بها، يقول "سيرل": "كما نحتاج أيضا للترقية داخل الطبقتين العميقة والمحلية للخلفية، بين كيف تكون الأشياء، وكيف نفعها أو نتعامل معها؟ حقيقة لا يوجد فاصل بين هذين الجانبين، أي بين "كيف توجد الأشياء بالنسبة إلي"، و "كيف أسلك تجاهها أو أتعامل معها"، إلا أنه من الضروري التمييز بين الجانبين ؛ فمثلا يعد جزء من موقفي قبل القصدى تجاه الأشياء معرفتي لدرجات الصلابة كجزء من "كيف تكون الأشياء"، ويكون لدي أيضا مجموعة من المهارات العديدة كجزء من "كيف أسلك تجاه الأشياء"، ومع ذلك أستطيع تفعيل مهاراتي قبل القصد"<sup>2</sup> إذ الشخص القاصد حتى يبني حالة قصدية صادقة؛ عليه أن يكون قاعدة (خلفية) قصدية صحيحة حول الموضوع المقصود من جهة، والحالة التي ينبغي أن يكون عليها العقل حتى يكون تعامله مع الموضوع المقصود من جهة أخرى؛ مثلا:

إذا أراد شخص ما رفع جسم ما من على الأرض لوضعه على طاولة فهو أولا يقدر طبيعته وشكله وثقله حتى يحدد القوة اللازمة لرفعه وكيفية رفعه وإذا ما كان بحاجة لإعانة من شخص آخر أو آلة ما، ثم هل وضعه على الطاولة تصرف صحيح من حيث تناسبهما شكلا، وهل تحتمل تلك الطاولة طبيعة أو ثقل ذلك الجسم، حتى تتكون حالة قصدية صحيحة ومناسبة لهذا الفعل، لذا يفترض صدق وصحة مضمون الحالة القصدية التي يصبو القاصد لتكوينها ما يؤهله إلى التصرف الصحيح والأنسب وفقها.

1 - سيرل: المصدر السابق: ص 32.

2 - المصدر نفسه: ص 184.

## II. 1. 5. تعدد اتجاهات المطابقة بين الحالات القصدية والعالم:

لا يصدق محتوى أي حالة قصدية ولا يتم بناؤه وإعطاؤه شبكة من الشروط الاستيفاء إلا إذا تم ربطه بحقيقة له مستقرة في الموضوع المقصود وليس في القصد ذاته، فالحالة القصدية مرتبطة ومتعلقة بالشيء المقصود وهذا التوجه يختلف اتجاهه باختلاف مصدره، إذ ينتج على طبيعة الحالة القصدية المتشكلة، وإذا كان فهم تشكل الحالة القصدية حول شيء موجود في الواقع يسهل استيعاب مفهوم المطابقة: الشيء موجود في العالم ← تمثيل صورة له في العقل ← تكوين حالة قصدية له.

ففي هذه الحالة يكون الموضوع المقصود موجودا فعلا ويسبب الحالة القصدية الموافقة له في العقل، فلما نفهم اتجاه السببية بأنه من الشيء المقصود إلى العقل في المحسوسات الواقعية فاتجاه السببية في المجرّدات يكون من العقل إلى الشيء المدرك، "يكون اتجاه المطابقة واتجاه العلة غير متماثلين، أي لا تماثل بين الاتجاهين. يكون اتجاه العلة "من العالم إلى العقل" في حالة الإدراك، ويكون اتجاه المطابقة "من العقل إلى العالم". ويكون اتجاه السببية من العقل للعالم في حالة الفعل، يكون اتجاه المطابقة من العالم للعقل"1، غير أن هناك حالات قصدية لا يوجد اتجاه المطابقة فيها بين العقل والشيء المعقول "مثل الفرح والحزن والأسى والإبتهاج والندم، وهذه الحالات لها اتجاه مطابقة فارغ، فشعورك بالسرور لأنك قد حصلت على تقدير مرتفع، وشعوري بالأسف لأنني قد اصطدمت بك هي حالات ذات مضامين قضوية مسلم بصدقها، ولكنّها لا تملك اتجاه مطابقة"2 فحالات الشعور أكيد حالات قصدية تامة يكونها الفرد بناء على شعور خاص و يتكون بصفة خاصة، فالشعور بالفرح مثلا هو حالة قصدية ممتلئة وتامة وقد لا تتعلق بشيء أو قضية معينة مع ذلك فهي واقعة فعليا.

هذه سمات تكوّن الحالات القصدية على اختلاف أنواعها في العقل البشري، مع هذا يميّز الدارسون بين جملة من الأنواع للحالات القصدية الإنسانية، ويأتي تمييزهم هذا وفق منطلقات قصدية؛ نرى أنّها ثلاث يقوم المطلب الموالي ببيانها.

1 - سيرل: القصدية، ص 158 - 159 .

2 - إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 226.

## II. 2. أنواع الحالات القصدية:

- يبادر فلاسفة العقل إلي التفرقة بين أنواع الحالات القصدية من ثلاثة منطلقات (معايير)؛ يمكننا عدّها في:
- من حيث طبيعة التكوين.
  - من حيث طبيعة التظاهر.
  - من حيث طبيعة التوصيل.

### II. 2. 1. من حيث طبيعة التكوين:

يميّز الدارسون بين؛ الحالات القصدية الأولى (First intentions) والحالات القصدية الثواني (Second intentions)؛ فالحالات القصدية الأولى، هي الحالات المتعلقة أو الموجهة بشكل مباشر إلى شيء، يتجه إليه العقل بالإدراك والتفكير. إنّ الأشياء المشار إليها متنوعة تتوع الوجود نفسه فالعقل يتوجه نحو الأشياء المادية كأن أتوجه قصديا إلى الطاولة التي أضع عليها باقي أشيائي وهي بهذا أجزاء محسوسة موجودة فعليا في العالم الخارجي بالنسبة لي تربطني بها مسافة وعلاقات بعدت أو قربت، كما يمكن العقل التوجه بشكل قصدي أول إلى أشياء لا توجد في محيطه المدرك الخارجي ولا تكون وسائط قصديته حواسه كأن أقصد تكوين الشكل الكامل لهذه الطاولة وأنا لايمكنني رؤية كل تفاصيلها مع هذا أكون حولها حالة قصدية شاملة، يقول "سيرل"<sup>1</sup>: "إذا رميت حجرا في الظلام. قد لا أعرف ماذا يضرب ولكن عندما أرمي إشارتي إلى غير المرئي فإنني غالبا أعرف بالتأكيد الشيء الذي يضربه(أي يشير إليه- المترجم)"<sup>1</sup>، فالعقل يكون حالات قصدية أولى حول الأشياء عامة سواء كانت موجودة (محسوسة) أو تجريدية (متخيلة)، فيتجه نحوها بشكل أول، في حين يقوم بالتوجه العقلي إلى تلك الحالات القصدية التي كونها حول الأشياء، فيكون حول الحالات المتكونة مسبقا حالات قصدية هي الحالات القصدية الثانية، بهذا يتوجه العقل إلى الأشياء وإلى توجهه نحوها على السواء فيكون الحالات القصدية الأولى و الحالات القصدية الثانية:

الشيء → توجه قصدي للعقل [ الحالات القصدية الأولى]

الحالات القصدية الأولى → توجه قصدي للعقل [الحالات القصدية الثانية]

1- سيرل (جون): العقل، ص130.

## II. 2-2- من حيث طبيعة التمظهر:

إنّ الحالات القصدية من حيث التمظهر نوعان؛ حالات قصدية أصلية ( **Intrinsic Intentionality** ) وحالات قصدية مشتقة ( **Derived Intentionality** )<sup>1</sup>، فالأصلية منها هي الحالات المتموضعة في العقل سواء كانت أولى أو ثانية، لا تظهر لغير صاحبها دون أن تتحول عبر عمليات عقلية وجسدية معقدة إلى حالات مشتقة، وتقوم الحالات القصدية الأصلية بمد نظيراتها المشتقة بمضمونها القصدية، "قصدية للكلمات والجمل والصور والرسوم البيانية والرسوم التخطيطية وبرامج الكمبيوتر وعلامات الطريق، وهذه قصدية مشتقة من القصدية الأصلية"<sup>2</sup>، فلا وجود لحالات قصدية مشتقة دون حالات قصدية أصلية باعثة لها تستمد منها مضمونها القصدية، ويمكنها التمظهر في شكل التعبيرات القصدية المختلفة كإنتاج الأصوات المختلفة أو المقطوعات الموسيقية، كما يمكنها التمظهر كأشكال مخطوطة أو مرسومة ومختلف الأشكال والألوان، من لوحات فنية طبيعية وسريانية وتكعيبية ورمزية وغيرها من أشكال التعبير الفني، وكذا كإشارات جسمية وحركات (لغة الجسد)، ومن أشكال القصدية المشتقة أيضا مختلف أنماط التعبير الرمزي كالأيقونات وعلامات المرور والإشارات الكشفية وغيرها من الرموز مسموعة كانت أم مرئية، وإنما يفرض العقل القصدية على الأشكال والألوان والحركات حال إخراج الحالة القصدية الباطنية عبر فرض شروط تحقق الحالة القصدية على تلك الوسائل والوسائط، فللعقل القدرة والقوة على فرض القصدية على أشياء ليست قصدية في الأصل، ويتم ذلك بأن تنسب شروط التحقق الخاصة بالحالة النفسية المعبر عنها إلى الكائن المادي الخارجي، أي

1 - يترجم بعض الدارسين العرب المصطلحين **Intrinsic** الباطنية و **Derived** المستمدة : حيث تفرض الآراء المختلفة للترجمة بعض الخلط الذي يجب توضيحه ، وتكمن بشكل متفاهم في ترجمة **Derived** المشتقة وهو ما اعتمدها في هذا العمل من منطلق أنه الأكثر ملاءمة للمصطلح في لغته الأصلية، وتجدر الإشارة إلى عدم الخلط بين هذا المفهوم ومفهوم الخطابات المشتقة والتي يستخدمها عدد لا بأس به من الدارسين للتدليل على الخطابات غير المباشرة أي التي تحمل قصدية غير مباشرة (مستلزمة)، نخص بالذكر منهم **أزاييط** لأهمية أعماله فهو من الدارسين الذين اعتمدوا مصطلح الخطابات المشتقة قاصداً به الخطابات الحاملة لقصديات مضمرة معددة للخطابات أي خطابات غير مباشرة.

أنظر: **أزاييط (بنعيسى عسو): من تداوليات "المعنى المضمّر"**، دراسة منشورة ضمن اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق، سلسلة الندوات 4، منشورت جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1992م، ص54..

2- إسماعيل (صلاح): **فلسفة العقل**، ص 229-230.

تمنحه شروط التحقق نفسها الخاصة بالحالة النفسية<sup>1</sup>، بهذا يتأكد للدارس أن الأشكال القصدية المشتقة لا تنحصر في الإنتاج اللغوي، إلا أن الإنتاج اللغوي يعد أهمها على الإطلاق لاطراد استعماله في الجماعات الإنسانية؛ يقول "سيرل"<sup>2</sup>: "يجب أن تفسر قصدية اللّغة بلغة قصدية العقل وليس العكس. لأن الأصوات والعلامات تشير إلى الأشياء والحوادث التي ذكرتها فقط؛ لأن العقل يفرض قصدية عليها. إن معنى اللّغة هو قصدية مستمدة ويجب أن تستمد من القصدية الأصلية للعقل"<sup>2</sup>، و أخذ مسألة تحول الحالات القصدية الأصلية إلى حالات مشتقة سيكون من أهداف هذا البحث في ما تبقى من الفصول.

## II. 2-3- من حيث طبيعة التوصيل:

إنّ عملية التوصيل مرتبطة بالحالات القصدية المشتقة إذ لا يقوم البشر بتوصيل الحالات الأصلية إلا عبر أشكال قصدية مشتقة، وتبعاً لقصدية التوصيل يفرّق الدارسون بين حالات قصدية مباشرة (**Directed Intention**) وحالات قصدية غير مباشرة (**Indirected Intention**)، فالقصدية المباشرة تتمثل في الحالات القصدية المشتقة ذات المضمون المباشر، ويتحدّد المضمون المباشر في الجماعة الإنسانية حسب طرق تعبيرها على ما تمتلكه من حالات قصدية أصلية، فإن فهم المتلقي القصدية الأصلية للتعبير بشكل مباشر أي دون عمليات عقلية استدلالية معقدة فإن القصدية المشتقة تكون مباشرة، وإلا كانت قصدية مشتقة غير مباشرة.

## II. 3 . مفاهيم ومصطلحات مصاحبة لمصطلح "القصدية":

إن المتتبع لمصطلح القصدية واستعماله في الفكر الإنساني، يجد أن لمفهوم القصدية؛ مفاهيم قريبة أو تتقاطع معه، وقد تصل إلي حد التظابق في الاستعمال، وهذا ليس حكرًا على دقة المصطلح في اللّغة العربية فحسب، بل ملاحظ أيضا في اللّغات الحيّة الأخرى خاصة منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

1- سيرل: القصدية، ص51.

2- سيرل: العقل ، ص130-131.

## II. 1.3. أسباب مصاحبة مصطلح القصدية :

مرد خصوبة تلاقح هذا المصطلح و مفاهيم أخرى فيمكننا ردها إلى جملة أسباب لعنا نذكر في هذا المقام أهمها وأكثرها تأثيراً:

1- تداخل القصد كفعل عقلي مع باقي أفعال العقل والجوارح الإنسانية الأخرى، يجعل من حال المصطلح الدال عليه حاله هو نفسه، فتداخل القصد والنية والرغبة والفهم والتفسير والتأويل وغيرها من أفعال العقل البشري يورث تداخل في المصطلحات الموضوعية للتعبير عنها.

2- اشتراك المعنى الأصلي للكلمة بعدد من المفاهيم، و قد سبق الإشارة إلى ذلك في التعريف اللغوي و الاصطلاحي لها، فاشتراك اللفظة في معنى النية و الهدف يورثنا مصطلحات مصاحبة للقصدية .

3- ضبابية تحديد المعالم و الحدود المفهومية بين المعارف الذهنية المتعلقة بالقصدية في حد ذاتها، أي إعمال العقل في عمله هو ذاته، وقصد موضوع كالقصدية -غاية في التجريد- بالتفكير وعمليات الإدراك جعل المفكرين والمحللين يقفون على صعوبته و صعوبة ربطه بمفاهيم أخرى ك: المعنى والدلالة من جهة اللغة والإدراك والمفهوم و المصدق والوعي من جهة الإدراك.

4- التوسع في استعمال الألفاظ للتعبير عن مثل هذه الأشياء يقود الكثير من العلماء والدارسين إلى التعامل معها كمترادفات، كاستعمال قداماء العرب لكلمات مثل معنى، دلالة، مراد، غرض، وغيرها بمعنى القصد، وهي وإن كانت قد أدت دلائل بعضها في كثير من مصنفاتهم إلا أن بينها هوامش فروق تجاوزوها، على علمهم بوجودها، خدمة منهم لمرامي دراستهم.

5- تعدد مشارب الباحثين والتخصصات التي ينتمون إليها يورث الباحث تشتتاً لتحديد معالم مصطلح القصدية بين الفلاسفة واللغويين قداماء كانوا أم معاصرين.

نتيجة لما سبق ذكره من الأسباب، ظهرت العديد من المصطلحات المصاحبة لمصطلح القصدية يخص بالذكر منها: القصد، النية، المفهوم (المتصور)، المصدق (المحسوس)، الوعي، الإدراك، الإرادة، المعنى، التفسير، التأويل.

## II. 3. 2. مسرد المصطلحات المصاحبة:

إن أكثر المصطلحات مصاحبة لمصطلح القصدية هي: القصد، المفهوم، المصدق، الوعي، النية، العزم، من ناحية الوعي والإدراك، والتفسير، التأويل، المعنى، من ناحية القصدية المشتقة (الخطابات).

### أ - بين القصدية والقصد:

في الحقيقة أن هذا من أدق المفاهيم التي يولى؛ لها أهمية في تحديد المصطلح، لدقة حدود تعريف القصدية: فالقصد حسب التعريف الاصطلاحي جزء فقط من القصدية، إذ "لا يكون القصد من القيام بفعل معين إلا مجرد صورة من صور القصدية تماما مثل الإعتماد والأمل والخوف والرغبة والعديد من الصور الأخرى"<sup>1</sup>، والمعنى الاصطلاحي للقصد، الهدف المرجو، لذلك عدّه "سيرل" وكثير من فلاسفة العقل جزء من القصدية لا مطابقا لها باعتبارها عملية العقل لموضوع ما، غير أن الكثير من الدارسين غير المتخصصين يستعملون المصطلحين مترادفين على سبيل التجوّز والتسهيل، كما نجد ذلك في الكتابات العربية القديمة منها والجديدة على السواء.

### ب - بين القصدية والوعي:

إن الوعي من أظهر مظاهر العقل البشري، فنحن لا نتصور إنسانا عاقلا دون أن ننسب له الوعي بالأشياء المحيطة والأحداث المتعلقة به وبتصرفاته، فالوعي من أخص خصائص العقل فما الحدود القائمة بينه والقصدية؛ كصبغتين أساسيتين للعقل، لقد تفرق الفلاسفة على اتجاهين، الاتجاه الأول يفصل الوعي عن القصدية فصلا تاما ويجعل منهما مفهومين منفصلين "ويجوز تسمية هذه النظريّة باسم "افتراض الاستقلال" وتلخص مبادئها في:

(1) اعتبار حالة عقلية معينة قصدية ليست بالضرورة واعية.

1- سيرل (جون): القصدية ، ص 23 .

(2) اعتبار حالة عقلية معينة واعية ليست بالضرورة قصدية<sup>1</sup>

أما الاتجاه الثاني فيؤكد وجود علاقة ما بين الوعي والقصدية غير أنه لا يقول بتطابقهما فالوعي ليس قصداً والقصد ليس وعياً، ويعتقد كثير من الفلاسفة المعاصرين أن الوعي يعتمد بشكل من الأشكال على القصدية، غير أن في هذا الربط بين المفهومين من المبالغة في دعوى تداعي الوعي على القصدية جملة، ما يجعله مرفوضاً من عدد من الفلاسفة ويعد "سيرل" أبرزهم ويؤسس رأيه قائلاً: "يقال عادة دفاعاً عن المطابقة بين الوعي والقصدية والتوحيد بينهما أن الوعي دائماً يكون وعياً بموضوع معين ومادام هناك وعي فإن المرء يكون وعياً بموضوع معين، من الواضح أن هذا التفسير للوعي يغفل تفرقة حاسمة بين الوعي والقصدية، ويكفي أن أوضح الآن أن فئة الحالات الواعية وفئة الحالات العقلية القصدية قد تتداخلان ولكنهما لا تتطابقان إذ لا يكون لهما وقت استخدامي للمصطلحين معنى واحد ولا تضم إحداهما الفئة الأخرى"<sup>2</sup>. فنسب قصدية - ولو في أشكالها البدائية - للنباتات أو بعض الكائنات الحية الأخرى، لا تعني نسب الوعي لها، فبالإجماع تعدّ صفات الوعي والإدراك سمات خاصة بالإنسان فقط يتميز بها عن غيره من الكائنات، تجعلنا نميّز بين وجود الحالات القصدية من جهة والوعي من جهة أخرى، كخصيشتين للعقل، كما يمكن بناء حالات للوعي على خلفية بناء حالات قصدية حول موضوع ما، ويمكن للإنسان بناء حالات قصدية على الوعي، خاصة في أشكالها المعقدة والمتعلقة بالقضايا المركبة التي تستدعي عمليات تفكير واعية؛ إذن "سيرل" ومن وافقوه الرأي على صواب، في تمييز القصدية والوعي مع وجود علاقة قائمة بينهما تجعلهما يتداخلان دون تطابق.

### ج - بين القصدية والمفهوم والماصدق والمعقول:

قد يجد غير المتخصص في فلسفة العقل كل الصعوبات في تحديد لطائف التفريق بين القصدية والمفهوم والماصدق والمعقول غير أننا يمكننا أن نبسط ذلك بالقول أن المفهوم (Intension) هو جملة الصفات التي تكفي لتعريف لفظ ما أو تحديد معنى كلي. والماصدق (Extension) هو مجموعة الأفراد أو الأشياء التي تدخل تحت ما هو كلي ومن ثم فإن ماصدق الحد أو المحمول هو فئة الأشياء التي ينطبق عليها الحد أو المحمول<sup>3</sup> أما

1- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 169 .

2- سيرل: القصدية، ص 22-23 .

3- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 153-154.

المعقول فصورة الشيء (الموضوع) المائل أمام العقل فيه، ويعمل العقل على تكوين تصور ما حوله، سواء كان التصور عبر المفهوم أو عبر المصدق، والمعقول مصطلح استعمله "الفارابي" مرادفاً للفظ القصدية ومفهومها وبأنواعها مباشرة أو غير مباشرة كانت أو أصلية أو غير أصلية.

وفي الوقت الذي يكون فيه المفهوم أقرب في التصور إلى المعنى، يكون المصدق قريباً إلى الشيء المقصود (المعقول)، أما عن إيضاح علاقتهما بالقصدية؛ فيتطلب شيئاً من الشرح والتحليل وطرح الأمثلة على ذلك وسيأتي في قابل هذا البحث، يقول "سيرل": "إن كل الكيانات القصدية مثل القضايا والحالات العقلية تعد حالات قصدية تتعلق بالمفاهيم والأقوال والواقع أن ذلك يعتبر تفسيراً خاطئاً تماماً مستمداً من الخلط بين صفات التقارير وصفات الأشياء التي نتحدث عنها هذه التقارير"<sup>1</sup>، وبالمثال يفهم المقال أنظر للعبارة التالية:

- يعتقد أحمد أن العنقاء مخيفة .

ثم هب أن القائل يقصد بـ"العنقاء" سيدة صارمة تدير المؤسسة التي يعمل بها أحمد فهل تنطبق على العبارة صفة المفهوم أم المصدق؟ ثم هب أن العنقاء يقصد بها ذلك الكائن الخرافي المفرع المذكور في حكايات "ألف ليلة و ليلة" فهل للعنقاء في عقل القائل مفهوم أم مصدق وفي الحالتين لاحظ أثر الفعل القصد في تحديد صفة حالة القول وحالة الشيء الذي يعبر عنه القول، فالقصد في العبارة تابع لصورة القصدية المرتبط بها والتي نتجت عن عملية تصور معينة تتباين حسب تكونها بناءً عن مفهوم أم عن مصدق، فأعمل عقلك في هذه الفكرة حتى يأتي في قابل البحث بسط لها بشيء من التوضيح.

#### د - بين القصد والمعنى والتفسير والتأويل :

درج العرب خاصة على استعمال لفظ "القصد" متداخلاً المدلول مع المعنى فتراوح بين المراد الفسر والمأل "عناه): الأمر يعنيه... أهمه واعتني به اهتم، و عن الأمر نزل ،...، وبالقول كذا أراد

ومعنى الكلام ومعنية ومعناته ومعنيته واحد<sup>1</sup>.. هذا النظر العام للمعنى عند العرب، وطرق الوصول إليه تتأتى عندهم تبعا لما يتحملة الخطاب من الناحية اللغوية ، فإذا أردنا النزوع إلى استعماله بشكل أكثر تخصصا في محاولة جادة للتحديد نجد تعريفه في المعجم البلاغي يساوى فيه المعنى بالتفسير والتأويل فالبلاغيون يعرفونه: "معنى كل شيء محنته و حاله التي يصير إليها أمره. والمعنى والتفسير والفسر والمآل والتأويل واحد وعنيت بالقول كذا: أردت والمعنى كل كلام ومعناته مقصده"<sup>2</sup> وتعود هذه المقابلة بين هذه المصطلحات والقصد إلى تداخل الهدف في كل منها، فالشخص في كل من هذه الأفعال إنما يرمي إلى معرفة معنى الخطاب أي ما يظهر منه أو يصل إليه أو يفصله فهو بذلك يصبو في الحقيقة إلى قصد المخاطب وما يتجه إلى إبلاغه وقد عدّ "أمير عبد العزيز" ستة فروق بين التفسير والتأويل وأهداف معرفة القارئ لكتاب الله الكريم في كل منهما<sup>3</sup>، أما خلاصة هذه الفروق أن التفسير منوط بظاهر اللفظ والرواية أما التأويل فبالاستنباط والاجتهاد، ذكر صاحب "الصاحبي" في باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء أن مرجعها إلى ثلاثة هي المعنى والتفسير والتأويل، "وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة، فأما المعنى فهو القصد والمراد، يقال: "عنيت بالكلام كذا" أي قصدت و عمّدت"<sup>4</sup> فالمعنى حسبه هو القصد والإرادة، ويشترك معه في التعبير عن الأشياء عن طريق أفعال أخرى هي التفسير والتأويل، "أما التفسير فإنه التفسير كذا قال ابن عباس في قوله جل ثناؤه"و أحسن تفسيراً" أي تفصيلا... عن "الخليل" قال: "الفسر البيان واشتقاقه من فسّر الطبيب للماء إذا نظر إليه، ويقال لذلك التفسر أيضا وأما التأويل فأخر الأمر وعاقبته، يقال "إلي أي شيء مآل هذا الأمر" أي مصيره وآخره وعقباه."<sup>5</sup> فتستعمل العرب كلمات المعنى والتفسير والتأويل بقصدية القصد.

1 - الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت، (معناه)، ج4، ص369-370.

2 - مطلوب (أحمد): معجم المصطلحات البلاغية و تطورها - عربي - عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص 631.

3 - أمير (عبد العزيز) : دراسات في علوم القرآن ، دارالشهاب، باتنة، الجزائر، ط 2، 1988 م، ص 142 - 143.

4 - ابن فارس بن زكريا الرازي (أحمد أبو الحسين) :الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها و سنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطّباع، مكتبة المعارف، لبنان ، ط 1، 1993 م، ص 198.

5- المصدر نفسه: ص 199.

تجدر الإشارة إلى أن التوسع والتجوز في استعمال هذه الألفاظ لا المصطلحات مترادفة، لا تقتصر على الدراسات العربية خاصة وإن كانت فيها أظهر -بحكم احتكاكنا بها، واحتشام محاولات الترجمة للمصطلحات التخصصية عندنا- وإنما نجدها عند الغربيين كذلك، وجون لاينز [ Iyanze (1932 م - ... ) ] ممن يعترفون بوجود مثل هذه التجوزات في استعمال لفظة "معنى" مثلاً، فيقول: "ومن الجدير بالذكر أن هذه المعاني أو الاستخدامات لا يمكن دائماً وضعها في تطابق تام مع معاني أو استخدامات تعابير مشابهة من نوع آخر في لغات أوروبية مألوفة كاللغة الفرنسية أو اللغة الألمانية أو اللغة الإيطالية أو اللغة الروسية أو اللغة الإسبانية. إن هذه حقيقة بحد ذاتها جديرة بالتأمل، على أن ما يهمني في الوقت الحاضر هو توضيح نقطة بسيطة، وهي أننا لا يمكننا أن نستدل على وجود المعاني بصفاتها وحدات مادية أو عقلية من وجود الكلمة الإنكليزية اليومية **meaning** "معنى" ودلالة معناها"<sup>1</sup> فيجزم بالتوسع في استعمال اللغة الواحدة في المستوى الأول ثم في حال الانتقال من لغة إلى أخرى في نقل المصطلحات وقصودها وأن الوقوف على كنه المصطلحات يتجاوز بكثير مستوى الشرح اللغوي للألفاظ ليستدعي شيئاً من التدقيق المتخصص.

#### هـ - بين القصدية والنية والإرادة والعزم:

بقي أن يُعرف اللطيفة بين القصدية والنية والإرادة والعزم مفهوماً واستعمالاً ، ففي الوقت الذي تحد فيه القصدية أنها التوجه نحو شيء ما . تتفرد النية بأن هذا التوجه يصرف إلى إمالة الفعل إلى بعض ما يقبله يقول "القرافي": "وأما النية فهي إرادة تتعلق بإمالة الفعل إلى بعض ما يقبله، لا بنفس الفعل من حيث هو، ففرق بين قصدنا لفعل الصلاة، وبين قصدنا لكون ذلك الفعل قريبة أو فرضاً أو نفلاً أو آداءً أو قضاءً إلى غير ذلك مما هو جائز على الفعل... وهذا الاعتبار هو تمييز الفعل عن بعض رتبته." <sup>2</sup> فالنية ؛ حالة للعقل يضيفي فيها على إرادة الفعل عامة صبغة مخصوصة ينتقل بها الفعل من تصنيف ما أو حكم إلى تصنيف آخر أو حكم، دون اعتبار لاتجاه قيمة الفعل نحو الإيجاب كانت أم نحو السلب، ومما سبق معرفة أن القصدية قد يتعدد فيها القصد بين قصد مشروع وقصد هدف، كما أنه

1- لاينز (جون) : اللغة والمعنى والسياق ، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوييل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1982م، ص33 - 34.

2- القرافي (أحمد بن إدريس) : الأمنية في إدراك النية، دار سحنون، تونس، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط 1، 2010 م، ص 333.

يمكن تعدد اتجاه العقل إلى الشيء نفسه، لذا ففي النية انصرف العقل إلى إمالة الفعل إلى جهة من جهاته الجائزة عليه، فالنية تخصيص للحالة القصدية في مرحلة من مراحلها.

أما تداخل استعمال لفظ القصدية والإرادة فأكثر من تداخل القصدية والنية، يظهر ذلك في بناء الفقهاء لكثير من المسائل الفقهية والأحكام فيها على قاعدة الإرادة من مقصود كلام المتلفظ، كمسائل البيوع، والوصايا، والهبات<sup>1</sup> وعلى هذا فهناك من يرى ضرورة حصول قصد المرسل في الخطاب بمفهوم الإرادة لبنني عليه الإقهام والفهم<sup>2</sup>، فالمكروه مثلا في الفكر الإسلامي لا يفهم من خطابه ما يفهم من خطاب الحر، لأن هذا الأخير يملك إرادة لا يملكها الأول، وهذه الإرادة تعد محددة للقصدية في الحالات كلها، لذا عدت القصدية والإرادة مرادفين في الإستعمال توسعا في اللغة لا حقيقة القصد.

أما العزم ففيه منطلق من أفعال النفس، كالرغبة والرجاء وهذه أفعال للنفس قبل العقل، هذا رأي الفقهاء العرب، يتفق هذا الرأي عندهم مع رأي فلاسفة اللغة في عدم وجود اتجاه مطابقة لأفعال الشعور في حين يكون لأفعال الرغبة اتجاه مطابقة من العالم إلى العقل وهذا منطلق الإصرار الذي يولده العزم، يقول "القرافي": "أما العزم؛ فهو إرادة الكائنة على وفق الداعية، والداعية ميل يحصل في النفس لما شعرت به، من اشتمال المراد على مصلحة خالصة أو راجحة أو درء مفسدة خالصة أو راجحة"<sup>2</sup> بذلك يرمي إلى أن يصبح العالم على هوى عزمه أو يصبح العزم أيضا درجة في درجات القصدية إلى جانب القصد والإرادة والنية، ثم إذا رتبناها حسب بدء حدوثها نجد أسبقية للعزم فالإرادة، فالنية، فالقصد، وتبنى بذلك قصدية الفعل عند الفرد.

### خلاصة القول:

إن اللّمسات الحدودية بين القصدية والنية والإرادة والعزم والمفهوم والماصدق، أن لكل منها حدود تداخل أو احتواء داخل القصدية كفعل أولي للعقل، في حين أن مصطلحات الغرض والمعنى تعد من ألق المصطلحات بمصطلح القصدية، ويربط الغرض في العملية التواصلية (القصدية الخطابية)

1 - الشهري (محمد بن ظافر): استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص 192.

2 - القرافي (أحمد بن إدريس): الأمنية في إدراك النية، ص 332.

بالمخاطب (الباث، المتكلم، الملتقي) والمعنى بالمخاطب (المتلقي، السامع، القارئ)، وإنما جاء تلازم مصطلح القصدية والغرض خاصة في التراث اللغوي العربي الإسلامي؛ لعل مرد ذلك إلى كون الدراسات اللغوية العربية ترعرعت وازدهرت في كنف القرآن الكريم وجو محاولة البحث الدائم لتفسيره وتأويله رمياً إلى الوقوف على الغرض من كل آية، ثم النص العام، وتلازم هذه المصطلحات استمراراً إلى الدرس التداولي الحديث، إذ حدث خلط بينها غير أن تمييز "سيرل" في الفكر الفلسفي الغربي بين القوة الإنجازية<sup>1</sup> والغرض والمعنى سهّل على الباحثين تحديد علاقتها بالقصدية فيعدّ القوة الإنجازية جزءاً من البنية الدلالية للمنطوق؛ يمكن للمنطوق الواحد أن يمتلك قوى إنجازية مختلفة في ملاسبات استعمال مختلفة، القوة الإنجازية إذاً "هي الشدة أو الضعف اللذان يمكن أن يعرض بأحدهما غرض إنجازي واحد، في سياق بعينه من سياقات استعمال المنطوق"<sup>2</sup> وبغض النظر عن ارتباط القوة الإنجازية بقصد المخاطب أم بقصد المخاطب ترتبط القوة الإنجازية بالقصد لذلك تتغير القوة الإنجازية لمنطوق ما بتغير القصد المرتبط بها، فيظهر القصد عبرها مؤدياً الغرض منها.

القوة الإنجازية لمنطوق ما جزء من الأجزاء المكملّة للمعنى، وهي متغيرة نسبية يتضح بها القصد المستقر لدى مستعمل اللغة مخاطباً كان أم مخاطباً إلا أن المعنى يرتبط بالمخاطب أكثر فالمعنى هو ماظهر من القصد عبر ردة فعل أو تعبير عن الفهم (حال المخاطب المبصرة في الواقعة الخطابية). لذلك عمل "سيرل" على اعتبار قصد المتلقي لأنه له مؤشرات على المعنى الذي وقف عليه فيبين للملاحظ القصد الواصل إليه من خطاب ما.

1 - القوة الإنجازية للخطابات: مؤشر على خصائص الخطاب، وهو مصطلح تقني في اللسانيات الوظيفية، كما يوثق وجوده في الفكر العربي كمفهوم لا كمصطلح، سيأتي بسط لها ولمفاهيمها وعلاقة القصدية بجديدها وتعديدها في الفصل الثالث من هذه الدراسة.

2 - العبد (محمد): النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط 1، 2005م، ص207.

### III. القصدية في الفكر الإسلامي:

يَعُدُّ الدارسون العصر الحديث، العصر الذهبي للدراسات اللسانية في العالم والعالم الغربي منه خاصة في كل من أوروبا و أمريكا، ولا جرم أن يطعم فكر هذا العصر الذهبي، بما ورثت الإنسانية عن العصر الذهبي للدراسات اللغوية عند العرب والمسلمين، فالناظر في المورث العربي والإسلامي يجد من بواذر الفكر و إضاءاته ما يلقح ما وصل إليه الدرس اللساني الحديث، بل يجعلنا نقف على إجادة وسبق حق أن يلتفت إليه وينوه به، ذلك أن قيمته فيه لكل حاذق، فهو لا يحتاج للثمين أو الإكبار أو التمجيد بقدر ما يحتاج الدارسون منه إلى العلم والتوجيه والإفادة، وحسن الصلة وصحة اتباع المسيرة النيرة لتطوير الدرس اللغوي العربي الحديث؛ خدمة لمجتمعاتهم أفراداً ومؤسسات.

ونحن نرمي إلى هذه الأخيرة، يتوجه فكرنا إلى أصالة الدرس البلاغي، القائم أساساً على اتباع عادة العرب على تأليف كلامهم وفق مقاصدهم، ثم يتسع الأفق فلا تكاد تأخذ بيدك مصنفاً من مصنفات القدماء، مهما كان تصنيفنا له إلا ووجدت ما تستفيد منه فيه؛ خاصة في مجال كدراسة اللغة في حال استعمالها ومعرفة حال العرب مع لغتهم وتعبيرهم على قصودهم بها وفنونهم في الإعراب عنها، و"لقد كان هناك جدل بين المسلمين: هل الفلسفة (الإغريقية) تستحق الجهد الذي ينفق في دراستها؟ ولكن هذا النقد لم يوجه إلى أولئك الذين ندرروا حياتهم لدراسة اللغة وفروعها المختلفة ومن بين المهتمين باللغة والتخاطب منح الأصوليون مكانه خاصة جداً، حتى أن بعضهم ذهب إلى القول بأن العناية بعناصر خارجية من نحو المخاطب والمخاطب، والقرينة في مجال الحمل<sup>1</sup>، يجعل من الأصوليين "نحاة وزيادة"<sup>2</sup> فالنحاة وعلماء الفقه دأبوا دوماً على إيلاء عناصر خارجة عن اللغة الأهمية في فهم أحوال العرب في بيان مقاصد خطاباتها.

إن هذا شأن لم ينفرد به علماء أصول الفقه خاصة، خاصة أن العلماء العرب في ذلك العصر من الصعب تصنيفهم في فئة دون أخرى فقد ثبت أن الواحد منهم كان يجمع علماً جماً مما تقضل الله به عليه؛ فيكون الواحد منهم عالم لغة وشاعراً وناقداً فضلاً على كونه فقيهاً وعالم بالحديث وغريبه والقرآن وتفسيره وقاضياً وفيلسوفاً، أليس ابن سينا (370هـ - 428هـ) شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء جمع

1 - حمل النص المقدس على وجه دون وجه، أي على قصد دون قصد آخر، مع احتمال النص للقصدتين.

2 - يونس (محمد محمد علي): علم التخاطب الإسلامي - دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م، ص 31.

إلى ما سبق ذكره عديد العلوم التطبيقية من طب ورياضيات وفلك وغيرها. ثم إن براعة علماء الإسلام في دراسة اللّغة في مجالها الاستعمالي، صاحب علوم الفقه بالدرجة الأولى، تبعا لمبدأ "الأعمال بالنيّات" و"مبدأ الصدق في قصد الفعل" وقد انبنى على هذين المبدأين قطاعات فقهية كثيرة في المجتمع الإسلامي تحدد معاملاتهم و تنظم حياتهم، ومنها:

✽ الثواب و الجزاء من الله تعالى.

✽ العلاقات الاجتماعية ( قيام الأسرة المسلمة ).

✽ البيوع و المعاملات التجارية.

✽ الهبة و الهدية و الوصية.

فضلا أنّه لقصدية الفرد أثر أساسي - في الفكر الإسلامي - في حياته وتعاملاته ويبني عليها معاملات وأحكام شرعية لها أهميتها في حياته، فالقصد يؤثر "في الحكم على الفعل نفسه، فتصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها، لا تابعة لشكلها الظاهري فقط، وذلك مثل بعض الأفعال المتعلقة بالصدق، فعندما ينوي المتزوج أن يدفع الصداق إلى المرأة فإنه يأخذ بذلك حكم الزوج، أما عند ورود النية بعدم الوفاء، فإنه يتصف بحكم آخر، وكذلك من استدان ديناً ولم ينوي الوفاء به، فإنه يعتبر سارقاً وما يمارسه الناس في عمل بعض العقود التي ظاهرها البيع وباطنها الربا إلا حيلة ظاهرية لا تشفع لهم لأن "الأعمال بالنيّات"<sup>1</sup> لمثل هذا كان لزاماً على الفقيه العالم المتصدر للبحث في القضايا الفقهية بين الناس من منازعات وخصومات وإقرار حقوق وفروض؛ البراعة في معرفة أحوالهم في ذلك من جهة وحكم الشرع فيها من جهة أخرى، ولا جرم أن الكثير من هذه الأفعال كانت اللّغة حاملها الأول، فلأعمال اللّغوية دور رائد في مختلف المعاملات، ذلك أن أي تعامل يتم بشكل أسهل وأفضل عبر التواصل الخطابي والأفعال الخطابية. كما أن العرب تتفاوت في استخدام اللّغة في خطاباتها بين ما وضع له اللفظ في الأصل وبين اتساعهم واستعمالاتهم المختلفة، لهذا نجزم أنّه لا محال قد ساعد علماء اللّغة الفقهاء وعلماء الأصول وغيرهم في معرفة أحوال الناس في حال التفاعلات الخطابية في لغتهم العادية، فنجد الدارسين الذين اهتموا بالتصدية الخطابية وأشكالها حسب مراميهم من دراستهم وعلى تعدد مناهجهم أولوا أهمية كبيرة للقصد في رسم

1- الشهري (محمد ظافر): استراتيجيات الخطاب، ص 189.

معالم الأفعال عامة والأفعال الخطابية بشكل خاص ولعله من الواضح: أهمية مبدأ القصدية عند علماء اللغة والنحاة من جهة كذا عند الفلاسفة المسلمين من جهة أخرى. ويحوي المطلب الموالي رأي اللغويين المسلمين في القصدية ودورها في مختلف الآداءات الخطابية، وتأثيرها في اختلاف الإنجازات الخطابية وطرق تلقيها، من قبل المخاطبين.

### III. 1. القصدية في الفكر اللغوي الإسلامي:

إن محاولة الوقوف على التبصيرات الجليلة من مصنفات العلماء العرب القدماء تترك الباصر يفخر بعملهم ثم يخاف من تقصيره، وأحسب أن إرساء مبدأ القصدية وإعطائه الأولوية جاء منذ الدراسات الأولى للعرب، فـ"سيبويه" ورغم وصف دراسته بأنها دراسة بنيوية معيارية إلا أن هذا الحكم عليه أغفل الكثير من جوانب دراسته ومنها إيلاءه الاعتبار الجانب الذهني في العملية الخطابية فوعي "سيبويه" بأهمية الجانب الذهني جاء في أكثر من مسألة وباب تطرق له، يقول "سيبويه": "وتقول: فَمُ يَدْعُوكَ؛ لأنك لم ترد أن تجعل دعاءً بعد قيامه و يكون القيام سببا له، و لكنك أردت : قم إنّه يدعوك، وإن أردت ذلك المعنى جزمت"<sup>1</sup> إذ يشرح أن المتكلم (المخاطب) إنما قصد أن ينبّه المخاطب أن غيره يدعوه وبناء على تلك الدعوة حري به القيام للتقدم اتجاه المنادي، أي "سيبويه" يحلل ما يقصد المخاطب إيصاله من لغة ذهنية مستقرة.

ثم نقف في غير ما مرّة على استثمار "سيبويه" لمساعدات الخطاب وملابسات العملية التواصلية في تحليله للاستعمالات للخطابية للغة لبيان قصود المتكلمين وفهم المتلقي لها، من كلامه في الإضمار مثلا: "إنما صار الإضمار معرفة لأنه إنما تُضْمِرُ اسما بعدما تعلم أن مَنْ يُحَدِّثُ قد عَرَفَ من تعني و ما تعني، و إنك تريد شيئا يَعْلَمُهُ"<sup>2</sup> فيعزو "سيبويه" إضمار العرب لبعض أجزاء خطاباتها إلى معرفة سابقة مشتركة (حالات قصدية مكوّنة ومشتركة) بين أطراف العملية الخطابية وكذا وقوف كل من المخاطب والمخاطب على قصد الآخر فيها واستقرار هذا الاعتقاد عند كل منهما فهما يتبادلان القصد ويتبادلان علاوة عليه الاعتقاد بعلم القصد ذاك لهذا حصل الإضمار، فـ"سيبويه" درس الخطاب

1 - سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان ابن قنبر) (ت 180): الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي

للتباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، 1988م، ج 3، ص 98.

2 - المصدر نفسه: ج 2، ص 6.

وحلّه كما درس اللّغة وحللها ذلك أنّه ربط اللّغة حال استعمالها بملايسات استعمالها وكذا بمستخدميها وحالتهم الذهنية وبنى تحليلاته على قصديتهم.

ولما كانت قصدية المتخاطبين تبعا لحالتهم الذهنية ومختلف العمليات العقلية لهم، نلمس وعي "سيبويه" بإخضاع مختلف التراكيب اللّغوية للعمليات المنطقية للتفكير فعند "سيبويه" الكلام على خمسة أضرب "فمن مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب؛ فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غداً وأما المحال فإن تنقض أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غداً، وسأتيك أمس وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه وأما المستقيم القبيح فإن تضع اللفظ في غير موضعه؛ نحو قولك: قد زيداً رأيتُ وكبي زيدٌ يأتيتك وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فإن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس<sup>1</sup>، إن "سيبويه" إنّما قسم كلام العرب بين مستقيم ومحال وكذب وقبيح، جاعلا المعيار الأساسي بينها إنّما يكمن في موافقة مايقوله المنشئ لما يضمه في ذهنه من صور حول المعقولات في الحقيقة فإذا ناقض كلامه منطق التفكير الإنساني عامة خرج إلى القبح ثم المحال ثم المحال الكذب حسب درجة مخالفته تلك كضرب بعض أجزاء الكلم للبعض منطقياً، أو استحالة وقوعها أو وجودها منطقياً أصلاً كما في الأمثلة التي ضربها على الترتيب: أتيتك غداً، أشرب ماء البحر أمس؛ ففي أتيتك غداً، جاء بالفعل واقعا في الزمن الماضي والظرف يدل على المستقبل فلا يستوي حدوث فعل ماض في زمن مستقبل، أما في قولهم أشرب ماء البحر أمس؛ فضلاً على استحالة جمع الفعل في المستقبل والظروف في الماضي (أمس) نجد القائل يضيف كذباً منطقياً محتواه إمكانية شرب ماء البحر.

ويشترط احترام هذه الحقائق المنطقية في الكلام العادي، غير أن علماء اللّغة يقرون بأن العرب في حال تأليفهم لكلامهم يتجاوزون فيه وقد يستعملون للتعبير عن معان ما ألفاظاً لم توضع لذلك في الأصل أورد "ابن جني" في باب إيراد المعنى المراد بغير اللفظ المعتاد: أن العرب اعتادت في استعمالها اللّغوية تقديم المعنى المراد وبيان القصدية من القول فهم أهل البيان قبل التبيين فقال: "اعلم أن هذا موضوع استعملته العرب واتبعها فيه العلماء، والسبب في هذا الاتساع أن المعنى المراد مفاد من الموضوعين جميعاً، فلما آذنا به وأدبنا إليه سامحوا أنفسهم في العبارة عنه، إذ المعاني عندهم أشرف من الألفاظ... فمن ذلك ما حكاه "أبو الحسن": أنه سأل أعرابياً عن تحقير الحبارى فقال حُبُرورُ، هذا

1 - سيبويه: المصدر السابق: ج 1، ص 25 - 26.

جواب من قصد الغرض ولم يحفل باللفظ، إذ لم يفهم غرض "أبي الحسن" فجاء بالحبرور لأنه فرخ الحباري"<sup>1</sup>، فالأعرابي قصد الإتيان باسم صغير الحبارى (نوع من الطيور) ولم يقصد المجيئ بتصغير اسم "حبارى" لأنه أجاب "حبرور".

ويقر "ابن جني" دور شاهد الحال -المساعدات التداولية- على تغليب غير المعتاد من القصد، من استعمال لفظ ما؛ وإيراد قصد مخفي في الكلام يفهم من حال المتلفظ ومقامه، وإن كان اللفظ غير معتاد أو عاما أو مبهما ومن ذلك قوله "وقد حذفنا الصفة ودلت عليها الحال...وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملت، وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فنقول: "كان والله رجلا" فتزيد في قوة اللفظ (بالله) هذه الكلمة، ولتتمكّن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها (وعليها) أي رجلا فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أونحو ذلك، وكذلك نقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكّن الصوت بإنسان وتقمّمه، فتستغني بذلك عن وصفه"<sup>2</sup>، وإتّما يقرّ ذلك بإيلائه أهمية كبرى للمساعدات والمساندات الخطابية، كالإشارات والإيماءات وتعابير الوجه فحال المادح تختلف عن حال الذام وإن استخدمنا الخطاب نفسه.

فقصدية قول القائل: "إنّه كريم" مع مدّ حرف الراء وتشديد الميم حال مصاحبتهاببتسامه مصطنعة لا شك تختلف عن قصدية من قالها محققا لمؤداها، مكبرا المقصود بها، فحال القائل تعين على إيصال ما لا يقوله، فيحمل (شاهد الحال) الخطاب قصودا أخرى، فالمضمرات من القصد يعين على إيضاها وبيانها حال المتكلم إلى جانب مقاله حسب "ابن جني" فقصد المتكلم دائما موجود في ذهن المتكلم؛ وهو يظهره صراحة في التلفظ أو يومؤ إليه بحاله، "ولو كنت إتّما تستفيد الفاعل من لفظ ضرب لا معناه للزمك إذا قلت: قام أن تختلف دلالتها على الفاعل لاختلاف لفظيهما، كما اختلفت دلالتها على الحدث لاختلاف لفظيهما، وليس الأمر في هذا كذلك، بل دلالة ضرب على الفاعل كدلالة قام، وقعد، وأكل وشرب وانطلق، واستخرج عليه، لا فرق بين جميع ذلك،"<sup>3</sup> فالعبرة في الدلالة على الفاعل في صيغة أي فعل إتّما هي في قصد المتكلم لفاعل معين يتوجه نحوه كان أو على الاطلاق غير أنّه هو من قام بالفعل؛ فهو فاعل، ولا تختلف ألفاظ الأفعال في الدلالة على الفاعل لأتّما مقصود إتّما باختلافها

1 - ابن جني (أبو الفتح عثمان) (ت 392 هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر ، دط، دت، ج 2، ص 466 .

2 - المصدر نفسه: ج 2، ص 170.

3 - المصدر نفسه: ج 3، ص 99.

بين (ضرب/أكل/ شرب...) في الدلالة على فعل ما يختلف عن فعل آخر يمكن للفاعل القيام به، باختلاف القصد لفاعل معين ليس مرتبطاً باختلاف لفظ الفعل المتعلق به بل باختلاف قصد المتكلم في الإشارة إليه، وهو يدخل في مفهوم حدود الإحالة في الدرس التداولي الحديث .

كما يطرح فكرة زيادة اللفظ لإثبات قصد إضافي أو قصد مخصوص زيادة على القصد الأول للتركيب الخطابي قائلاً بأن **"الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية، أي أن اللام في قول أبي الحسن ملفوظ بها. وفي قول "الخليل" مرادةً مقدرةً، واعلم أن هذا القول من "أبي علي" غير مرضي عندي؛ لما أذكره لك: وذلك أنه جعل لفظ اللام دلالة على زيادتها، وهذا محال، وكيف يكون لفظ شيء دلالة على زيادته، وإنما جعلت الألفاظ أدلة على إثبات معانيها لا على سلبها، وإنما الذي يدل على زيادة اللام هو كونه مبهماً لا مخصوصاً"<sup>1</sup> فالرأي عند "ابن جني" في مسألة خلافية كهذه أنما رد فيه الحكم على زيادة اللفظ أو ضرورة حضوره إنما هو **قصدية المتكلم** فإذا قصد التعيين أو التخصيص ثبتت دلالة اللفظ على القصدية المرادة وإلا كان اللفظ زائداً لغياب القصد الإضافي أو القصد الخاص منه، فوظيفة اللفظ إذاً تابعة لتحميل اللفظ قصداً فإذا زاد القصد زاد بالذكر وأصبح للبنية دور في تحديد قصد المتكلم وعلاقة البنية بالوظيفة مبدأ حاضر في الدرس التداولي الحديث يداوم **"المتوكل"** على الإقرار به<sup>2</sup>، بل يقر له دوراً في تقوية فحوى الخطاب.**

ثم إن العرب حسب **"ابن جني"** عطفوا على ما سبق تربط الألفاظ بمنشئها قاصداً لها، فيقول: **"اعلم أن العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له"**<sup>3</sup> فتعمل على إثباته (القصدية) وتحديدها بالإحتياط لهت أن لا يتسرب منها فيتماهى ومن آليات ذلك عنده على سبيل التمثيل أسلوب التوكيد بضربيه، تكرار الأول أو تكراره بمعناه سواء كان ذلك للإحاطة والعموم أم للتثبيت والتمكين، فالقائل يتكفل بتأليف اللغة ليصوغ خطابات يتعامل بها.

1- ابن جني: المصدر السابق، ج3، ص 99 - 100.

2- المتوكل (أحمد): الخطاب وخصائص اللغة العربية، دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، المغرب، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010م، ص156.

- المتوكل (أحمد): اللسانيات الوظيفية المقارنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، ط1، 2012م. ص25.

3- ابن جني: الخصائص، ج3، ص100.

وإنما جاء مصنف "ابن جني" هذا وغيره من مصنفات علماء اللغة العربية على أساس تتبع عادات العرب وأحوالهم في التعبير على قصودهم عن طريق إنجاز خطابات مادتها تؤلف وجوهرها قصد المتخاطبين، فلو فتحت "الخصائص" على أي باب شئت لوجدت فيه ما يفتح أمامك مسائل لوقوف العرب على مقاصد كلامهم وعنايتهم بها على الوجه الأكمل، بل إن "ابن جني" أسف لما فات علماء اللغة؛ ساعة جمعها، من أحوال العرب في تأليفها تأدية لقصودهم في مقاماتهم التخاطبية، إذ يقول: "فليت شعري إذا شاهد "أبو عمرو" و"ابن أبي إسحاق" و"يونس" و"عيسى بن عمر" و"الخليل" و"سيبويه" و"أبو الحسن" و"أبو زيد" و"خلف الأحمر" و"الأصمعي" ومن في الطبقة والوقت من علماء البلدين؛ وجوه العرب فيما تتعاطاه من كلامهم، وتقصد له من أغراضها، ألا تستفيد بتلك المشاهدة وذلك الحضور ما لا تؤديه الحكايات ولا تضبطه الروايات، فتضطر إلى قصود العرب، وغوامض ما في أنفسها، حتى لو حلف منهم حالف على غرض دلته عليه إشارة، لا عبارة، لكان عند نفسه وعند جميع من يحضر حاله صادقا فيه، غير متهم الرأي والنخيرة والعقل"1.

وليت شعري، ونحن دارسون في الدرس اللساني الحديث أن التداولية كدرس تعاد؛ جذورها لفلسفة يونانية قديمة توصف بالنفعية وتنتكر لوجود وعي عظيم بمبدأ وجودها - دراسة اللغة في موقف الاستعمال حال المشاهدة - عند العلماء المسلمين، وأسف عظيم لصعوبة تطبيقها في عصر عجز بعلماء أجلاء أجادوا على ضعف إمكاناتهم وتقطع الأسباب بهم إلى الاكتفاء بالرواية إلى حد ما، عند العلماء العرب، ومع ذلك وصلنا من العلم جمٌّ فهل أن للدارسين حديثا إثلاج صدر "ابن جني" في بلوغ ذلك المقام من علوم اللغة العربية حال دراستها مرتبطة بالموقعة المنشأة فيها، نسال الله أن يسدد قصدنا ويعيننا لبلوغ بعض ذلك، وعلى الله قصد السبيل.

أما تتبعنا لوعي علماء البلاغة العربية في أهمية القصدية لمعرفة أحوال العرب في خطاباتهم وتعاملهم مع لغتهم وبها، فذلك المحيط الذي قد ينجي من الغرق فيه وجود تيارات محركة وهادية إلى الطرق فيه وإلى جزر النجاة، ولا يختلف اثنان على أصالة صاحب "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" في ذلك2، لن يتسع المقام إلى سرد ملحه ونكته وعميق تحليلاته لمقولات العرب، بل المقام فقط إلماح لها هنا.

1- ابن جني: المصدر السابق، ج1، ص248.

2 - إن اختيارنا للجرجاني لايعني بأي شكل من الاشكال إغفال أو اهمال أعمال غيره من العلماء القدماء العرب بل إن مقام هذا البحث هو الذي قد يضيق ببيانها لذا نلقت نظر الدارسين إلى وجودها - كما لفت نظرنا نحن إليها ممن يتوجب شكرهم من الأساتذة - كأراء الجاحظ وأبي حزم القرطاجني وغيرهم.

أفرد الجرجاني (ت 474هـ) مصنفه "دلائل الإعجاز" للحديث على أصالة عمق التعابير البلاغية في تقوية اللفظ بتحميله المعنى ومعنى المعنى، موضحا القصد وقصد القصد في كلام العرب عامة و في ذرة البيان العربي "القران الكريم" خاصة، يعلّق "نايل حسام" على تحليلات "الجرجاني" بحثاً عن مقصود المقولات قائلاً "ويعلق الشيخ "عبد القاهر" بخصوص: "كأن زيد أسداً" قائلاً وذلك أنّك تجعله في "كأن" يتوهم أنه الأسد، ولنلاحظ أن كلامه عندما يشرح الاستعارة أو التمثيل لا يستغني في شرحه عن مفردة "كأن" إطلاقاً، وهذا شديد الدلالة على أن "كأن" هو الأساس في مخيلة بدرجاتها حتى تلك التي تحاول الخروج عند حدّها إلى حدّ الحقيقة"<sup>1</sup> فسعي "الجرجاني" للغة الذهنية الكامنة وراء القول، والوصول إلى قصد المتكلم و قوته كامن و الدليل على وجوده استخدامه للفظه "كأن" وهو بصدد البحث عن القصد وقصد القصد، واستخدام كأن كوسيط تخيلي في رحلة بحثه عن قصدية منجز الخطاب دائماً، ويلخص "الجرجاني" نفسه الكثير من تحليلاته عن القصد المباشر وغير المباشر في عبارة وصفها بالمختصرة قائلاً: "فها هنا عبارة مختصرة وهي أن تقول: المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر كالذي فسرت لك"<sup>2</sup> ويجعل "الجرجاني" الطريق إلى معرفة القصد غير المباشر أو قصد القصد استعمال العقل وطرق الاستدلال حسب المعرفة السابقة أو الحال العامة للقائل والقول؛ فيقول: "ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع مع ذلك المعنى على سبيل الاستدلال معنى ثانياً هو غرضك"<sup>3</sup>، وقد عدّ "الجابري" هذا الرأي من مزايا تحليلات "الجرجاني" للأساليب البيانية العربية علاوة على إجادته إذ يؤكد: "نعم إن تحليلات "الجرجاني" لهذه المضامين والوجوه أكثر بيانا وأقوى حيوية، ...، ومع ذلك فإن الجديد الذي نلمسه بوضوح عند "عبد القاهر"، وهو ما يهم الباحث الابدستيمولوجي بالدرجة الأولى، هو أنه أبرز من خلال تحليله لمعنى "النّظم" الطابع الاستدلالي للأساليب البيانية العربية... وهذا الطابع الاستدلالي الذي

1- نايل (حسام): أرشيف النص - درس في البصيرة الضالة، دار الحوار للنشر والتوزيع سورية، ط1، 2006م، ص127، هامش.

2 - الجرجاني (عبد القاهر) (ت 474 هـ): دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، دط، دت، ص 263.

3 - المصدر نفسه: ص 262.

يجعل الذهن ينتقل، من خلال الأساليب البلاغية تلك، من معنى إلى معنى المعنى هو ما عناه مؤلفنا حينما فسر النظم على أنه تناسق دلالات الألفاظ وتلاقي معانيها على "الوجه الذي يقتضيه العقل" <sup>1</sup>، هو بهذا لا يجانب الصواب حسب رأينا أيضا، ذلك أنّ إجابة "الجرجاني" مضاعفة المنافع إذ يقرّ دور العقل في الاستدلال على القصدية من جهة، ويلمع إلى أهمية المعرفة السابقة بالحال عامة وحال الخطاب بشكل خاص في الاستدلال على قصد القصد والتحديد الدقيق لقصدية الخطاب المنجز، عند هذا الحدّ؛ يمكن أن تسجل أفكار "الجرجاني" حول القصد وبنائه وانتظام المعاني على غرار الألفاظ في ما يأتي:

- ✓ القول هو عبارة عن القصد.
- ✓ القول هو كلمة مع مساعدات لها (خطاب).
- ✓ المتكلم فاعل في انتاج القصد، يتفق مع رأي "أوستن".
- ✓ إمكان الاتفاق بين القائلين في وظيفة قول ما.
- ✓ إمكان الاتفاق بين القائلين في القوة الإنجازية بشروط صارمة.
- ✓ الاتفاق بين القائلين في القوة الإنجازية للأقوال يشكك في نزاهة القائل اللاحق ويجعله أقرب للناقل أو السارق.
- ✓ تعدد أوجه الدلالة عن الغرض الواحد (قوى إنجازية كثيرة تؤدي غرضا واحدا).
- ✓ إعمال العقل في الاستدلال على القصدية الخطابية.
- ✓ استعمال المعرفة السابقة لتحديد قصدية خطابية مبتغاة.

ثم ردّ "الجرجاني" أصل تأليف القول إلى قصد المتكلم، وقصد الإفادة من هذا التأليف (تركيزا منه على طرفي الاسناد)، وهذه الفكرة مبنوثة في مصنفه على حدّ سواء، يقول في "أسرار البلاغة": "التأليف هو إسناد فعل إلى اسم أو اسم إلى اسم، وذلك بشيء يحصل بقصد المتكلم فلا يصير ضرب خبراً عن زيد بوضع اللّغة بل من قصد إثبات الضرب فعلا له

1- الجابري: بنية العقل العربي، ص 87-88.

وهكذا (ليضرب زيد) لا يكون أمرا لزيد باللّغة و(اضرب) أمرا للرجل الذي تخاطبه وتقبل عليه من بين كل من يصح خطابه باللّغة بل بك أيها المتكلم<sup>1</sup>، فالمتكلم عنده هو النواة المنجزة للخطاب على قصد ما، ويعتبر المتكلم مخاطبا ما من بين كل المتخاطبين ليقصده بخطابه، فالقصد في الكلمة هو الذي ينقلها من اللّغة (أصل الوضع) إلى القول (الاستعمال)، ثم يزوج ربط الخطاب بمخاطب مقصودٍ من ناحية -فضلا عن المخاطب- وبين قصد قصده هو بالذات دون مخاطبين آخرين يصح أن يُتوجه إليهم، وسما للخطاب بالخصوصية. "وجملة الأمر أن "الخبر" وجميع الكلام، معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض"<sup>2</sup>، وهذا منشؤ المجاز عنده كما الحقيقة، ورأيه في المجاز حرّك دراسات عديدة قيّمة إذ يعد مبدأ التفريق بين الكناية والمجاز هو القصد، فهناك إرادة الحقيقة والمجاز معا في الكناية وإرادة المجاز دون الحقيقة في المجاز<sup>3</sup>؛ أي أن معيار التفريق يتحدد عبر القصدية، فمستعمل الخطاب الكنائي يقصد القصدية الحرفية (المباشرة) والقصدية المجازية (غير المباشرة) أمّا مستعمل الخطاب المجازي فيقصد القصدية المجازية.

قد ميز "الجرجاني" في المجاز بين نوعين؛ المجاز اللّغوي والمجاز العقلي، فأما المجاز اللّغوي: "يلتقي هذا النوع بالدراسات الوصفة (descriptives) حيث أنّه يستند إلى المواضع دون تجاوز اللّفظ المفرد، والمجاز العقلي: يؤسس هذا النوع على الجانب التركيبي للألفاظ في علاقتها الإحالية (relation référentielle) أو الإسنادية (relation predicative) القصد النفسي والقصد العقلي للمتكلم"<sup>4</sup> ممثلا نموذج الإجابة في البحث على السبل العقلية في بناء القصدية المشتقة عن القائمة على التراكيب اللّغوية، ثم قوة العقل في بنائها بشكليها المباشر وغير المباشر.

- 1- الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، صححها وعلّق عليها: السيد محمد رشيد ظاظا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م، ص355.
- 2 - الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص528.
- 3- الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص375.
- 4- بوطاجين (السعيد): الترجمة والمصطلح، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م، ص156.

وإذا أردنا التحليل أكثر لرأي "الجرجاني" في دور القصيدة في تعدد أشكال الخطاب وتنوع تجلياته، فليس من نافلة القول الإشارة لرأيه في المجاز العقلي، بل ذلك لب الوقوف على إجادته ووعيه وإظهار عمق بصيرة علماء البلاغة في الدور التداولي للقصيدة في إنجاز الخطابات، فـ"الجرجاني" تحدث عن التناص ودور القصد في التطابق بين النصوص منذ القرن الخامس الهجري، وإن كانت مصطلحاته مختلفة عن مصطلحات الدرس اللساني الحديث إلا أن أفكاره تتقي عنها صفة التخلف عن الدرس اللساني الحديث، بل سبق منه أقرب وأظهر؛ من مؤكدات ذلك:

"الجرجاني" يقرّ بإمكانية الاتفاق بين المنشئين للغة في غرض القول (قصيدة الخطاب- وظيفته) أو وجه الدلالة عليه (أداة الخطاب-القوة الإنجازية له) قائلاً "علم أن الشاعرين إذا اتفقا لم يخل ذلك من أن يكون في الغرض على الجملة والعموم أو في وجه الدلالة على الغرض"<sup>1</sup>، وصورة ذلك في الدرس اللساني الحديث أن الغرض الواحد يمكن إنجازه بعدد كبير من القوى الإنجازية المختلفة.

وتعدد أشكال القوى الإنجازية المعتمدة من قبل المخاطب (الشاعر) هو ما يجعل الاتفاق في العرض عامة أسهل وأقرب وأكثر انتشاراً، ولا يهتم فيه الشاعر بالنقل-حسب حسن الظن به- ولا السرقة-إذا ما أسيء الظن به- "والاشتراك في الغرض على العموم أن يقصد كل واحد منهما وصف ممدوحه... أو ما جرى هذا المجرى، وأما وجه الدلالة على الغرض فهو أن يذكر ما يستدل به على إثباته له...وذلك ينقسم أقساماً: منها التشبيه ... وذكر هيئات تدل على صفة،...."<sup>2</sup>، ثم يقطع "عبد القاهر" بأن الاتفاق في عموم الغرض واقع مطرد، و أن الاشتراك فيه واقع على نقيض الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض، يوصلنا رأيه إلى الحكم بأن "الجرجاني" إنّما يعتمد مبدأ إقرار القوة الإبداعية في التعبير على قصيدة الخطابات حكماً فيصلاً في تصنيف منجز الخطابات بين عاديين وناقليين وسارقين ومبدعين "فأما الاتفاق في عموم الغرض فما لا يكون الاشتراك فيه داخلاً في الأخذ والسرقة والاستمداد والاستعانة...وأما الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض فيجب أن ينظر فيه فإن كان مما اشترك الناس في معرفته وكان مستقراً في العقول والعادات فإن حكم ذلك وإن كان خصوصاً في المعنى حكم العموم الذي تقدم ذكره..."<sup>3</sup>، إنّ رأيه هذا يعد رائداً في إيلاء الحالات الذهنية مقياساً لقدرة الشعراء

1- الجرجاني: أسرار البلاغة، ص293

2- المصدر نفسه: ص293.

3- المصدر نفسه: ص294.

خاصة والمتخاطبين عامة في صوغ خطابات يتمايزون بها فيما بينهم، في حين أن تماثلهم في إنشاء خطابات أخر تعرف باطراد الأفكار ومبادرة الذهن لها لا يطرح أي إشكال، كونها عامة يمكن أن يصوغها أكثر من متكلم، ولا يشوب ذمة اللاحق فيها شيء من رميه بالسرقة أو الأخذ، في حين أنّ الحال في حال ما يتمايز به القائلون تختلف، إذ يقول: "...وإن كان مما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبر، ويناله بطلب واجتهاد، ولم يكن كالأول في حضوره إياه وكونه في حكم ما يقابله، الذي لا معاناة عليه فيه ولا حاجة به إلى المحاولة والمزاولة والقياس والمباحثة والاستنباط والاستتارة، بل كان من دونه حجاب يحتاج إلى خرقه بالنظر، وعليه كمّ يفنقر إلى شقه بالتفكير... فهو الذي يجوز أن يُدعى فيه الاختصاص.... وأن يجعل فيه سلف وخلف ومفيد ومستفيد... هي دون منزلته"<sup>1</sup>. إن كان حديث "الجرجاني" هذا عن الإخباريات، فالوصف غرض عام، وإثباته والإعلان عنه أو التأسف والحسرة أو التنبيه وغيرها من أوجه الدلالة على الغرض هي ما يوازي القوى الإنجازية الداخلة تحته، فيمكننا سحب كلامه من هذا على جميع الخطابات سواء كانت تعبيريات أو توجيهيات...، فالطلب غرض لكن أوجه الدلالة عنه متعددة يتعاون المتخاطبون في إنجازها بين الأمر والطلب والتوسل والالتماس والرجاء والدعاء....

هذا عن رأي العلماء العرب بالقصدية ودورها في تعدد الخطابات، وسعي علماء اللّغة العربية لتحليل الخطابات، ووعيهم بأهمية أطراف العملية الخطابية من جهة وظروف وملابسات الواقعة الخطابية من جهة أخرى، وتحليلهم لأصناف المنتجين حسب قدراتهم الإنجازية، سواء استوى في إمكانية إنجازها المنشؤون أو تمايزوا. أما رأي الفلاسفة المسلمين في موضوع القصدية -دون تحفظ- يعد سبّاقاً وباعتراف عديد الدارسين، فقط فطنوا للقصدية كموضوع فكري، والإجادة منهم أنّهم ربطوه بالظاهرة اللّغوية، عند الإنسان، لإنجاز خطاباته، فتعدّ بذلك أفعال تؤثر في قابل حياته الدنيا والأخرى، والمطلب الموالي يُعرض فيه بعض ملامح هذا الفكر عند الفلاسفة المسلمين.

### III.2 . القصدية في الفكر الفلسفي الإسلامي:

يطلق مصطلح الفلاسفة المسلمين على وجه العموم، لا على سبيل التخصص فلا يصدق في الإسلام تخصص في الفلسفة. بل الفكر الإسلامي، فكر علمي استدلالي لّقحه السماع والرواية من

1- الجرجاني: المصدر السابق: ص194-195.

النصوص الشرعية المتمثلة في "الكتاب" و"السنة"، وتحليل العلماء المسلمين، إنما يعود في الأساس إلى "أصلين اثنين: النص ("القرآن" و"السنة") و"الاجتهاد" (اجتهاد الفرد واجتهاد الجماعة)"<sup>1</sup>.

مع دب الحياة في العقل العربي بالوحي، تسارعت فيه مظاهر الحياة والنمو، فانتعش وتواصل مع غيره مع العقول المحيطة به، بوصول العرب إلى أرض غير أراضيهم وبلدان غير بلدانهم، احتكوا بثقافات ومعارف لم يسبق لهم عهد بها، من ذلك الفلسفة اليونانية وأفكار المنطق الأرسطي، وتحرك العقل الإسلامي، عاملاً على تطوير الفكر الإسلامي متدرجاً من "دولة العقل" إلى "الكشف"... وفق ثلاثة نظم رئيسية أجمع أغلب الدّراسة على تحديدها بأنّها: البيان والعرفان والبرهان<sup>2</sup> وفي الوقت الذي يتمحور "البيان" على وضع قوانين لتفسير الخطاب المبين والخطاب القرآني أساساً واقتراح مقدمات عقلية لتأسيس مضمون ذلك الخطاب، يتأسس "العرفان" على خليط من الهواجس والعقائد والأساطير تتلون بلون الدين الذي تقوم على هامشه لتقدم له ما يعتقده العرفانيون أنه الحقيقة الكامنة وراء ظاهر نصوصه، أما "البرهان"؛ فاستدلال استنتاجي، نتاج المعرفة الفلسفية العلمية المنحدرة من الثقافة الغربية عبر الترجمة، ترجمة كتب "أرسطو" خاصة<sup>3</sup>. غير أن هذا التحديد بين المناهج الثلاث هذه، لا ينكر معه الأستاذ "الجابري" إمكانية التلاقي بينهما والتلاقح والانتفاع<sup>4</sup>، منهجا كان ذلك أو معرفة فعلماء اللّغة المتقدمين والفلاسفة الأوائل عاشوا جميعاً في بيئة واحدة وإن كان اللّغويون أقدم طبقة ذلك أن الفلاسفة جاؤوا متأخرين نوعاً ما، اقترن ظهورهم وإجادتهم بتحريك وتيرة الترجمة، وخلق تبلور فكرهم معان عرفانية "فإن العقل الصوفي، بما هو تأويل بامتياز ينضوي على أهم "الفتوحات العقلية" في الفكر العربي الإسلامي، ويمثل مغامرة العقل العربي على الحقيقة، ففي الصوفية تتوحد الذات والموضوع، والمتخيل والمتصور والجزئي والكلي"<sup>5</sup> رغم تزامن وتداخل البيان والبرهان كنهجين للمعرفة

1 - الجابري (محمد عابد): بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 9، 2009م، ص 23.

2 - المصدر نفسه: ص 9. ولمزيد من التوسع والإحاطة أنظر: بن عبد الكريم سالم (عبد الجليل): التأويل عند الغزالي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2004م، مجمل الفصل الثاني، ص 55- 98.

3 - الجابري (محمد عابد): بنية العقل العربي، ص 557.

4 - المرجع نفسه: ص 558.

5 - بن عبد الكريم سالم (عبد الجليل): التأويل عند الغزالي، ص 146.

الإسلامية تأخر نوعاً ما تلاقيهما مع العرفان لتفرد ظروف نضج هذا الأخير وتبلور أفكاره، ولقد كان القرن الخامس الهجري هو العصر الذي توجه فيه عملية المصالحة بين البيان والعرفان، وكان ذلك مع "القشيري" خاصة، وبين العرفان والبرهان وكان ذلك مع "ابن سينا"، ويأتي "الغزالي" ليتوج كل ذلك "بعملية التفكيك التي مارسها"<sup>1</sup>. ولقد تكاثر الفكر العربي الإسلامي حول مواضيع كثيرة، ومن القضايا التي أولوها أهمية في التحليل، وكان لهم، في قدم السبق قضايا العقل والمنطق والإدراك، وكان للقصدية نصيب من هذا الفكر المتلاقح، المتبصر.

لقد تناول العلماء المسلمون مفهوم القصدية وأعطوه الأولوية في تحليلاتهم، فاهتموا بالمعنى اهتمامهم باللفظ، فالغرض كان دائماً غرضهم وحتى نستطيع لَمّ طرفي الفكر الإسلامي البيان والبرهان، بمحاولة رامية إلى التحليل مع الإختصار المطلوب منهجياً، دون الإخلال بالعمق العلمي الهادف.

احتل "الفارابي" مكانة خاصة في الفكر الإسلامي، وجاءت مصنفاته تؤسس لمعارف قصر من قبله في فهمها وإفهامها فكان بذلك "فيلسوف المسلمين على الحقيقة، واستحق لقب "المعلم الثاني" الذي جعله، في منظور الثقافة الإسلامية يحتل المرتبة الثانية بعد "أرسطو"، والمعلم الأول في صناعة المنطق خاصة"<sup>2</sup> ونجد "الفارابي" في مصنفاته ينتهج طريقة فريدة في شرح أفكاره، نحوية كانت أم منطوية، بكفاءة مشهود لها، فنجد في كتابه "الحروف"؛ يزاوج بين التحليل النحوي لدور بعض حروف المعاني والتحليل المنطقي للمعارف المتعلقة بالعقل والمعقولات. لذلك كان لمفهوم القصدية عنده أهمية عظمى، فإذا كانت الألفاظ هي من حيث كونها تعبيراً عن المعاني المنتظمة في النفس، ولانتظام هذه المعاني في النفس حتى تستقر؛ معقولات محاكية للموجودات والأشياء، فالقصدية عنده قصدياً قصدية قرن لفظ بصورة ذهنية من جهة، و قصدية قرن الصورة الذهنية بالأشياء في عالم العيان، إلى جانب ذلك يتحدث "الفارابي" على قصدية ما متعلقة بالقصد نحو موضوع ما إذاً "فها هنا موضوعان مختلفان:

(1) الألفاظ وكيفية تركيبها وانتظامها في عبارات من حيث أنها تحاكي المعاني وكيفية

انتظامها في النفس.

1 - الجابري (محمد عابد): بنية العقل العربي، ص 558.

2 - بن عبد الكريم سالم (عبد الجليل) : التأويل عند الغزالي، ص 83.

(2) والمعقولات، مفردة ومركبة؛ من حيث أنها تحاكي الأشياء الحسية والعلاقات القائمة بينهما، أو ما يمكن أن يستنبط منها من تصورات وأحكام<sup>1</sup>.

تحدث "الفارابي" عن كيفية حدوث الحروف والألفاظ فقال إنها تأتي لأن الأشخاص احتاجوا إليها يقول: "وإذا احتاج أن يعرف غيره مافي ضميره أو مقصوده بضميره استعمل الإشارة أولاً في الدلالة على ما كان يريد ممن يلتمس تفهيمه إذا كان من يلتمس تفهيمه بحيث يبصر إشارته، ثم استعمل بعد ذلك التصويت"<sup>2</sup> وحاجتهم كانت وليدة الرغبة في إفهام غيره مقصودة أي ما يريد أن يخبرهم به، ثم يقول "الفارابي" أن أول ما أنتج الإنسان من هذه التصويّات (الأصوات اللغوية) النداء "وأول التصويّات النداء" فإنه بهذا ينتبه من يلتمس تفهيمه أنه هو المقصود بالتفهم لا سواه"<sup>3</sup> فالعملية الخطابية قائمة بين طرفين أساساً منشئ يريد إفهام متلق مقصوده، المنشئ يتوجه بقصد إلى متلق مقصود، وحتى ينتبه هذا الأخير، عدّ "الفارابي" النداء أول الأفعال الخطابية الناشئة بين المتخاطبين فمنطقياً حسبه يحتاج المنشئ إلى تنبيه المتلقي أنه هو المقصود بالخطاب، ويتم هذا التنبيه عبر النداء.

إنّ رأي "الفارابي" هذا يؤسس لرأي عام ساد في الفكر البرهاني (فكر الفلاسفة المسلمين) في أنّ الألفاظ إنّما جاءت لتلبي حاجة الذات للتعبير على المعقولات المتضمنة في عقولها والمقصودة في ضميرها<sup>4</sup> يستنتج من هذا التأكيد الدائم عندهم أن الألفاظ تأتي متأخرة عن المعقولات التي تعتبر عنها، وأن الأصل هو وجود التصورات الذهنية سابقة، و"الفارابي" يؤكد ذلك ويزيد "فتكون الحروف والألفاظ الأولى علامات لمحسوسات يمكن أن يشار إليها وإلى معقولات تستند إلى محسوسات يمكن أن يشار إليها، فإن كل معقول كلي له أشخاص غير أشخاص المعقول الآخر، فتحدث تصويّات كثيرة مختلفة بعضها علامات لمحسوسات -

1 - الجابري (محمد عابد) : بنية العقل العربي ، ص 422.

2 - الفارابي (أبو نصر): الحروف، حقه وقدّم له وعلق عليه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت لبنان، ط2، 1990، ص 135.

3 - المصدر نفسه: ص 135.

4 - يستخدم "الفارابي" مصطلح "المعقول" بديلاً لمصطلح "المقصود".

وهي ألقاب- وبعضها دلالة على معقولات كاية لها أشخاص محسوسة<sup>1</sup> مما سبق يمكن تحديد النظرة الأولية لـ "الفارابي" عن القصدية فيما يلي:

- 1- وجود معقولات (مقصودات) متضمنة في عقول الناس.
- 2- أسبقية المعقولات (المقصودات) على التصويتات (الألفاظ).
- 3- وجود الألفاظ نتيجة الحاجة للتعبير عن المقصودات المتضمنة في العقول.
- 4- ارتباط المعقولات بمحسوسات أو معقولات مجردة.

ويحصل أن تتبني حول هذه المعقولات مقولات تتعلق بها من حيث أنها مقصودة من العقل وهي المعقولات الثواني، و"الفارابي" يصف حال الإنسان مع هذه الأشياء والمقولات الناشئة حولها، إذ "ما تحتوي عليه المقولات بعضها كائن وموجود عن إرادة الإنسان وبعضها كائن لا عن إرادة الإنسان، فما كان منها كائناً عن إرادة الإنسان نظر فيه العلم المدني وما كان منها لا على إرادة الإنسان نظر فيه العلم الطبيعي"<sup>2</sup> فهو يقر بوجود أفعال للإنسان تتصف بأنها غير قصدية، أي أن الأفعال منها قصدية ومنها غير قصدية، وهذا ما يتقاطع مع ما يقره فلاسفة اللغة المعاصرين، رداً لرأي "برنتانو" القائل بأن كل أفعال الناس قصدية "فالإنسان يتحرك نحو الشيء الذي تكون فيه حركته إليه أسهل عليه بالفطرة فتنهض نفسه إلى أن يعلم ويفكر أو يتصور ويتخيل أو يتعقل، وأول ما يفعله شيئاً من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة، وبملكة طبيعية، لا باعتبار سابق قبل ذلك، ولا صناعة، وإذا كرر فعل الشيء من نوع واحد مراراً حدثت له ملكة اعتيادية إما خلقية أو صناعية"<sup>3</sup>.

إن "الفارابي" إذاً هو مؤسس الفكر الفلسفي للقصدية في الفكر الإسلامي، لقد بذ الأوائل والأواخر بهذه المفاهيم التي تجد لها القبول حتى في الفلسفة المعاصرة، فقد أثبت القصد، وقصد القصد والقصد الأول فالقصد الثاني. كما تحدث عن الصبغة القصدية للأفعال الإنسانية وانتفاؤه عن بعض

1 - الفارابي: الحروف، ص 137.

2 - المصدر نفسه: ص 67.

3 - نفسه: ص 135.

الأفعال الإنسانية لنصل إلى أهم ما أوردناه، إذ يجزم سباقاً؛ أن من الأفعال غير القصدية ما كان منطلقها التكرار والعادة وليس الغريزة والفطرة هذه الفكرة التي نجد "سيرل" يقولها كمؤسس حديث لفلسفة العقل في الفلسفة الإنسانية.

إن ذروة هذا التأسيس الذي أقامه "الفارابي" هو حديثه على علاقة المعقولات بالموجودات (المحسوسات) ثم علاقة المصوتات بالمعقولات، فالألفاظ عنده تابعة للمعاني، سواء تعلقت بالمعقولات الأولى أو المعقولات الثواني، وللعقل فيما عمل حتى يعلق الألفاظ بالمعقولات فللعقل اشتغال تابع عن قصد للتعليق، وجعل قصدية العقل للموجودات هي الأصل، ثم قصدية ربطها بلفظ معين مشتقة من القصدية الأصل، أنظر لنصه الذي أورده بما فيه من براعة التوضيح ووضوح الرؤية عنده يعرف "الفارابي" المقولات (المعقولات المعبر عنها بالتصويت) "إن كل واحد منهما اجتمع فيه أن كان مدلولاً عليه بلفظ، كان محمولاً على شيء مشار إليه محسوس - وكان أول معقول يحصل إنَّما يحصل معقول محسوس، وإن كانت توجد معقولات معقولات حاصلة لا عن محسوسات فذلك ليس بيننا لنا من أول الأمر - وكانت أيضاً مفردة و المفردة تتقدم المركبات"<sup>1</sup> وبخصوص كيفية حدوث المعقولات في العقل، يشرحها مبيناً أن المعقولات الأولية: تحدث بتكوين العقل لمفهوم معين حول محسوس معين بغية أن يعرفه ويستقر قصده فيه، فيعلمه العقل ويحدد خواص وأوصاف يتميز بها على غيره من المحسوسات أو الأشياء.

وتبدأ عملية الإدراك للمعقولات الأولى بربطها بموجودات عينية أو فعلية يشار إليها تسمى هذه الأخيرة بالمحسوس أو الذات أو الجوهر، وقد "جرت العادة أن يسمى هذا المشار إليه المحسوس الذي لا يوصف به شيء أصلاً إلا بطريق العرض وعلى غير مجرى الطبيعي، وما يعرف ما هو هذا المشار إليه، والجوهر على الإطلاق كما يسمونه الذات"<sup>2</sup>، ولا تتوقف عملية الإدراك للمحسوسات في هذه المرحلة (المعقولات الأولى فالإنسان بيني حول هذه القصد قسوداً أخرى، مرتبطة، كالأحكام على الأشياء والأفعال أو ما يعرف عند العامة بالإنطباع أي تكوين قصد خاص حول القصد الناتج عن الإدراك المحسوس. "وأيضاً فإن هذه المقولات الكامنة في النفس عن المحسوسات إذا حصلت في النفس

1 - الفارابي: المصدر السابق: ص 64.

2 - المصدر نفسه: ص 64.

لحقها من حيث هي في النفس لواحق يصير بها بعضها جنسا، وبعضها نوعا، ومعرّفا بعضٌ ببعض<sup>1</sup> يميّز "الفارابي" وجود نوعين من المعقولات أي المقصودات فبعد أن حدّد أن الأولى تنبني على الارتباط بمحسوسات وجودية، يبيّن نوعا ثانيا من المقصودات وهو يرتبط ارتباطا قسديا بتكوين مفاهيم ذهنية خاصة حول الأولى، "وهذه التي تلحقها بعد أن تحصل في النفس هي أيضا أمور معقولة، لكنها ليست هي معقولة حاصلة في النفس على أنّها تمثالات محسوسات أو تستند إلى محسوسات أو معقولات أشياء خارج النفس، وهي تسمى المعقولات الثواني"<sup>2</sup> فمفهوم "الفارابي" عن القصدية حتى الآن يتلخص في أن القصد: فعل منشأ من ذات عاقلة، تجعل العقل يعقل أشياء أخرى يطلق على هذه الأشياء المحسوسات أو الذوات أو الجواهر، أما ذلك التصور أو التمثيل الناتج على عملية العقل هذه فيسمى المعقول أي المقصود بالعقل.

والألفاظ إنّما هي تلتصق باللسان لا بالعقل ، يقوي "الفارابي" ذلك محصنا رأيه؛ بأن المعاني والقصود تستقر في العقل سابقة للألفاظ، وشأنها شأن الإشارات الدالة من غير تصويت، فالإشارة تستقر في الشيء المشير لا في العقل، أما العقل ففيه يكمن التصور المقصود (المعقول أو المعنى)، "فبالضرورة يلزم أن تكون الأشياء المرتبة السابقة ليست ألفاظا، وأيضا فإنّ الذهن لما كان إشرافه على كل شيء كان يجهله من قبل ذلك إنّما يكون عن أشياء سبقت معرفتنا بها، والأشياء التي سبقت معرفتنا بها هي الأشياء التي تقدمت خيالاتها في النفس واعتقد فيها أنها حق، والتي سبقت خيالاتها في النفس هي المعقولات عن الألفاظ لا الألفاظ ، والتي تُرتّب فيُشرف منها الذهن هي بهذه الحال، فبيّن أن الأشياء التي ترتبت في الذهن ليست هي الألفاظ لكن معاني معقولة"<sup>3</sup>، ينحو "الرازي" إلى الميل لهذا الرأي وهو يجزم بالأصل الإصطلاحي للّغات وأن التوقيف فيها لا ينتقي من جهة تعليم الله تعالى للإنسان طريقة العلم بالوضع؛ لا الوضع نفسه إذ يقول: "أنّ اللسان اسم للجارحة

1 - الفارابي: المصدر السابق: ص64.

2 - المصدر نفسه: ص64.

3 - الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد): الألفاظ المستعملة في المنطق، حققه و قدّم له وعلّق عليه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 1982م، ص 100-101.

المخصوصة، وهي غير مرادٍ بالإجماع - فلا بد من المجاز، فليسوا بصرفه إلى اللغات أولى منّا بصرفه إلى القدرة على اللغات أو إلى مخارج اللغات"<sup>1</sup>

أما المعاني المفهومة عن الألفاظ عند "الفارابي" أحوالها متعددة متباينة بين كلية وخاصة إذ يقول: "والمعاني المفهومة عن الأسماء منها ما شأنها أن تحمل أكثر من موضوع واحد،... ومنها ما ليس من شأنها أن تحمل على أكثر من موضوع واحد، ولكن إما أن لا تحمل أصلاً وإما إذا حملت حملت على واحد فقط"<sup>2</sup>، وحمل المعاني على أكثر من موضوع يجعلنا نقصد أشياء كلية تشترك فيها عناصر عدة كلفظ إنسان الذي يجمع زيد وعمر وغيرهما في حين تأتي ألفاظ فارغة عن قصد موجه، وأخرى تكون خاصة نقصد منها موضوعاً أو شخصاً (شيء) واحداً على سبيل التعيين، والمعاني على هذا كثيرة جداً لا يمكن حصرها، أما الألفاظ فهي محدودة العدد بشكل من الأشكال، لذا كان للعقل فيها اشتغال للتوفيق بينها وبين قصدياتها.

وأدرك العلماء العرب هذه المسألة وعدوا هذه الحقيقة سبب لجوء المخاطب إلى التساهل أو التوسع أو التجوز في الخطاب، فكانت الإستعارات والمجاز مؤدياً للقصد المقصود بالخطاب، "فإذا استقرت الألفاظ على المعاني التي جعلت علامات لها فصار واحد واحد لوحد واحد وكثير لوحد أو واحد لكثير، وصارت راتبة على التي جعلت دالة على ذواتها، صار الناس بعد ذلك إلى النسخ والتجوز في العبارة بالألفاظ، فعُبر بالمعاني بغير اسمه الذي جعل له أولاً وجُعِل الاسم الذي كان لمعنى ما راتبا له دالا على ذاته عبارة عن شيء آخر متى كان له به تعلق ولو كان يسيراً إما لشبه بعيد وإما لغير ذلك، من غير أن يُجعل ذلك راتبا للثاني دالا على ذاته"<sup>3</sup>، فالناس في اشتغالهم العقلي على الألفاظ إنما يجعلون علاقات استعمالية بالدرجة الأولى للألفاظ بالقصدية الخاصة بها، ما ينتج ثلاثة أوجه لتعليق الألفاظ بقصدياتها:

- الأول؛ الاختصاص الاستعمالي لبعض الألفاظ بقصدية محدّدة (واحد لوحد)، الثاني تعليق ألفاظ متعدّدة لقصدية واحد (كثير لوحد).

1 - الرازي (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين) (544هـ - 606هـ): المحصول في علم الأصول، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، دط، دت، ج 1، ص 191.

2 - الفارابي: الألفاظ المستعملة في المنطق، ص 58 - 59. وأنظر الجابري: بنية العقل العربي، ص 432.

3 - الفارابي: الحروف، ص 141.

- الآخر؛ تعليق لفظ واحد بقصديات متعدّدة يصيغ تعدّدها التوسع والتجوّز (واحد لكثير)، ذلك أن القصديات المتوسع إليها إنّما تأتي أداء لقصديات استعمالية محضة لا ترتبط باللفظ إلا في إطارها الاستعمالي القصدي.

ويجعل "الفارابي" لهذا التوسع القصدي بالدرجة الأولى الدور الأساس في إنتاج التعابير الاستعارية و المجازية، حيث "تحدث حينئذ الاستعارات والمجازات والتحرّد بلفظ معنى ما عن التصريح بلفظ المعنى الذي يتلوه متى كان الثاني يُفهم من الأول، وبألفاظ معان كثيرة يصرّح بألفاظها عن التصريح بألفاظ معان آخر إذا كان سبيلها أن تُقرن بالمعاني الأول متى كانت تُفهم الأخيرة مع فهم الأولى، والتوسع في العبارة بتكثير الألفاظ وتبديل بعضها ببعض وترتيبها وتحسينها، فيبتدئ حين ذاك في أن تحدث الخطبية أولاً ثم الشعرية قليلاً قليلاً"<sup>1</sup>. بذلك يتمايز الناس بإنتاجهم لخطاباتهم انطلاقاً من قدراتهم ومراتب المامهم باستعمالات ألفاظ اللّغة التي يتخاطبون بها.

في الأخير يمكننا تلخيص رأي العلماء العرب في القصدية انطلاقاً مما سبق ذكره وتحليله من آراء العلماء المسلمين في:

1. القصدية عمل العقل لاستيعاب الأشياء وتصورها ثم تمثيلها بتصويّيات.
2. التصويّيات مستقرة في جهاز النطق للناطق، في حين يستقر القصد في العقل للناطق المصوت عنه .
3. ترتبط المصوتات ( الألفاظ ) بقصودها بفعل عقل الفاعل.
4. الألفاظ تمثل القصود المستقر في عقل المخاطب.
5. الألفاظ لا تمثل الأشياء الموجودة في الواقع.
6. لا تحمّل كل الألفاظ قصداً، إلا إذا حملها المخاطب بقصد ما، وإن كانت الكلمة دالة في أصل اللّغة.
7. يمكن أن يحمّل العقل اللفظ قصداً غير الذي وضع له أصلاً(تحدث التورية أو الكذب).

1 - الفارابي: المصدر السابق: ص 141.

8. يمكن للفظ الواحد أن يُمثل أكثر من قصد. (يحدث المشترك اللفظي).
9. يمكن للقصد الواحد أن يُمثل بأكثر من لفظ. ( يحدث الترادف ).
10. ترجع عملية تحميل الألفاظ قصديات متعدّدة للاستعمال الشخصي لها بالدرجة الأولى.
11. شيوع الاستعمال الخاص للألفاظ وفق القصديات يأتي على سبيل التوسع والتجوّز.
12. يمكن لفظ أن لا يحمل قصداً.

عند هذا الحدّ من المهم معرفة كيفية ارتباط القصدية بالعقل، ثم نسبة العقل للعضو الفيزيولوجي المرتبط به، ففي مقابل النظرة المادية لماهية العقل في الفكر الغربي قديمه وحديثه، يوجد حول هذه القضية آراء متضاربة، حسب المشارب والأفكار، مع اتفاقهم على ربط القصد والنية بالعقل.

## IV. موطن القصدية في جسم الإنسان:

اختلفت آراء العلماء والفلاسفة في قضية ربط القصدية بعضو فاعل فيها على غرار طبيعة وظائف جسم الإنسان والعضو الذي ترتبط به، وتراوح بين ربطه بعضوين حيويين في جسم الإنسان، هما القلب منجهة والعقل من جهة أخرى، ويلتمس هذا الجدل في الثقافتين الغربية والعربية على حدّ السواء.

### IV. 1. موطن القصدية في جسم الإنسان في الفكر الغربي:

قد سادت أفكار سابقة؛ وكانت منبع كثير من السجلات وأسالت الكثير من الحبر حول العقل والذكاء الاصطناعي ومحاولة المساواة بينهما، ومبعث ذلك كله أسئلة عديدة منها: "هل تستطيع الآلة أن تفكر، وهل العقل برنامج كمبيوتر؟ هل المخ كمبيوتر رقمي؟" <sup>1</sup>، وفعلت الثورة العلمية التي شهدتها القرنان التاسع عشر والعشرين مبعث مثل هذا السجال، خاصة مع تقدم العلوم التجريبية واخضاع العلماء كل ماهو ظاهرة قابلة للدراسة للتجربة الفعلية فالملاحظة ثم الاستنتاج، ولمس هذا المنحنى حتى المواضيع الإنسانية في مختلف العلوم من المسائل الاجتماعية واللغوية وحتى النفسية فأخضعوا الحالات النفسية للدراسة التجريبية.

ويرد "سيرل" سبب ذلك حسبه إلى محاولتهم تقادي التصادم بفكرة ثنائية العقل والجسد قائلاً: "أعتقد أن الدافع لوجود هذه الصور المختلفة السلوكية والوظيفية لم يكن البحث المستقل والجاد عن الوقائع، وإنما الخوف من أننا إذا لم نجد طريقة للقضاء على الظواهر العقلية التي يتم تفسيرها بنية سليمة، فإننا سوف نعاني من الثنائية وعدم حل مشكلة العلاقة بين العقل والجسد" <sup>2</sup>، ومهما تراوح هذا التضارب بين سلوكية ووظيفية إلا أننا نأخذ عليه أنه يربط القصد بالجانب المادي للإنسان ألا وهو الجسم مغفلاً مبدءاً أساسياً كان محورا من محاور السجال في الفكر الإسلامي ألقصدية ترتبط بعضو حسي أم للعقل امتداد روحي يتمثل في السر الإلهي. فالقصدية أهم صفات العقل وهي الخاصية الأساسية له فهل العقل مادة صرفة حتى يلغي "سيرل" الجانب الروحي له أم يكرّس مفهوما عاما يتشبث به للدفاع على رأيه في بيولوجية القصدية؟

1 - إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 107 .

2 - سيرل (جون): القصدية ، ص 17.

لما كانت القصدية الميزة الأساسية لاتجاه العقل نحو موضوع ما اتجه الفلاسفة إلى محاولة الإحاطة بماهية العقل البشري من جهة ثم علاقة العقل البشري بالجسم؛ فانقسم الفلاسفة إلى فريقين يمكننا عدّهم في خانة واحدة هي المادية عامة، غير أنهم تمايزوا بين سلوكيين ووظيفيين، يقول "إسماعيل صلاح": "وفيما يتعلق بدراسة العقل والحالات العقلية، تجلت السلوكية في صورتين، إحداهما متطرفة والأخرى معتدلة؛ فأما المتطرفة فنظرت إلى الحالات العقلية على أنها متطابقة مع السلوك، ولا شيء أكثر من ذلك، لا يوجد شيء داخلي أو خفي أو ملغز، وتسمى الصورة المتطرفة "السلوكية الميتافيزيقية" METAPHYSICAL BEHEVIORISME وسر ذلك أنها تقدم زعما ميتافيزيقيا حول طبيعة العقل، فتتكر وجوده وتثبت السلوك"<sup>1</sup>، فلا ينفون وجود العقل كعمليات عقل، أي الإدراك والقصدية ومختلف العمليات المتعلقة بها مما يضمن حياة الإنسان العاقل القاصد، ولا يربطون هذه العمليات بعضو مادي من أعضاء الإنسان أو حتى بالجسم البشري ككل، في حين أن الفريق الآخر بدى أكثر اعتدالا حسب "إسماعيل صلاح" لاعتماده دلالة الحالات العقلية (القصدية) على وجود العقل حتى وإن لم يتم ربطه بعضو معين، هو حسبهم موجود وكفى، إذ "الصورة المعتدلة فتسمى "السلوكية المنهجية" METHODOLOGICAL BEHEVIORISME، ولا تتكر وجود الحالات العقلية التي ربما تكون معرفتها متاحة لأصحابها فقط، ولكنها ترى أن تعذر خضوع هذه الحالات العقلية الخاصة بأصحابها للملاحظة العلمية، يجعلنا نتمسك بأن السلوك هو البيان الكافي لكل ما يوجد من حالات عقلية"<sup>2</sup>، أما الاتجاه الوظيفي فرغم رفضه للفكر السلوكي وسيطرة النظرة المادية البحتة لربط العقل بالجسم من جهة أنه فيزيائي له خواص المادة؛ إلا أن الوظيفيين ينطلقون من أن العقل يربط بشكل مباشر بالدماع، "وبحسب وجهة نظر فيلسوف المذهب الوظيفي يبدو ذا صفات ليست فيزيائية بمعنى ما"<sup>3</sup>، ثم انقسم الوظيفيون أيضا في اقرارهم بالصبغة اللامادية للعقل إلى فريقين في الوقت الذي يدعو الأول منهم إلى الموازة بين الحوادث العقلية والحوادث الفيزيائية، ينادي الفريق الثاني بالتفاعل بين هذين النوعين من

1 - إسماعيل صلاح: فلسفة العقل، ص 108.

2 - المصدر نفسه: ص 108.

3 - بتنام (هيلاري): العمل والصدق والتاريخ، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2012م، ص 134.

الحوادث، وعلى عمق الجدل القائم والحجج والبراهين الكثيرة التي يستعملها كل لإثبات رأيه وموقفه؛ هناك من يقر بأن الحوادث العقلية يمكن أن تقوم بواحد من شيئين<sup>1</sup>:

1- يمكنها أن توازي الحوادث الفيزيائية .

2- يمكنها أن تتفاعل مع الحوادث الفيزيائية، ويمكن الحوادث العقلية فعليا أن تسبب الحوادث الدماغية، والعكس بالعكس.

محاولة من الوظيفيين لتفسير الظواهر العقلية بعيدا عن المفهوم البدائي والساذج للسلوكية أقروا للعقل وظائف يقوم بها؛ عبر برامج محددة يملكها ويتعامل وفقها، لعل مبعثهم في ذلك هو الاتجاه العلمي التجريبي لفهم الظاهرة الإدراكية، إذ أوصلهم إلى الجزم بأن عقولنا أشبه بآلات وبرامج الكمبيوتر وأن الإنسان عندما يشعر بشيء ما إنما هو ينفذ البرنامج الخاص بذلك الشعور، على اختلاف الحالات العقلية كالرغبة والخوف والألم وغيرها، فقد "نظر" بتنام" [1929م-...] (putnam hilary) ] إلى الحالات العقلية على أنها تشبه الحالات الوظيفية أو المنطقية للكمبيوتر ومثلما يمكن تحقيق برنامج نفسي عن طريق كائنات حية مختلفة<sup>2</sup> وعلى كثرة أنصار الاتجاه الوظيفي الساعين لردّ حجج السلوكيين نشأت في كنفهم مجالات كثيرة للدراسة حول علم الإدراك، فتشعبت إلى مجالات عديدة لم تنحصر في القضايا الفلسفية فقط بل تعد علوم منها التجريبية كالذكاء الصناعي وعلم الكمبيوتر وعلم الأعصاب ومنها الإنسانية كعلم النفس المعرفي وعلم الأنتروبولوجيا وعلم اللّغة<sup>3</sup>، وتدلل كثرة المجالات التي عنت بالعقل ووظيفته من جهة والعقل وماهيته من جهة أخرى على سعي الإنسان إلى سبر غور آليات فهمه للظواهر بغية فهمه الجيد لها، أي ماهو العقل؟ وماهي طبيعته فيزيائية أم غير فيزيائية وكيف يدرك الظواهر؟ ثم ما علاقته بالجسم يقول "جود" [1891-1953] (Joad cyrile dwin mitchanson) "والقضية الدائرة بين أولئك الذين يحاولون تفسير ما يفعله العقل على أنه فعل جسماني وبين أولئك الذين يعتقدون أن للعقل مكانة فذة -مميزة ومستقلة بمعنى ما لا تقبل أي حسم محدد وإذا توخينا الإيجاز قلنا أن هذا

1 - المصدر السابق: ص 130 - 131.

2 - إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 130 - 131.

3 - أنظر المصدر نفسه: ص 110.

التفسير يتشبه بالقول بأن الكائن الحي شيء أسما وأعلى من المادة التي يتكون منها جسمه<sup>1</sup>، وحتى "بتنام" رغم تحمسه لفكرة وظيفية العقل وشبهه بالآلة ذات البرامج المحركة بشكل من الأشكال إلا أنه ربما يساوره الشك في ذلك ما يجعل الدارسين ومنهم "إسماعيل صلاح" يحكم بأنه عدل عن رأيه بصفة أو بأخرى<sup>2</sup>، فالقصدية الميزة الأساسية للعقل، تميز الفرد ولا ريب عن الآلة مهما كانت ذكية لاتصالها بالوظيفة الإنسانية في الإنسان وترتبط بالسر الإلهي فيه، كما نجد "بتنام" نفسه يقول: "إذا افترضنا وجود أشكال من الإنسان الآلي تشبهنا وظيفيا، وكنا نعمل معها، ونتناقش معها، وبعضها صديق، فإننا سرعان ما نشعر شعورا مؤكدا بأنها واعية، وقد نضل في حيرة من مسألة ما إذا كان لها الصفات المجردة ذاتها التي لنا"<sup>3</sup>، فتساؤلها عن وجود صفات مجردة للآلات الذكية بحث منها على حقيقة وجود العمليات العقلية الإنسانية الخاصة ومنها القصدية -السمة الأساسية للعقل- في هذه الآلات .

إن "سيرل" أقوى؛ أقوى من رفض، آراء السلوكيين والوظيفيين، حجة، وأظهرهم دليلا، وتعد حجة الحجرة الصينية أهم الحجج التي رد بها "سيرل" على السلوكيين والوظيفيين على حد سواء، وجاءت حجته هذه في عدد كبير، من أعماله ومقالاته وكان شغله الشاغل إرساء مبدأ القصدية في العقل البشري، وميزته عن الآلة بها (القصدية) أساسا، كما أسالت آراؤه الكثير من الحبر، وجاءت عليها ردود لم تدحض من قيمتها، ولم تنقص من قوتها، رأيه "أن عمليات معالجة الرموز الصورية لا تملك بذاتها أية قصدية إنها بلا معنى تماما. إنما ليست حتى عمليات معالجة للرمز، طالما أن الرموز لا ترمز إلى أي شيء، وفي الرطانة اللغوية يكون للرمز تركيب فقط ولكن لا يكون له معنى"<sup>4</sup>، فالقصدية هي التي تعطي لأي رمز قيمته التدليلية على القصد المرتبط به.

بقي أن نشير إلى أن العقل؛ فاعل القصدية الإنسانية، في الفكر الغربي، لا يُربط عادة بالقلب كما الحال في الفكر الإسلامي، فالملاحظ من تقصي آراء الفلاسفة عامة أن أغلبهم يربط الظواهر العقلية

- 1 - جود (سيريل أدوين): العقل كشيء متمايز عن الجسم، دراسة منشورة ضمن كتاب: الفلسفة وقضايا العصر، مقالات وأبحاث جمعها : جون ر. بورر وميلتون جولد ينجر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1990م، ج 2، ص 118.
- 2 - إسماعيل صلاح) : فلسفة العقل، ص 112 .
- 3 - بتنام: العقل والصدق والتاريخ ، ص 168.
- 4 - إسماعيل صلاح): فلسفة العقل ، ص121.

واعية كانت أو غير واعية بالدماغ، أي يجعلونها ترتبط ارتباطاً مباشراً بالعمليات الفيزيولوجية للمخ في استقلال لوظائفه عن وظيفة القلب خاصة، ففي فلسفة سيرل مثلاً، لا وجود للإشارة إلى دور القلب في الظواهر العقلية رغم اتسامه بدفاعه على السمة الإنسانية المميزة للعقل البشري، فالرأي عنده أن العقل والوعي والقصد أعمال بيولوجية مرتبطة بالمراكز العصبية في الإنسان (المخ)، إذ يقول في مقدمة كتابه "القصدية": "وفق وجهة نظري تعتبر الظواهر العقلية ظواهر بيولوجية، وتحدث بسبب عمليات المخ، وتتحقق في بنية المخ في الوقت نفسه، ويكون الوعي والقصدية وفقاً لهذه الوجهة من النظر من أجزاء علم الأحياء الإنساني، مثل عمليات الهضم والدورة الدموية"<sup>1</sup> غير أن "سيرل" برأيه هذا يحجم العقل إلى مجرد عضو له وظيفة فيصبح أي شيء له مخ شيئاً له عقل!!!، من النادر أن يقف الدارس على رأي لأحد الفلاسفة أو المفكرين الغربيين يدافع أو حتى يفكر في إقرار علاقة بين العقل والقلب، وربما عدوا وجود مثل هذه العلاقة نقصاً يصيب الإنسان، والفلاسفة المتدينون منهم قد ينسبون لها نواح روحية لاهوتية فيه وليس للقلب، فهم يعتبرون القلب عضواً تشريحياً له وظيفة محددة هي ضخ الدم إلى مختلف الأعضاء الأخرى.

ويمكننا عد "فتغنشتاين [Wittgenstein – Ludwig] (1889م – 1951م)" الاستثناء

بينهم إذ يربط صراحة بين العقل والقلب، بل يلفت النظر لدوره في تحصيل المعنى، ووعي الإنسان ذاته بذلك الدور، يقول "فتغنشتاين": "إن جسم الإنسان لأحسن صورة لنفس الإنسان لكن ماذا عن عبارة مثل هذه "عندما قلت ذلك علمته بقلبي"؟ ننطق بها ونشير إلى قلوبنا، ألا تعني شيئاً بهذه الحركة؟ بل نعيها بالطبع، أم هل كنا واعين فقط بأننا لا نستعمل إلا صورة؟ بالطبع لا فما اخترناه ليس صورة وليس محاكاة وهو مع ذلك تعبير تصويري"<sup>2</sup> ف"فتغنشتاين" قد عمل كثير على إرساء لغة مثلى يستعملها الفلاسفة، تجنبه مشاكل اللغة العادية، خاصة الدقة وتجنب اللبس، إلا أنه أيقن أن السر يكمن في الجانب الإنساني للفعل اللغوي، وهذا السر عنده؛ عدّه الكثير من علماء الدين المسلمين يقينا يجهر بقدرة الله تعالى وتمييزه لبني آدم بالعقل، فما رأي علماء الإسلام في هذه القضية وما حججهم فيها؟ هذا محتوى العنصر الموالي من هذا المبحث.

1 - سيرل: القصدية، ص 18.

2 - فتغنشتاين (لودفيك) (1953): تحقيقات فلسفية، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرزاق بنّور، المنظمة العربية

للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، ص 400.

## IV-2. موطن القصدية في جسم الإنسان في الفكر الإسلامي :

امتد اهتمام العلماء العرب القدماء بالقصدية والنية في جسم الإنسان، إلى معرفة عضوها الفاعل، وهذا دليل على إيلائهم الجانب التشريحي من جسم الإنسان الأهمية سيان مع ما هو مجرد، فالقصدية عندهم لما كانت من أعمال الإنسان ولها قيمة في توجيه باقي أفعاله، بحثوا عن ارتباطها بعضوها الحيوي الذي تؤدي به، إلا أنهم اختلفوا في تحديده أيما اختلاف وانقسموا إلى فريقين كل حسب منطلقه وسنده؛ فالفريق الأول قال بأن موطن القصد والنية القلب، الفريق الآخر قال بأن موطنها الدماغ.

اعتمد الفريق الأول، وهم الفقهاء وعلماء الأصول الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أساسا لدعم الرأي القائل بأن النية و الإرادة والقصد هي من أعمال القلب، وترجع إليه، ومن أدلتهم من كتاب الله قول الله عزوجل: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾ [سورة الحج 46] وكذا قول الله عزوجل: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى (11)﴾ [سورة النجم 11]، وقوله: ﴿...أَوَلَيْكَ كِتَابٌ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ...﴾ [سورة المجادلة من الآية 22]، وقوله جل جلاله: ﴿حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (7)﴾ [سورة البقرة الآية 7] فلم يسند الله عزوجل في أي من هذه الآيات أعمال القلوب إلى الدماغ أو المخ وحتى لاتوجد إشارة إلى ارتباطها (الأعمال) بالرأس من بعيد أو قريب، بل قرن العقل بالقلب في الآية الأولى من هذه الأدلة، كما أسند مختلف أعمال العقل إلى القلب في الأدلة الأخرى فربط بالقلب الرؤية (التبصر) والإيمان والوعي، وكلها تنسب إلى العقل، لهذا "ذهب الحنيفة والشافعية والحنابلة وهو قول مالك وأكثر فقهاء المالكية إلى أن محل النية من المكلف القلب مع كل موضع، لأنه محل العقل والعلم والميل والنفرة والاعتقاد ولأن حقيقتها القصد ومحل القصد القلب"<sup>1</sup>.

1 - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت: الموسوعة الفقهية، دار المقهوي الأولى، الكويت، ط3، 2009م، ج 42، ص 65.

يؤكد ذلك "الجابري" في كتابه "بنية العقل العربي" قائلا: "يفهم من هذا أنه كما أن الآذان أداة للسمع والأعين أداة للإبصار، فالقلب كذلك أداة للعقل"<sup>1</sup> واعتمادا على هذا الدليل السمعي<sup>2</sup> وعلى ما قد يلتبس له من شواهد مؤيدة، "يرفض المعتزلة أن يكون محل العقل الدماغ، كما يقول الفلاسفة بل يربطون بين العقل والقلب ويجعلونهما بمعنى واحد، وكثيرا ما يفضلون عبارة "النظر بالقلب" على عبارة النظر بالعقل"<sup>3</sup>، فالفهاء يجزمون بأن محل العقل القلب ويعززون رأيهم بصراحة النصوص القرآنية الكريمة، واهتدى لهذا الرأي الكثير على اختلاف مذاهبهم وآرائهم في مسائل فقهية كثير أخرى.

أما الفريق الآخر؛ فهم الفلاسفة؛ إذ يجزمون بأن القصد محله العقل في الدماغ واحتجاجهم جاء إنمّا لأنه إذا أصيب الدماغ بسبب تعطلا جزئيا أو كليا لأعمال العقل شرح ذلك أنه مثلا قد يحدث فقد الإنسان لقدرته على التفكير أو العد أو النطق وغيرها من الوظائف العقلية، إذا أصيب بضربة على رأسه سببت له ضرراً دون أن ترديه قتيلا، وهذا يحصل حقا، إذ تسبب الضربات العنيفة على مستوى الرأس (في حال الضرر الجزئي) اختلالا في بعض وظائف العقل كإحساس الفرد بالوقت أو المكان، حسب المكان المتضرر والمراكز العصبية الموجودة فيه، أو قدرته على الحساب والعدّ، أو فقدانه الذاكرة أو القدرة على التفكير وكلها من أعمال العقل، كما أن هذا الخلل قد يكون دائما أو مؤقتا نتيجة لقوة الضربة وموضعها وآثارها

ونجد مثل هذه الفكرة مازالت تجد لها أنصارا حتى في عصرنا هذا فالطبيعيون ومنهم "سيرل" يؤكدون أن الوعي والعقل ظاهرة بيولوجية، وليست سرا يتجاوز الطبيعة، فيرى "سيرل" "الوعي باختصار، ملمح بيولوجي للأمخاخ بشرية وحيوانية معينة والسبب فيها عمليات بيولوجية عصبية، وهو جزء من النظام البيولوجي الطبيعي، مثل التمثيل الضوئي، والهضم، وانقسام الخلية غير المباشر"<sup>4</sup>، وإن لم يستطع التوصل إلى الاتفاق على الرأي الراجح في هذا الخلاف إلا أن الفقهاء عندهم المصوّغ الدائم لرأيهم المستند إلى الدليل السمعي والنظر العلمي، من ذلك ما ذكره القرافي "قال "المازري" في "شرح التلّيقين": "أكثر الفقهاء وأقل الفلاسفة على أن العقل في القلب، وأكثر الفلاسفة وأقل الفقهاء على أنه في

1 - الجابري: بنية العقل العربي، ص 209.

2 - الآية الكريمة: ﴿لَمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف، 179].

3 - الجابري: بنية العقل العربي، ص 210.

4 - إسماعيل (صلاح) : فلسفة العقل ، ص 87.

الدماغ محتجين بأنه إذا أصاب الدماغ آفة فسد العقل، وبطلت العلوم والأنظار، والفكر وأحوال النفس وأجيبوا: بأن استقامة الدماغ لعلها شرط والشيء قد يفسد لفساد محله، وقد يفسد لفساد شرطه، ومع الاحتمال فلا جزم، بل النصوص واردة بأن ذلك في القلب كقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُوا لَهُمْ قُلُوبًا يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانًا يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (46) [سورة الحج 46] ولم يذكر الدماغ فقط في هذا المواطن، فدل على أن محل العقل القلب لا الدماغ، وجعل الله في جاري عاداته استقامة حال الدماغ شرطا في حصول أحوال القلب والعقل على وجه الاستقامة<sup>1</sup>. وأمام صراحة الأدلة الشرعية ونتائج العلوم التجريبية بين الفصل في موضع العقل أهو القلب أم الدماغ يرجح "السويسي" رأي الفقهاء بما أثبتته علماء التشريح حسبه من "إخفاق الأطباء في زرع قلب جديد إلا في جوار القلب التالف، وأن هذا دلالة قاطعة أن للقلب وظائف أخرى تتجاوز ضخ الدم و لعل البحوث ستكتشفها يوما ما"<sup>2</sup>، مع هذا تؤكد عدم دقة هذا الرأي فزراعة القلب حقيقة علمية واقعة ولم تشهد البحوث الطبية لجسم الإنسان عمليات لزرع المخ أو حتى جزء منه، كما نجد أن أي إصابة في القلب إنما تشكل خطرا على الحياة كاملة، في حين أن إصابات الدماغ أو في الرأس تتفاوت خطورتها بين الألم والإضطرابات العصبية والإعاقات أو القصور على الحركة وصولا إلى الأمراض العصبية أو الجنون، فالرأي الطبي لايفصل في هذه القضية بقدر التحاجج بنص شرعي أصله في اللوح المحفوظ.

ونجد "الغزالي" يوفق بين ما يبدو من تناقض بين العلم والشرع في تحديد مجال العقل والنية والقصد، ويبين بأن الإشكال يكمن في معرفة كيفية تعلق العقل بالقلب وأنها ما حيرت عقولا مفكرة، فأسرار العقل أكبر هموم العقول الباصرة، في حين أن حقيقة التعلق مبرهنة تجريبيا (يدعمها رأي الطب) مقررة شرعا جاءت بها النصوص مباشرة واضحة بعيدا عن أي تأويل، فالعلماء المسلمون على إختلاف مشاربهم الفكرية لم يختلفوا في حقيقة ارتباط القصد بالعقل، بل اختلفوا في علاقة العقل بالقلب

1 - القرافي (أحمد بن إدريس المالكي): الأمنية في إدراك النية ، تحقيق: محمد يونس السويسي ، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، و دار ابن حزم، لبنان، ط 1، 2001م، ص 344 - ص 345. وأنظر: الموسوعة الفقهية: ج 42، ص 66.

2 - السويسي ( محمد بن يونس ) : مجال النية في الفقه الإسلامي - متبوعا بتحقيق كتاب الأمنية في إدراك النية للقرافي، دار ابن حزم ، لبنان ، ط 1، 2010 ، هامش ص 346 .

(الصدر) أم الدماغ (الرأس)، أما أصل القصد فلا خلاف حول رده للعقل لذلك يرد "الغزالي" أصل كل خلاف بين العلماء إلى عدم تحديد المصطلحات فلفظ "القلب يطلق على معنيين أحدهما: اللحم الصنوبري الشكل، المودع في الجانب الأيسر من الصدر،... والمعني الثاني: لطيفة ربانية روحانية، لها بهذا القلب الجسماني تعلق، وتلك اللطيفة هي حقيقة الإنسان وهو المدرك العالم العارف من الإنسان، وهو المخاطب والمعاقب والمطالب، ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد تحيرت عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته، فإن تعلقه به يضاهي تعلق الأعراض بالأجسام"1، بهذا يرجعنا كلام "الغزالي" أن أصل الإشكال إنما يتمثل في دقة استخدام المصطلحات وتحديد قصدياتها الاستعمالية.

مهما يكن من أمر، فإن إثارة هذه المسألة، مؤداها بيان وعي العلماء العرب القدماء بمفهوم القصدية وارتباطها بعضو بيولوجي ودعمها بلطيفة ربانية تتجاوز مجرد المادية أو الطبيعية، كما يزعم بيولوجيتها باعث هذا المبدأ في الدراسات اللسانية المعاصرة "سيرل"، فرغم ما أحرزه من تفوق في بلورته لفلسفة العقل وربطها بفلسفة اللغة الإنسانية ضمن مباحث الفلسفة التحليلية المعاصرة، إلا أنه جانب الصواب ولا ريب، أما حجتنا في هذا الحكم دعما لما تقدم إيراده يقول جلّ في علاه في كتابه الذي أصله في اللوح المحفوظ لا يخشى عليه محوا ولا تحريفا: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)﴾ [الحج الآية 46]، ولا أجد فيها وهنا بوصلها إلى الكتاب الذي أجمعت البشرية على صحة سندته و متنه معا.

1 - الغزالي: إحياء علوم الدين، مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي وفلسفته في الإحياء بقلم: بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة "كرياطه فوترا" سماندونيسيا، دط، دت، ج3، ص3. - أنظر: سلسلة تقريب التراث - إحياء علوم الدين: الغزالي، إعداد ودراسة: إصلاح عبد السلام الرفاعي، إشراف و مراجعة: عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة و النشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1988 م، ص 245 - ص 246.

## ❖ خلاصة القول في الفصل الأول:

إجمالاً لما سبق ذكره يمكننا تحديد أهم المفاهيم المتعلقة بالقصدية في الفكر الإنساني فيما يأتي:

- القصدية هي السمة الأساسية للعقل البشري، وبفعل القصد يتوجه العقل إلى الأشياء لإدراكها أو التعامل معها.

- القصدية كلفظ، في اللغة العربية يعزى إلى الأصل الأول للجزر (ق-ص-د)؛ وهو التوجه والأم، أما في اللغات اللاتينية فيرجع إلى الجذر (Intendo)؛ بمعنى الشدّ والمدّ والتوجه.

- القصدية مصطلح من وضع المدرسين في القرون الوسطى.

- القصدية مصطلح تمّ إحياءه مرتين الأولى على يد "برنتانو"، أما الثاني فجاء على يد فلاسفة التحليل.

- لم يكن الفكر الإسلامي بجاهل بمفهوم القصدية بل هو باعث الدرس والتحليل فيها كمفهوم لما أولاه المسلمون للقصدية من أهمية كونها مبدأ إسلامي أساسي تنبني عليه باقي أفعال الإنسان.

- تتكون الحالات القصدية داخل عقل الإنسان، ويساهم في ذلك المعلومات الخارجية والداخلية التي تمدّه بها الحواس إلى جانب ما يختزنه من خلفية قصدية تكون في الأصل مشتركة بينه وبين باقي أفراد الجماعة التي يعيش فيها.

- يفرض العقل القصدية على أشياء أخرى غير قصدية، فيحملها نفس مضمون الحالة القصدية له. من تلك الأشياء الأصوات والأشكال، ومنها العناصر اللغوية بشكل خاص.

- أنواع القصدية:

- من حيث طبيعة التكوين: قصدية أولى (بنائية) و قصدية ثانية (تأملية).
- من حيث طبيعة التظاهر: قصدية أصلية (باطنية)، وقصدية مشتقة (مستمدة).
- من حيث طبيعة التوصيل: قصدية مباشرة (حرفية)، وقصدية غير مباشرة (مستلزمة).

- يتقاطع مصطلح القصدية في الفكرين العربي والغربي مع كثير المصطلحات الأخرى؛ منها القصد، والمفهوم، والماصدق، والمعنى، والغرض، والتفسير، والتأويل.
- وعى العلماء المسلمون القصدية مفهوما فلسفيا، كما جاءت في آثارهم تطبيقات تظهر دورها في تعدد الخطابات انطلاقا من تميز أصحابها في بناء حالاتهم القصدية.
- دار جدل فكري فلسفي مهم حول ارتباط القصدية بأحد العضوين القلب أو الدماغ إلا أن الاتفاق حصل حول ارتباط القصدية بالعقل البشري.

**الفصل الثاني:**

**القياسية ولغة الحقيقة.**

## الفصل الثاني : القصدية ولغة الحقيقة.

تمهيد

### I. توصيف الاستعمال اللغوي في فلسفة اللغة :

1. توصيف الاستعمال اللغوي في تيار اللغة المنطقية.
2. توصيف الاستعمال اللغوي في تيار اللغة العادية.

### II. العمليات الخطابية:

1. الكفاءات الخطابية.

2. الإنتاج الخطابي والتلقي الخطابي.

### III. قضايا فلسفية تساهم في تأطير التفاعل الخطابي:

1. اسم العلم.

2. الإحالة .

### IV. قضايا لغوية تساهم في تأطير التفاعل الخطابي:

1. الظواهر الصوتية والظواهر النسقية.

2. الظواهر الدلالية والظواهر التداولية.

3. خلاصة القول في الفصل الثاني.

## الفصل الثاني: القصدية ولغة الحقيقة:

### تمهيد:

لقد ارتبط مفهوم لغة الحقيقة بأبحاث فلسفة اللّغة، إذ عمل الفلاسفة على تحديد مفهوم اللّغة الأفضل لحمل القصد على حقيقتها بعيدا عن التشارك أو اللبس أو الخطأ، وفي جوّ علمي غني برزت جدية الأعمال والقضايا التي طرحها تيار تفرّد فيما بعد، هو تيار الفلسفة التحليلية<sup>1</sup>.

وأخص ما نلاحظه في الفلسفة التحليلية أنّها تمتاز بجملة من الخصائص تميزها عن المدارس الأخرى المعاصرة تتلخص في: مركزية اللّغة بالنسبة للفلسفة، والاعتماد على المنهج التحليلي سواء اتخذ هذا المنهج صورة التحليل المنطقي أو التحليل اللّغوي، واحترام نتائج العلم والحقائق التي يسلم بها الحس المشترك، وأخذها بعين الإعتبار عند معالجة المشكلات الفلسفية<sup>2</sup>، وعلى غير العادة نشير إلى أن الخصيصة الثالثة لفلسفة اللّغة تؤكد خضوع فلاسفة اللّغة للمبادئ العقلية ذلك أنّه رغم انطلاقهم من عجز المنهج التجريبي عن الإجابة عن القضايا وعدم فاعليته في إرساء نوع من المعرفة اليقينية في قضايا مجردة؛ فإنّ الفلاسفة لا يرفضون جملة نتائج التجربة بل يقرّون بأنّها قد تمثل منطلقات لتجلية معارف معينة، ويسلمون باحترام نتائج العلم والحقائق المستقبلية بالحواس، ويرجع بعض المتتبعين ذلك إلى كون أغلب الفلاسفة الذين قادوا هذا التوجه الجديد ينتمون إلى خلفية معرفية علمية بحثة خاصة منها مجال الرياضيات فـ"فريجه" مثلا له مؤلف في فلسفة الحساب وكذا غيره من فلاسفة هذا الإتجاه.

1 - الفلسفة التحليلية: تيار فلسفي حديث ، قام على مبدأ تحليل الظواهر هي في ذاتها بعيدا عن الظروف المحيطة؛ ويُرجع الدارسون أوائل بحوث تيار الفلسفة التحليلية إلى كتابات فريجه [ ( 1848 م - 1925 م ) Frege - Getlob ] و راسل [ ( 1872 م - 1970 م ) Bertrand Russell ] و مور [ ( 1873م - 1958م ) G. E. Moor ] وفتغنشتاين [ ( 1898 م - 1951 م ) Ludwig Wittgenstein ]، وغيرهم. لقد انصبت أهم أعمال رواده على النظر في ما سماه "راسل" "النحو الفلسفي Philosophical grammar"، وأطلق عليه "كارنب" [ ( 1891 م - 1970 م ) Rudolf . Carnap ] "التركيب المنطقي للغة logical syntax of language" أنظر :

- Jacob Pierre: L'Empirisme Logique - ses antecedents ,ses critiques -,edition Minuit Paris,France, 1980, P 17.

وزيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللّغة، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دط ، 1985 م، ص 11.

2 - إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 40، بالتصريف.

أما الخاصيتان الأولى والثانية، يتمثل بيان أهميتهما في أن فكرة مركزية اللغة بالنسبة للفلسفة، والتحليلات التامة لها وبها، تكمن في العمل على تحديد قصدية الاستعمالات اللغوية للفلاسفة أثناء طرحهم لمختلف آرائهم الفكرية أثناء تناولهم للقضايا الفلسفية؛ من ذلك ما قاله "بلبولة" وهو يطرح وجهة نظر "فتغنشتاين" في منطق اللغة: "ويبقى "فتغنشتاين" وفيما لموقفه القاضي بأن الفلاسفة يجهلون منطق اللغة إلا أن عبارة "منطق اللغة" تعني الصورة المنطقية في "الرسالة" أما في "الأبحاث" <sup>1</sup> فتعني "ألعاب اللغة" <sup>2</sup>، إذا كان هذا حال أحد رواد الفلسفة التحليلية الذين سعوا إلى ضبط وتحديد مؤديات اللغة للوصول بالقضايا الفلسفية إلى مزيد الحصر والتدقيق الفاعل، حتى لا يتسبب لهم التوسع وعدم التحديد الوقوع في مشاكل منطقية أساسها الخلط في استخدام اللغة والخطابات لا صعوبة القضايا وتضارب جزئياتها. بهذا ارتبط ظهور أكبر تيار فلسفي معاصر في فلسفة اللغة (التيار التحليلي) بالفكرة القائلة "إن المشكلات الفلسفية نابعة من اللغة ومن الاستعمال السيئ للغة" <sup>3</sup>، عند هذه النقطة نجد أنفسنا أمام وجوب توضيح فكرة تمييز صورتين من اللغة عند الفلاسفة كما عند الناس عامة الصورة المنطقية للغة والصورة العادية للغة، خاصة أن هذه الفكرة كانت سبب تمايز أهم تيارين من تيارات الفلسفة التحليلية، وكذا القضايا المرتبطة بها خاصة سواء كانت قضايا فلسفية: كإسم العلم، الإحالة، أو لغوية: كالصوت والنسق، الدلالة والتداول.

- 1 - الرسالة المنطقية: مؤلف متقدم لـ "فتغنشتاين"؛ عمل فيه على إرساء اللغة المنطقية والدفاع على قيمة الصدق فيها، لصحة تركيبها واستعمالها على حد سواء. والأبحاث المنطقية: مؤلف متأخر له؛ عمل فيه على الانتقال إلى فاعلية اللغة العادية بدل اللغة المنطقية، بلجوئه إلى "ألعاب اللغة" واستثمار ما تتصف به التعبيرات العادية للغة وقدرتها على التمثيل لكل المواقف والقضايا دون استثناء. وسيأتي في قابل هذا الفصل (المبحث الأول) عرض تحليلي لمفهومي اللغة المنطقية واللغة العادية. أنظر فتغنشتاين (لودفيك) (1953م): تحقيقات فلسفية، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرزاق بنّور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م، أنظر المقدمة ص17.
- 2 - بلبولة (مصطفى): لدفيج فينجنشتاين من لغة الكون إلى لغة الإنسان، دراسة منشورة في كتاب "اللغة والمعنى"، مؤلف جماعي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، و منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2010 م، ص 190.
- 3 - بغورة (الزواوي): الفلسفة واللغة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2005، ص202.

## I. توصيف الاستعمال اللغوي في فلسفة اللغة:

يستعمل الناس؛ كل الناس نوعين من اللغة في تعابيرهم اليومية، وحسب حاجتهم، فتظهر صورة لغتهم على شكلين؛ الأول اللغة العادية، التي يستعملها الناس في حياتهم اليومية ويستعملون فيها تعبيرات تمتاز بشيء من الحرية والاتساع وتتأى عن الترميز أو التشفير، والآخر اللغة الصورية، يستعملها الناس بحرص ودقة، وقد ينشئونها بالاتفاق تبعا لقصودهم لأغراض خاصة. إذا كان هذا حال الناس عامة، فهو في الفلاسفة أظهر وأوجه، فقد اختلف؛ الفلاسفة في طبيعة اللغة المناسبة، لتعبير عن الحقيقة، اللغة الصورية أنسب؟ أم اللغة العادية لوضوحها وسهولة استخدامها ووصولها إلى عامة الناس فكان الحال كاللاحق:

### 1-1 - توصيف الاستعمال اللغوي في تيار "اللغة المنطقية":

وتدعى، اللغة المثالية (Ideal language) أو اللغة الصناعية (Artificiel language)، اللغة الكاملة منطقيا (Logically Perfect language)؛ اللغة العليا (Meta language) أورد لها "زيدان (محمود فهمي)" تعريفاً فقال: "إنها لغة رمزية تتجنب كل عيوب اللغة العادية بحيث يكون كل اسم دالاً على معنى معين أو يكون لكل كلمة معنى و مدلول، ونعنى في هذه اللغة أيضاً بدراسة التركيب الصحيح لمفردات اللغة في جمل سليمة البناء ووضع قواعد هذا التركيب، كما نهتم بدراسة قواعد الاستدلال من صورة من الجمل إلى ما يلزم عنها من صور أخرى"<sup>1</sup>. ويؤخذ على هذا التعريف ثلاثة مآخذ؛ هي كيف تكون لكل كلمة معنى أو مسمى خاص بها؟، كيف تكون تراكيب مفردات اللغة صحيحة؟ وكيف توضع قواعد هذه التراكيب؟ فما يعرفه كل الناس - الفلاسفة منهم والعامّة - أن المخزون المعجمي لأي لغة مهما كان غناها محدود في حين أن المعاني والدلالات والقصديات من ورائها كثيرة جداً ومتجدّدة، هذا من ناحية المفردات، أما من حيث التراكيب فصحتها تتحدد حسب معايير الحكم عليها فمن أين نستقي هذه المعايير؟ ومن يضعها؟ وهذا الشأن ينطبق على مجموع القواعد التي تتحكم في هذه التراكيب غير المحدودة.

1- زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللغة، ص 30.

مع هذا فإن المدرسة الوضعية الجديدة تقول بأنه يمكن لنا أن نتحدث عن اللغة، على الأخص بوسيلة استخدام لغة أخرى، تكون "لغة اللغة" أو "اللغة الثانية" وليست الفلسفة إلا هذا التحليل للغة، باستخدام لغة أخرى، فهي تضع نظاما من العلامات التي تدلُّ بدورها على مصطلحات اللغة العلمية التي يستخدمها العلم، وتكون بهذا قادرة على تحليل قضايا العلوم الطبيعية، وتكون الفلسفة دراسة للتركيب المنطقي للجمل العلمية<sup>1</sup>، وظهرت محاولات عديدة لإقامة لغة منطقية تضبط أجديات التعابير عن القصور بشكل واضح ومحكم، فسعى عديد الفلاسفة في مرحلة أولى إلى إبتكارها للإبتعاد بها عن مشاكل اللغة العادية خاصة منها اتصافها بظواهر كالترادف والمشارك اللفظي والأضداد التي توقع في اللبس أو الخطأ في إدراك قصد بعض العبارات، وممن سعى لذلك، "ليبنتز" [Leibniz] (1646 م – 1716 م) متقدما، ثم "فريجة" و"رسل" و "فتغنشتاين"، ولعل أهم منطلق لهم تعاملهم مع علم دقيق وواضح المعالم والنتائج كالرياضيات فأغلبهم كان وطيد العلاقة بالحساب والمنطق الرياضي، إذ "كان" فتغنشتاين" عمل على تأسيس لغة مثالية تستبعد كل الشوائب والزوائد؛ لغة تذيب العوائق والصعوبات الناتجة عن الاشتراك في اللفظ خصوصا، فإن هذا يعني أنه كان يريد تطبيق "قانون الإقتصاد" في استعمال اللفظ، وهو القانون الذي يعتبر "نصل أوكام" نتيجة له<sup>2</sup>، والناظر في هذا المبدأ يلمس محاولتهم إلى ضبط اللغة وإحكامها بمعادلات لا مجال لمشاكل اللغة العادية (الخطأ أو اللبس) فيها.

إن اللغة المنطقية تركز؛ على معادلات وعلاقات معلومة، وتستعمل علامات معينة وعالمية، بعيدا عن الغموض أو الخصوصية، "تقترن فيما بينها لتنتج قضايا تتولد عنها (بواسطة قواعد محددة) تعابير يصطاح عليها بالتعابير "سليمة التركيب"، لنختار بعد ذلك ضمن هذه المجموعة مجموعة جزئية نعتبرها مسلمات ونعتمدها لاستنباط مبرهنات النسق"<sup>3</sup> معنى هذا أنهم سعوا إلى ترميز الخطابات وتحديد مؤدياتها بطرق منطقية صرفة. فعمل هؤلاء

- 1 - بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ص 86 . وأنظر إيفيتش (ميلكا) : إتجاهات البحث اللساني، ترجمة عبد العزيز مصلوح و وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، لبنان، ص 343 .
- 2 - نصل أوكام: مبدأ شهير له، فحواه؛ ألا نكثر من الموجودات دون مسوغ، وبتطبيقه على اللغة أن لا نكثر من الخطابات دون قصد معين. بلبولة (مصطفى): لدفيج فينجشتين من لغة الكون إلى لغة الإنسان، ص 181.
- 3 - الباهي (حسان): اللغة والمنطق - بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، و دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2000م، ص 24.

الفلاسفة على نمذجة الخطابات عن طريق معادلات وقوانين تحكم إما تأليفها أو فهمها والحكم عليها، أي التحكم في طريقة إنتاجها وطرق تحليلها وتفسيرها وكذا النتائج المنطقية التي تؤدي إليها هذه الخطابات، فعملوا بذلك على جعل اللغة منطقية (صورية)، تتميز بثلاث سمات أساسية<sup>1</sup>:

**1- الأبجدية :** رموز تشتق أساسا من أوائل العبارات اللغوية، وتشمل:

- المتغيرات القضوية : ب، ج، د، ...

- روابط منطقية : ~، ٧، ٨، ←، ↔، ...

- أقواس : (، )، [، ]، ...

**2- قواعد التركيب :** كثيرة، وتختلف من علم إلى آخر حسب طبيعته، ودورها:

**1-2.** تقنن الكيفية التي يتم بواسطتها تركيب مكونات الأبجدية للحصول على قضايا معينة.

**2-2.** تعين العبارات "سليمة التركيب" عن غيرها.

**3- قواعد الاستنتاج:** تجعلنا نستنتج قضايا صحيحة انطلاقا من قضايا أخرى، ومنها:

**1-3.** قاعدة الوضع: تقوم أساسا إما على مسلمات و إما على مبرهنات.

**2-3.** قاعدة الاستبدال: تتيح لنا استبدال صيغة أو تركيب مكان صيغة أو تركيب آخر في كل

مواقعه.

لقد انحدرت من التحليل المنطقي للغة عديد النظريات اللسانية، يمكن الحكم عليها بكونها صورية منها: مقاربات الدرس السيميائي، والنحو التوليدي، والنحو الوظيفي، وحتى النظريات التداولية (النظريات الخطية والنظريات ذات الشكل Y والنظريات العرفانية<sup>2</sup>، في محاولة لتأطير الخطابات وفهم طريقة إنتاجها وطريقة تليقيها من طرف المتفاعلين خطابيا.

واهتم عدد من الدارسين لقاعدة الوضع، ولعل "بيرس" ممن اهتم بشكل لافت لقاعدة الوضع، إذ عني بالعلامة ووضعها وأقام لها صرحا مثلثا بدل الثنائية الشهيرة للعلامة اللغوية، قائلا: "إن موضوع العلامة شيء ومعناها شيء آخر. إن الموضوع هو الشيء أو الفرصة، التي لم تحدد بعد، وهو ما يجب أن تنطبق عليه العلامة. أما معناها فهو الفكرة التي تقوم العلامة بتطبيقها على الموضوع، إما من خلال

1 - المصدر السابق : ص 24، 25، 26 .

2 - موشلار ( جاك ) - ريبول ( آن ) : القاموس الموسوعي للتداولية ، ترجمة : شكري المبخوت ، ص 40- 45 .

افتراض، وإما من خلال نظام أو إثبات آخر<sup>1</sup>. العلامة إذن؛ لموضوع أو فرصة خطاب كائن في اللغة بشكل قطعي مستقل، عليه تنطبق علامة ما خاصة به، وهي بذلك أشبه بالمخزن المتاح غير المتناول، وعامة توجد في شكل معاجم أو تحفظ في أكياس للكلمات، وأما معنى العلامة فمتى قبل التطبيق على موضوع ما، يُتناول بفكرة ما على الموضوع، والضابط لها هو تطبيق معنى ما لعلامة معينة على موضوع معين وفق فكرة معينة؛ أنظر للخطابات اليومية التالية:

- طلع النهار.
- أشرقت الأرض بنور ربها.
- لاح وجهه الصباح.
- تبسمت أسارير الطبيعة.

إنّ هذه الخطابات؛ نماذج فقط عن الخطابات التي يمكن تأليفها انطلاقاً من حالات قصدية تتكوّن كلّها باتجاه موضوع مقصود واحد (الصباح) إلا أنّها تتعدد في نسقها ومضمونها وفق توجيه الحالة القصدية المنشئة لها، **فطلع النهار** نسق خطاب متاح، كثير الانتشار والورود على الألسن، أما الثاني فيوحي بسَمْتِ التوكّل على الله والإيمان بعونه، في حين يضمّر (لاح وجهه الصباح) إبعاداً للتشاؤم والمكدرات، أما (تبسمت أسارير الطبيعة) فنموذج خطاب يقبل التطبيق متى اتجهت الحالة القصدية لوصف الطبيعة بعد ليل طويل أغطش يبعث على الوحشة والخوف. ثم إن تطبيق الحالة القصدية المشتقة الموافقة للحالة القصدية الأصلية، يتأتى باللجوء إلى مخزون لساني متكوّن سلفاً يستخدم متى دعت إليه الحاجة، وتباينه من ذهن إلى آخر شيء واقع جليّ، ما يفسر التعدد الكبير للخطابات وفق ذهن منشئها والحالة القصدية الأصلية له، ولا شك أن هذا التوسّع الممكن داخل مخزن الخطابات المتاح ينحو بمستعمل اللغة حال الاستعمال العادي إلى شيء من التحرّز من أحكام وقيود العلامات المنطقية المنشأة أصلاً في حيز من الاقتصاد والتحرّز من اللبس ما يؤكد قطبية العلامات داخل الخطابات، حتى لا تصير غير منطقية بالضرورة.

إنّ التفرقة الدقيقة لـ "بيرس" بين مظاهر العلامة قادتته إلى الجزم بوجود أكثر من شكل للعلامة، يحكم تحديدها والحكم عليها قانون الوضع لا غيره، "العلامات العينية" مثال

1 - إيكو (أمبرتو): العلامة - تحليل المفهوم و تاريخه، ترجمة: بن كراد (سعيد)، راجع النص: الغانمي (سعيد)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 2، 2010 م، ص 267.

خاص للعلامة: إنها موقع، وبالمقابل فالكلمة المجردة عن موقعها هي التي نصطلح عليها بـ"العلامة القانونية" أو "العلامة النمطية" فهي ليست موضوعا خاصا. كما تختلف من جهة الدلالة عن "العلامة الموقعية" التي تتعلق بتلفظ خاص في مقام معيّن وفي زمان ومكان محددين<sup>1</sup> فدارس الاستعمال للعلامة اللسانية يضع العلامة في صفة الموقعية.

غير أن السعي لصورنة الخطابات، يعمل الدارسون بواسطته على تحويل هذه العلامة الموقعية إلى علامة نمطية بغية الحصول على وحدات خطابية أقل انتشارا وأكثر تحديدا تدرس منطقيا، أي أن هناك علامات نمطية، للخواص استعمالها، يمكنها أن توفر مادة خصبة للغة منطقية أكثر توسعا (مشتركة بشكل من الأشكال) ودقيقة لأنّ العلامة فيها محددة الموضوع والمعنى، غير أن الأمور ليست دائما سليمة، فـ"بيرس" بهذه التفريق فتح للدارسين مسارين يسعى في نهايتهما إلى موضوع العلامة لا إلى معناها في التداول فالعلامة الموقعية ترتبط بموضوع مباشر، والعلامة النمطية ترتبط بموضوع ديناميكي وعضد هذا التمييز فكرة "بيرس" حول المؤول، فالمؤول حسب "عنصر مكوّن للعلامة ذاتها"<sup>2</sup>. ومادام المؤول مكوّن لها، حالا فيها، فموضوعها مرتبط بها لا انفكاك له عنها ولا حقيقة له من غير ارتباطه بها؛ إذ ما يجعل العلامة تحافظ على الحقيقة فيها احتواؤها لمؤولها وعدم ارتباطها بمؤول خارجي (موضوع مباشر) تنتفي الحقيقة عنها إذا ابتعدت عنه في حال التفسير أو التأويل، وتحمل العلامة الحقيقة إذا حافظت على قيمة الصدق فيها معزولة على أي واقعة تداولية خاصة.

غير أن الساعين إلى تمييط العلامات اللغوية، واجهتهم حقيقة لا سبيل إلى التغاضي عنها، إذ يؤكد "الباهي"<sup>3</sup> "أن التقويم لا يرتكز على الجملة النمطية بل على الجملة كموقع لجواز استخدام نفس الجملة في مقامات متعددة ومختلفة تجعلها تعبر عن أمر أو استفهام أو تساؤل،... إلخ"<sup>3</sup>، فالجمل النمطية لا توفر القدرات المتجددة للخطابات، لارتباط هذه الأخيرة بوقائعها الخاصة، وارتباط كل خطاب

1- الباهي (حسان): اللّغة والمنطق - بحث في المفارقات، ص 75-76.

2- الحباشة (صابر): مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق سورية، ط 1، 2011، ص131.

3- الباهي (حسان): اللّغة والمنطق - بحث في المفارقات، ص 77.

بموقع معين في واقعة خطابية إنما ينتج عن استيفائه لشروط ملاءمة كل خطاب للحالة القصدية المصاحبة له، وشروط الاستيفاء خاصة تتكون من الحالة القصدية لمنشيء الخطاب، ولكل خطاب شروط استيفائه تماما كما لكل حالة قصدية شروط استيفاء خاصة بها ما يجعل تحديد صدق الخطابات ممكنا فقط بالنسبة للتعبير النمطية، والقدرة على التحقق من موطن الحقيقة فيها، في الحين الذي يعز ذلك في الخطابات الموقعية (الخطابات العادية) لخضوعها للظروف الخاصة؛ أي لشروط استيفاء مرتبطة بها لاشروط صدق يضمنها لها المنطق العام.

ونجد موقفا متميزا لـ "كوين" [QUINE Willard Van Orman (1908 م - 2000م)] يسعى به إلى تدليل لبس الخطابات واللجوء إلى إنتاج اللغة المنطقية، وهو المهتم بفكرة ضرورة حسم الجدل في مسألة القصدية؛ وجودها، وأهميتها، ومن ثم ضرورة إرساء "علم القصد" فالتعبير عنده يجب أن يربط الخطاب المنتقى لا بالشئ المعبر عنه بل باسمه؛ في محاولة منه إلى حصر أكثر وتحديد أكبر لقصد الخطابات، الخطابات الحقيقية عنده ليست تلك التي ترتبط بالفلم (تلفظ) أو التي ترتبط بالشئ الحقيقي بل هي الخطابات الأصلية (المنطقية)، وللتفرقة بين الخطابات الحقيقية والخطابات الخفية اقترح فحصا يسمح بتمييز اللغات المفهومية عن اللغات الماصدقية، وإذا كانت ملفوظات الخطاب تحيل إحالة مباشرة على مؤول جلي أو إذا كانت لا تحيل على مؤول مباشر بل خفي<sup>1</sup>.

**الخطابات الأصلية** عنده هي تلك الخطابات التي تبنى بناء صحيحا وفق الطريقة العلمية (المنطقية)، وفيها لا في غيرها تكمن الحقيقة عنده<sup>2</sup>؛ ذلك أنها تبنى بطريقة لا تعرض قيمة الحقيقة فيها للتغير، وهذا التحفظ حسبه أدى إلى نجاح عديد العلوم في بناء لغة منطقية خاصة بها كانت سببا في تقدم مباحثها وانتشار أبحاثها ولعل علم الرياضيات يعطي النموذج الفاعل على ذلك فـ "صحيح أننا نستعمل التعبيرات القصدية في حياتنا اليومية، لكنه يرى (كوين) أن هذه التعبيرات لا أساس لها، ومن ثم يجب الاستغناء عنها عند التحول إلى العلم والممارسة العلمية"<sup>3</sup>. فالرأي عنده استبعاد التعبيرات المشحونة أو المتراكمة والدعوة منه إلى اللجوء إلى اللغة العلمية الدقيقة، المبنية وفق قواعد تركيبية ودلالية

1 - Jacob Pierre: L'Empirisme Logique – ses antécédents ,ses critiques – , P 176.

2 - أنظر - QUINE ( Willard Van Orman ): Word & Object, Massachussts Institute of Technology , Cambridge , Fifte Printing , 1970, p227 .

3 - صلاح ( إسماعيل): فلسفة العقل – دراسة في فلسفة جون سيرل، ص 180.

واضحة، الحاملة لصدق معروف ومؤطر بشكل جماعي، عكس اللغات الطبيعية<sup>1</sup>. إذ تحافظ تراكيب الخطابات المنطقية على صدقها حسب فلاسفة اللغة المنطقية دائما كما تحافظ على صدقها حتى في حال تغييرها استنادا إلى الفحص الذي وضعه "كوين"، فقط إذا تم استبدال ملفوظ من الخطاب بملفوظ آخر له القيمة الصدقية نفسها دون تأثير قيمة الحقيقة في الخطاب؛ فالخطاب أصلي وله قيمة إحالية جلية لموضوع الخطاب المقصود بالإحالة، وإن كان الاستبدال مؤثرا؛ ينفي القيمة الصدقية للخطاب "فلو كانت لنا قضية ما صادقة وأردنا التأكد مما إذا كان أحد مكوناتها إحالي بشكل جلي، فيكفي تعويضه بتعبير له نفس الإحالة، فإذا احتفظت القضية بقيمة الصدقية قلنا أنها إحالة جلية، أما في حال إخفاق الاستبدال (كما هو الحال فيما يتعلق بالتعبير المفهومية) فهذا يدل على الطابع غير الجلي للقضية"<sup>2</sup>. أي أن قيمة الحقيقة لا تتأثر ولا تتغير إذا تغيرت كلمات جمل صحيحة منطقيا تمثل قضية صادقة وتم استبدال أحد مكوناتها بما يوافقه إحاليا، كاستبدال العلامة "أحمد" بالعلامة "نافع" في الخطاب المنطقي الآتي:

- أحمد أخي مهندس. ← نافع أخي مهندس.

يحفظ للخطاب المذكور قيمة الحقيقة والصدق؛ كون العلامتين "أحمد" و "نافع" اسما علم لذات الشخص فالعلامتان متوافقتان متشابهتان، ولهما إحالة جلية على الشخص نفسه. الخطابات الصادقة تحافظ أيضا حسبهم على قيمة الحقيقة فيها دائما، إذا أمكن استعمال التراكيب في وضعيات مشابهة<sup>3</sup>، يمكننا القول أن هذا الجزم يستبعد قيمة الحقيقة في أغلب العبارات المفهومية لأنها لا تخضع لإحالة ماصدقية - واقعية-، هذا من ناحية، من ناحية أخرى، لا تحمل الملفوظات دائما الإحالة نفسها، وإن تشابهت، كما يمكن أن لا يكون متلقي الخطاب مالكا لحالة قصدية بكون الإحالتين تحيلان للشيء نفسه مثلا الخطاب الآنف الذكر:

- أحمد أخي مهندس. ← نافع أخي مهندس.

لا يحتفظ بقيمة الصدق فيه مجرد استبدال العلامة "أحمد" بالعلامة "نافع" كونهما متشابهان، فهذا قد لا ينجح إذا اعتبرنا العلامة "نافع" صفة وليست اسم علم، أو في حال كان متلقي

1 - ينظر: - Jacob Pierre: L'Empirisme Logique, P 185

2- الباهي ( حسان ): اللغة والمنطق - بحث في المفارقات، ص 80.

3- Jacob Pierre: L'Empirisme Logique - ses antecedents ,ses critiques - ,P 182 .

الخطاب يجهل أن "نافع" اسم ثان لأخي "أحمد"، هنا ننقض التركيب المنطقي؛ باعتبار قصدية الخطاب، إذ مجرد اشتراط الإحالة يعني ولا ريب اشتغالا ذهنيا لصاحب الخطاب فيه، ما معناه أننا لا يمكننا تصور حضور خطاب ما دون اشتغال حالة قصدية لإحالة المخاطب من جهة وكذا الحالة القصدية للخطاب المتكونة لدى المخاطب، إذ إن الخطاب يختلف عن مجرد وجود عناصر لغوية حرة، فالخطاب يعني التفاعل والتفاعل لا يكون دون أطر ولعل أهمها على الإطلاق طرفا التخاطب لفاعليتهما فيه، يقول "المتوكل" بأن "أهم ما يجدر النظر إليه هو أن ظاهرة الإحالة أدخل في التداول منها في الدلالة"<sup>1</sup>؛ فالإحالة لا تكون دون أن ينسب منشئ الخطاب أو يفترض معارف قاعدية وحالات قصدية نحو الشيء المحال إليه في الواقعة الخطابية لدى المتلقي انطلاقا من حالة قصدية مصاحبة مكونة لديه هو أصلا كمخاطب، وتسهيل التفاعل الخطابية إنما يتفعل بالتوافق العام، قدر الإمكان، حول إحالة الخطاب الخاصة وحسب "سيرل" لا يتجه معظم الناس "إلى تعميد الأشياء الطبيعية، وإنما يقصدون فقط استخدام كلمات تعني أو تشير لما يعنيه المجتمع عموما"<sup>2</sup>، وإن كان هذا حال الخطابات العامة أو مسميات الأشياء المشتركة من مراعاة توحيد القصد فالحال أولى في حال الخطابات الخاصة بواقعة خطابية معينة وتشارك أطرافها الإحالات التي تضمن إشباع الشروط القصدية للخطاب.

لذا وإن نجحت بعض العلوم في بناء لغة منطقية خاصة بها مبعثها التفاهم العام المشترك حول رموزها وأشكال أنساقها، إلا أنّ اللسانيات مازالت تسعى جاهدة لوضع لغة منطقية تحفظ لقضاياها الصحة والتطور في آن واحد، ولا أدلّ على ذلك من سعي اللسانيين إلى إرساء أنحاء صورية محاولين بذلك إيجاد لغة منطقية لدراسة اللّغة الطبيعية ولعلّ محركهم الأول في ذلك هو الوصول إلى لغة واحدة يتعامل بها كل البشر في كل الأزمنة وكل الأمكنة وكل المواقع بسلاسة بعيدا عن اللبس والخطأ، لكن هذا المطلب يعرّ مع إخفاق اللّغة المنطقية ومحدوديتها، من حيث أنماط الاستعمال الواسعة للغات في الواقع. من هذا المنطلق نلاحظ نماء أفكار تيار اتجه عكس الأول يكرّس دور اللّغة العادية في استيعاب كل القضايا التي تعترض الإنسان، وتؤديها بنجاح في أغلب الأحيان.

1 - المتوكل (أحمد): الخطاب و خصائص اللّغة العربية، ص 74.

2 - سيرل (جون): القصدية، ص 261.

## 2- توصيف الاستعمال اللغوي في تيار "اللغة العادية":

تدعى، اللغة العادية (Ordinar language) أو اللغة الطبيعية (Natural language)، ومنطلق فكرة فلسفة اللغة العادية مبدأ بسيط؛ أن أصل كل تفكير فلسفي هو بحث الإنسان عن حقيقة هذا العالم وانتمائه إليه، وأنه مرتبط بالعالم وبكل ما يوجد فيه، وأثناء ارتباطه يكون الإنسان حوله أفكارا وتصورات، وحتى يفهمها، ويعرب عنها يستعمل اللغة، وأي لغة يستعملها كل واحد من الناس لتمثيل هذه التصورات؟. بالتأكيد أن كل منّا يستعمل مباشرة اللغة المتاحة له، بسهولة ويسر ولا يفكر في البحث عن تراكيب منطقية ولغة مثالية لذلك، فيلجأ إلى اللغة العادية التي يتعامل بها مع غيره من الناس في مجتمعه أثناء محاولته العيش بطريقة أفضل وأكثر توافقا، فاللغة تؤثر في صاحبها وفي غيره، وبهذا تؤثر في تكوين العالم عامة، لذا فـ"عوضا على أن تبقى اللغة العادية موضوعا للنقد في الفلسفة التحليلية في ثوبها الجديد -التي أصبحت بمعنى من المعاني فلسفة للغة العادي- أصبح الاهتمام مركزا على الكيفيات التي تعمل بها هذه اللغة"<sup>1</sup>؛ فهي تستطيع أن تستوعب مختلف المواقف التخاطبية، ما دفع الفلاسفة إلى الانتقال بالتحليل إلى البحث عن أسباب تميز اللغة العادية بالقدرة على استيعاب جل التركيبات الخطابية الناتجة عن مختلف الوقائع التداولية، ناهيك عن التفاعلات الخطابية المتركمة، فاتجه الفلاسفة إلى استثمار هذه القدرة الهائلة للغة العادية في استيعاب مختلف القضايا والوقائع الخطابية، بوصول مستعملها إلى إيصال قصده.

اعتبر اكتشاف اللغة المنطقية هدفا فلسفيا في ذاته، و"تمثل في رؤية "راسل" و"فتغنشتاين" في الربع الأول من القرن العشرين فيما يعرف بمشروع المنطق الفلسفي الرسلي"<sup>2</sup> إلا أنهما بعد جهد كبير وقرباية الربع قرن من الزمن، تأكدا من استحالة وضع هذه اللغة. وفي الوقت الذي بقي "راسل" مكابرا يحاول إيجاد نسق يليق بالتحديث عن قضايا الفلسفة، غير "فتغنشتاين" الوجهة في منهجه؛ إذ أولى الاهتمام للغة العادية، يقول عنه "هابرماس": "عاش "فتغنشتاين" في "كامبردج" كأستاذ متقاعد ودون أن ينشر أي شيء، أقدم هناك، وسط هدوء حلقاته الدراسية وبمعاونة مجموعة

1 - بلبولة (مصطفى): لدفيج فينجنشتين من لغة الكون إلى لغة الإنسان، ص 184.

2 - أبو النور (أحمد أنور): المنطق الطبيعي - دراسة في نظرية الاستنباط الأساسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1993 م، ص 82 - 83.

صغيرة من الأتباع، على انعطاف نَقْلُهُ من التحليل المنطقي إلى التحليل الألسني، أما هذا التحليل الأخير فلم يعد يهتم أساساً بصياغة لغة عالمية متماسكة ترمز إلى الوقائع وتدل عليها،..<sup>1</sup> لقد كان "فتغنشتاين" في جامعة "كامبردج" وفكرته<sup>2</sup> هذه، وجدت قبولا عند كثير من فلاسفة اللّغة خاصة في جامعة "أوكسفورد"، فتأثروا به حتى غدت مدرسة "أوكسفورد" تمثل فلسفة اللّغة العادية، وأولوا اهتماما بقدرة اللّغة البسيطة على حمل قصد المنتج لها وقيمة الحقيقة فيها المتأتية بالفهم الصحيح للقصد في أغلب حالاتها، ونذكر ممن نهج ودافع على أفكار فلسفة اللّغة العادية أهم رواد المنهج التداولي في الدرس اللّساني الحديث "أوستن" وتابعه "ستراوسن" و"رايل"، ثم "سيرل" و"جرايس" و"غوفمان"، وكانت فكرة أن المتخاطبين إنما يمارسون في محادثاتهم نوعا من الألعاب اللّغوية سبب في تبلور أفكار أحدث اتجاه ألسني حالي يتمثل في التيار التداولي لدراسة اللّغة والخطابات.

فما معنى الألعاب اللّغوية؟ إن الألعاب كثيرة جدا وأشكالها متعددة وتختلف مبادئها ووسائلها وطرق ممارستها، لكن رغم هذه الاختلافات نطلق عليها اسم "العبة"، وكذلك كلمات اللّغة كثيرة جدا واستعمالاتها أكثر لكثرتها جميعا مادة لسانية واحدة، ف"الكلمة الواحدة تتعدد معانيها بتعدد استخداماتها لها في الحياة اليومية وتتعدد معاني الجملة الواحدة حسب السياق الذي تذكر فيه وإن بين تعدد الاستخدامات للكلمة أو الجملة الواحدة تشابها أسريا"<sup>3</sup>، بهذا توجه فلاسفة اللّغة بعيدا عن النسق المنطقي إلى محاولات الإحاطة بالكيفية التي تنجح بها اللّغة العادية في استيعاب كل الوقائع، مع محدودية كلماتها تحافظ على قيمة الحقيقة فيها، إذن هي كالألعاب رغم أنّ لها قانونا خاصا يحكمها إلا أن الممارسة الفعلية للألعاب؛ لا تنتج ألعابا متشابهة وأدوارا متكررة، بل تختلف من ممارس إلى آخر ومن دور إلى آخر، حتى لو كان الممارس نفسه، فقيمة كل لعبة تتمثل في حقيقة متعة الممارسة الخاصة لها، ومحاولة البحث

1 - هابرماس (يورغن): الفلسفة الألمانية و التصوف اليهودي، ترجمة: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 1995، ص 63-64.

2 - يعد "مور" أول من لفت النظر إلى قيمة اللغة العادية في التعبير عن القضايا الفلسفية وفهمها وتحليلها، إذ اهتم بتحديد ما تعنيه تلك القضايا على وجه الدقة. ينظر - إسماعيل (صلاح): التحليل اللغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 23.

وأنظر: - Jacob Pierre: L'Empirisme Logique - ses antécédents, ses critiques -, p 21.

3- زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللّغة، ص 57.

عن أوجه الشبه بينها أشبه بالبحث عن أوجه الشبه بين أفراد كثيرين ينتمون إلى أسرة واحدة، إذ لا يمكن حصر الشبه بينهم لكننا في الآن نفسه نجزم بأنهم يتشابهون ولهم مميزات مشتركة. وعلامات اللّغة وتراكيبها ورغم تكررها الدائم ودورانها في الاستعمال الفعلي إلا أنها تُبقي دائما على مميزات خاصة جدا إلى جانب المميزات المشتركة بينها، "بينما لا تظهر القدرات التواصلية الحقيقية للغات الطبيعية إلا في استعمالها العادي، أي من قبل المتكلمين العاديين في الحياة الطبيعية العادية"<sup>1</sup>، فالممارسة الفعلية في وقائع خطابية معينة هي التي تضفي عليها تلك المميزات الخاصة، الحاملة لقصديتها المرتبطة بالواقعة الخطابية التابعة لها ثم تضمن لها بشكل من الأشكال الحفاظ على قيمة الحقيقة والصدق فيها.

إضافة إلى ذلك؛ إن الخطابات حقيقة ليست كلها حاملة لقصد وصف الواقع أو الوقائع ومما وقف عليه فلاسفة "أوكسفورد" أنه توجد إلى جانب خطابات الوصف خطابات لأغراض أخرى، قد يعز حصرها غير أنه يغلب التمثيل لها بالطلب والاستفهام والتعجب والقسم...، الأمر الذي دفعهم "إلى البحث عن قواعد الاستعمال، أي القواعد التي تحكم استعمال هذه العبارة أو تلك تحت هذا الظرف المعين أو ذاك، ومن ثم راحوا يبحثون عن المعنى في حدود الاستعمال اللّغوي، وانتهوا إلى نظرية جديدة هي نظرية الاستعمال للمعنى"<sup>2</sup> وفي الوقت الذي اعتدوا بمعيار التطابق مع الواقع للحكم بصدق الخطاب الواصف أو كذبه فكروا في المعيار الذي يحكمون به على صدق أو كذب باقي أشكال الخطابات أهو مطابقته القصد الخلفي للخطاب أم مطابقته لما ينتج عنه من نتائج مؤثرة، فمحال أن نعرف معنى خطاب ما كما يقول "ستراوسون" دون الرجوع إلى "ما يُكِنُّه وينويه المتكلمون من مقاصد معقدة موجهة نحو مستمعهم فالدلالة الخاصة بالألفاظ والعبارات تتعلق من دون شك بالقواعد والتوافقات المتوضع عليها تعلقا كبيرا، غير أن الطبيعة العامة لمثل هذه القواعد والتوافقات لا

1- صحراوي (مسعود): في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، دراسة منشورة ضمن كتاب: التداوليات علم

استعمال اللّغة، إعداد و تقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2001 م، ص 37.

2- إسماعيل (صلاح): التحليل اللّغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر بيروت

لبنان، ط1، 1993م، ص 18.

يمكن أن تفهم إلا بالرجوع إلى مصطلح قصدية التواصل<sup>1</sup>، إذ يسير القصد حتى مختلف ملابسات العملية الخطابية وطريقة بنائها لذا لامناس من الاحتياط في إنتاج الخطابات أو تلقيها من ممارسة فعلية لمختلف الكفاءات الداعمة وكذا الاستراتيجيات الممكن اللجوء إليها لإنجاح عملية التخاطب بالوقوف على حقيقة القصد المرجو، وكما للرصيد المعرفي للمتخاطرين دور في إنجاح الوصول إلى حقيقة القصد، لمعارفهم وقدراتهم وثقافتهم بالمقابل دور في طريقة بناء خطاباتهم وبالأحرى طريقة بنائهم للحالات القصدية المصاحبة لها، ذلك أن لكل خطاب شروط تحقق وشروط استيفاء مرتبطة بالحالة القصدية الملازمة له لا شبيهاتها في عمليات إنتاج الخطابات الأخرى.

ويمكن عدّ هذا سببا في جزم "إيكو" بأن تأويلية "غادامير" "توحي لنا بأن وراء الصوت الذي يتحدث إلينا تختفي ثقافة موجودة بشكل سابق، هي التي أسست قوانين التأويل وعلمتنا كيف نستمع إلى خزان التقليد الثقافي باعتباره صوتا"<sup>2</sup>، فمثنى الخطاب لا يستبعد عند انشائه القواعد المشتركة بينه وبين متلقيه أي المقصود في الواقعة الخطابية؛ حرصا منه على أن يستوفي قصده الحقيقي من الخطاب، وإذا استبعد هذا المسعى وأهمله من اعتباره فإنه يعرض خطابه إلى الفراغ وأن يفقد قيمة الحقيقة منه.

قيمة الحقيقة؛ في مثل هذه الخطابات ترتبط مباشرة بالخطاب لما تستخدم الخطابات على عرف وضعها الأولي، لكن الواقع الخطابي الذي تنبه له فلاسفة اللغة أيضا وجود حالات تكاد تكون مطردة أين يستعمل المتخاطبون الخطابات على غير ما وضعت لها في أصل استخدامها فيتجاوزون بذلك في إنجاز خطابات خاصة يحملونها قصديات موافقة لقصودهم بحرص معين في إنشائها، يتعلق الأمر بالقصد الخاص الذي يكنه المخاطب ويرمي التلميح له أو إيصاله بتحفظ بعيدا عن التصريح بالحقيقة المتضمنة فيه، فينتج بذلك خطابا يحافظ على قيمة الصدق فيه لكنه لا يقدمها مباشرة (الخطابات الضمنية تحمل الحقيقة بالشكل المناسب لمقتضياتها)، لسبب أو لآخر، وفق استراتيجية ارتضاها ويعمل بطريقة ما على دفع

1- مقبول (إدريس): في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانية)، المركز الجهوي لمهن

التربية والتكوين، مكناس، المغرب، المجلد 28 (5)، 2014، ص، 1210.

2- إيكو (أمبرتو): العلامة - تحليل المفهوم و تاريخه، ص 211-212.

متلقي خطابه المقصود بفحوه إلى تحليله والوقوف على قيمة الحقيقة فيه وفق القصدية المحملة فيه، وحاولوا وضع مقدار يبين التوافق بين الخطاب وقيمة الحقيقة فيه وسهولة إدراك المخاطب لها بقولهم "كلما قل الجهد المعرفي المبذول في معالجة الملفوظ ازدادت درجة ملاءمة<sup>1</sup> هذا الملفوظ، وكلما استدعى التعامل مع ملفوظ ما جهدا كبيرا كانت ملاءمته ضعيفة"<sup>2</sup> منطلقهم أن الخطابات تتمايز ولكل منها شكله وظروفه الخاصة وتبعاً لها يستجيب المتلقي فكما سهّل على متلقي خطاب ما الوقوف على القصد الحقيقي من الخطاب كلما زادت درجة ملاءمة هذا الخطاب للواقعة الخطابية التي أنشئ فيها إن إنتاجاً أو تلقياً، ووضع فلاسفة اللغة لهذا المبدأ وغيره من المبادئ والقواعد يدلل على ثلاث قضايا:

**الأولى:** وعيهم بخروج بعض الملفوظات عن استعمالاتها الأصلية إلى استعمالات أخرى وضرورة فهم الآليات التي عن طريقها تبنى أو تفكك مثل هذه الخطابات.

**الثانية:** اهتمامهم بضرورة معرفة القصدية الحقيقية للخطابات بدل التقيد بأشكال الخطابات أو نسقها التركيبي، الذي تقولب فيه.

**الثالثة:** سعيهم بشكل من الأشكال إلى صورنة الخطابات ودراسة القصدية ليس بعيداً عن الاستعانة بالطرق المنطقية ووضع القواعد وقوانين الصياغة المثلى أو الناجحة.

أي أن الدراسة العلمية للغة العادية لم تتأ هي الأخرى عن إطلاق أحكام ووضع قوانين وصوغ مبادئ بغية الوصول إلى الخطابات المثلى.

1- مبدأ الملاءمة (المناسبة) (الإصابية): مبدأ أساسي وحديث في التحليل التداولي للخطاب يجمع في دراسته بين تحليل البنية من جهة و الإهتمام بالرصيد المعرفي للخطاب من جهة أخرى ، سيأتي الحديث عنه بشيء من التفصيل في قابل هذه الرسالة. وينظر: التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة ، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص84-85.

و أنظر: صحراوي (مسعود): التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص36.

2- صحراوي (مسعود): في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ص51. و أنظر: التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ص85.

### خلاصة القول:

بعيدا عن المباحث الفلسفية الباحثة عن الحقيقة أفي عقل الإنسان هي أم في العالم الخارجي سعى فلاسفة اللغة إلى البحث في هل تكمن الحقيقة في الخطابات المرتبطة بموقعها الخاصة أم في الخطابات المبنية بناء علميا دقيقا يضمن صحتها دائما.

- كان المنطقيون يناصرون ضرورة بناء الخطابات بناء علميا محكما فتكون بذلك تراكيب منطقية صحيحة تحافظ على قيمة الحقيقة فيها مهما اختلفت استعمالاتها.

- أغلب رواد هذا التوجه كان دافعهم تعاملهم مع علم دقيق نجح في بناء لغته المنطقية بإمتهان ( علم الرياضيات)، وعملوا على ارساء قواعد للغة المنطقية تحكمها وأبجدية تظهر بها، كما اهتموا بقواعد الاستنتاج فيها، وتعد قاعدتا الوضع والاستبدال أهمها.

- دافع المنطقيون على جلاء قيمة الحقيقة في العلامات المنطقية باحتوائها لمؤولها فيها بغض نظرهم على قيمة الحقيقة المتأصلة في القصد في العلامات الموقعية.

- دافع المنطقيون على جلاء قيمة الحقيقة في التراكيب المنطقية فأعطوا بذلك قيمة أصلية للخطابات الصورية، وجزموا بصحتها في كل الحالات التي تستعمل فيها، بل حتى في حال الاستبدال؛ فالخطابات المنطقية عندهم لا تفقد صحتها ولا قيمة الحقيقة فيها إذا تم استبدال علامة منطقية داخلها بعلامة منطقية أخرى مشابهة لها (مثلا الأشياء التي لها أكثر من اسم، الأشخاص ...) كما تبقى صحيحة إذا استعملت في سياقات مشابهة لسياق وضعها. غير أن هذه الأفكار لديهم أثبتت محدوديتها إذا ماتعلق الأمر بإنشاء خطابات في وقائع خطابية واقعية.

- نجح المنطقيون في بناء لغة منطقية لبعض العلوم كالرياضيات وبعض العلوم التجريبية خاصة، فأصبح بذلك لكل علم لغته المنطقية الخاصة به، إذن تم بناء لغات منطقية بدل لغة منطقية واحدة، في الوقت الذي عجزت فيه عديد العلوم الأخرى على ذلك. معنى هذا أن اللغة المنطقية هي في الحقيقة لغات وليست لغة واحدة ولكل علم لغته الصناعية (المثالية، العالية، الصورية/ المنطقية) الخاصة به.

في الوقت الذي صدق تطبيقها على مجالات عدة، اقتنع المنطقيون باستحالة تحديد القصدية الخطابية لدى مستعملي اللغة العادية في لغة منطقية تتسم بالمحدودية فيما تتيحه من تركيب ومعادلات، تبنى عليها استنتاجات تبقى رهينة العقل الدارس لها، أي قصد مستعملها، ووجد الفلاسفة أنفسهم صعوبة في تطبيقها على مجال فلسفة اللغة، لصعوبة وضعها أصلاً ثم إخضاعها للشروط المنطقية، فتوجهوا بالبحث في قيمة الحقيقة في اللغة كاستعمال أي في شكلها الطبيعي.

- وعى فلاسفة اللغة أهمية اللغة العادية ونجاحها في أغلب الأحيان في حمل القيمة الحقيقية والمحتوى الصادق للخطابات في مختلف الوقائع الخطابية مع تعدد أشكالها.

- وقف فلاسفة اللغة على أهمية تحليل الخطابات مربوطة بالوقائع التي أنتجت فيها وعيا منهم بأهمية القصدية الخطابية في تحميل الخطابات قصودا كثيرة ومتباينة.

- أكد فلاسفة اللغة العادية دور مستعملي اللغة في نجاحها، وأهمية الإطار الخطابي المرتبط بمقام المحادثة وعناصر التلطف، إذ فرقوا بين آليات الحكم على صدق أو نجاح خطاب ما بالنظر إلى قصديته الخاصة وميزوا تمييزا ثنائيا المعايير:

أولاً: معيار للحكم على صدق الخطابات الوصفة: الخطابات الوصفية أخضعوها لمعيار التطابق مع واقع عملية الوصف للحكم على نجاحها وصدقها.

ثانياً: معيار للحكم على نجاح الخطابات الإنجازية: العبارات غير الوصفية، جعل فلاسفة اللغة العادية معيار الحكم على صدقها نجاحها في إيفاء شروط استيفائها، وأثرها في الواقع.

- أكد فلاسفة اللغة العادية على إمكان خروج الخطابات العادية إلى تحمّل قصديات غير التي وضعت لها في الأصل وهذه أهم خصيصة للغة العادية تميزها عن اللغة المنطقية.

- لم يكتف فلاسفة اللغة العادية بنسق الخطاب أو قالبه في دراسة قصدية الخطابات، بل اهتموا بظروف إنشائه وكذا أطراف العملية الخطابية (المخاطب والمخاطب) خاصة القصدية الخطابية لهم، والوقوف على القصدية الحقيقية للخطابات لم يكن الغرض الوحيد لهم من دراسة اللغة العادية، بل إنهم اهتموا في حقيقة الأمر بالقدرة التي تميّز اللغة العادية حتى تنجح في ذلك، أي شغلهم ومازال كذلك؛ مميزات اللغة العادية وآليات اشتغالها لدى المتخاطبين وتعدّد أشكال تأديتها للقصدية الخطابية المتعددة الحاملة لها.

وقبل أن نعرّج إلى تحليل جملة من القضايا الفلسفية واللغوية التي ترتبط مباشرة بالتطبيقات اللسانية العادية الحقيقية، والمساهمة في تعدّد التفاعل القصدي، نسعى في المبحث القادم إلى طرح تصوّري للعمليات التخاطبية وفق أجد المناهج المقاربية في اللسانيات متمثلة في أعمال مقاربة "نحو الخطاب الوظيفي" و "نحو الخطاب الوظيفي الموسّع".

## II. العمليات الخطابية:

سبق إيراد أن الحقيقة في الخطابات إنّما ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقعة الخطابية المنشأة فيها، لذا تُعدّ معرفة كيفية إنشاء الخطابات من أساسيات الإحاطة بمفهوم الحقيقة فيها، وعلاقتها بالتفاعلات الخطابية التي توّطرها. وتجدر الإشارة أن القول بوجود مراحل للتفاعل الخطابي وإمكانية تحديدها متعاقبة كانت أم متزامنة، إنّما يأتي على سبيل التأطير المنهجي للدراسات، إذ يصعب الجزم بوجودها كمرحل بل يصدق عليها وصف "العمليات" أو "الوقائع"، وتتسم لحد الآن بالغموض، مع جهود حثيثة لمحاولة معرفتها، وتضارب الآراء الشارحة لها. و يمكن تمييز عمليتين أساسيتين تكوّنان التفاعل الخطابي كما تأطرنه، هما: عملية الفهم الخطابي وعملية الإنتاج الخطابي، "ولكن عندما ننظر إلى عمليتي إنتاج اللّغة وفهمها تزامنيا في وقت واحد عند أي نقطة زمنية فبالإمكان اعتبارهما مهمتين لغويتين نفسيّتين متناظرتين"<sup>1</sup>، واعتبار عمليتي الإنتاج والفهم مهمتين لغويتين نفسيّتين متناظرتين، أي الأولى تركيبية والثانية تناظر عملية التركيب إذ تعمل على تفكيك الخطابات بغية فهمها، يوضح لنا الآليات التي تساهم في إنجازها، من قدرات أو كفاءات لغوية وقدرات نفسية وذهنية يوظفها المتخاطبون حسب الواقعة الخطابية وحسب دورهم فيها ففي حال التلقي يفعلون القدرات التحليلية لفهم أو تأويل الخطابات، وفي حال التحدث يفعلون قدرات الإنشاء والتوصيل.

## II. 1. الكفاءات الخطابية:

تعد الكفاءات الخطابية عماد العملية التخاطبية ف"من الخصائص المميّزة للتفاعل التواصلي هناك تفعيل الكفايات التي تعتبر من العناصر التي تحضر السلوك الحوارية بمستوياته الإرسالي

1 - سكوفل (توماس): علم اللّغة النفسي، ترجمة: عبد الرحمن بن عبد العزيز العبدان، مركز السعودي للكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1998 م، ص 17.

والإستقبالي<sup>1</sup>، وتتعدد الكفاءات التواصلية التي لاحظها منظرو تحليل العمليات الخطابية، خاصة في حال الخطابات اليومية أين يتباين الناس في تعاملهم مع الوقائع الخطابية تباينا كبيرا تبعا لامتلاكهم قدرا مختلفا من تلك الكفاءات، قد أولت "أوريكيوني" أهمية كبيرة لدور هذه الكفاءات في خطاطتها الخاصة بعملية التواصل الخطابية إثرأء منها لرأي " جاكسون " [ Jakobson (Roman) 1896 – 1983 ] في مخططه الشهير الذي لخص فيه عناصر عملية التواصل إلى ستة عناصر، إذ اقترحت مبدأين لإغنائها هما: الكفاءات غير اللسانية لأطراف العملية الخطابية ونماذج الإنتاج والتأويل المتوفرة لدى الأطراف عن اللغة التي يستعملونها<sup>2</sup>، يعني هذا أن الواقعة الخطابية ليست مجرد حضور لشخصي المرسل والمرسل إليه وتواصلهما حول موضوع ما، فالكفاءات غير اللسانية لدى المتحاورين لها دور فاعل في توجيه العملية الحوارية شأنها شأن نماذج الإنتاج والتأويل التي يتوفر عليها مستعملو اللغة كحالات قصدية لسانية ( تكوّن معرفتهم باللغة التي يتواصلون بها ) تفسر طرق تعامل المتحاورين مع الواقعة الخطابية عامة. والكفاءات الخطابية غير اللسانية كثيرة حدد منظرو الدرس التداولي أهمها تأثيرا على مجرى الواقعة الخطابية، وتضم الكفاءات غير اللسانية<sup>3</sup> الخاصيات النفسية والتحليلية النفسية للمتواصلين؛ التي تقوم بدور أساسي في عمليتي تكثيف السنن و تفكيكه، ثم الكفاءات الثقافية والموسوعية؛ وهي مجموع المعارف القصدية التي يتوفر عليها المشاركون في التفاعل الحوارية وما يخرزنونه في ذاكرتهم من معارف أخرى مشابهة كانت أو موازية التي يمكنهم الاستجداد بها أو اللجوء إليها في مواقف التواصل، إضافة إلى الكفاءات الإيديولوجية؛ التي تأهل المتواصلين إلى امتلاك حالات قصدية توفر نماذج لأنظمة التأويل والتقييم حول العالم المرجعي.

وتتضافر الكفاءات غير اللسانية مع الكفاءات اللسانية حسب الواقعة الخطابية و أطراف التخاطب لتتكون العملية التخاطبية بشكل فعلي، وتكون "مسؤولة على تشعبات اللغات الفردية"<sup>4</sup>، ذلك أن هذه الكفاءات هي التي تعمل على بناء العملية التواصلية وتخصيصها، وتبرز اللغة الخاصة التي

1 - نظيف (محمد): الحوار وخصائص التفاعل التواصلية - دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2010، ص29.

2 - أوريكيوني (كاربراييت): فعل القول من الذاتية في اللغة، ص17- ص24.

3 - المصدر نفسه: ص 24.

4 - نظيف (محمد): الحوار وخصائص التفاعل التواصلية، ص 29.

يلجؤ إليها كل شخص، فعمليات الإنتاج والفهم الخطابي ترتبط خصوصا بإطارها التواصلية وكفاءة أطرافها في إدارة العملية الحوارية والوقت الذي يفعلون فيه العملية أو يقررون توقيفها خدمة للحالات القصدية المتكونة لديهم واستراتيجية الحالات القصدية التي يقودون بها العملية الخطابية، ويعكس الخطاب الناتج في الأخير كفاءات أطراف العملية الخطابية من جهة، و كذا المساحة الأديولوجية التي سيروا بها الخطاب و طريقة اشتغالهم لإنتاج أو فهم و تأويل الخطابات.

إن استعمال الكفاءات اللسانية و غير اللسانية عند مستعملي الخطابات لايتوقف عند المستوى اللساني للإنتاج الخطابي، إنما يفعلونها في مراقبة محيط الواقعة الخطابية ككل وكذا تصرفات أطراف التواصل الذين يشتركون معهم في ذلك، فهم يلتقطون بحواسهم كل المعلومات والمعطيات التي تساعدهم على التفاعل مع الواقعة الخطابية انطلاقا من الحالات القصدية المكونة لديهم حولها، ووفق الاستراتيجية الخطابية التي يقصدون تسيير الخطاب بها، فتغدو المعلومات الملتقطة من التصرفات اللسانية وغير اللسانية في الواقعة الخطابية عبارة عن مشعرات يتفاعل بها ومعها المتواصلون، يحدد "جلال شمس الدين" مفهوم المشعر في العملية التواصلية قائلا: "المشعر عنصر ما قد يكون لغويا كتثمين **intonation** أو مفصل **junction** أو نبر **stress** و قد يكون كلمة بأكملها، وقد يكون عنصرا غير لغوي مثل رفع الحاجبين بحيث يكون ظهور هذا المشعر ممهدا أو مؤشرا لظهور عنصر لغوي أو عناصر لغوية أخرى"<sup>1</sup>، وتتباين المشعرات التواصلية اللسانية من حيث أثرها إذ قسّمها علماء النفس اللغوي إلى مشعرات إدراكية ترتبط إرتباطا مباشرا بالخطاب ومختلف العناصر الموظفة فيه كالضمائر وأدوات التعريف والألفاظ المنتقاة، ومشعرات دلالية هي الأخرى عناصر موظفة لفهم الخطاب دلاليا وتداوليا (مفهوم استقلالية القوالب وتشاركتها في أن واحد في تسيير التواصل حسب نظرية نحو الخطاب الوظيفي)<sup>2</sup>؛ أي أنها تساهم في بناء المعنى المقصود من الخطاب، إذ المشعرات الدلالية أيضا "عناصر صوتية ولكنها تخدم الدلالة مباشرة أي أنها لا توحى لك بإحساء نحوي (كالمشعرات الإدراكية) بقدر ما توحى لك بإحساء دلالي"<sup>3</sup>، فنتمس لها بعض الإحساءات النحوية كإحساء الحركات الإعرابية لبعض

1- شمس الدين ( جلال ): علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة للطبع والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2003، ج 2، ص115.

2- المتوكل (أحمد): التركيبات الوظيفية - قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط2005، ص49.

3- المصدر نفسه: ص118.

الوظائف النحوية في بعض اللغات وظيفية الفاعل أو المفعول في اللغة العربية مثلا، غير أنها تتعاون في تكوين الحالة القصدية الخاصة بالواقعة الخطابية حال الاستعمال، بإيحائها الدلالي على العناصر المتضمنة في الخطاب، فخطاب الشكر لا ينطلق من حالة قصدية مطابقة لخطاب التحضيض أو غيره من الخطابات، وعمليتا إنتاجها وفهماها تتوقف على مختلف الكفاءات والعناصر السالفة الذكر.

وتتسم عمليتا إنتاج وفهم الخطابات في الواقعة الخطابية؛ بالزمانية شأن باقي الأفعال الإنسانية الأخرى. مع تزامنها وتداخلها لعل تقسيم عملية الإنتاج الخطابي إلى مراحل؛ وسيلة لتسهيل دراسة هذه الواقعة بشيء من المنهجية أكثر من كونه يصف حقيقة العملية، والتفصيل في دراسة كل مرحلة يُجَلِّي الموقف وطريقة التخاطب، ابتداء بالإنتاج وصولاً إلى التلقي. وإليك محاولة تحديد كل منها وطبيعتها، كما متعلقاتها.

## II. 2. الإنتاج الخطابي والتلقي الخطابي:

تمثل عملية الإنتاج الخطابي الشق الأول من العملية الخطابية، فيها يجمع المخاطب جملة من المعارف (عامة و لغوية)، فيبلورها في قالب اللغوي الملائم لقصد، مؤطرا ذلك بجملة أخرى من المعطيات والمتعلقات السياقية لإنتاجه؛ "ولذلك يتطلب إنتاج اللغة المواهب التوليفية لطباخ ذهني خيالي يقوم بانتقاء العناصر المناسبة ويزنها بعناية ثم يخلطها معا لكي يبتكر منها أكلة جديدة"<sup>1</sup> فالمخاطب يقوم بالإنتقاء والتحديد والصياغة الملائمة، بغية إنجاح التفاعل الخطابي، وكلها أفعال إنسانية تلحم الخطاب بمنشئه وحالته الذهنية، غير أنها تبقى في تعالق مشروط ومحدد حسب الواقعة التخاطبية.

شاع في النظريات اللسانية (نموذج المعيار) أنّ عملية إنتاج اللغة تمر شيء فشيء حتى تتكون العبارة اللغوية انطلاقا من لفظة نواة تتعالق معها بالتدرج باقي الألفاظ المكونة لها، فتتم وفقا لذلك عملية اشتقاق الخطاب "تدرجيا عن طريق عمليات إدماج وإضافة إلى حين الوصول إلى البنية التحتية التامة التحديد للجملة"<sup>2</sup>، غير أنّ العملية التخاطبية بعيدة في الحقيقة عن مجرد تكوين جملة بطريقة التراكم والتعليق المتعاقب وفق مسطرة اشتقاقية، إذ تطرح نظرية نحو الخطاب الوظيفي انطلاقا من نتائج أحدث

1- سكوفل (توماس): علم اللغة النفسي، ص 17 .

2- المتوكل (أحمد): التركيبات الوظيفية - قضايا ومقاربات، ص 60.

الدراسات الوظيفية للغة الإنسانية أن وظيفة اللّغة لا تنحصر فقط في تعبير الإنسان عن تصوراته أو تواصله مع غيره من الناس بل لها وظائف متعددة ومهمة لاستقامة حياته على وجه من الوجوه، فقد عدّ "المتوكل" أنّ هذا الطرح لا يهتم بحقيقة إشباع النشاط اللّغوي لمجموعة من الكفايات وذكر منها على وجه الخصوص الكفاية النفسية، إذ "ثبت على مر السنين الأخيرة أنّ هذه المسطرة الاشتقاقية تتعارض وأحد الأهداف الكبرى لنظرية النحو الوظيفي الذي هو السعي في تحقيق الكفاية النفسية"<sup>1</sup>، أهمية الكفاية النفسية تتمثل في تكونها بشكل يوافق الواقعة الخطابية، وتفعيلها من الخصائص المميزة لعمليات التفاعل الخطابية، إذ لها دور في توجيه الخطابات و تحديدها في حالات التلقي أو الإرسال على حد سواء، وتلعب بطبيعة الحال دورا هاما في تكثيف السنن أو تفكيكه، وتؤثر في مجرى الحوارات على وجه دون آخر حسب الحالات النفسية المتكونة لدى المتخاطبين تبعا لقصودهم والحالات القصدية الخطابية لهم.

من هذا المنطلق عدّ كثير من الدارسين نموذج "لافليت" Levelt في توصيف عملية إنتاج الخطابات توصيفا رائدا بنوا عليه دراسات جادة منهم "هنخفلد" (2004) [Hengeveld kees.] الذي "اقترح صوغ "نحو الخطاب الوظيفي" انطلاقا من وجهة نظر "لافليت" (1978)<sup>2</sup>، ثم "هنخفلد وماكنزي" [j. Makenzi Lachlan] (2008) إذ ضمنا جهازهما الواصف لمستعمل الخطاب أربعة مكونات أساسية هي: المكوّن النحوي والمكوّن المفهومي (المعرفي) والمكوّن السياقي والمكوّن الخرج. يضطلع المكوّن النحوي بالصياغة [المستوى العلاقي (التداولي) والمستوى التمثيلي (الدلالي)] والمكوّن الصرفي - التركيبي؛ الذي يقوم بتحديد البنية (الصرفية - التركيبية) وأما المكوّن الفونولوجي فيقوم بتحديد المستوى الصوتي بشقيه المقطعي والتطريزي (التنغيم، النبر).

يحتل المكوّن النحوي محور العملية الخطابية لأنّه حاضر بالتأكيد في الخطابات اللّغوية مهما اختلفت مواضيعها لأنّه يقيم الصورة اللّغوية للخطاب، لذا عدّ المكوّن المركزي لنموذج مستعمل الخطاب في نظرية نحو الخطاب الوظيفي<sup>3</sup> وحافظ عليه "المتوكل" لأهميته عند اقتراحه للنموذج الموسّع منه

1 - المتوكل: المصدر السابق: ص 60.

2 - المصدر نفسه: ص 60.

3 - المصدر نفسه: ص 62.

رغم إيلائه المكونات الأخرى دوراً أكبر<sup>1</sup>، يساعده كل من المكونات الثلاث الأخرى، فالمكوّن المفهومي يلعب دور المحرك الدافع لمستعمل الخطاب في إنتاج أو تلقي الخطابات، وترصد داخله "كلّ المعارف المتوافرة لدى منتج الخطاب بما في ذلك المعارف اللغوية الصّرف والمعارف الخطابية إضافة إلى معارفه عن العالم، الواقع منه والمتخيّل"<sup>2</sup> فتتوطر عالم الخطاب<sup>3</sup>؛ فمجموع معارف مستعمل الخطاب هي التي تدفعه للتفاعل الخطابى بشكل دون آخر، كما تظهر نتيجة هذا الدفع في المكوّن النحوي، والمكون المفهومي يتضمن المعارف اللسانية وكذا المعارف غير اللسانية أيضاً، "ويميّز داخل هذا المكوّن بين مقاصد المتكلم وتصوراتهِ للواقع وينعكس هذا التمييز داخل المكوّن النحوي في الفصل بين المستوى العلاقي والمستوى التمثيلي"<sup>4</sup>، لأن مستعمل الخطاب إنّما يستضمر من جهة مجموعة من الصور الذهنية لوقائع أو ذوات يقصد تمريرها لذهن المخاطب، ومن جهة أخرى يرتبط بالمخاطب ذاته بروابط يكوّن حولها صوراً ذهنية يتصرف في خطابه بمقتضاها، كما يرتبط بفحوى خطابه المنتج فتظهر القصدية الخطابية في شكلها المشتق والمؤطرة للعلاقة بين المتخاطبين عبر القوى الإنجازية للخطاب (مثلاً: أمر، رجاء، التماس، دعاء...)، وتبرز قصدية ارتباط المخاطب بخطابه عن طريق وجهة الخطاب (صيغة الخطاب اللسانية واستعمال الفضلات...).

والمكوّن السياقي هو المكون اللاقط لكل المعلومات المتعلقة بالموقف وملابساته المقامية والمقالية في الواقعة الخطابية محلّ التنفيذ، لتستخدمها المكونات الأخرى حال الحاجة، إذن يبني المكوّن السياقي مجموعة من الحالات القصدية المرتبطة بأحداث أو ذوات في الواقعة الخطابية وقتها تساهم في بناء الاستراتيجية الملائمة لعمل باقي المكونات، ويضمن المكوّن السياقي رصد نوعين من المعلومات: "معلومات تؤخذ من الموقف التواصلي نفسه مباشرة عن طريق الإدراك الحسي ومعلومات تقاد من

1 - المتوكل (أحمد): اللسانيات الوظيفية المقارنة، ص37.

2- المتوكل (أحمد): الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص17-18.

3- الإحالة في النحو الوظيفي: فعل قصدي، يقوم المتكلم به "تمكين المخاطب من التعرّف على ما يحيل عليه الخطاب. ما يحيل عليه الخطاب هو عالم الخطاب ذاته، عالم بينيه المتخاطبان أثناء عملية التخاطب ويشكل مرجعيتها طيلة هذه العملية" [ينظر: المتوكل (أحمد): الوظيفة بين الكلية والنمطية، ص30] بهذا يكون عالم الخطاب عالم ذهني صلته بالعالم الواقعي تمثيلية. سيأتي في المبحث الموالي بسط تحليلي لأهمية قصدية الإحالة في تحديد أو تعديد قصدية الخطابات.

4- المتوكل (أحمد): التركيبات الوظيفية - قضايا ومقاربات، ص63.

خطاب سابق يشار إليها عادة بالعود الإحالي<sup>1</sup>، لما للإحالة من أهمية في إكمال بناء الحالات القصدية الخاصة وإشباع العناصر العلاقية والتمثيلية على حدّ سواء. ومعلومات هذا المكوّن بذلك حالية حديثة وليدة الواقعة الخطابية رهن الحدوث، ويُمدُّ بها باقي المكوّنات عند الحاجة إليها وهذا ما يفرّق شخصا عن الآخر في سرعة التفاعل أو كفاءته في التعامل مع المواقف الخطابية، إلى جانب ذلك للمكون السياقي القدرة على تفعيل الكفاية النفسية للمتخاطبين متى تم لهم القدرة على بناء أفضل للحالة القصدية، وهذا ما انتبه له "المتوكل" وعمل على اقرار دور المكوّن السياقي في دعم المكوّن النحوي في إظهار مبدإ إنعكاس الوظيفة في بنية خرج الخطاب<sup>2</sup> إذ يتعالق معه بشكل مباشر وآخر غير مباشر، مباشر في انتقاء القوة الإنجازية الملائمة وكذا في اختيار الوحدات المعجمية للخطاب (انطلاقا من القدرات العامة للمتكلم) وغير مباشر كدوره مثلا في تحديد بعض الوظائف التداولية.

بقي أن تظهر فعالية وفاعلية هذه المكوّنات الثلاثة مجتمعة في حالات قصدية أصلية؛ بتحوّلها إلى شكلها المادي في صورة حالات قصدية مشتقة، وذلك في المكوّن الخرج، إذ تظهر صورة التفاعل التواصلية في شكل الخطاب: المسموع (منطوق) أو غير المسموع (كتابة أو إشارة)، وتميز نموذج نحو الخطاب الوظيفي بهذا المكوّن بدل المكوّن الصوتي الذي كان سائدا في النماذج السابقة له "بتعبير آخر تمكننا هذه الخاصية من استعمال نفس الجهاز لرصد عملية التواصل بمختلف قنواتها"<sup>3</sup> باعتداده بشكلي الخطاب الآخرين إلى جانب الخطاب المنطوق، ذلك أن كل من الكتابة والإشارة إنّما هي من أشكال القصدية غير المباشرة التي ينبئ بها الشخص عما يستضمره من حالات قصدية أصلية في واقعة خطابية ما، وقلما نجد خطابا لسانيا كامل التلقي وصحيح التأويل في الواقع دون أن تسهم الإشارات المصاحبة له في تحديد قصدية الخطاب على وجه أو وجوه دون أخرى، ولتتبع الأفضل لفاعلية التكامل الوظيفي بين المكوّنات في نموذج مستعمل اللّغة الطبيعي إقترح البوشيخي جملة هامة من التعديلات وقام والملاحظات نهتم منها باقتراحه إضافة "قالب قصدي" (Intentional Module)، الذي يقوم "بتحفيز القالبيين المعرفي والنحوي. فحين تتعقد نيّة التواصل ويتحدّد القصد التواصلية واستراتيجية بلوغه، يحفّز

1- المتوكل (أحمد): الخطاب و خصائص اللّغة العربية، ص17.

2- المتوكل (أحمد): اللّسانيات الوظيفية المقارنة، ص38.

3- المتوكل (أحمد): المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي - الأصول والإمتداد، مكتبة دار الأمان الرباط، المغرب، ط1، 2006، ص87.

القلب القصدية القلب المعرفي لتزويد القلب النحوي [الخرج] بالمادة التي يحتاجها في المستوى العلاقي (التداولي) والمستوى التمثيلي (الدلالي)، ويحفّز القلب النحوي لاستمداد المعلومات التي يحتاجها من القلب المعرفي ويشعر في عمله<sup>1</sup>، إن اقتراح البوشيخي هذا لامحالة اقتراح رائد في مجال النمذجة فهو يقرّ به الدور الفعّال للقصدية في بث الروح في محرك العملية التواصلية ممثلاً في المكوّن المعرفي كما تعمل القصدية على تحديد أطر المكوّن الخرج أنطلاقاً من ناتج عمل تفاعل مختلف المكوّنات المكوّن المعرفي منها بشكل أساسي.

ثم إن عمل هذه المكوّنات لإكمال واقعة خطابية والتفاعل الخطابي الناتج فيها لا بدّ أن يشغل حيزاً زمنياً، قصر أم طال؛ فالطبيعة الزمانية للأفعال الإنسانية تقتضي أن الفعل الإنساني يشغل حيزاً زمنياً، بناء عليه تمر العملية الإنتاجية للخطاب فيه بمراحل، وسبق الطرح بأن مراحل الإنتاج الخطابي متداخلة زمنياً حتى لا يمكن فصلها فصلاً تاماً، مع ذلك تحتفظ بسمة الشغل الزمني، وأهم النماذج النظرية في علم اللّغة النفسي لإنتاج الكلام النموذج الذي طرحه "لافليت". إلا أننا نسجل وجود نماذج أخرى لكنّها ليست كثيرة.

وإن دلت قلة النماذج التي توصف الإنتاج اللّغوي على شيء، فإنّما تدل على صعوبة الإحاطة بحقيقة عملية الإنتاج اللّغوي في حدّ ذاتها مقارنة بنماذج الفهم والتأويل، وكذا التعقيد الذي يكتنف عملية الإنتاج انطلاقاً من تعدّد آليات الإنتاج وتباينها عند الأشخاص بل عند الشخص الواحد، تقول "جوديت قرين": "إن ما نود الإشارة إليه هو أنّ كلّ من إصدار الكلام، وتفسيره أنّما يعتبران صورة منعكسة للآخر، فالإتصال يعتمد على كل من المتحدث والمستمع يتحدثان نفس اللّغة بالمعنى اللّغوي وبالمعنى الإجتماعي الأشمل، مع ذلك... فإنّنا مازلنا لا نفهم سوى النذر اليسير من إصدار الكلام واختيار وحدات حديث مناسبة"<sup>2</sup>، ومن النماذج القليلة المقترحة لتوصيف الإنتاج اللّغوي، ذاع صيت مقترح "تشومسكي" [Chomsky Noam 1957م]، الواصف لعملية الإنتاج اللّغوي على أنّها تفعيل مقدرة (Competence) ذهنية كامنة لدى مستعمل اللّغة وأدائه (performance) الخطابي حال التخاطب، "إن مقدرة المتحدث اللّغوية عبارة عن مجموعة من القواعد تكونت في ذهن المتحدث عن طريق ممارسة

1- البوشيخي (عز الدين): التواصل اللّغوي مقارنة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللّغات الطبيعية)، مكتبة لبنان ناشرون لبنان، صائغ لبنان، ط1، 2012م، ص133.

2- جوديث (قرين): التفكير واللّغة، ترجمة: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1992م، ص212.

العملية لقدرته الفطرية خلال عمليات اكتساب اللّغة في المراحل الأولى من طفولته<sup>1</sup>، حيث تجعله قادرا على إنتاج وفهم عدد لا حدود له من الخطابات، وما يؤهله حتى لإنتاج خطابات من إبداعه لم يسبق لمعرفته اللّغوية بها عهد، يقول "تشومسكي" "يبدو أن أجهزة الأداء تقع تحت نوعين عامين: نطقي (إقصائي) - إدراكي، ومفاهيمي - قصدي"<sup>2</sup>، يترجم النوع الأول بالأداء النطقي الفعلي، ويتجسد في شكل خرج الخطاب الصوتي ومدركاته المادية، من طبقة الصوت وشدته ومخارج الأصوات، أما النوع الثاني المفاهيمي - القصدي، فتجسده مجموع القواعد والتعليمات للقدرات الذهنية للاشتغال لبناء الخطاب، وطبيعة هذا النوع "هي أكثر إثارة للجدل، دعونا نسميه الشكل المنطقي **logical form**"<sup>3</sup>، وهذا ما شغله بشكل لافت.

إن تفريق "تشومسكي" باين به بين مستويين للخطاب اللّساني هما المستوى السطحي للخطاب والمستوى العميق له، والأول يمثل خرج الخطاب الذي يظهر بالأداء الفعلي في حين يرتبط الآخر بالقدرات المختلفة لمنتج الخطاب ومجموع القواعد التي سماها تشومسكي قواعد البنية المركبية، وافترض نجاحها في توليد عدد لا حصر له من الخطابات، إلا أننا نجد ما لبث أن ثبتت محدوديتها في عملها على إنجاز خطابات صحيحة "بالإضافة إلى إنتاجه كثيرا من الجمل غير المقبولة دلاليا"<sup>4</sup> ما جعل تشومسكي نفسه يعترف بقصور نموذج التوليدي التحويلي على مجارة عملية إنتاج الخطابات عند مستعمل لغة مثالي كما سماه، يقول "تشومسكي": "ومع ذلك فقد اتضح للوهلة الأولى أن قواعد البنية المركبية التي من النوع الذي قد أوضحناه ليست كافية في حد ذاتها لتعلل بصورة صادقة لتنوع بنى الجمل"<sup>5</sup> ثم ذكرت جوديت قرين نماذج أخرى، "واحدة من القلة القليلة للمحاولات التجريبية لإخضاع الحديث التلقائي لمتغيرات الموقف تمت على يد "أسجد" [1971م]" حيث عمل على التنبؤ بشكل الجمل ومحتواها، التي قد يختارها الناس ليصفوا مواقف بسيطة، وعن طريق ترتيب المواقف استطاع "أسجد" أن يوضح كيفية استخدام الناس أجزاء من خطاباتهم ك: الصفات، فمتى أصبحت الأشياء عندهم

1- ليونز: اللّغة واللّغويات، ص 210.

2- تشومسكي (نعوم): أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2009، ص 80.

3- المصدر نفسه: ص 80.

4- جلال شمس الدين: علم اللّغة النفسي، ص 124.

5- نعوم تشومسكي: المعرفة اللّغوية - طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة: محمد فتحي، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993، ص 140.

مألوفة لهم، يميل الناس حسبه إلى التدلّيل عليها بالضمائر أكثر من إستخدامهم لأسماء الأشياء، وكذلك تعبيرهم على الأزمة بالصيغ المناسبة... وغيرها من الملاحظات، ليستخلص "أسجد" أن اختيار المتحدث "لوحة حديث **ulterance** يعتمد على الافتراضات السابقة المشتركة بين المتحدث والمستمع فيما يتصل بالموقف" <sup>1</sup> فحاول "أسجد" وصف وتحليل كيف يختار الناس مفردات خطاباتهم ومقوماتها، وفق افتراضات تتعلق بالأحوال والمواقف، فالأشخاص يستعملون الأسماء ساعة أرادوا التعريف بالشيء المتحدث عنه فمتى استقر مفهومها بين أطراف التخاطب يميل الناس إلى استعمال الضمائر أكثر، إن تصرفهم بهذه الطريقة إنّما ينتج عن ضرورة تداولية صرفة، تعين لكيفية استخدام الألفاظ الإحالية أسماء كانت أو ضمائر، إن طرح "أسجد" أبعد عملية إنتاج اللّغة عن مجرد تتبع مجموعة قواعد أو عمليات عقلية ومهد الطريق لاقتراح "لافليت" الذي لاق مساندة واستحسان علماء النفس اللّغوي واللّسانيات على حدّ سواء، والذي يرى أن إنتاج الكلام ينقسم إلى أربع مراحل طولية متعاقبة الواحدة تلو الأخرى على النحو التالي:2:

- ☑ مرحلة تأطير الأفكار اللّغوي للكلام ( **Conceptualization** ).
- ☑ مرحلة صياغة الكلام ( **formulation** ).
- ☑ مرحلة نطق الكلام ( **articulation** ).
- ☑ مرحلة المراقبة الذاتية للكلام ( **self – monitoring** ).

تجدر الإشارة إلى وجود نماذج توصيفية أخرى لمراحل الإنتاج الخطابي، إلا أن نموذج "لافليت" تميّز عنها تميّزا إيجابيا، لاقا القبول لدى الكثير من الدارسين خاصة أعلام منهج نحو الخطاب الوظيفي الذي يعد أحدث وأهم ما توصلت إليه اللّسانيات الوظيفية حديثا. كما نقف على تميزه في هذه الدراسة الخاصة بانفراده بإدراجه " مرحلة المراقبة الذاتية للكلام " في حين اهتم غيره بمرحلة الصياغة بشكل أكبر، وأهمية مرحلة المراقبة إنّما تنبثق من وعي المتكلم ومصاحبته لخطابه بالحالة القصدية التي يضمن بها شروط استيفائه، وسيأتي بيان أهمية هذه المرحلة في تجلية قصد المخاطب للمخاطب وكذا إدارة العملية الخطابية كاملة. لكن قبل ذلك نترجق قبلها في تتبع تلك المراحل، وأولها:

1- جوديت قرين: التفكير واللّغة، ص214.

2 - سكوفل ( توماس ): علم اللّغة النفسي، ص 58 - 59 .

## أ. مرحلة تأطير الأفكار اللغوي للكلام ( Conceptualization ):

اعتبرها "سكوفل" أصعب المراحل تعريفاً وفهماً<sup>1</sup>، ولعلّ مردّ ذلك اتسامها بالتجريد، الباعث على التخمين أكثر من الحقائق العلمية الموثوقة، إلا أن نظرية "ماكنيل" "McNeil david" حاولت إعطاء تفسير ذهني للكيفية التي يحدث بها التأطير اللغوي للكلام في البداية داخل العقل البشري، وترى هذه النظرية أن هذا التفكير مؤلف من أسلوبين: أسلوب التفكير النحوي وأسلوب التفكير التصويري، تعد نابعة من قصدية التمثيل لأمر ما أو الموضوع المقصود في الخطاب، نلمس الإحاطة بها كمفهوم من التفرقة التي قام بها "سيرل" بين قصدية التمثيل و قصدية التوصيل قائلاً: "يوجد عنصران لمقاصد المعاني: الأول قصد التمثيل والثاني قصد التوصيل أو النقل... ومقاصد التمثيل أسبق من مقاصد التوصيل؛ فيكون مضمون تمثيلات المرء جزءاً مما يريد توصيله إلى المستمع. ومع ذلك يستطيع المرء تمثّل شيء معيّن من دون الاهتمام بنقله للآخرين ولا يمكن أن تكون على خلاف ذلك بالنسبة إلى أفعال الكلام"<sup>2</sup>، فالمرء يتمثل الموضوع المقصود عامة ثم يضيف عليه تمثّل شكل الخطاب المعبر عنه في عمليات عقلية يستنتجها في هذه المرحلة فإذا استقر له وقصد توصيله كوّن قصدية خاصة بحالة التوصيل يصب فيها الحالة القصدية المتكوّنة لديه في التمثيل.

ويكوّن نوعاً التفكير النحوي والتصويري المظهران القاعديان للخطاب، فـ"التفكير النحوي، الذي يولّد سلسلة الكلمات التي تخطر لنا عندما نتحدث عن كيفية البدء في اللّغة"<sup>3</sup>، هو الأسلوب المؤطر للأمور اللّغوية اللازمة لقولبة الخطاب في شكله المادي، ووصفه "ماكنيل" بأنّه "مجزأ وطولي ويقوم بخلق سلاسل مقاطع الأصوات، والكلمات والعبارات والجمل التي يتكون منها الكلام"<sup>4</sup> أي أنّه؛ مركب؛ وحداته التركيبية الصغرى الأصوات ثم تمتد وتتآلف لتشكّل الكلمات (الوحدات الصغرى الحاملة لقصدية ما)، التي بدورها تنتظم جملاً توضح القصدية العامة للخطاب لغوياً، إلا أنّها تبقى غير كافية في عديد الوقائع الخطابية للتحديد الحقيقي للخطاب لذلك يعززها المخاطب بالأسلوب الثاني "التفكير التصويري الذي يخلق

1 - سكوفل: المرجع السابق: ص 59 .

2 - سيرل: القصدية، ص 209.

3 - سكوفل ( توماس ): علم اللّغة النفسي، ص 59.

4 - المرجع نفسه: ص 59.

أسلوب التواصل اللغوي الذي تغلب عليه صفات الشمولية والمشاهدة<sup>1</sup> فالمتكلم يستعين بالمشعرات الإدراكية والدلالية في إطار المكوّن السياقي لتكوين حالات قصدية تصويرية مصاحبة للخطاب موافقة لقصدية.

وفي حال الخطابات عامة وأفعال الكلام بشكل خاص يجعل "سيرل" خصوصية ارتباط قصدية التمثل و قصدية التوصيل معا، إذ لا منشأ لأفعال الكلام إلا وقصد التوصيل قائم؛ حيث "يستطيع المرء أن يقصد التمثل، من دون الاهتمام بالتوصيل أو النقل للآخر، ولكنه لا يستطيع قصد النقل أو التوصيل من دون قصد التمثل أولا"<sup>2</sup>، وفي أفعال الكلام إنما الخطاب ينشأ من أجل قصد التوصيل فيصاغ وفقا لذلك من قصد للتمثل ملازم له، فلا يمكن للإنسان السوي أن يكون حالة قصدية مشتقة ما دون أن يكون له حالة قصدية أصلية لها في عقله؛ مثال ذلك: لا يعد طلب أو أمر ما كذلك إلا إذا استطاع استيفاء شروط الحالة القصدية المصاحبة له، وسبق إيراد أن كل خطاب إنما يرهن نجاحه بنجاحه في استيفاء شروط صدقه الخاصة به، فلا أمر مثلا لمن لا يملك سلطة الأمر ولا مدح لمن يستبطن الذم...إلخ، وتساهم كل ملابسات الموقف الخطابي في تجلية الحالات القصدية المصاحبة للفعل الخطابي إن تمثلا أوتوصيلا.

والأسلوب الثاني من التفكير الخطابي في مرحلة التأطير هو التفكير التصويري، المتميز بأنه "جامع وتولييفي ويقوم بتأدية الحركات الجسدية التي نستعملها بشكل طبيعي لتوضيح كلامنا وتأكيده بالإشارة الجسدية"<sup>3</sup>، جامع لأنه يعمل على تزامن الخطاب والحركات المصاحبة له، ثم إن الحركات لا تكون عشوائية بل يعمل التفكير التصويري على توليفها وتكييفها مع القوة الإنجازية للخطاب، هذا يؤكد إصابة "هنخفد" و"ماكنزي" (2008) فاقتراحهما تعديل نموذج مستعمل اللغة في نظرية نحو الخطاب الوظيفي باستبدال المكوّن الصوتي بالمكوّن الخرج، الذي يعطي القيمة لأشكال الخطاب غير المسموعة أيضا، فهي تساهم لا ريب في تعدد الخطابات وفقا للحالات القصدية المصاحبة لها، فليست الملفوظات فقط خرج القصدية الأصلية "ولكن مجرد أننا نتحدث لا يعني أن باقي ما نتواصل معه بسلوكنا ليس له القدر نفسه من الأهمية.

1 - سكوفل: المرجع السابق: ص 59.

2 - سيرل: القصدية، ص 210.

3 - سكوفل (توماس): علم اللغة النفسي، ص 59 - 60.

وفي حين أنه لا يوجد شك في أن اللغة تصوغ التفكير بطرق بارعة بشكل استثنائي، يجب على البشر في النهاية أن يتعاملوا مع حقيقة الأنظمة الثقافية الأخرى والتأثير المتغلغل الذي تمارسه هذه الأنظمة على الكيفية التي يتم فيها إدراك العالم<sup>1</sup>، فكل ما يسطع بجمعه المكوّن السياقي للشخص الآخر في مقام التواصل إنّما هو عبارة عن خرج يقول فيه الطرف الأول حالاته القصدية المصاحبة لخطابه ويعمل بالإشارة والعبارة ومختلف أركان الفضاء التواصلّي على التواصل بشكل ناجح، وحتى إذا قصد الإيهام أو الغش أو التلاعب والمغالطة، يستعين بذلك أيضا.

### ب. مرحلة صياغة الكلام ( formulation ):

بناء على ما سلف ذكره تعد مرحلة تأطير الأفكار اللغوي للخطاب أول مراحل إنتاج خطاب جديد حدوثا، بعد أن استقر العقل البشري على مجموع رسائل عصبية و معارف قاعدية تكوّن في تراكيب دائم و تراكمي مختلف الحالات القصدية الباعثة له و لغيره من الأفعال الإنسانية، يشبه "سكوفل" المرحلة الموالية للصياغة، ببرنامج حاسوبي يقوم شخص ما بإدخال المعطيات له، ويتركه يعمل على المعالجة وفق النظام المزوّد به سلفا، فيقول: "إن مرحلة صياغة الكلام مثل تشغيل برنامج حاسوبي أثناء معالجة النصوص، نظرا لأن هذه المرحلة تشتمل على آلاف القرارات التي تستغرق جزء من ثانية، فيما يخص الاختيار الهرمي التسلسلي لعدد كبير من المقاطع الكلامية المحتملة"<sup>2</sup>، في التواصل الإنساني المدخلات هي محتويات المكوّنين المعرفي والسياقي، أما المعالجة فتتم في الأنظمة المركزية لعقل الإنسان، وفق قوالب خاصة بالتعامل مع المعطيات اللسانية بمختلف مستوياتها، و "يقوم القالب بعملية تحسيب التمثلات خطوة، خطوة على عدة مراحل، وينتج تحليلات وسيطة للمعطيات التقريبية والقوالب اللسانية لها مستويات متشابهة للتحليل بالإضافة إلى التمثلات الوسيطة (التركيب، الصوت، المعجم...) وليس لها إلا منفذ واحد وواعي للمخارج النهائية"<sup>3</sup>، إذ تستقر المعالجة زمانيا ويضطلع كل قالب من القوالب الوسيطة بمعالجة المعطيات الموافقة لنظامه فالقالب الصوتي يعالج

1 - هول ( إدواردتي.): اللغة الصامتة، ترجمة: لميس فؤاد البيحي، مراجعة و تدقيق: محمود الزواوي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2007، ص 82.  
2 - سكوفل ( توماس ): علم اللغة النفسي، ص 82 .  
3 - عشير (عبد السلام ): عندما نتواصل نغير، ص 30.

مستوى الأصوات و طريقة إخراجها و قوتها...، والقالب التركيبي يحدد طريقة تركيب الأصوات ثم الألفاظ جنباً لجنب وفق نظامها الطولي، والقالب التمثيلي يقولب دلالة الكلمات ويسعى في توافقها دلالياً والقالب العلاقي يضفي عليها الاستقرار؛ على الأصوات والتراكيب والدلالات وفق القصدية المستقرة نتيجة لعمل كل هذه القوالب ضمن القالب اللساني الجامع لها فيستقر بذلك التركيب القاصد لقصدية محددة، وتظهر نتيجة عمله في المكوّن الخرج وهو منفذُ نتيجة عمليات المعالجة الذهنية للخطاب.

وتتباين المدة التي تستغرقها المعالجة الذهنية للألفاظ من شخص لآخر حسب قدراته الخاصة وسرعة استجابة أجهزته العصبية محيطية كانت (الآواقط - الحواس) أو مركزية (العقل)، مع ذلك فعملية إنتاج الخطاب أسرع نسبياً عند الشخص نفسه من عملية فهم الخطاب، "فالقالب اللساني سريع الاشتغال، فلا ينبغي قضاء وقت طويل من أجل فهم المعنى الحرفي للقول، على العكس من ذلك فإن الأمر يتطلب وقتاً طويلاً على مستوى الأنظمة والعمليات المركزية من أجل فهم ما يقوله شخص ما بمعنى آخر يتطلب الأمر كثيراً من الوقت وكثيراً من الجهد لمعرفة: لماذا ولأي هدف وفي أي اتجاه... قيل هذا القول"<sup>1</sup>، مرد هذه السرعة في إحاطة الشخص بالحالات القصدية الباعثة له على إنتاج الخطاب في حين يشغل وقتاً لا بأس به في محاولة نسبة حالات قصدية للأشخاص الآخرين الذين يتواصل معهم، إذ لا تواصل حقيقي و ناجح دون نسبة قصود للأشخاص الآخرين، وفي الوقت الذي يسهل جداً فيه فهم المعنى الحرفي لخطاب ما تتعقد عملية الوصول إلى القصدية الخلفية لذات الخطاب إلاّ عبر المعرفة العامة بالواقعة الخطابية عامة وأطرها ثم محاولة تحميل الخطاب قصداً معيناً دون آخر أو قصوداً دون أخرى.

### ج. مرحلة نطق الكلام ( articulation ):

مرحلة نطق الكلام، هي المرحلة المحسوسة فعلياً في مراحل الإنتاج الخطابي و تلتقطها كل من حاسة السمع و حاسة النظر في تضافر تكاملي، قد يستغرب الطرح القائل بأن الخطاب يلتقط بالبصر أيضاً، لكنّها حقيقة متجسدة في إنجاح الوقائع الخطابية للناس جميعاً في حياتهم اليومية، ولعل البصير من الناس يفعل قدرات سمعية إضافية لتعويض فقدانه للنظر في حال تواصله مع غيره، كما يحدث لكثير من الناس أن لا يسمع صوتاً في خطاب ما أو مقطعاً منه فليلجأ سريعاً لتحليل حركة شفاه محدثه أو

1 - عشير: المصدر السابق: ص 31.

باقي الأشارات الجسمية أو تعابير وجهه المصاحبة لخطابه حتى يحدد حالته القصدية وينجح في فهم الخطاب الناقص صوتيا في أذنه، وإذا كانت مرحلة صياغة الخطاب أشبه ببرنامج حاسوبي لمعالجة النصوص فـ"مرحلة نطق الكلام تشبه ما يحدث عندما تقوم جميع تلك الأجزاء الصغيرة من المعلومات التي يختارها برنامج معالجة النصوص من الحاسب بالانتقال إلى الطابعة، ولكن إذا لم تتحول تلك الكمية الكبيرة من البيانات الإلكترونية إلى حروف هجائية و تنطبع بنجاح على الطابعة فلن ينتج عن ذلك استقبال أي رسالة"<sup>1</sup>، فالصياغة تتم في عقل الإنسان بشكل عام، وتتحدد عناصرها الصوتية وفق القصد الأولي للخطاب، ويمكننا القول بأن التطبيق الفعلي لعملية النطق يتم تبعا لتخطيط قصدي عام سابق لعملية النطق ليأتي النطق وفق استلزمات بيولوجية و فيزيولوجية موافق لذلك البناء الذهني السابق ليتم التجسيد.

يشرح "سيرل" في كتابه "القصدية" آليات اشتغال العقل بالفعل القصدي، وإنتاج الخطابات عمل قصدي من بين الأفعال القصدية التي يقوم بها الناس، وكونها مركبة تستدعي تركيب عدد كبير من القصد الموافقة المؤدية لها، "إذ يكون الفعل القصدي شرطا لتحقيق القصد"<sup>2</sup>، لأن القصد لا يتم تحقيقه الفعلي دون أن يتم الفعل القصدي المقرون به، فلا فعل قصدي دون الحالة القصدية الأولى له ولا قصد يظهر في الأفعال الإنسانية دون الفعل المصاحب له إذ دون هذا الأخير القصد عبارة عن حالة عقلية غاية في التجريد لا يمكن أن يُعرف وجودها وتشكلها، فقصد التوصيل في الخطابات إنما يتحقق بشكل جزئي بعملية التلفظ وتبقى عملية الالتقاط رهن قدرات الطرف الثاني في الواقعة الخطابية وملايسات التوصيل، "ومن المبادئ المرشدة لفهم الحديث مبدأ حتمي فحواه: إن المتكلم يتوسم أو يفترض معلومات معينة متوفرة لدى المستمع"<sup>3</sup>، فعلا لا يبدأ أحدنا أبدا خطابا لمتلقي ما دون أن ننسب له على الأقل حالة قصدية قاعدية مفادها أنه يعي جيّدا لغة الخطاب المستعملة، ثم ننسب له معارف قاعدية بموضوع الخطاب وأجزاء الملفوظات، بعدها نتوقع لديه حالة قصدية تأهله لإستقبال الخطاب، واستعداده للتفاعل معه. إضافة إلى ما سبق يتوسم المتكلم في السامع إمتلاكه للقدرات الذهنية

1 - سكوفل (توماس): علم اللغة النفسي، ص 82 .

2 - سيرل: القصدية، ص 112.

3 - يوسف (جمعة سيد): سيكولوجية اللّغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، دط، 1990، ص71.

والفيزيولوجية؛ التي تأهله لاستقبال الخطاب -وفقا لطبيعة خرج الخطاب- فالخطاب الملفوظ (صوت) ينسب فيه المتكلم ضمنا حالة قصدية مصاحبة لمخاطبه تؤهله للسمع وكذا حال الإشارة أو الكتابة مع النظر، ويستعين المخاطب بكل المشعرات التي يمكنه استخدامها -وفقا للحالة القصدية لخطابه- لمساعدة متلقي خطابه على تلقيه بأحسن صورة موصلة للقصدية الأصلية لخطابه.

ويقول "سيرل": "أحاول في هذا الفصل تطوير تفسير للعلاقات بين القصد والفعل، وبيان كيفية اتساق هذه العلاقات مع النظرية العامة للقصدية التي عرضتها في الفصلين الأول والثاني، ويقدم التفسير أيضا خلال بعض الصفات المتناقضة الخاصة بالعلاقة بين الفعل والقصد"<sup>1</sup>. بمثال بسيط مثال "رفع اليد" شرح "سيرل" أن أي فعل قصدي إنما يظهر شكلين من القصد القصد القبلي للفعل؛ هو قصد عام يعدّ منبع الفعل، وقصد مصاحب للفعل؛ هو القصد الذي يضمن تطبيقه في الحقيقة، وإنما تحقق أي فعل وفق قصد سابق للفعل إنما يتم بعدد لا يحصى من القصد المصاحبة للفعل أشبه بالعمليات الفعلية، "ونقول بالتفرقة بين صورتَي القصد إن الصورة اللغوية للتعبير عن "سوف أفعل أ" أو "سأقوم بفعل أ" ، بينما الصورة اللغوية للقصد المصاحب للفعل "أقوم بفعل كذا"<sup>2</sup>، نفهم من تفرقة "سيرل" هذه أن القصد المصاحب للفعل إنما هو آلية تحقق الفعل أي أن القصد المصاحب للفعل هو المضمون القصدى لفعل ما. حيث "يكون لكل الأفعال القصدية مقاصد مصاحبة للأفعال"<sup>3</sup>، وهذا الكلام ينسحب على الأفعال الخطابية أيضا، فإنجاز الخطابات عامة فعل قصدي، يستلزم أفعال قصدية مصاحبة، تتجسد فيها الصورة الخارج للخطاب، ويتحقق المضمون القصدى للخطاب عندما ينجح المرء في تجسيده لفظيا أو بواسطة الكتابة أو الإشارة في حين يبقى تحقق قصده رهين شروط استقاء الحالة القصدية المكونة له "القصدية في المخ، إلا أننا وبالرغم من معرفتنا المحدودة لكيفية عمل الفعل نعرف أن الآلية العصبية تدفع حركات العضلة، وبالتحديد أيونات الكالسيوم إلى سيتوبلازم العضلة ثم تطلق سلسلة من العمليات والحوادث التي تسبب حركة الميوسين في بلازما العضلة، تؤدي هذه العمليات إلى شد الأنسجة وضغط الجهد والإمتداد والإنتقاء، ثم إلى بذل الجهد مرة

1 - سيرل: القصدية، ص 116. ويؤكد سيرل ذلك في كتابه العقل، ص 139.

2 - المصدر نفسه: ص 117.

3 - نفسه: ص 117.

أخرى، وفي النهاية تؤدي هذه الحركات كلها إلى إنقباض العضلة<sup>1</sup> إنقباض العضلات وانبساطها ينتج عنه حركة معينة للعضلة يتم بموجبها قيام الحركة المرجوة من العضلة. "يحدث على المستوى الأصغر أو الأدنى "القصد المصاحب للفعل" ويتحقق في العمليات العصبية وتحدث الحركة الجسدية في العمليات المنتجة"<sup>2</sup>، إذا الحركة الجسدية نتيجة لتحقق القصد القبلي عن طريق مجموعة كبيرة من القصد المصاحبة للفعل ينتج عنها الحركة الفعلية للعضلات.

وتتجسد عملية خرج الخطاب، في مجموعة من الحركات العضلية؛ النطقية (جهاز النطق)، إذا كان الخطاب ملفوظا، في اليدين إذا كان الخطاب مكتوبا واستعمال عضلات الرأس والأطراف في حال الإشارة الداعمة لخطاب ما ففي حال الخطاب الملفوظ يصاحب فعل النطق؛ مجموعة من القصد المصاحبة المنفذة له، بعد أن يكون قصدا قبليا مؤطرا للخطاب المقصود وبعد تلك التشكيلات الذهنية للفكرة، والعلاقات الناشئة بين الألفاظ ودلالاتها ترسل هذه المعلومات من المخ إلى العضلات في جهاز الكلام، وتقوم هذه العضلات بتنفيذ الحركات وإنتاج الأصوات المطلوبة وفق المعاني المستخدمة ويتطلب النطق السلس للكلام استخدام عدد كبير من العضلات بطريقة متناسقة بحيث توزع على ثلاثة أجهزة: الجهاز التنفسي والجهاز النطقي الحنجري والجهاز فوق الحنجري إذ تضطلع بعملية النطق مجموعة كبيرة من العضلات والأجهزة التي اتفق علماء التشريح على أنها لم تخلق أصلا للنطق بل لها وظائف فيزيولوجية أخرى كالتنفس والهضم . فمثلا عندما ينشأ المتكلم خطابا ما وليكن:- أنا أقرأ كتابا.

يكون حالة قصدية قبلية بإنجاز الخطاب، بعد أن أطره فكريا وقام بقولته في الصياغة المناسبة في المرحلة الذهنية له، ثم يشرع في إنجازه فعلا باتباع قصد مصاحبة كثيرة ينتج عنها نطق العبارة صوتيا نطقا محققا يتم بنطق ضمير المتكلم (أنا) أولا ثم الفعل (أقرأ) بعدها يحقق نطق الاسم (كتابا) مستخدما في ذلك مجموع كفاءاته والمكونات الخطابية اللازمة لذلك ويظن "كثير من الناس أن الأصوات تنشأ في الفم أو الحلق أو اللسان ولكن التصويت يعتمد على عملية التنفس ويستخدم جهازي التنفس والهضم"<sup>3</sup>، إذا

1 - سيرل: المصدر السابق: ص 332.

2 - المصدر نفسه: ص 249.

3 - إبراهيم (عبد الفتاح): مدخل في الصوتيات، دار الجنوب للنشر تونس، د ط، د ت، ص 45 . يقول "سيرل" عن ذلك: "ويتم التحكم في الكلام بأوامر حركية من المخ، فعند تخطيط خطة لغوية للمنطوق ترسل أبنية المخ المسؤولة عن إنتاج الكلام الرسائل إلى العضلات في الجهاز التنفسي والجهاز الحنجري والجهاز فوق الحنجري وتأخذ الأوامر الحركية للعضلات في الجهاز فوق الحنجري شكل الأوامر لأعضاء النطق". القصدية، 249.

الصورة المادية لخرج الخطاب إنما هي الصورة الملموسة المستقبلية من طرف المخاطب، في شكلها المادي لذا عني كثير من الدارسين في دراستها وأهملوا بذلك المراحل السابقة لها أو السائقة لها. فالنمو الذهني والعضوي للإنسان يتكاثقان في إنتاج عملية إخراج خطاب ما سواء كان ذلك الخطاب وظيفيا حال ممارسة لحياته اليومية أو كان الخطاب فنياً إبداعياً، "وتتعاقد عملينا التخطيط والإنتاج، فإن تخطيط المنطوق يتم في دورات، بمعنى أن المرء يعبر عن جزء المراسلة المطلوبة، ثم يصمت كي يخطط الجزء التالي ثم ينطق هذا الجزء ثم يصمت كي يخطط الجزء التالي وهكذا في عملية متعاقبة"<sup>1</sup>. إن مرحلة تحقيق النطق إذن مرحلة تتحكم فيها مجموعة من القصد المصاحبة المتعلقة أصلاً بقصد قبلي عام لها، تعمل القصد المصاحبة على تحقيق مختلف التقلصات والتمددات وآليات الانفتاح والانغلاق في كل أجزاء الأجهزة العضوية لتضمن تناسق وتزامن تلك العمليات حتى تتم عملية إنتاج الخطاب بشكل سلس وسليم مؤديا الحالة القصدية التي ينشأ فيها أصلاً .

#### د. مرحلة المراقبة الذاتية للكلام ( self – monitoring ):

مرحلة مهمة جدا ولكنها أهملت كثيرا في النماذج الأولى لعمليات التخاطب، ولعل أشهرها نموذج " جاكوبسون ". يحدث أن يكون شخص ما بصدد إنتاج خطاب له، ويتفاجأ متلقي ذلك الخطاب وسط عملية الإنتاج تلك بأن المنتج قد، صحح أو عدل أو أثر تغيير مقطع ما من ذلك الخطاب أو توقف لحظة تسببت في بتره، أو حتى عدل عن إخراج الخطاب، وإنما حصل ذلك بسبب رصده لإنحراف ما في خطابه، جعله يبتعد عن الحالة القصدية المنشأة له أصلاً إذ "يجري الفرد عناصر الترتيب في ذهنه قبل النطق، فإذا ما أخطأ عن النطق اكتشف خطأ في كلامه فإنه يقطعه تلقائياً، ويصوب مساره ثانية"<sup>2</sup>؛ اكتشاف الفرد لخطئه لا يكون بشكل عفوي، بل يبينه الواحد منا على عملية المراقبة الذاتية.

ومنتج الخطاب يقوم برصد كلامه، لتقوية ثم تقويم خطابه، إذ يقوم في كل مرحلة ويراقب أجزاءه مراقبة ذاتية ليطابقه مع الحالة القصدية المتكونة لديه، ثم يقيم ما إذا كان مناسباً لتلك الحالة القصدية والقصد المراد أم لا؛ "فالمتكلمون لا ينتجون الكلام فقط ويستمعون إلى بعضهم البعض عندما

1- عبد الهادي (نبيل): مهارات في اللغة والتفكير، تأليف جماعي مع: عبد العزيز أبو حشيش وخالد عبد الكريم

بسندي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 2009، ص 250.

2 - المرجع نفسه: ص 250 .

يتحدثون، ولكنهم يبقون إحدى أذنيهم مفتوحة لكي يستمعوا أيضا إلى ما يقولونه هم أنفسهم<sup>1</sup>. وإنما يقوم المخاطب بمراقبة كلامه حتى يكون حوله حالة قصدية ثانية رقابية تقيّم خطابه ومدى ملاءمته للقصدية الأصلية له يكون بها رأيا له حول عملية إنتاجه للخطاب فيحكم عليها وفق تلك الحالة القصدية الثانية، ويمكننا عدّ عمليات التعديل والتصحيح والتوقف عن إنتاج الخطاب خير دليل على وجود نظام رقابة ذاتية لعملية إنتاج الخطاب. فإذا كانت الحالة القصدية الثانية - الرقابية - إيجابية التقارير يستأنف المخاطب خطابه في سلالة وطلاقة دون تردد أو توقف، أما إذا كانت الحالة القصدية الثانية سلبية دقت جرس الخطر بأن الخطاب إنحرف عن قصديته الأصلية أو ليس كافيا لأدائها وتجب مراجعته.

درس علماء اللّغة أنواع المراجعات الذاتية التي يقوم بها شخص ما في خطابه<sup>2</sup> واكتشفوا اختلافات مهمة في الطرق التي يراقب بها المتكلمون نتاجهم اللّغوي<sup>3</sup>، فتختلف طرق مراجعتهم لخطاباتهم تبعا لاختلاف شروط تحقق الحالات القصدية الباعثة لها من حيث مصدر إنشائها أصلا أو من حيث طريقة تجسيدها عن طريق القصد المصاحب لفعل الخطاب. وأكثر الناس على اعتقاد أن الإنتاج اللّغوي أمر هيّن إلا أن صعوبته تظهر جليا لنا عندما نحاول التحدث في موضوع صعب أو محرج أو واصف لشيء معقد مثلا؛<sup>4</sup> فالمتحدثون قد يترددون في منتصف الجملة لالتقاط الكلمة الصحيحة، يتوقفون بين الجمل ليقرروا ماسيقولونه تاليا ، ويصححون العبارات التي نطقوها توا وحتى عندما يكونون على علم بما سيقولونه، فإنهم يتعلمون ويقدمون إبدالات صوتية.....<sup>3</sup> وتتم عملية تصحيح الخطابات فعليا بشكل سريع، وفق تقارير الحالة القصدية الثانية للخطاب، ويكون التصحيح إما كليا بسحب الخطاب وتبديله، أو جزئيا باستبدال المقطع أو اللفظ غير المناسب فقط، فعندما لا يرضى المتكلمون عن الملاءمة الإجتماعية أوالموقفية لكلامهم أي اختياراتهم كانت غير سليمة بادئ ذي بدء في مرحلة تأطير الأفكار لغويا فإنهم على الأرجح يعودون أدراجهم ويبدأون عباراتهم اللغوية من جديد<sup>4</sup>. كحالات إساءة التعامل مع الآخرين أو مواقف الغضب والتسرّع حيث يندفع الإنسان إلى التفاعل السلبي ثم أثناء إصدار الخطاب تقرر العدول عنه إلى خطاب آخر أكثر اتزاناً وتعلّلاً، هذا إذا كوّن الشخص في

1 - سفوكل: علم اللّغة النفسي، ص 89 .

2 - المرجع السابق، ص 92 .

3 - يوسف (جمعة سيد): سيكولوجية اللّغة والمرض العقلي ، ص 80.

4 - سفوكل: علم اللّغة النفسي، ص 92 .

مرحلة المراقبة الذاتية الحالة القصدية الثانية حول خطابه مفادها؛ أن الخطاب غير مؤسس على حالة قصدية أصلية مناسبة للموقف عامة، للمخاطب وأخلاقه، وقدره، ..... ومراجعته تدفعه إلى سحب خطابه والعدول عنه إلى تكوين حالة قصدية مشتقة جديدة مناسبة للواقعة المؤطرة، محاولا استيفاء شروط تحقق الحالة القصدية الجديدة للخطاب المراد انجازه.

أما الإستبدال الجزئي للخطاب، فينتج عن المراجعة التي تمدّ صاحبها بتقارير قصدية ثانية حول الحالة القصدية المشتقة التي تمت فعلا صادرة عن حالة قصدية أصلية، غير أن سمة هذه التقارير أن الخطاب مناسب إجتماعيا ومقاميا إلا أنه يحتاج لتعديل جزئي في التركيب أو استعمال وحدات دالة دون المستخدمة، حيث يكون "المتكلمون راضين عن التأطير اللغوي لأفكار عباراتهم إلا أنهم أخطؤا في مرحلة الصياغة أو النطق فمن غير المرجح أن يبدؤا من جديد. ولكنهم في تلك الحالة سوف يتراجعون بمقدار عدد قليل من المقاطع الصوتية أو الكلمات إلى المفترق اللغوي في عباراتهم حيث بدأت خطتهم اللغوية تنهار"<sup>1</sup>. والخطة اللغوية تتم بشقيها التخطيط والتنفيذ، والمراجعة الجزئية إنما تتعلق بأخطاء على مستوى التنفيذ لا التخطيط، أي في مرحلتي الصياغة و النطق الفعلي فالتكلمون كثيرا ما يضحكون من إنحراف صوتي أو تركيب يستدعي التصحيح مثلا: يخبر أحدهم بأنه متأكد من الخبر فيقول :

- سمعته من أذنه إلى فمي / والصحيح : - سمعته من فمه إلى أذني. كما يحدث أن يقول شخص ما: - شربت سايا شاخنا، مكان، شربت شايا ساخنا.

إن مثل هذه الدراسات والمتابعات التي اهتمت بالأخطاء اللغوية ودورها في إعادة بناء الخطط الخطابية للناس إن دألت على شيء إنما تدل على إصابة "الفليت" في نموذج التوصيفي لعملية الإنتاج اللغوي مراحلها كما تدعم فكرته في أن المراحل إنما هي على تمايزها متداخلة وتتناوب فيها عمليات التخطيط والتنفيذ للفعل الخطابى، "ورغم ذلك فإنّ الفصل بين التخطيط والتنفيذ ليس فصلا نقيًا تماما ففي أي لحظة يقوم المتحدثون بالنشاطين غالبا، فهم يخطّون لما يقولونه فيما بعد أثناء تنفيذهم لما سبق لهم أن خطّوا له من قبل"<sup>2</sup>، إذ أن تناوب هذين النشاطين تناوب إندماجي، حيث يتم بناء الحالة القصدية العامة للخطاب، ثم يشرع المخاطب في إنتاج الأجزاء الأولى منه، ويصاحبها بقصد

1 - سكوفل: المرجع السابق: ص 92 .

2 - يوسف (جمعة سيد): سيكولوجية اللغة والمرضى العقلي، ص 80.

التنفيذ، مؤطرا لها بحالة قصدية ثانية يراقب بها عملية الإنتاج، ويبني عليها الباقي من خطابه، بهذا يصعب الفصل بين مراحل إنتاج الخطابات في واقع الأمر وحال الواقعة الخطابية.

في هذا المقام، الوقوف على حقيقة وجود مرحلة المراقبة الذاتية، لا تنحصر أهميته في دوره في تصحيح الخطابات فقط، بل في إثبات مسألتين إثنيتين:

**أولاهما:** مخاطبة المخاطب لنفسه أيضا أثناء عملية التخاطب.

**الثانية:** مساهمة الحالة القصدية الثانية الناتجة عن مرحلة المراقبة الذاتية في إتمام الخطاب حال الإنتاج.

**المسألة الأولى:** إن المخاطب لولم يصاحب إنتاجه لخطاب، بحالة قصدية ثانية رقابية. لم يتسن له التقاط خطابه وتلقيه حال المخاطب الآخر، وإنما حكمه هو نفسه على خطابه يكون أدق لأنه أعلم ملتقي الخطاب بكنه الحالة القصدية الأصلية له، فلا يكذب على نفسه ولا يخادعها، "فقد أثبتت عملية المراجعة اللغوية الذاتية لعلماء اللغة النفسيين أمرا عرف وجوده منذ زمن بعيد في الوظائف البيولوجية للجسم وهو وجود حلقة التغذية الراجعة لذلك فإن إنتاج الكلام أو الكتابة أو الإشارة ليس عملية طولية ذات إتجاه واحد، لكنّها نظام متوازن ذوا اتجاهين يشمل على كل من النتاج اللغوي والمراجعة والتعديل المتزامن مع ذلك النتاج" 1.

**المسألة الأخرى:** تساهم الحالة القصدية الثانية المتكوّنة من مراقبة المخاطب لأجزاء خطابه التامة التنفيذ في بناء الحالة القصدية للخطاب في المراحل التالية منه فمثلا كثيرا ما نلمس تلعثم أو تأتأة شخص ما أثناء حديثه كما يحدث، أن يكتب شخص ما شطرا من خطاب ثم يرفع قلمه مفكرا في الباقي، وإنما ينشأ هذا التوقف لعدم وجود حالة قصدية باعثة لباقي الخطاب، أو قصد قبلي معين للخطة الخطابية و مسير عبر مجموع القصور المصاحبة المنفذة له على المستوى العضوي، وهذا الفقدان للعلاقات القصدية المصاحبة تُنبّه له الحالة القصدية الثانية المتعلقة بأجزاء الخطاب نفسه والناشئة عن عملية المراقبة الذاتية لمراحل إنجاز مقاطع الخطاب بدء بمرحلة التأطير وصولا إلى مرحلة المراقبة فقد تهدي مرحلة المراقبة المخاطب إلى تأطير خطابه على شاكلة دون أخرى، أو بنمط من أنماط المخرجات دون أخرى.

1 - سكوفل: علم اللغة النفسي: ص 93 .

## خلاصة القول:

- عملية إنتاج الخطاب عملية معقدة جدا حاولنا فقط وصفها تبعا لأحدث الآراء والدراسات، مع التحليل لكيفية حدوث ذلك بما يدعم إظهار دور القصدية في عملية الإنتاج تلك ودورها في تغيير أو تعدد أشكال الخطابات وفق التأطيرات الذهنية لإنتاج الخطابات بمختلف أشكال خرجها، لفظية كانت وكتابية وإشارية.
- يعد نموذج "لفليت" لتوصيف عملية إنتاج اللغة والخطابات، أكثر النماذج توفيقا لتوصيفها لأنه أولى أهمية كبرى للجانب النفسي والعقلي لعملية الإنتاج، وأعطى أهمية لكل ما يحدث داخل العقل البشري، على تعقيد وصعوبة كشف كنهه، والقصدية بشكل أساسي فيه.
- إتمد "هنخفلد" (2004) على نموذج "لفليت" النفسي في اقتراح مهم لنموذج مستعمل اللغة في نظرية نحو الخطاب الوظيفي أحدث النظريات اللسانية الوظيفية في دراسة إنتاج الخطاب. والنموذج يتكون من أربع مكونات أساسية، ينقسم كل منها حسب شكله ودوره إلى مستويات، والمكونات هي: المكون المعرفي، النحوي، السياقي، الخرج.
- نموذج "لفليت" كذلك كان وراء تعديل مهم في نموذج مستعمل اللغة في نظرية "نحو الخطاب الوظيفي"، لما أنتبه كل من "هنخفلد" و"ماكنزي" (2008 م) إلى ترابط اللغة المنطوقة بمجموع الإشارات الجسدية بعملية التلفظ وتزامنها، وكذلك كون الإشارة الجسدية قد تغني عن التلقظ، معنى ذلك إعتبارها - الإشارة - شكل من أشكال خرج الخطاب، فعدّلوا المكون الصوتي الموكّل بخرج الخطاب إلى جعله مكونا خرجا يضم: الصوت والكتابة والإشارة .
- خدم نموذج "لفليت" التعديلات المعاصرة التي قدّمها "المتوكل" لنموذج مستعمل اللغة الطبيعي في "نظرية نحو الخطاب الوظيفي".
- وجود مرحلة المراقبة الذاتية يعدّ دليلا على أهمية القصدية في تأسيس الخطابات، وكذا يؤكد دورها في تعددها.

### III. قضايا فلسفية تساهم في تأطير التفاعل الخطابى:

#### III. 1. اسم العلم:

تعدّ قضية الأسماء والنسبة من أهم القضايا المؤطرة لدراسة تعني بالقصدية في الإنتاجات الخطابية، ذلك أن بداية أي توافق في قصود الخطابات بين مختلف أفراد جماعة خطابية ما، إنما هو في أصل القضية توافق حول قصد الألفاظ المستعملة واحدة، والإسم فيها لأنه يمثل المؤطر الأولي لباقي أشكال الألفاظ الدالة على قصدا تاما كان أو جزئي، وقد عد "سيرل" مختلف قضايا الإسم مشكلة في مجال القصدية ثم ما لبث أن هونها خاصة أسماء العلم الذي أفرد له فصلا كاملا في كتابة القصدية. فلكل لغة من اللغات الإنسانية نظامها الخاص في جميع المستويات الصوتية والصرفية والدلالية وحتى التداولية، وهذه الخصائص هي التي تميّز كل واحدة منها اللغات عن غيرها، وتصنف كل منها ألفاظها حسب نظام خاص بها "ولا ريب أن عملية التقسيم ليست من المعطيات البديهية وإنما هي وليدة إصطلاح ووصف نسبي حسب اختلاف اللغات وتعدد النزاعات النحوية أثناء معالجة أقسام الكلام"<sup>1</sup> فالدراسات دائما تبحث عن وسائل لتحليل صعوبات القضايا المختلفة بفرضها لطرق تسهل لها التحليل بشيء أكثر من المنهجية.

إنّ تباين في التقسيمات واضح والخلاف حول مبدأ هذه التقسيمات خلق جدلا بين الدارسين قدماء ومحدثين عن معايير هذه التقسيمات ومنطقاتها، أهي نحوية تتوجه نحو شكل الألفاظ وطرق ترتيبها؟ أم هي منطقية تتجه نحو قصد الألفاظ وطرق تعالقتها في الخطابات؟، وقد أورد "منصف عاشور" في بحث متميز له مختلف هذه الآراء وأسباب تضاربيها بين الدارسين والعلماء قديما وحديثا على حد سواء، ليخلص إلى الجزم بأهمية عملية التقسيم وإرتباطها بالدرس اللساني، بغض النظر على وجود الآراء المعارضة، ومجرد وجودها دليل حسبه على استحالة دراسة الخطابات دون تقسيم لأجزائها ومعرفة الألفاظ وطبائعها، وبشكل خاص الاسم إذ يعطيه الأهمية الكبرى فيقول: "وليس من شك أن الاسم يحتل ضمن التقسيم مهما كان تنوع المدارس والآراء موقعا هاما، لكنه قسم لا يوجد منحجرا ولا منفصلا عن الفعلية والحرفية، ولا نرى في التقسيم عملية نحوية نهائية مغلقة بل تؤكد تواصل أقسام

1 - عاشور (المنصف): ظاهرة الاسم في التفكير النحوي - بحث في مقولة الإسمية بين التمام والنقصان. سلسلة اللسانيات، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1999، المجلد 12، ص 29.

الكلام وتلازمها على خط المعنى، ففي الأسماء أنواع تأخذ الفعلية وأخرى تأخذ الحرفية<sup>1</sup>، يتضح مما سبق أن تقسيم الخطاب، إنّما جاءت لأسباب منهجية صرفية تسهّلا للوصول إلى تحليل الخطابات وطرق تعالق أجزائها ومستويات هذا التعالق وآياته، لذا كان للمنطق سهم في تعديد تقسيمات الخطابات وتحليل آليات الاسناد فيها حتى تضمن تسلسل الخطابات وتواصلها من جهة، وطواعتها للاستعمال في المجتمعات المستخدمة لها من جهة أخرى.

وأورد "محمود فهمي زيدان" ملاحظة جديرة بالذكر ثم التحليل في هذا المقام، إذ لاحظ بأن "رسل" سجل ملاحظة، مفادها "على الرّغم من أن لكل صنف من الأصناف من الكلمات استخداما خاصا، فإنه يمكننا وضع الأسماء العامة (إنسان) والصفات (مجتهد) والأفعال (يمشي) والألفاظ الدالة على العلاقات (أكبر من ....) في مقولة واحدة تدل على علاقات، وترتبط بأسماء الأعلام كمقولة أخرى متميزة<sup>2</sup>" يتضح من ملاحظة "رسل" هذه أنّ الخطابات ترتبط ببعضها البعض وفق نظام خاص بالعلاقات، على اختلاف القسم الذي تنتمي إليه، وأنّ الخطابات بذلك تجسد علاقات بين تلك الأصناف أو الأقسام، ولأسماء الأعلام من بينها علاقات متميزة بباقي أقسام الخطابات، ما يعكس ما لأسماء العلم من أهمية من بين الأسماء جميعا، وأشكال القضايا أو الخطابات التي ساقها "رسل" في استرساله لتحديد أقسام المقولات - الخطابات - أو القضايا؛ قضايا حملية وقضايا علاقية :

**1- القضايا الحملية:** هي قضايا تتكوّن من اسم العلم وحد واحد متعلّق معه، تكون "حين يتعلّق لفظ العلاقة بحدّ واحد مثل الفعل اللازم أو صفة ما نسّميه لفظا دالّا على علاقة واحديّة **modèle relation** ونسّمى هذا الحدّ محمولاً، وتصبح القضية التي يرد فيها الفعل اللازم أو الصفة والفعل قضية حملية<sup>3</sup> فالقضايا أو الخطابات الآتية من نفس النمط أي خطابات حملية:

- أحمد إنسان ( اسم علم + اسم عام ).
- أحمد نافع ( اسم علم + صفة ).
- أحمد يصلّي ( اسم علم + فعل لازم ).

1 - عاشور (المنصف): ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، ص 35.

2 - زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللغة، ص 12.

3 - المصدر نفسه: ص 12.

وفي الخطابات الحملية لا فرق بين الاسم العام والصفة والفعل اللازم، والقضايا كلها قضايا حملية، واسم العلم فيها موضوع، والحدّ الآخر محمول بغض النظر عن قسمه.

2- القضايا العلاقية : لفظ العلاقات فيها يأتي متعلقا بحدّين على الأقلّ أي يتعلّق بحدّين أو ثلاثة حدود أو أربعة حدود ..... ” تسمى العلاقة ثنائية **dyadie**، أو ثلاثية **triadie**، أو رباعية **tetradie** على التّوالي “ 1 إذ:

- محمد رسول ← مثال للقضية الحملية.
- محمد أعلم من عبد الله ← مثال لقضية علاقية ثنائية .
- محمد هدى الناس إلى الإسلام ← مثال لقضية علاقية ثلاثية .
- محمد نافع الناس بالإسلام إلى يوم الدين ← مثال لقضية علاقية رباعية.

وهذا التقسيم للخطابات حسب عدد حدودها، وطريقة تعالق تلك الحدود أعطى به "رسل" تقيفا بين المحمول واسم العلم، في تحديد القاعدة الأولى لمدخلات الخطابات في الحياة اليومية، وماله من أهمية في وضع أطر الخطاب الأخرى، على أننا نؤكد في دراسة وظيفية أنّ الخطابات في الحياة اليومية تتسم بأربع سمات تجعلها أكثر تعقيدا ومرانا ممّا وصف "رسل" بناء الخطابات في محاولة منه لتحديد صوري لأشكال القضايا.

السمات الأربع للخطابات في الحياة اليومية والتي إشتهرت تبعا لأفكار النحو الوظيفي للغات، عبّر عنها بطبقات الخطاب: الحمل المركزي، والحمل الموسع، والقضية والإنجاز، على أن وجود وعمل هذه الطبقات "لا تتحقق ضرورة بجميع طبقاتها الأربع فطبقة القضية، مثلا، غير واردة في الجمل الأمرية كما ذهب إلى ذلك "هنخفد (1992) وبلكستين (1992)" بل أننا (المتوكل 1996)، بيّنا أن هذه الطبقة غير واردة في الجمل الأمرية ولا في الجمل الإستفهامية، ولا يمكن أن تتضمنها إلا الجمل الخبرية الحاملة للإخبار الفعلي كقوة إنجازية" 2، فمثلا نجد بعض الخطابات لا تتوفر على حمل أو حمل موسّع كالخطابات الآتية الذكر:

1 - زيدان: المصدر السابق: ص 12.

2- المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية - بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، المغرب، 2001م، ص 50 .

- قم . - هو . - أمين .

فالخطاب (قم): خطاب حملي، حملة نووي يتكوّن من محمول وموضوع لكنه لا يحمل قضية ما لأنه عبارة عن أمر من أحدهم إلى آخر بأن يقوم. والخطاب (هو): خطاب ناقص، إذ أنه غير كامل الحدود - حدود الحمل - غير أنه يمكن أن يرد في جواب عن سؤال: من أخذ الكتاب؟ مرفقا بالإشارة بالأصبع إلى شخص غير السائل ومنتج الخطاب (هو). في حين الخطاب (أمين): هو لفظ فقط، غير أنه يمكن أن يرد خطابا يملك قوة إنجازية هي الدعاء (دون حمل أو قضية).

وتبرير هذا التّوجه عند "المتوكل" بسيط حسب رأيه يعود إلى أن عملية إنتاج الخطابات عملية حركية بطبيعتها، لأنّها تحدث في سياقات الحياة اليومية مع كلّ تغيراتها، فالخطابات ذات نموذج حركي ذو مراحل مختلفة، تبدأ بشيء من التفصيل وذكر كل الحدود ثم يأخذ المتخاطبان في الإختصار في استعمال الحدود لتكوّن مخزونا ذهنيا مناسباً يتيح ذلك لا يعود من الممكن أن تعدّ هذه العبارات ذات المكوّن الواحد جملاً مفصلة ناتجة عن حذف (أو حذف)1، وإنما تؤدي الخطابات وظيفتها كاملة رغم تكوينها. بعد أن استقر لنا أن البناء المنطقي للعبارات لا يراعي في الخطابات التواصلية في الحياة اليومية، نعود لنؤسس لأهمية الأسماء في بناء خطابات قصدية تؤدي وظيفتها وعلى أننا قلنا بأن تحديد "رسل" لأنواع الخطابات ناقص إلا أنّه كان له أهميّة عظيمة في بيان طريقة التفرقة بين المحمولات وأسماء العلم، فكيف تتباين ويتحدد مفهوم أسماء العلم في الخطابات العادية، ملاحظات "رسل" سابقة الذّكر كانت سببا في وجود ما عرف فيما بعد بـ "النظرية الوصفية theory of description"

كمحاولة لتحديد قصد مختلف الخطابات ، وحينها يمكننا أن نهتم بنقطتين أساسيتين2:

- أولاها: أن هناك تمييز حاسم بين العلم و الوصف المحدد.

- الأخرى: إيجاد مخرج منطقي لبحث عن معاني الكلمات والعبارات التي لا تدل على واقع.

المسألة الأولى : تميّز اسم العلم عن الوصف المحدد: إنّ "النظرية الوصفية" تربط اسم العلم دائما، بوصف محدد، أي أن الشيء المسمى له مجموعة صفات يتصف بها، "وطبقا لها يشير

1 - المصدر السابق: ص 51 .

2 - زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللّغة، ص 17.

الاسم دائما حين يرتبط بوصف معين أو مجموعة أوصاف<sup>1</sup>، يرى "سيرل" وصف النظرية الوصفية بـ "النظرية القصدية" أو "الباطنية"<sup>2</sup>، وقضية ارتباط اسم العلم ومنه الأسماء عامة أو حتى باقي ألفاظ اللغات الموضوعية اصطلاحا أو اعتباطا على حد سواء إنما تعود إلى قضية المرجع في الأساس، رغم الرؤى الفلسفية التي حاولت التمييز بينها.

إنّ من الآراء الفلسفية الرائدة في هذه القضية رأي "فريجه"، فـ "فريجه" يربط الاسم أو العلامة عامة بمرجع هو الشئ نفسه أي أن المخاطب لما يذكر اسم العلم إنما يشير إلى المسمّى مباشرة، إذ يقول: "إن مرجع اسم علم هو الشئ ذاته الذي نشير إليه بهذا الاسم، أما التمثيل الذي نربطه به فهو ذاتي خالص، وبين الشئ والتمثّل وعلى حدودهما يكمن المعنى الذي ليس هو ذاتيا كالحال مع التمثّل، وأيضا ليس هو الشئ ذاته"<sup>3</sup>، إن إحالة "فريجه" هذه لاسم العلم إلى مرجع خارجي منبعت من إعتقاد له سائد أن مبدأ الهوية إنما ينشأ بين الألفاظ لا بين الأشياء في العالم الحقيقي، لذا وجب أن يكون لكل لفظ في اللّغة مرجع يحدد له معنى واحد فقط، أو تعبير محدد دقيق في اللّغة الدقيقة - المنطقية- التي كان يدعو لوضعها أصلا إذ أن اللّغة الطبيعية لا تفي بشرط الدقة دائما، وأن "العلاقة الثابتة بين الرمز ومعناه ومرجعه لهي من الانتظام بحيث أنّ كل رمز يقابله معنى معيّن وكل معنى يقابله مرجع معروف ومحدد،....، ففي نظام ما من الرموز وجب أن يقابل كل معنى محدد وعبارة خاصة، لكن اللّغات الطبيعية لا تفي بهذا المطلب وهي بعيدة على هذا الشرط"<sup>4</sup>، بهذا يجعل "فريجه" لكل خطاب ثلاثة أقطاب، الصورة الخرج للخطاب اسم علم أو تركيب (نظام تام)، ومعنى الخطاب ومرجع خارجي محدد للخطاب.

و إنما يصح هذا في حال أن للخطاب مرجع خارجي، أو مرجع خارجي محدد، أو مرجع خارجي واحد، و "فريجه" يتحدّث على رموز لغة منطقية دقيقة ومثاليّة لكن سبق لنا في تعقيب سابق على تعريف اللّغة المنطقية، أن ذكرنا أن في الحقيقة المعاني والمفاهيم منطقية كانت أم عامة هي كثيرة جدا بحيث قد تعجز رموز اللّغة على التعبير عنها بمعنى المقابلة أي لكل معنى أو مفهوم ما، لفظ خاص

1 - سيرل: القصدية، ص 290.

2 - المصدر نفسه: ص 290-291.

3 - فريجة (جوتلوب): المعنى والمرجع، دراسة ضمن كتاب: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمه عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، د ط، 1988، ص 89.

4 - المصدر نفسه، ص 87.

محدد له، كما أننا في الحياة العادية نعبر عن الشيء نفسه برموز متعددة، فكيف يكون التحديد إذن؟ ثم أن اللفظ أو الخطاب أو الرمز قد لا يتوفر أصلاً على مرجع خارجي فكيف نحدد له اسم ما؟ ونتفق على استخدامه جميعاً بنفس الطريقة ولنفس الظاهرة أو الشيء؟.

يسترسل "فريجه" في بحث العلاقة بين المعنى والمرجع، بأن وعى أن بعض الأشياء قد نسند أو ننسب لها أكثر من اسم، أو وصف محدد وهنا حاول وضع قاعدة لتفريق بين اسم العلم والوصف المحدد الذي يمكن عدّه اسم علم، إن عدّ المرجح المحدد هو الأساس ولا عبء باختلاف العبارات، "فمرجع تعبير "نجم المساء" و"نجم الصباح" واحد هو نجم الجوزاء ولكن التعابير مختلفة"<sup>1</sup>، ثم يردف قائلاً "على أنني أقصد بـ "العلامات" "الحدود" كل كيفية يلعب فيها التحديد والتعيين دور اسم العلم وهو ما يكون معه المشار إليه مرجعه شيء محدد غاية التحديد"<sup>2</sup>. إن ربط "فريجه" هذا بين الاسم ومرجعه مباشرة، وفصله للمرجع عن المعنى، وعن الاعتقاد والتمثيل، جعل "فتغشتاين" يرفض رأيه في حدّ اسم العلم بأنه الحدّ المعبر على شيء محدد مشار إليه إشارة لشيء حقيقي، فالعبارات الوصفية عنده تعدّ اسم علم متى تحددت بتطابقها مع مسمى واحد فقط معين.

إن قولي "أحمد نافع" يعد فقط اسم علم مركب إذا قرنته بصاحب اسم وهو شخص محدد أما إذا كانت العبارة (أحمد نافع) بحيث أصف "أحمد" بأنه "نافع" لنفسه أو لغيره من الناس فالعبارة هنا ليست اسماً مركباً بل هي خطاب قوته الإنجازية الإخبار، غير أننا عندما نذكر اسماً مركباً لمسمى ما فلا بد أننا لا نقصد مجرد الإشارة بل نضيف لها قصيدة أخرى فقولنا: "شاعر الثورة" كاسم لـ "مفدي زكريا" إنّما نضيف به قصداً جديداً يربط الشاعر بشاعر ثورية لا تتعلق بأي ثورة ولكن تتعلق بثورة الجزائر التحريرية، وعلى غرارته مثال " فريجه ": (فالخطابات: نجم الصباح أضاء). (نجم المساء أضاء)؛ لا يحتويان القصد نفسه، فـ (نجم الصباح أضاء) خطاب ينجزه مصبح، في حين خطاب (نجم المساء أضاء) ينتجه ممس، إذن يعطي الإسم المركب دلالة قصدية زيادة لدلالاته الإشارية إلى مرجع محدد.

التحليل السابق إنّما يتعلق بالأسماء التي يمكن الإشارة إلى مرجعها إشارة حقيقية، لتثبيت الاسم عليه في ذهن المخاطب، فما العمل إذا لم يكن هناك مرجع حقيقي، إن الكثير من الأسماء وحتى

1 - فريجة: المصدر السابق: ص 87 .

2 - المصدر نفسه: الصفحة نفسها .

أسماء العلم، ليس لها مرجع حقيقي في الواقع، مثلاً اسم "صلاح الدين الأيوبي" اسم لعلم، لكن السؤال أين هذا العلم في الواقع الآن، إن صاحب الإسم أو مرجعه حسب "فريجه" غير موجود، مع ذلك مازال الاسم يحافظ على دلالاته على العَلَمِيَّة، لذا ردّ "فتغنشتاين" على "فريجه" ضمن طرحه لفكرة ألعاب اللّغة أن من الألعاب اللّغوية التي يمارسها الناس، لعبة تعلم الأسماء - أسماء الأشياء - بالإشارة، وكذا اختراع الأسماء الجديدة للأشياء غير المعمّدة، ليمعن النّظر في فكرة "فريجه" في علاقة الاسم بمرجع حقيقي والتي يقر فيها فقط بالمراجع الماصدقية، نافيا المراجع المفهومية، إذ يؤكد "فتغنشتاين" أن معنى الاسم يختلف عن حامله وأن غياب حامل الاسم لا يلغي معنى الاسم، فانتقاء المرجع لا يعني انتقاء معنى الاسم "وهذا يعني أننا نستبدل صاحب الاسم بمدلول الاسم. عندما يموت السيد ف.ف سيقال إن حامل الاسم قد مات وليس إن مدلول الاسم قد مات، وسيكون دون معنى أن نقول شيئاً من هذا القبيل، لأنه إن لم يعد للإسم مدلول فإن القول: (إن السيد ف.ف قد مات) يصبح عديم المعنى"<sup>1</sup>، ويقرّ "فتغنشتاين" هذا الرأي على كل أسماء الأشياء ولا يحصرها في أسماء الأشخاص فقط، ويمكن تعميمها؛ فأسماء الآلات والأدوات والأثاث والحيوانات كلها يمكنها المحافظة على هذه الخاصية.

ثم إن من الأسماء ما ليس لها مرجع حقيقي يشار إليه أصلاً أي أنها تملك معنى لاسمها دون مرجع وفق تصوّر "فريجه"، ويمكن أن نعد منها أسماء الأبطال الأسطوريين مثلاً<sup>2</sup> أبطال القصص والحكايات والملاحم الأسطورية، أو أسماء القيمّ والمثّل والأخلاق ومختلف المعاني المجردة التي لها فقط صورة ذهنية، في عقول المتخاطبين يقول "فريجه" في مثل هذه الألفاظ أنّها تنتمي إلى العالم الثالث وهو عالم المعاني<sup>3</sup>. ويضمّ عالم المعاني حتى القضايا الكاذبة والمتناقضة والمستحيلة<sup>4</sup> ذلك أنّها لا تتوفر على مرجع ينتمي إلى العالم الأول حسب العالم الطبيعي الذي يحتكم إليه في تحديد المرجع.

1 - فتغنشتاين: تحقيقات فلسفية، ص 152.

2 - ينظر - زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللّغة، ص 117.

3 - و "كان" فريجه" يعتقد بثلاثة عوالم: العالم الطبيعي الذي نعيش فيه وله وجوده الواقعي المستقل عنا وعن إدراكنا له، والعالم الذاتي لكل منا ويتألف عالم كل فرد من أفكاره ونكرياته وما يختلط بها من وجدان ورغبات وميول، وعالم المعاني هو عالم مستقل عن الإنسان لا نبتكره ولا نخلقه وإنما نكتشفه ويتمثّل في معاني الأسماء العامة والصفات كما يتمثّل في الحقائق الموجودة كحقائق الرياضيات والمنطق والقضايا الصادقة" ينظر؛ زيدان: المصدر نفسه: ص 15-16.

4 - المصدر نفسه: ص 118.

مع كل ما سبق من ملاحظات على آراء "فريجه" إلا أن "سيرل" يعدّ رأيه في علاقة الاسم بمسمى معين ووجود معنى مرتبط به، إذ يعتبر تفسير "فريجه" الأكثر عدداً<sup>1</sup>، ثم سعى إلى تطويره هو. ومنطلقه عند "فريجه" أنه أقرّ وجود التمثيل ناتج انطباع أثر المرجع في ذهن الفرد يقول "فريجه": "ويجب أن يتمايز التمثّل المرتبط برمز ما عن المرجع المشار إليه، وعن معنى هذا الرمز، على شيء مدرك بالحواس، فإنّ تمثلي له يكون عبارة عن وجه شبيه بوجه لوح داخلي يتكوّن من ذكرى الآثار والإنطباعات الحسيّة، ومن أفعال خارجيّة، وداخلية بفضلها أستطيع أن أمارس وأن أقوم بتلك الأفعال والعمليات وفي هذا اللوح تتخلل الإحساسات أصناف التمثلات وتتشابك معها ويصير هذه الأجزاء المختلفة غير ثابت، وفصل بعضها عن بعض غير متكافئ"<sup>2</sup>، فالتمثّل بذلك شيء متميز عن الشيء الحقيقي الذي يرتبط به، وكذلك التمثّل متميز عن المعنى المقترن بذلك التمثّل من جهة و الشيء المسمّى من جهة ثانية، ليعبر الاسم على ذلك الشيء مقرونا بالإشارة إليه عياناً.

وفي وقت يجزم "فريجه" بأن المسمى والاسم ومعنى الاسم ثابتة دائماً يقول بأن التمثّل متغيّر من فرد إلى آخر من حيث أنه ذاتي، بل إنه يختلف عن الفرد نفسه بين حين وآخر، إذ "حتى عن الفرد الواحد، لا يكون نفس التمثّل مرتبطاً على الدوام بنفس المعنى، لأنّ التمثّل ذاتي فتمثّل أحدنا ليس هو نفس تمثّل غيرنا، ومن الطبيعي جدّاً أن تكون التمثّلات المرتبطة بمعنى واحد متباينة أشدّ التباين فيما بينها"<sup>3</sup> ذاتيّة التمثّل عند الفرد في حادثة خطابية ما هي ما يعطي للحادثة خصوصيّة، فلا تتطابق أبداً حادثتان خطابيتان، كنتيجة لتباين أحوال تمثّل الأفراد للخطابات والأسماء وتفاعلهم معها، وحتى حال الفرد الواحد، فما يسبّب هذا التباين من وجهة نظر علماء اللّغة التداوليّين؟

يثني "سيرل" على أفكار "فريجه" من حيث أنه أقرّ جانب التمثّل الذاتي في تعيين اسم العلم "يمتاز التفسير في أنه يرى ضرورة وجود مضمون قصدي مع أسماء العلم ومع أي مصطلح يكون قادراً على تحقيق الإشارة"<sup>4</sup> إذ يعترف عنده المضمون القصدي بالخطابات بإقترانه بشكل مباشر بالألفاظ - اسم العلم أو أي مصطلح - القدرة على أن تحقّف الإشارة، والإشارة كما سبق ذكره عند "فريجه"

1 - سيرل: القصدية، ص 303.

2 - فريجة: المعنى والمرجع، ص 88-89.

3 - المصدر نفسه، ص 89.

4 - سيرل: القصدية، ص 303.

إشارة خارجية أي أنّ اسم العلم أو غيره من الأوصاف المحددة يحدده بربطه بمرجع حقيقي معيّن يشار إليه في الخارج (الواقع)، في حين أنّنا رأينا سالفاً أنّه يوجد أسماء وأوصاف محدّدة لا يمكن الإشارة إلى مرجعها في حال المشاهدة بل تتسم بالغياب، يقول "سيرل": "كذلك يمتاز تفسير "فريجه" والتفسير الذي أحاول تقديمه، بأنها يمكننا من الإجابة عن الأسئلة المحيرة بالنسبة إلى أسماء العلم والعبارات الوجودية وعبارات الهوية والعبارات القصدية العامة"<sup>1</sup>، إذا حسب "سيرل" لا تنحصر فكرة عدم ارتباط اسم العلم بمرجع خارجي مقياساً لنجاح عبارة خطابية ما في إثبات صدقها.

ورغم وضوح هذه الحالة، فهناك الخطابات المتضمنة لألفاظ تقصد لتوصيل مفاهيم تجريدية بحثة أو شارحة حول أمر ما، كما أنّنا لا نتحدّث فقط عن الأشياء الموجودة في العالم الحقيقي بل، نكون خطابات حول أشياء غيبية أو ذاتية غاية في الخصوصية فكيف يستطيع أحدنا تكوين مثل تلك الخطابات، وحتى الخطاب الواحد أو اللفظ الواحد قد يحمل أكثر من قصد في الخطابات اليومية، يورد "أزابيط" رأيين متباينين يمثلان أهمّ التوجّهات اللسانية في تحليل هذه القضية، إذ يعزو "ريكناتي" (1979) ذلك إلى السياق قائلًا: "ليس الاسم هو الذي يصبح معنياً أو غير معيّن باعتباره اسماً، وإنما تواردت هذا الاسم في سياقات معيّنة وإليها يحتكم الملفوظ كلّهُ أو بعض منه"<sup>2</sup>، فكثيراً ما نستعمل أسماء الأعلام في مجال الحديث عن الاسم في حدّ ذاته وليس عن صاحبه؛ أي بعيداً عن خاصية التعيين، مثال ذلك: - علا تكتب (عين، لام، ألف مدّ) / ف "علا" اسم علم إذا ورد في سياق الحديث عن صاحبة الاسم، حَمَلَ قصد التّعيين، لكنّه في مثل الخطاب آنف الذكر يصبح "علا" لفظة لغوية تستدعي معرفة كيفية كتابتها فينتقي عنها قصد تعيين صاحبة الاسم. أما الآخر - الرأي - يجزم "ديكرو" (1973) أنّ "الإمكانية اللغوية للملفوظ"<sup>3</sup> هي من يحدّد مختلف القدرات الضمنية للخطاب عن طريق ما توفره مركباته الإسنادية التي يتكوّن منها.

إن اشتمال الخطابات على هذه الإمكانيات القصدية، وحتى تحميل اسم العلم لمضمون التعيين إنما تحدث قصدياً، ذلك أنّ الفرد في سياقات متشابهة يملك كل القدرة على تحميل خطابه قصداً جديداً أو قصداً مختلفاً فيعدد بذلك خطابه فقط بتغيير مضمونها القصدي، دون اشتغاله على السياق أو مكونات

1 - المصدر نفسه: ص 303 .

2 - أزابيط (بن عيسى عسو): الخطاب اللساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التوليد)، عالم الكتب الحديثة، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص124.

3 - المرجع نفسه، ص 124.

الخرج المادية، إذ هناك قدرة تعمل على تعدّد قصدية الخطابات في إمكانيات قصدية ترتبط بمختلف الوقائع الخطابية وتحيل على المراجع العينية حالها حال المراجع الغائبة والخطابات الوجودية والقصدية، يقول: "سيرل" جازما بأنه من الواضح أن أسماء العلم "ينقصها وجود المضمون القصدي، ومع ذلك هل تجعل كل من المتحدث والمستمع يركزان بطريقة قصدية، أم أنها تسير فقط للموضوعات من دون تدخل أي مضمون قصدي؟" <sup>1</sup> فأسماء العلم حالها حال أي لفظ آخر في الخطابات، ليس لها مضمون قصدي في حدّ ذاتها، إنما لعقل مستخدمها القدرة على تحميلها قصدا ما. مثلا: (جاء "أحمد") لا يحمل مضمونا قصديًا لتعيين (أحمد) إذا لم يحمله المنشئ للخطاب قصد تعيين (أحمد) ذاتا معينة، يتّضح معنى هذا إذا افترضنا وجود شخصين يشتركان في الاسم نفسه "أحمد" فلا شكّ أن منشئ الخطاب يقصد شخصا واحدا فقط من بين الاثنين، ثمّ نفترض أن المتلقي للخطاب يكون مضمونا قصديا ليعيّن الشخص المقصود من بين الاثنين.

ينمّ جزم "سيرل" هذا، على احترامه لرأيه في أن الاستعمال الخطابى للألفاظ اللغوية لا ينجح في واقعة خطابية ما، إلا إذا ارتكز على مضمون قصدي، وذلك المضمون القصدي في الخطابات يتكفل به الشخص منتج الخطاب، الذي زيادة على تعيينه يعمل على أن يتعرف المتلقي للخطاب على ذلك القصد المعين، ف"طالما أنّ الإشارة اللغوية تعتمد دائما على العقل أو تكون صورة للدلالة العقلية، وطالما أن الدلالة العقلية تكون قائمة دائما بسبب وجود المضمون القصدي الشامل للشبكة والخلفية. فإنّ أسماء العلم يجب أن تعتمد بطريقة ما على مضمون قصدي" <sup>2</sup> بهذا يمكن لأي شخص أن يستخدم أسماء الأعلام دون التقيّد بوجود مرجع تعيني حقيقي لها، أو تعدد المراجع التي يمكن أن يحيلوا عليها، بل زاد "سيرل" بأنه بهذه الفكرة فتح المجال إلى عدم إعتبار الوصف المحدد معضلة من حيث هي قضية فلسفية مفادها هل يساوي الوصف المحدد إسم العلم أم لا. فحلّ " سيرل " للمسألة الثانية، حلّ به المسألة الأولى بكلّ سهولة و يسرّ كما وعد في مقدمة فصله الخاص باسم العلم .

فالوصف المحدّد يعمل عمل إسم العلم متى حُمّل مضمونا قصديا تعينيا لشخص أو شيء ما وليس مجرد وجود سلسلة تواصلية لنقل الاسم فقط فكثيرا ما تتواصل سلسلة تواصلية لنقل الخطابات لكن يحدث أن أحد أشخاص السلسلة كما قال "سيرل" يخطئ في بناء المضمون القصدي لاسم ما أو حتى

1 - سيرل: القصدية، ص 290.

2 - المصدر نفسه، ص 290 .

يعمد أن يغيّر المضمون القصدي للاسم فيقوم بتحويله إلى قصدية جديدة غير التي كان قد حملها له من سبقه من أشخاص في السلسلة التواصلية، بهذا دحض "سيرل" الرأي القائل بالسببية في انتقال أسماء الأعلام بين أطراف الواقعة الخطابية، بل حتى بين الناس في حال تكوين معجمهم الذهني الخاص<sup>1</sup>، فالمعروف أن التعريف دائما هو محاولة لتحديد ما يريده المتكلم عندما يريد أن ينقل معلوماته إلى الغير<sup>2</sup>، ولها -المحاولة- أحوال وأوضاع، والغالب أن التعريف بأسماء الأعلام إنّما يحدث بشكل غير منطقي، عن طريق الإشارة في الوقائع الخطابية، أما التعريف المنطقي فيكون في أسماء الأعلام العامين أو التاريخيين، الذين يحدث أن نعرفهم بالأفعال التي انفردوا بعملها أو الحقب التاريخية التي عاشوا فيها.

أما فيما يخص ألفاظ اللغة عامة، والتي تتكون منها الخطابات فإن نقلها من ذهن منتج الخطاب إلى ذهن متلقيّ الخطاب إنّما يرتكز هو الآخر على المضمون القصدي للطرفين، فعملية تعريف ألفاظ خطاب ما، إنّما تتبني على فرضية أن المتلقي يمتلك قاعدة نسبية لتكوين المعنى والتعريف الصحيح ثم الوصول إلى قصدية الخطاب، تلك القاعدة لتكون من معرفته باللغة والمعنى الحرفي للألفاظ الموظفة في الخطاب، وهذا ما أطلق عليه "غرايس" مصطلح "المعنى الخالد" **meaning timeless** (أو المعنى الذي لا يخضع للزمن) والذي يعرفه بأنه "هو الذي تملكه منطوقاتنا عندما لا ترتبط بمناسبة معينة للنطق"<sup>3</sup>.

بهذا نستخلص أن المضمون القصدي للخطابات عامة ولأسماء العلم بشكل خاص ترتبط بالواقعة الخطابية المتغيّر فيها، في حين أن المعنى أو التعريف الخاص بألفاظ الخطابات عامة وأسماء الأعلام بشكل خاص فلا ترتبط بواقعة معينة لذلك فهو خالد أي لا يتغيّر بل المتغيّر هو المضمون القصدي.

وبإقرار المضمون القصدي لاسم العلم بشكله البسيط، يمكننا حسب " سيرل" تعميمه على كل خطاب وصفي يتضمن التحديد وكل لقب مطلق على وجه التعيين، ولا عبارة بكونه مركبا فعليًا أو حتى

1 - المصدر السابق ، ص 317 .

2- محمود (يوسف) : المنطق الصوري - التّصوّرات -التّصديقات ، دار الحكمة ، الدوحة ، قطر ، ط1، 1994 ، ص 69 .

3 - إسماعيل (صلاح) : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس ، ص 68 .

تركيباً فعلياً، ورد "سيرل" على القائلين بعدم تساوي اسم العلم والوصف المحدد والألقاب بحجتين مفادهما 1:

1- تعتبر بعض الأوصاف التعريفية مسميات وألقاباً ثابتة فعلاً، فيكون لأي وصف تعريفي يحدّد شروط الهوية بالنسبة إلى موضوع معيّن لقباً ثابتاً. وهذا يعني أن ارتباط أيّ وصف تعريفي أو اسم مركب أو حتى خطاب فعلي بشيء ما، محدد له معالم هويّة، يؤهّله إلى أخذ سمة الاسم المميّز له أي تعامل ذلك الوصف أو اللقب أو التعبير على أنه اسم علم قائم بوظيفة التعيين للشيء الذي ارتبط به.

2- يمكن لأي وصف تعريفي أن يعامل كمسمى ثابت بإرجاعه إلى العالم الواقعي أي بإسناده إلى واقعة خطابية معينة، وتحديد معالم الشيء الموصوف سواء كان هذا الشيء الموصوف شيئاً حقيقياً أم كان شيئاً وجودياً أو شيئاً مقصوداً فقط.

وإننا لنجد في معاملات الأشخاص الخطابية في اللغة العربية، استعمالاً واسعاً لاسم العلم

بالمضمون القصدية للتعيين، سواء كان اسم العلم لفظة مفردة أو خطاباً مركباً، أنظر للاستعمالات الآتية للخطابات:

- أحمد نافع أخي.	- جاءت علا.
- النافع ابن خالي.	- قرأت الكتاب.
- بلسم.	- يحي.
	- تأبط شراً خال الشنفرى.

إن الخطابات السالفة الذكر خطابات تحتوي أسماء علم ، كاملة المضمون القصدية للتعيين، لكن سبب إيرادنا لها الوقوف على أحوال بنياتها التّعينيّة:

1- اسم العلم الصريح: على غرار كل أسماء العلم المتعارف عليها: علا، محمد، علي، هند .....

2- اسم العلم المركب: ويتكون من لفظين على الأقل، ك: محمد الأمين، عبد الله، نبراس كوثر، دليل إيماني محمد، نافذ صبر العطاء.

3- اسم علم مقترن بالألف واللام: الأصل في اسم العلم أنه معرف في نفسه فلا يحتاج إلى تعريف، لا بالألف واللام ولا بالاضافة غير أنه يعرّف بالاضافة الوصف المحدّد المشتمل على مضمون قصدي للتعيين فيعد اسم علم.

أ. التعريف بالاضافة : كقول القائل:- كاتب العبقريات مؤلف مشهور .

فقائل هذا الخطاب في واقعة خطابية حال الاحتفاء بـ "العقاد" كأديب وناقد عربي معروف يحمل التركيب الإضافي "كاتب العبقريات" وصفا محدّدا يحيل على سبيل التّعيين للكاتب المصري "عباس محمود العقاد" دون غيره من المؤلفين، ويعدّ بذلك اسم علم معنّ يحمل مضمونا قصديًا ناجح الانجاز في الواقعة الخطابية المؤطرة له، رغم غياب مرجعه الحقيقي، بوفاة صاحب الاسم ورغم حمل المركب الإضافي - الوصف المحدّد - لمعنى خالد يتمثّل في المعنى الحرفي لألفاظ التركيب (كاتب العبقريات).

ب. التعريف بالألف واللام:

من الغريب أن نفرّ التعريف لاسم العلم بالألف واللام، غير أن الحقيقة أنّ اقتران الاسم - المعرف في ذاته لاعلى سبيل التعيين - بالألف واللام يكون في الخطابات العادية على وجه الحقيقة، على أنّها لا تفيد التعريف بالمعنى النحوي المتعارف عليه بل لها وظائف أخرى، يقول "المتوكل": "وقد تدخل عليه الألف واللام لكنها لا تفيد التعريف وتكون الألف واللام هذه على ثلاثة أضرب: ألف ولام لازمة تقترن بالاسم العلم اقتران وجوب كما في: اللات ، العزى والسّمؤال، واختيارية يُصَوِّغُ حذفها كما هو الشأن في أسماء الأعلام المنقولة عن صفات ("سعيد"/ "السعيد") أو عن مصادر ("فضل"/ "الفضل") أو ألف ولام ناقلة تخرج الاسم من الإشتراك إلى العلميّة كما هو حاصل في اسم "الكتاب" حين يحيل على مؤلّف "سيبويه" "1 ما سجّله "المتوكل" كملاحظة عن الخطابات في اللّغة العربيّة يؤكد مفهوم التعيين في اسم العلم بعيدا عن هيئته النحوية بل المضمون القصدي ما يجعله معرفا في حد ذاته بعيدا عن المسانندات التركيبية لذلك كالإضافة والألف واللام.

فاقتران الاسم في الخطابات باللّغة العربية ليس بغرض التعريف بل تحتوي بعض الأسماء على ألف ولام في أصلها، ك السّمؤال، العزى؛ و اقتران هذه الأسماء بالألف واللام اقتران في أصل

1- المتوكل : الخطاب وخصائص اللّغة العربية ، ص 103- 104 .

التسمية وليس لاشتغال منجز الخطاب. غير أن لمنجز الخطاب اشتغال في أسماء العلم الوصفية خاصة الآتية على صيغة اسم الفاعل يركب فيه المضمون القصدي، فيضيف إلى قصد التعيين قصد الفخر والإكبار، الذم أو التوبيخ ك:

- النافع ابن خالي/ البلمع عالجتي / الماهر فشل / المصلح أفسدها .....

و يلتصق قصد الاكبار ذاك أو الذم؛ بأن الاقتران للاسم بالألف واللام التعريفية يثبت المعنى الخالد لاسم العلم ذلك متلازما مع التعيين على سبيل الاختصاص وإلصاق الاسم بمسمّاه على سبيل الوصف أيضا<sup>1</sup>، في حين نجد "المتوكل" يغلب رأي عدم إفادة قرن اسم العلم بالألف واللام إفادة قصدية مبررا رأيه باستدعاء مثل هذه الأسماء لمكونات خطابية تخصص تمثيلها للمسمى المقصود؛ كالجمل الموصولة الشارحة، ورغم أنّ "المتوكل" يؤكد أنّ لاسم العلم معنى إلا أنه ينفي امكانية تمثيله في المستوى الدلالي للخطاب قائلا: "أما الاسم العلم فلا فحوى دلاليًا رهنا له و إن كان له معنى في الأصل،....، يدمج الاسم العلم بدء في موقع الفعل الاحالي ثم يؤشر له في طبقة الواقعة في المستوى التمثيلي باعتباره حدا فارغ"<sup>2</sup> غير أننا في وقائع خطابية عديدة نضيف الألف واللام قبل اسم العلم المنقول عن صفات لتعزيز القوة الإنجازية للخطاب؛ مثلا:

- النافع هو ابن خال ← فخر.
- عالجتي البلمع ← توكيد .
- السعيد مقبل ← وصف.
- المجد هنا ← التخصيص.

لاحظ تفسير هذه الخطابات: إذا جاء الخطاب (النافع هو ابن خالي) في واقعة خطابية تعريفه بعد قيام (نافع) بعمل استحسنه شخص ما فالتفت الشخص إلى ابن عمّة (نافع) فسأله: ما صلة قرابتك بـ"نافع"؟ فيردّ مفتخرا: النافع هو ابن خالي، والنافع: اسم علم مقترن بالألف واللام لإلصاق صفة النفع بصاحب الاسم ثمّ إنّه استعمله بوظيفة تداولية خاصة به، هي وظيفة تداولية خارجية (المبتدأ). إلا أننا نسجل أنّه ترد بعض الأسماء بالألف واللام ترسخ المعنى الخالد لها وفق مضمون قصدي للذم كقول مجيب على السؤال: من أفسد العمل؟ فيقال: المصلح أفسده!

1- ينظر عاشور (المنصف): ظاهرة الاسم في التفكير النحوي، ص 672.

2 - المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 103.

وفي الخطاب (عالجتني البلمس)، في واقعة خطابية يسأل فيها السائل عما إذا كانت فاطمة هي الطبيبة التي عالجت صاحب الخطاب السابق الذكر فيرد أنها (بلمس) غير أنه لا يستخدم اسمها استخداما عاديا بل يعزّز التصاق اسمها بوظيفتها كونها طبيبة ماهرة فيقول: عالجتني البلمس. فيأخذ الحدّ (البلمس) وظيفة بؤرة المقابلة التي يؤكّد بها أنّ من عالجته هي (بلمس) وليس (فاطمة) ممّا سبق يمكننا أن نستخلص متأسّين بـ "المنصف عاشور" أنّه : " لا شك أنّ اسم العلم علامة ورمز وله وظيفة تنبيهية ندائية. وهو موضوع ليحقّق دورا هاما في تعلّم اللّغات والأسماء...ولا يخرج ذلك عن دائرة اللّغة. ولا يفضي به إلى خلوه من المعنى والفائدة"<sup>1</sup>، إذا وجب علينا الاجتهاد لتزويد نحو الخطاب الوظيفي بالتمّوج الملائم لتمثيل أسماء الأعلام ومختلف وظائفها في طبقة فحوى الخطاب.

#### 4- اسم علم لا ينتمي إلى فئة الأسماء نحويا بل هو فعل أو حتى جملة:

وأنّ من اللّغويين من عدّ اسم العلم؛ عنصرا لغويا خاصا ويقتضي التعامل بشيء من الاختصاص، " فمنهم من أخرج اسم العلم من أقسام الكلام لأنّه لا يوفر تعريفا على أسس وظيفية تركيبية... فالعلم عند " يالمسلاف" L. Hjelmlev لا يكون البتة قسما من أقسام الكلام لأنّه لا يوسم بسمات صرفية مقولية كالعدد أو أداة التعريف في اللّغات الأوروبية"<sup>2</sup>، يعني أنّ " يالمسلاف" احتكم إلى شكل ورود اسم العلم في التراكيب اللّغوية لا في الخطابات الواقعية فعلا، ثم إنّه بنى رأيه هذا على ملاحظة اللّغات الأوروبية لا غير، وغاب عنه وجود لغات أخرى يمكن لأسماء العلم فيها أن تحوي مخصصات وظيفية إلى جانبها تزيد من تنشيط معناها الخالد ووظيفتها.

إنّ العرب أمة درجت على تسمية الأشخاص أسماء أعلام مرتجلة، أو منقولة من صفات أو منقولة من مصادر، ويحدث أن يلحق هذه الأسماء بعض الصفات التركيبية والمخصصات الوظيفية، مثلا:

- هذا فوج العائشات ← عائشة و عائشة و عائشة

- العادلان شهدا عقدي ← عادل و عادل

كما تتوفر اللّغة العربيّة على كثير من أسماء الأعلام، أصلا تنتمي إلى فئة الأفعال ويغلب على مثل هذه الأسماء صيغة الفعل المضارع مثل: أحمد، يحيى، يزيد، يعيش، يعمر.....

1- عاشور (المنصف) : ظاهرة الاسم في التفكير النحوي ، ص 693- 694.

2- المرجع نفسه: 691.

بل وتأتي الأسماء في اللغة العربية على شكل جمل اسمية أو فعلية ك: تأبط شرا، وهو اسم علم اشتهر به أحد الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، وهو اسم له خاصية التعيين ليومنا هذا مع أن مرجعه - صاحب الاسم الفعلي - غير موجود في زمننا إلا أن الخطاب ( تأبط شرا خال الشنفرى ) خطاب يقوم فيه الحدّ: (تأبط شرا) بوظيفته الإحالية التعيينية حاله حال الحدّ (الشنفرى) الذي هو اسم علم مرتجل موغل في العلمية.

### خلاصة القول: من خلاصة القول ما ساقه "سيرل" 1 :

- يتم استخدام الأسماء للإشارة إلى الناس والأماكن التي نحتك بها يوميا.
  - نتعلم الأسماء من الأشخاص الآخرين، ثم نربطها بمجموعة من المضامين القصدية، ثم لا نعود نعتمد على الآخرين في الحديث والإشارة إليها.
  - نعود للإعتماد على الآخرين في الإشارة في بعض المواقف، سمّاها "سيرل" مواقف "طفيلية" ناتجة عن قلة أو عجز الإدراك للشيء المسمّى، أدوات المضمون القصدية المحدود.
  - توجد أسماء لها استخدامات خاصة، وترتبط ارتباطا وثيقا بالشيء المشار إليه.
  - يجب أن يوجد مضمون قصدي كافي لتحديد الموضوع الذي يرتبط الاسم به.
  - تعتبر كلّ اشارة نتيجة لمضمون قصدي، سواء كانت هذه الاشارة على طريقة الأسماء أو الأوصاف أو العبارات المرجعية: المسميات، البطاقات، الصور أو أي شيء آخر.
- ونزيد عليه:

- لمنتج الخطاب، ووفق المضمون القصدية لاستعماله لاسم العلم، التصرّف في اسم العلم، رتبته أو طبيعته بما يتفق والحالة القصدية المرتبطة بخطابه.
- يقرن منتج الخطاب باللغة العربية اسم العلم بالألف واللام، ليدعم قصده من خطابه، ويؤدّي به وظيفة تداولية بحسب الوقوف عندها.
- لا يتقيّد إيراد أسماء الأعلام ، بقسم من أقسام الكلام دون غيره فيرد اسم العلم ، إسما أو فعلا أو حتى جملة .

1- سيرل: القصدية : ص 320 ، 322 .

- يعمل الوصف المحدد والاسم المركب دور التّعيين ويقرن بمضمون قصدي ما يجعله أهلا لسمة اسم العلم.

بعد أن استقرّ لدينا من المفاهيم حول اسم العلم ما يؤسس قاعدة تقرب إلينا مفاهيم الإشارة والتّعيين باعتباره أنّ اسم العلم أهمّ المحيالات المقاميّة والمقاليّة، من الجدير التّعريج على فعل الإحالة عامة، فالإحالة أيضا قضية فلسفيّة ولغويّة تستدعي بعض التخصيص وضبط للمفاهيم وهذا ما سنقوم به في المطب التالي.

### III. 2. الإحالة:

العمليات الخطابية في الواقع، عمليات قصدية قاصدة، وإحاطة أطراف العملية الخطابية الحادثة بقصدية وقصد مختلف الإنجازات الخطابية الناشئة فيها، هو ما يضمن نجاحها وتحقق التفاعل الخطابي المقصود منها، وإحاطة الأشخاص المتحاورين إنّما تحصل بامتلاكهم لمكوّن معرفي مزود بمختلف المعارف اللازمة لتأطير تلك الواقعة الخطابية وكقاعدة أولى معرفتهم باللسان الذي يتخاطبون به ولأقسام الخطاب دور مهم في ذلك فمعرفة المتخاطبين بمكوّنات اللسان من أسماء وأفعال وحروف يمثل لبن البناء الخطابي، ثم يأتي معرفتهم بأحوال الناس في التّكثير والقياس واستعمال اللّغة بمختلف أقسامها وأنماطها. ومرّ بنا أن للأسماء نصيب مهمّ في تأطير أي فعل خطابي، ذلك أنّ الأسماء هي التي تحدّد الموضوع الذي يتخاطب فيه، والشّيء الذي يتحدّث عنه، أي أنّ للاسم دور هام في الإحالة إلى الأشياء المتحدّث عنها، سواء كانت أشياء موجودة في العالم الواقعي، أم أشياء وجودية أو قصديّة، وتلك الإحالة تجعل التّفاهم والتّفاعل الخطابي أكثر فاعليّة في الوقوف على قصدية الخطابات وتعدّها.

إنّ للإحالة دور أساسي للحدود التي يتكوّن منها أي خطاب، إذ نجد "سيمون ديك" يعرف الحدّ بأنّه: "كل عبارة يمكن استعماله للإحالة على ذات أو نوات في عالم ما" <sup>1</sup> فالحدود حقا تقوم بتحديد الأشياء أو الدّوات موضوعات خطاب ما ومن هذا التّعريف للحدّ يمكننا أن نرسخ مضمون ما وصلنا إليه في مبحث اسم العلم أنّه يصدق إطلاق اسم الحدّ القائم بالإحالة إلى كلّ حدّ يمتلك المضمون القصدي

1 - المتوكّل: قضايا اللّغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1996، ص132.

التعيني للشيء ما في الموجودات أو الوجود ويدخل في ذلك أسماء الأعلام والأشياء والأدوات والقيم المجردة والزمان والمكان ففي الخطاب:- فتح عقبة بلاد المغرب.  
تكفل الحدود(عقبة) و(بلاد المغرب) إحالة تامة للذات الفاعلة (عقبة) والظرف المكاني الذي حدثت فيه الواقعة، وفي الخطاب: يلتزم المسلم الصدق، يكفل الحدّ (الصدق) الإحالة إلى الخلق المتقبل لحدث الالتزام من الذات الفاعلة (المسلم) والحد (المسلم) اسم مشترك يضمن الإحالة إلى الذات الفاعلة للحدث (يلتزم).

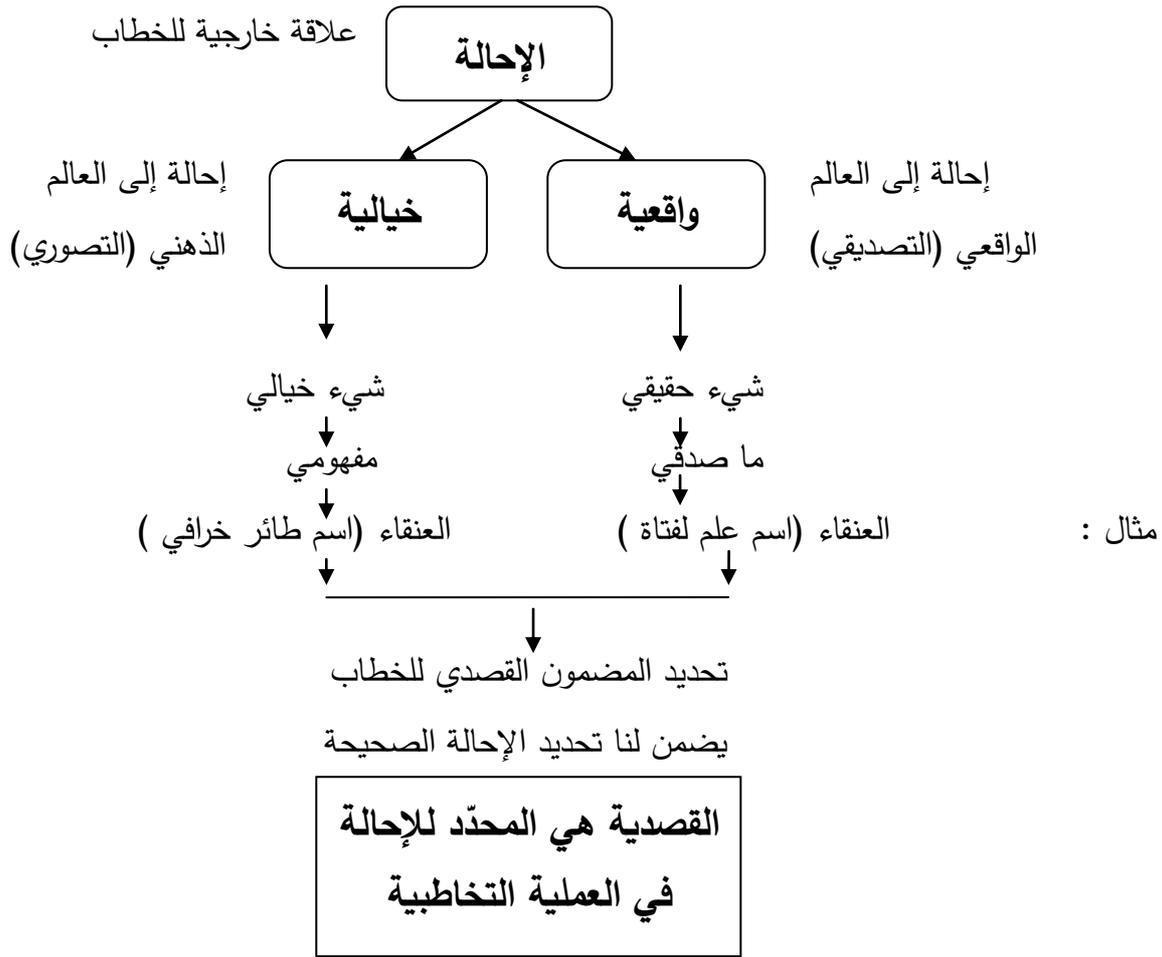
إذا فعل الإحالة ظاهرة أساسية في الخطابات، مهما كانت اللغة المنشأ بها ذلك الخطاب وهي من الظواهر الخطابية التي شغلت الفكرين اللغوي والفلسفي على السواء، ويعرّف "المتوكل" الإحالة قائلاً:  
"الإحالة علاقة تقوم بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب إذ في الواقع أو في خطاب سابق/لاحق" 1  
وبتحليل هذا التعريف نهدي إلى أنّ أول سمات الإحالة أنّها تقيم علاقة بين الخطاب وما يحيل عليه الخطاب أي الإحالة علاقة خارجية للخطاب، علاقة بين الخطاب وشيء خارج الخطاب وما يضمن لها بناء هذه العلاقة هو المضمون القصدى المتكوّن في الأساس في ذهن المتخاطبين منشيء الخطاب في حال الإنجاز، ومتلقي الخطاب في حال الفهم والتأويل، ويرى "سيرل" بأنّ الإحالة قائمة في أيّ خطاب مهما كان خرج (صوت، كتابة، إشارة)، ثمّ يؤكّد على أهميّة الاعتداد بالمضمون القصدى للمتحدّث في الإشارة إلى الشيء أو الذات أو الموضوع المقصود، أنّه "يجب أن تكون له الأفضلية والأسبقية" 2  
فمنشئ الخطاب أدرى بكيفية تحديد المضمون القصدى للإشارة، والتي تتم بها عملية الإحالة إلى ما هو خارج مثال ذلك اسم: العنقاء. مثلاً؛ إنّ ورود اسم العنقاء في الخطاب :

- يعتقد أحمد أنّ العنقاء مخيفة .

يجعلنا نحتكم لقصدية المتكلم لتحديد نوع الإحالة المقصودة باسم (العنقاء)؛ إلى فتاة ولتكن رئيسته في العمل فالإحالة تكون إلى ذات موجودة في الواقع تعرف بصرامتها وعدم تساهلها مع غيابها عن منصبه

1- المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص73.

2 - سيرل: القصدية ، ص307.



إذا: الإحالة ظاهرة أقرب إلى التداول منها إلى الدلالة بتعلقها بالمضمون القصدي وملابسات الوقائع الخطابية للخطاب المنجزوكذا طرفي التخاطب، فهي "ترتبط بالمقام وتحديدًا بالمعلومات التي يفترض المتكلم وجودها لدى المخاطب عن المحال عليه حين عملية التّواصل"<sup>1</sup> إنَّ ارتباط الإحالة بالمضمون القصدي يقتضي ارتباطها الوظيفي بطرفي التّواصل وهما الشّخصان اللذان يضمنان الألفاظ اللغوية القصدية الخطابية وفق عمليات ذهنية خاصة وحسب "المتوكل" ممّا يدعم رأي القائل بأن للإحالة سمة تداولية وعملية تعاونية ثلاثة نقاط<sup>2</sup>:

أ- تقتضي الإحالة وجود مخاطب وموقف تواصلية معين بحيث لا إحالة بدون سياق: والسّياق الإحالي أمّا سياق مقامي تؤطر أطر الحادثة التّواصلية، وسياق مقالتي تؤطره أطر اللسان المستخدم في التّواصل أو طبيعة الخطاب.

1 - المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص74.

2 - المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي ، ص133.

ب- يختلف كم المعلومات التي يقتضيها نجاح عملية الإحالة: إنَّ إختلاف كم المعلومات يحدث بالنظر إلى المخاطب والمخاطب ومعرفتهما ببعضها البعض ثم معرفتهما بكم المعلومات الواجب تبادلها حول الموضوع المتحدّث عنه ، والمعرفة المتوفرة حول الشيء المحال عليه مثال:

- إلتقيت سارة \_\_\_\_\_ فإذا كان المخاطب يعرف أكثر من "سارة" وجب التّحديد.
- إلتقيت سارة إبنة عمي \_\_\_\_\_ فإذا كان للمخاطب أكثر من عم وجب التّحديد أكثر.
- إلتقيت سارة إبنة عمي لخضر .

وتخضع الإحالة في حال التفاعل التواصلي إلى مبدأ الكم الذي ذكره "غرايس" ضمن مجموعة من القواعد أطلق عليها اسم القواعد التخاطبية "conversational maxims" تنفيذاً منه لمبدأ التّعاون "the cooperative principle"<sup>1</sup>.

ج- لا يؤثر الخطأ في الإحالة في تركيب الجملة ولا في دلالتها بل يظلّ محصوراً في المعارف العامة عن الواقع: وذلك أن لأي اسم أو لفظ عامة في أي لغة إنسانية في أصله معنى والدّي سمّاه "غرايس" "المعنى الخالد" - كما سبق ذكره - إنَّ المعنى الخالد لأي اسم يضمن له إحالة ما دون اللّجوء إلى المضمون القصدي، والمضمون القصدي هو المحدّد الفعلي للإحالة القصدية، مع ذلك تحتوي كلّ جملة إحالة عامة لذا إذا لم يتفق طرفا الخطاب على الإحالة القصدية الصحيحة في خطاب ما فذلك لا يؤثر في دلالة أو تركيب الخطاب، غير أنّه مؤثّر جدّاً في عملية التفاعل التواصلي وحتى في تأثير الخطاب في المخاطب مثال ذلك الخطاب الآتي:

- أصيب زيد في حادث سير .

ويقتضي وصف الحادثة التّواصلية أنّ "زيد" اسم مشترك؛ اسم أخ المخاطب، وأيضاً اسم لأحد جيرانه، لا يتأثّر المخاطب لسماع هذا الخطاب كثيراً إذا أحال اسم "زيد" لجاره، عوض عن أخيه الذي يفترض وجوده في البيت وعدم خروجه إلى الطّريق. إذ تركيب الخطاب صحيح، وعملية الإحالة فيه قائمة ودلالة الخطاب حاضرة، إلا أن خطأ المتلقي في الإحالة ينتج عنه ردة فعل مغايرة لما يستدعيه الموقف من الهبوب لمساندة أخيه واسعافه، في الوقت الذي يكتفي بشعور بالأسف إذا تعلّق الأمر بإصابة ابن جاره. إنَّ الخطأ في الإحالة يحدث على مستوى ذهن المتكلم وذهن المخاطب، أو عدم

1 - إسماعيل(صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس ،ص87.

التطابق في القصدية الإحالية لكل من المخاطب والمتلقي، ويبقى الشكل اللساني للعبارة لا يشوبه شيء، واضح الدلالة صحيح التركيب.

أمّا ثاني خصائص الإحالة أنّها تظهر بنمطين إثنين: إحالة تعيين وإحالة بناء؛ إن الإحالة تعد فعلاً تداولياً، ومعنى أنّها قصدية يقتضي أنّها تتعلّق بمخزون المتخاطبين، يجعلها حسب "ديك" "تربط بين أربعة عناصر: الخطاب وما يحيل عليه حضوراً أو ذكراً والمتخاطبين والمخزون الذهني الذي يعتقد المتكلم توافره لدى المخاطب إبان التّخاطب"<sup>1</sup>، إنّ ذكر "ديك" لارتباط الإحالة بالعناصر الثلاثة الأول بديهي مادامت فعلاً تداولياً في واقعة خطابية ما، غير أن ربطها بالمخزون الذهني للمخاطب، يعني أن المتكلم لا يقوم بفعل الإحالة في خطاب ما إلا وهو ينسب مضمون ذهني قصدي لدى المخاطب، أي يجعل له مخزونا مفترضا ينطلق منه لتأسيس إحالته والنّجاح في آدائها. يؤسس المخاطب فعل الإحالة بناء على المخزون الذهني المفترض لمخاطبه، ولأنه يضع نصب عينيه معارفه اللسانية والتداولية على حدّ سواء يستخدم المخاطب نمطين من الإحالة إحالة بناء وإحالة تعيين، يعرّف "ديك" إحالة البناء كالاتي: "يستعمل المتكلم م الحدّح ليتيح للمخاطب خ أن يبني الذات ذ للحدّح وأن يدرج، بالتالي الذات ذ في نموذجة الذهني **model mental**"<sup>2</sup> فإحالة البناء إنطلاقاً من هذا التعريف يتمّ بعدّ يذكر لأول مرة لتأسيس معارف جديدة في ذهن المخاطب، وبناء حالات قصدية حوله لم يكن الخاطب يمتلكها.

أمّا إحالة التعيين فيعرفها "ديك" بقوله: "يستعمل المتكلم م الحدّح لتمكين المخاطب خ من تعيين مجال للحدّح متوفر في مخزون المخاطب"<sup>3</sup>، أي أنّ الإحالة في هذه الحالة يؤسسها المتكلم على إفتراض وجود الذات أصلاً في المخزون الذهني للمخاطب. وبالمثال يتّضح الفرق بين نوعي الإحالة من حيث التّمط، فقولي الخطاب: حصلت على كتاب جيّد، ذلك الكتاب أفادني في بحثي.

فالحدّ (كتاب) يبني حالة قصدية إحالية جديدة لشيء هو موضوع التّخاطب أمّا الحدّ (الكتاب) فحدّ إحالي على شيء توجد حوله حالات قصدية مسبقة حوله وعلى المخاطب استدعاؤها واستعمالها

1- المتوكل:الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 78 .

2- المتوكل: قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية ،1996، ص134.

3 - المتوكل: قضايا اللّغة العربية في اللسانيات الوظيفية - بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان، 2001، ص139.

بكفاءة تداولية للتعرف و الإحالة على موضوع التخاطب؛ أي أنه بقصد تعيين شيء ما من بين أشياء كثيرة موجودة أصلا في مخزون المخاطب الذهني ويملك قصدا مسبقا محيلا عليها دون غيرها من الأشياء، وتعلق عملية إحالة التعيين بشيء محال عليه في الأصل إحالة بناء ، يجعل عملية الإحالة عملية مترابطة، أي ترتبط إحالة التعيين أصلا بوجود مسبق لقصد مكوّن في المخزون الذهني للشخص أثناء عملية إحالة البناء، لذا يقول "المتوكّل": "فلا يمكن أن يطلب من المخاطب أن يتعرف على ذات ما إلا بعد أن يكون قد أدرج هذه الذات في نموذج الذهني"<sup>1</sup>. إذا في إحالة البناء يبني المخاطب الحالة القصدية الموافقة لذات أو شيء ما، يعمل على التعرف عليه للمرة الأولى في الخطاب، في حين أن عمل إحالة التعيين أشبه بعملية انتخاب أو اختيار لواحد من القصد المتكوّنة سلفا حول أشياء كثيرة، والتعيين يتم باختيار إحدى هذه القصد دون غيرها لفهم الخطاب على النحو الذي تقتضيه الحالة القصدية المكوّنة له باختيار قصد ما من القصد الموجودة سلفا في مخزون ذهن المخاطب، بهذا كل حالة إحالة تعيين تسبقها استلزاما إحالة بناء فيحين أنّ إحالة البناء يمكن أن تستغني عن إحالة التعيين إذا كان الخطاب يحمل معلومة واحدة. هذا من حيث النمط إذ يتحكم في ذلك قيمة فعل الإحالة كفعل تداولي يخلق علاقة بين أطراف الواقعة الخطابية فيما بينهم من جهة، وعلاقة بين أطراف الواقعة والخطابات المنتجة فيها من جهة ثانية، وعلاقة بين أطراف الواقعة من جهة والشئ المحال عليه أو الذات المحال عليها من جهة ثالثة.

وتختلف طبيعة الشئ المحال عليه، باختلاف الأشياء الموجودة في العالم أو في أذهان الناس، فأى شيء يمكن بناء حالة قصدية أصيلة حوله ثم التعبير عليه بشكل من أشكال خرج الخطاب وفق حالة قصدية مشتقة، يمكن الإحالة عليه في خطاب ما، إحالة بناء أو إحالة تعيين حسب ما تقتضيه ملابسات الواقعة الخطابية وفحوى الخطاب، وقد يكون المحال عليه، ذاتا أو شيء أو واقعة أو خطابا أو فعلا خطابيا ، مثال ذلك الخطابات التالية على التوالي:

- نجحت نبراس.

- قرأت كتابا، الكتاب أفادني كثيرا.

1 - المتوكّل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، 1996، ص134.

- سفر محمد إلى الخارج هذه الأيام حدث غير متوقع.
- "الحمد لله رب العالمين" فاتحة الكتاب .

يقترح "ديك" ثلاث ثنائيات لتحديد طبيعة المحال عليه نفسه هي ثنائيات (المعرّف/المنكر) و(العام/الخاص) وثنائية (المطلق/المقيّد)، إذ "تقابل ثنائية المعرّف/المنكر بين اللفظ المحيل على ما يعتقده المتكلم أنّه متوقّر لدى المخاطب واللفظ الذي يحيل على ما لا يعتقد المتكلم أنّ مخزون المخاطب يتضمنه"<sup>1</sup> فالمعرّف هو اللفظ الذي يحيل على ما يعتقد المتكلم أنّ المخاطب يعرفه سلفاً، في حين أنّ المنكر لا يفترض فيه المتكلم المعرفة المسبقة والاعتقاد الراسخ به قبلاً لدى المخاطب، من ذلك الخطابات:

- قرأت الكتاب.

- سلكت طريقاً آمناً.

لفظ (الكتاب) لفظ محيل على شيء يعتقد المتكلم أنّ المخاطب يعرفه من قبل فيعرف قصده من الإحالة مباشرة، في حين أنّ لفظ (طريقاً)، لفظ محيل على شيء يعتقد المتكلم جهل المخاطب به أصلاً فهو لا يعلم أي طريق سلك لذا يحاول تعريفه بإضافة صفة (آمناً) له لترسيخ سمة الطريق. أما ثنائية المطلق/المقيّد فتميّز بين، "اللفظ المراد به الإحالة على ذات في ذهن المتكلم إما إحالة تعيين أو إحالة بناء واللفظ المحيل على ما لا يوجد وجود خصوص في ذهن المتكلم حين التلفّظ"<sup>2</sup> إذ اللفظ المحيل إحالة تقييد يحيل على شيء معرّف واحد فقط، سواء كان شيء أو ذاتاً أو غيرها، في حين يدلّ اللفظ المحيل إحالة إطلاق على عدم وجود خصوص في ذهن المتكلم، مثال ذلك الخطاب:

- قرأت الكتاب .

فاللفظة (الكتاب) تحيل على شيء معرّف هو شيء مادي يقرأ فيه، فإذا فهم المخاطب قصد المتكلم بأنّه يحيل قاصداً كتاب "سبويه" كانت الإحالة مقيّدة، في حين أنّه إذا قصد الإحالة إلى كونه قرأ أي كتاب المهم أنّه الكتاب الذي قرأه المتكلم وأحال عليه، فالإحالة مطلقة.

1- المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية ، ص 79.

2- المصدر نفسه: ص 88-89.

أما الثنائية الثالثة من الثنائيات المحددة لطبيعة المحال عليه فهي : ثنائية العام/الخاص فاللفظ يحيل إحالة خاصة إلى فرد واحد من مجموعة ما أما الإحالة العامة فتتم إلى مجموعة من العناصر تشترك في إحالة واحدة، مثال ذلك:

- إشتريت آلة طبع جيّدة ← إحالة خاصة إلى آلة واحدة.

- الآلة الرقمية سهلة الاستعمال ← ليس آلة واحدة بل كل الآلات الرقمية.

ويمكننا أن نلاحظ أنه في واقعة خطابية واحدة، يمكننا أن نعد اللفظ المحيل إحالة خصوص معرّفاً أو منكرًا، مقيدًا أو مطلقًا حسب المشهد العام للواقعة الخطابية، فالآلة مثلا إذا كانت في مرمى بصر المخاطب تكون معرّفة، ومقيدة بالآلة واحدة لا غيرها أو إذا كان المخاطب يعرفها من قبل فهي كذلك معرّفة أمّا إذا كان الحديث دون تعيين لآلة دون غيرها يكون الخطاب على الإطلاق، رغم أنّ الآلة معرفة، لمثل هذه الملاحظة اقترح "ديك" "الجمع بين ثنائيتي المعرّف/المنكر والمطلق/المقيد مضييفا إليهما الإشارة في زمرة واحدة أسماها زمرة "إحالة الموضعة" وعرّفها بأنها الإحالة التي تحدّد موقع المحال عليه بالنظر إلى "المركز الإشاري" الذي يشمل المتكلم والمخاطب ومكان التّخاطب وزمانه"<sup>1</sup> رأي "ديك" هذا يؤكد السمة التّداوليّة لفعل الإحالة في الوقت الذي دعا كل من "هنخفلد" و"ماكنزي" "نقل السمات الإشاريّة من المستوى العلاقي إلى المستوى التّمثيلي ورصدها بواسطة مخصص الحدّ عوضا عن رصدها بواسطة مخصص الفعل الإحالي"<sup>2</sup> فقد إنطلق من كون السمات الإشارية تحمل معلومات دلالية حول الشيء المحال عليه (المفسّر) ما يجعلها ألصق بالمستوى التّمثيلي.

ونجد "كليبار kleiber" يؤكّد دور الذّاكرة الذّهنيّة في تحديد عمليّة الإحالة فيقول: "يتم تعيين الضمير بواسطة التّمثيل الذهني المبني انطلاقا من الخطاب"<sup>3</sup>. إنّ ربط فعل الإحالة بالمضمون الذهني لأطراف الواقعة الخطابية يجعل السمات الإشاريّة تحمّل دلاليا إنطلاقا من فعل العقل فيها، فلولا القدرة الذهنية لمستعمل الخطاب لما حمل الخطاب فحواه أصلا، وارتباط الخطاب بالأطراف الفاعلة فيه يجعله تداوليا بالدرجة الأولى، ولعلّ ما يؤكّد ذلك أنّ "هنخفلد" و"ماكنزي" نفسيهما يؤكّدان السمة

1- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 80.

2- المصدر نفسه، ص 88-89.

3- نقلا عن: الهشيري (الشاذلي): الضمير بنيته ودوره في الجملة ، منشورات جامعة منوبة تونس، سلسلة اللسانيات، المجلة 17، 2003، ص467 .

التداولية للسمات الإشارية مع ذلك يفضلان نقل تمثيلها إلى المستوى التمثيلي بدل المستوى العلاقي، إذ يقولان "بالرغم من أن الوسائل الإشارية تعكس جوانب من موقف التواصل فإن هذه التقابلات تقابلات دلالية"<sup>1</sup>. كيف يصدق أن يتعدى محتوى السمات الإشارية مجرد الدلالة على معلومات؟ ما مستوى التعيين التداولي للإحالة في الخطاب ثم لا يمثل لها في المستوى العلاقي أو في طبقة فحوى الخطاب ويؤثر لها في طبقة المستوى الدلالي فحسب.

إن "المتوكل" يدافع على تمثيل السمات الإشارية وحتى ثنائية العام/الخاص في طبقة فحوى الخطاب شأنها شأن باقي ثنائيات الإحالة والسمات الإحالية منطلقاً من كونه فعل الإحالة، وفعل الإحالة فعل تداولي بامتياز لارتباطه بالتحديد في الواقعة الخطابية وقد لخص "المتوكل" فعل الإحالة من منطلق أنه فعل تداولي يرتبط أساساً بمكونات الواقعة الخطابية وينتج فيها.

تبقى مسألة تحديد القيمة التداولية للثنائية عام/خاص إضافة إلى المحتوى الدلالي لها؛ إن ثنائية العام/خاص ترتبط بشكل مباشر بالمحال عليه (المفسر)، مهما كان المحال عليه شيئاً أو واقعة أو ذاتاً أو خطاباً فإن حضور وحدات خطابية معبرة عليه، إنما تأتي دالة في ذاتها كونها وحدات خطابية حاملة لمعنى (معناها الخالد)، غير أن المسألة تطرح في أن دلالة تلك العناصر الخطابية من حيث العموم أو الخصوص لا تتحدد بالنظر إلى معناها في اللغة بل بتوظيف المتكلم لها أو فهم المخاطب فخرج الخطاب لا ينحصر في المشكل اللساني له، وكل المشعرات الخطابية بمختلف أنواعها تشكل الخطاب مع إنتاج شكله اللساني.

ولعل أكثر العناصر اللسانية غموضاً في الخطابات إنما هي الضمائر لما تتحمّله من دلالات مقامية جعلت بعض اللسانيات ينجح لتبني الفكر القائل أن الفعل الخاص للإنسان هو الذي يفتح مجال الإحالة أمام عالم مستعمل اللغة، يعرف "ريكور" العالم فيقول: "العالم هو مجموعة الإحالات التي تفتحها جميع أنواع النصوص، الوصفية أو الشعرية، التي قرأتها وفهمتها وأحببتها، وفهم النص يعني أن تحاوره في حدود مسندات السياق، عن الدلالات التي تميز العالم **welt** عن البيئة **umwelt** وهذا التوسيع لأفق وجودنا في العالم هو الذي يسمح لنا أن نتحدث عن الإحالات التي يفتحها النص، أو عن

1- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 89.

العالم الذي تفتحه دعاوى الإحالة في أغلب النصوص<sup>1</sup>. لطح "سيرل" لا "فريجه" في أن مرجع الإحالة لا يكمن في الشيء المحال عليه (المفسر) ولا في معنى خطاب الإحالة إنما هو أصلا يكمن في قصدية منتج أو متلقي الخطاب أي في حسم مسألة المرجع، "ومن المسلم به أن لكل وحدة لسانية مرجعها الذي يتغير من فعل-قول إلى آخر"<sup>2</sup> إن هذا الرأي هو الذي استقرت عليه أحداث الأبحاث اللسانية ينادي بها تيار فلسفة اللغة العادية.

ويرجع "سيرل" إمكانية التحديدات الإحالية إلى إقامة نظام مؤسسي جماعي داخل جماعة لسانية ما، ينتج لأفرادها القدرة على التعرف على القيمة الإشارية في الإحالة إلى شيء ما في العالم، سواء كان الشيء المحال إليه شيئاً مادياً صرفاً أو شيئاً وجودياً فكلاهما يحمل سمة شيء مقصود بفعل الإحالة العقلية عليه في إطار نظام عام، ف"الربط بين معنى ما موضوع ما..... هو السبيل إلى إيجاد الفئة الملائمة من الموضوعات، من بين ما يمكن أن يشتمل عليه المشار إليه من الموضوعات الممكنة فلا تصنع الرموز القطط والكلاب ولا نجمة المساء: ولكن تتيح المجال وحسب الإمكان الإحالة على القطط والكلاب ونجمة المساء على النحو الذي يبسر للعامه فهمها"<sup>3</sup>، ففعل الإحالة بهذا يصبح فعلاً تشاركياً بين جماعة من الناس، ما يزيد في الصفة التداولية له، ويساهم في نجاح فعل التواصل وإنتاج الخطابات وفهمها، فلا وجود لخطاب ما دون أن ينسب منتج الخطاب إلى مخاطبه مجموعة من المعارف والعادات والمعتقدات يتشاركان في إدراكها، ناسبا له بذلك مجموع حالات قصدية متكوّنة سلفاً تعينه على تحديد الإحالة إن بناءً أو تعييناً كما تؤهله إلى تكوين العلاقات اللازمة لفهم الخطاب، وتحديد قصد المتكلم في الإحالة.

فإذا لم يتمكّن المخاطب من تحديد قصد المتكلم، فشل المتكلم في إنجاز خطابه وفشل في إنجاز عملية التواصل والتفاعل مع الخطاب، "وهناك أسباب متعدّدة حيث يمكن أن يفشل المتكلم في الإحالة كأن يقصد المتكلم شيئاً للإحالة عليه ولكن المستمع لم يعين الفرد المقصود (بالطريقة المقصودة)،

1- ريكور (بول): نظرية التأويل - الخطاب وفنائض المعنى، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي المغرب، ط2، 2006، ص 71.

1- أوريكيوني: فعل القول - من الذاتية في اللغة، ص 55.

3- سيرل: بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، ترجمة: حسنة عبد السميع، مراجعة: إسحاق عبيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر 2012، ص 111-112.

أو يقصد المتكلم الإحالة على شيء ولكن لا يوجد هذا الشيء في الأصل وفي هذه الحالة فليس هناك قضية شخصية حول ذلك الفرد يمكن التعبير بها<sup>1</sup> معنى هذا أنّ الفشل في تحديد المحال عليه وماهيته من بين الأشكال المؤدية لفشل الفعل الإحالي عامة، شأنه شأن الخطأ في إدراك قصد المتكلم إلى أي شيء يحيل أو معرفة المخاطب به، كما أن الخطأ في القرائن الإشارية أو الخطأ في إدراكها بصفة صحيحة كلّها تتسبب في الفشل في تحديد الإحالة وفق قصد إنشائها أصلاً فيفشل الخطاب في حمل فحواه على الوجه الأكمل.

وهذا يؤكّد أنّ ثنائية العام/الخاص المتعلقة بطبيعة المحال عليه شأنها شأن باقي الثنائيات مطلق/مقيّد المتعلقة بالمتكلم ومعرف/منكر المتعلقة بالمخاطب تعمل بشكل متكامل في إطار مؤسسة التواصل والقصد الجماعي لإنجاح فعل الإحالة أحد المكونات الأساسية لفحوى الخطاب إلى جانب الحمل.

1 - السيساوي (يوسف): المقاربة التداولية للإحالة، دراسة منشورة في كتاب: التداوليات - علم استعمال اللغة ، تنسيق وتقديم: علوي (حافظ إسماعيل) ، عالم الكتب الحديث ،الاردين ،ط1، 2011، ص 471.

#### IV. قضايا لغوية تساهم في تأطير التفاعل الخطابى:

بعد سبق تناولنا لبعض الظواهر الفلسفية ذات العلاقة المؤثرة في تأطير أي عملية تواصلية ينتج عنها تعدد في الخطابات اللسانية تبعا للحالات القصدية المنتجة وفقها، وخاصة ظاهرة الإحالة التي يركز فيها خلق علاقات كثيرة بين الخطاب والمتخاطبين من جهة، وبين الخطاب والواقعة الخطابية من جهة ثانية، وبين أجزاء الخطاب فيما بينها من جهة ثالثة، ولعل أهم العناصر الخطابية المقيمة لفعل الإحالة في الخطاب الأسماء نظرا لأهميتها فعل القصد أصلا في وضعها ثم في تحديد قصد استعمالها، وما طرح ذلك من إشكالات لسانية وفلسفية سبق إيرادها وتحليل بعض متعلقاتها.

سنأتي في هذا المقام -بعون الله- لبيسط وتحليل بعض القضايا اللغوية التي نرى لها دورا مهما في بناء قصد التخاطب أو التأثير فيه. فلا تخاطب يقام دون لسان، ومهما كان القصد فاعلا في عملية الانتاج الخطابى، يبقى يؤطر أيضا بقواعد اللسان الذي يتم به، وقواعد اللسان ليست فقط بمعنى الجانب التركيبى، أي صوت وصرف التركيب وبل حتى القواعد الدلالية والتداولية التي تتدخل في بناء أو تحديد قصد الخطاب و"الخطاب في اللغات الطبيعية بنية عامة قوامها مكونات وعلاقات أما المكونات فمستويان، مستوى تمثيلي [دلالي] ومستوى علاقي [تداولي]... وأما العلاقات فهي خمس فئات: علاقات تربط بين الطبقات وعلاقات تكامل بين المخصصات واللواحق داخل الطبقة الواحدة ووظائف وقيود توارد وعلاقات إحالية تسهم كلها في خلق خطاب منسق تتناسق مكوناته بعضها مع بعض وتتناسق بنيته ككل مع العالم الذهني الذي يشكّل مرجعيته"<sup>1</sup>، إذ الخطاب ليس مجرد إنتظام أو نظام لوحدات صوتية يقطع اتصالها المتسلسل لتكوين وحدات دالة على نحو اللسان والقصد، بل هو نظام قائم على بنية من الأصوات تتعداها إلى الدلالة ثم التداول وفق مجموعة من العلاقات الناطمة لتألف تلك الأصوات وفق قصدية الخطاب المراد إنجازه، وخصائص الواقعة الخطابية

ولعل هذا ما دفع "المتوكل" إلى تبني مقترح "هنخفلد" و"ماكينزي" (2008) القائم على فكرة "أنّ بنية الخطاب الثابتة مستويات أربعة، مستوى علاقي ومستوى تمثيلي ومستوى صرفي - تركيبى ومستوى فونولوجي يتضمّن كل منهما طبقات يعلو ويحكم بعضها بعضا"<sup>2</sup> حيث يعد المستوى العلاقي

1- المتوكل : قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية- بنية الخطاب من الجملة إلى النص، ص146.

2- المتوكل : الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 32.

(التداولي) هو أعمقها وعليه تستند باقي المستويات ويحكم ترتيب وتركيب واسناد الوظائف لمختلف عناصر الخطاب في مستوياته المتباينة<sup>1</sup> إذ يضطلع المستوى العلاقي بتكوين العلاقات المنشأة للخطاب، كعلاقة المخاطب بالمخاطب وعلاقة المخاطب بفحوى خطابه، ويهتم المستوى التمثيلي برصد الصور الذهنية للذوات وللوقائع التي يقصد المخاطب نقلها إلى ذهن المخاطب، في الوقت الذي يضطلع المستوى الصوتي ببناء خرج الخطاب في شكل مادي إذ تأتلف الأصوات وفق النظام العام للغة الخطاب وقصديته فتحكم بذلك الخطاب إلى جانب قصديته حقيقة خرجة وفق ظواهر لغوية تحكم لسان منتج الخطاب انطلاقاً من مخزونه الذهني ومكوناته الأربع: المكون المعرفي، السياقي، التركيبي والخرج .

إنّ الظواهر اللغوية كثيرة جداً ومتشعبة ومتشابكة، حتى ليستعسر فصلها عن بعضها البعض حال الواقعة التواصلية، لذا من المهم التنويه بإمكانية مصاحبتها لبعضها البعض في الحياة اليومية وتأثيرها في تعدد قصديّة الخطابات وبنائها في الخطابات اليومية المختلفة. ولعلّ تناولنا سيضيء جوانب منها، ويتيح التعرّف عليها، وعلى تأثيرها في الخطابات اللسانية العادية، ووضع وجودها في الحسبان في إطار الدراسة اللسانية للقصديّة وعلاقتها بتعدّد الخطابات، وهذا ما نرمي إليه من هذا المبحث بمطلبية:

- الظواهر الصوتية والنسقية.

- الظواهر الدلالية والتداولية.

#### IV. 1. الظواهر الصوتية والنسقية:

بعيدا عن دروس قواعد الصوت والصرف والنحو، سنقوم في هذا المطلب، بلفت النظر إلى أهميّة هذه الجوانب المذكورة آنفا في تحديد وتعدد قصد خطاب لساني ما، وتوجيه عملية التواصل ككل تبعاً لذلك، إذ تبدو ظواهر فاعلة في التّخاطب .

أكثر ما يمكن أن نلمس أهميّة عملية التّصويت في الخطابات هي حال التّلقّي للغة لا نعرفها ولا نعرف نظامها الصوتي ولا طريقة استعمالها، حينها فقط نعرف أهميّة إبانة المعرفة الصوتية للغة ما لاستعمالها في الخطابات، يوغل "سكوفل" في بيان تلك الأهميّة بقوله: "لذلك نلاحظ حدوث دهشة وتعجب طبيعي عندما تأخذ تلك الأصوات الصّعبة الغريبة "اللغة الأجنبية" تنساب بدون عناء من أفواه

<sup>1</sup> - ينظر؛ المتوكل: المصدر السابق، ص 40.

الأطفال الصغار أمام هؤلاء الناس الغرباء<sup>1</sup> ، فالأطفال يكتسبون لغتهم الأم بسهولة بتعرضهم لها في الوقت الذي يتلقاها البالغون الغرباء على أنها مجموعة أصوات أو ضوضاء تحدث قرب جهازهم السمعي. إذا فما الفرق بين تلك الأصوات نسبة إلى الأشخاص العارفين بها، والأشخاص الغرباء الأجبيين عنها، على أن تلك الأصوات هي هي لم تتغير في شيء؟!.

إن الأصوات اللغوية داخل الخطاب اللساني اليومي، ليست مجرد أصوات يتلقاها جهاز سمع سليم لمتلقي مدرك، له من المعرفة ما يؤهله لإدراك قصدية تأليف تلك الأصوات وورودها وفق نظام اللسان الذي جاءت به، فاللغة العربية على سبيل التمثيل "مكونة من ثلاثة أنظمة [صوتي، صرفي ونحوي] وقائمة من الكلمات التي لا تنتظم في جهاز واحد<sup>2</sup>، وهذه الأنظمة والقائمة تكون معينا صامتا فإذا أردنا أن نتكلم أو نكتب نظرنا في هذا المعين الصامت فوضعنا محتوياته في حالة عمل وحركة فأخذنا منه الكلمات و رصفناها على شروط الأنظمة أي بحسب قواعد اللغة وخرجنا من دائرة الصمت اللغوي إلى دائرة النطق الكلامي"<sup>3</sup>، من الذي تقدم يمكننا القول أن الخطابات عبارة عن تفعيل، ذات مدركة، لمخزون معرفي إدراكي وفق نظام عام مؤطر تتميز به كل لغة من اللغات، ولذلك النظام ثلاثة جوانب صوتي و صرفي وتركيبية يفعله المخاطب حسب إدارته لخطابه وفق حالة قصدية باعثة له مراعي أطر الخطاب العامة، مستعملا كل المعلومات المساعدة لإنجازه، حال التطبيق. لذا عُدَّ التطبيق الفعلي للخطابات الصورة المادية لقدرة المخاطب على إنتاج الخطابات، في حين ترتبط القدرة بالحالة القصدية الأصلية، تنجز الخطابات حال التطبيق بحالة قصدية مشتقة من الحالة القصدية الأصلية.

وأشكال تباين الأصوات اللغوية كثيرة جدًا، واختلاف الأداءات الصوتية في الخطابات اليومية في اللغات الطبيعية أكثر ما قد يخلق إشكالات في تحديد القصدية الصحيحة للألفاظ، ما يؤدي إلى التسبب في سوء الفهم، أو الجدل، ويحدث سوء الظن، خرق المستوى التمثيلي للخطاب من حيث أمانة نقله للصورة الذهنية الصحيحة من المخاطب إلى المخاطب، والمستوى الصوتي للخطابات يحكمه نظام مشكل من طبقتين، طبقة التقطيع وهي طبقة مميزة للغات الإنسانية، وطبقة ما فوق التقطيع، وهي طبقة تطريزية، تتمظهر الطبقة الأولى في مجموع ظواهر التقطيع المزدوج بنوعيه الأول والثاني، في حين

1- سكوفل: علم اللغة النفسي، ص23.

2- مبدأ التوارد في نظرية النحو الوظيفي، مثال: صعود الدرجات/ نزول الدرجات.

3- حسان (تمام): اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994، ص40-41.

تظهر الطبقة الثانية في ملامح ما فوق التقطيع، إذ تشمل قواعد حدوث النبر على مستوى الألفاظ والتنغيم والتقطيع الصوتي المناسب للخطاب كاملاً أو سلسلة أجزاء الخطابات الطويلة نوعاً ما.

فالمعرفة الصحيحة لقصدية الخطابات لا تتأتى، بالمعرفة القصدية لدلالة أجزاء الخطاب في شكل وحدات معجمية حاملة لمعانيها الخالدة، بل إن صوغ هذه الوحدات في الخطاب وآداء صوتياً معيّنًا أو كتابتها وفق نظام كتابة ما مع استعمال قواعد الكتابة ومختلف رموز وعلامات الترقيم، يضيف على الخطاب ملامح القصدية الحقيقية، التي قد لا تحملها أجزاء الخطاب بعيداً عن تلك التتويجات الصوتية المحدثة للفرق في تحديد قصدية الخطاب. من أشكال تحكم المستوى الصوتي في تعدد قصدية الخطابات، على مستوى طبقة التقطيع، نلاحظ أنّ نطق الأحرف يلحقه بعض التغيير إذا ما جاءت داخل الخطاب ويرجع تأثير نطقها بنطق بعضها البعض ما قد يتسبب حتى في ذكر حرف مكان حرف آخر لدواعي النطق، ثم إنّ دواعي النطق هذه يعرض لها عارض فيتغير بذلك الخطاب ولا يتمّ تحديد قصدية تحديداً صحيحاً. إنّ تغييب نطق حرف ما من لفظة داخل الخطاب، أو عدم تحقيق نطقه قد ينقل اللفظة من قصد إلى قصد آخر بتغيير شكلها الصوتي، يتغير شكلها الصّرفي فيتعدّد بذلك الخطاب، إن سلباً أو إيجاباً مثال ذلك: لفظة (نقطة) و(قطة) فسقوط حرف النون حال التلقظ، أو عدم التقاطها حال السمع يجعل لفظة (نقطة) بجانب شكلها الفيزيائي ومضمونها القصدي إلى (قطة) فتؤثر في فحوى الخطاب بإحداث فرق بين قصد المخاطب الأصلي والقصد المشتق الذي ظهر بعد غياب حرف (ن) إنّ نطقاً أو سماعاً - وينتقل قصد الخطاب من الإحالة إلى شيء وجودي إلى الإحالة إلى حيوان، بل يتعدى من مجرد إحالة اللفظ المرتبط به مباشرة إلى تعدّد قصدية الخطاب ككلّ في مثل الخطاب:

- أنظر إلى هذه النقطة ← ليصبح الخطاب ← - أنظر إلى هذه القطة.

فتنتقل بذلك قصدية الخطاب من دعوة المخاطب المخاطب التوجّه العقلي وإمعان الفكر في نقطة ما كقضية أو أمر يحتاج بعض التفكير أو التحليل، إلى دعوة المخاطب المخاطب التوجّه ببصره نحو قطة (حيوان أليف)، ولنا أن نتخيّل مختلف الأفعال التأثيرية وردّ فعل متلقّي الخطاب على مثل هذه الخطابات حسب الواقع الخطابى الذي أنشأت فيه والحالة القصدية التي كونها المخاطب عن تلقّيه الخطاب.

إنّ الخطابات المكتوبة أيضاً تخضع لنظام الكتابة الخاص بالّلغة التي تكتب بها، لذا يتسبب إسقاط رمز كتابي - حتى الحركات في اللّغات التي تعتقد الحركات كسمات تمييزية للألفاظ الخطابية - في

إنتاج خطاب يبتعد عن قصديّته الأصليّة إلى تعدّد قصديّاته المشتقة تبعا للكتابة المفعّلة له، ويحدث بتر للقصدي المترتب عنه؛ مثال ذلك في اللسان العربي: إغفال كتابة "الشدة" و"التنوين" وغياب "الحركات" و"علامات الترقيم" من أشكال الأخطاء الكتابية على سبيل التمثيل:

- منة صف ← منتصف .
- على حدى ← على حدة .
- بين الحدين ← بين الحدين .
- مأساتن / معاناتن ← مأساة / معاناة .
- أزيد ← أزيد ؟ ← أزيد !
- خطاب استفهامي      خطاب نداء      خطاب تعجّب.....

والواقع أنّ مثل هذه الظواهر الصوتية كثيرة وواقعة في الخطابات اليومية، والقصدي من إيراد أمثلتها لفت النظر إلى أثرها ودورها في تحديد قصديّة الخطابات وتعديدها ومن ثمّ تصوّر ما ينتج عنها من أفعال تأثيرية تبعا لما ينطبع في المخزون الذهني لمتلقّي مثل هذه الخطابات. ويمكننا القول أنّ لبعض الظواهر الصوتية تبعات نسقية، مهمّة، تساهم في تحديد وتعديد قصديّة الخطابات، فقضية تحديد المفاصل الصوتية للخطاب الواحد، قضية لا ريب مؤثرة ولها وزنها التداولي في بيان المستوى النسقي للخطابات، وأكثر ما نلمسها إذا صادفنا شخص يتحدّث بشكل سريع مقارنة بالوتيرة الزمنية التي اعتدنا تلقي الخطابات بها. إذ قد يصعب على المخاطب تحديد مفاصل كلام المخاطب نظرا لسرعته في النطق أو التصاق أجزاء خطابه الصوتية بعضها ببعض، و"المفصل ليس مقصورا على تعيين حدود الكلمات وتمايزها، بل هو إمكانية لتعيين حدود الجمل والمعاني النحوية"<sup>1</sup> فللمفصل الصوتي دور أساسي في التفرقة بين الوحدات الخطابية الدالة ومعالمها الدلالية، ونجد العلماء العرب إهتموا بهذه الظاهرة ودرسوها بل توقف عليها فرع عظيم من علوم القرآن، إذ لا تفسير للقرآن الكريم؛ دون معرفة أسس وضوابط، الوقف والوصل في آيات القرآن الكريم، ودون معرفة للمواقف والفواصل فيه من ذلك نجد صاحب "الكشاف" يقول عند تفسيره للآية الكريمة ﴿لا ريب فيه﴾ [البقرة 2] "...والوقوف على ﴿فيه﴾ هو المشهور وعن "نافع" و"عاصم" أنّهما وقفا على ﴿لا ريب﴾ ولا بدّ للواقف من أن ينوي خيرا"<sup>2</sup> فتحديد المفصل الصوتي ومكان الوقف يرجّح به "الزمخشري" قراءة على قراءة أخرى متحرّيا قصد الخطاب وأنّ

1- عرار (مهدي أسعد): ظاهرة الأسبس في العربية - جدل التواصل والتفاصيل، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، 2003، ص91.

2- الزمخشري: الكشاف: ج1، ص145.

الواقف على كلمة ﴿لا ريب فيه﴾ لا بد له أن يضمّر قصد خبر تقديره "مستقر فيه" فيستقيم بذلك قصد الآيات وإلا جانب إلى قصد آخر غير قصد نفي وجود الرّيب في القرآن الكريم على التّحقيق. إنّ مثل هذه المعرفة لا تكون إلا لمتكّن من ناصية اللّسان الذي يتكلم به أو يتلقاه خطاباً، وعلمه ذلك إنّما يكون لملكة وسجّية حال ابن اللّغة أو بالتّعلم، ولا فرق فقد يصلان سيان إلى مستعمل مثالي لها بإجادة فنونها بله طريقة نظمها وانتظامها، فالمفصل الصوتي **junction** ويسمّى أيضاً الانتقال **transition** "عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدّلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر" <sup>1</sup> وغياب هذه السكتة الخفيفة بين أجزاء الخطاب هو ما قد يطرح إشكالا. رغم ذلك ليس المفصل وحده من يحدد أجزاء الخطاب إذ يتضافر عمل شدّة الصّوت ونبرته ومؤثراته إلى جانب المفصل في تحديد ذلك.

أمّا في الخطابات اليومية قد يحدث إهمال الوقوف على المفصل في المكان المناسب تعدد لقصديّة الخطابات كما يحدث عند لفظ الخطابات في سرعة مع عدم تحديد لقصديّة المفصل الصوتي أو السكتة المميّزة لأجزاء الخطاب مثل:

- دارجة سورية
- أ ناموسة وينك .
  - أ // ناموسة وينك .
  - أنا // موسى وينك .
  - حلالي.
  - حلا // لي.
  - لولا // معام الطبع لما سهل التّأليف.
  - لو // لام // عامل الطبع لما سهل التّأليف.

نلاحظ من تحليلنا لهذه الخطابات أنّ قصديتها تتعدد وتتناوب وتباين تباين تحديدنا لموقع مفصل صوتي أو عدم وجوده، هذا ما يجعلنا نتبنى رأي "عرار" في "أنّ المرء قد يرد على أحداث كلامية لا يقف على المتعيّن منها إلاّ بإقامة المفصل الصّوتي إذ إنّّه وسيلة من وسائل تعيين حدود الكلمات "word boundaries" وانفساخ نسيج التّركيب بين جملتين بغية الفصل بين معنييهما" <sup>2</sup>.

1 - باي (ماريو) :أسس علم اللّغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط8، 1998، ص95.

2 - عرار ( مهدي أسعد): ظاهرة اللّبس في العربية، ص26.

ولا نجزم كاذبين إذا قرنا أهمية المفصل الصوتي، بظاهرتين صوتيتين أخريين لا تظهران في الخطابات إلا على مستوى الإنجاز، إنها ظاهرتا النبر والتنغيم، ويعرف "باي" النبر قائلا: "معناه أنّ مقطعا من بين مقاطع متتابعة يعطي مزيدا من الضغط أو العلو (نبر علوي accent street) أو يعطي زيادة أو نقصا في نسبة التردد نبر يقوم على درجة الصوت (pitch accent) "1" نفهم من تعريف "باي" أنّ النبر ظاهرة صوتية ترتبط بإضافة جهد صوتي لطبقة أو درجة الصوت، إضافة تنشأ عنها تمييزات في قصديّة بعض الكلمات وليس كلّها، كما هو الحال في اللغة الإنجليزية 2، أمّا في العربية فالنبر؛ من حيث نوع المنبور "نبر الهمزة، نبر طول الحركة وهو نبر المدّ أو نبر اللين، ونبر تضعيف الصوت" 3. مثال ذلك في الخطابات العادية:

- ناس ← أناس / نبر الهمزة.
- عمر ← عمرو / نبر المد.
- شدد ← شدّ / نبر تضعيف الحرف

غير أنّ هذه النبر قد تكون مؤثرة في قصديّة الخطابات على خلاف النبر الواردة في الخطابات السالفة الذكر، مع أنّ قضية تأثير النبر في الخطابات في اللغة العربية قضية خلافية، يقول "عرار": "أمّا في العربية فقد تباين وجه القول عليه، فذهب بعض الباحثين إلى تقرير فونيميته [وظيفية]، مستدلين بما يأتي: كريم الخلق - كريم الخلق.... وأحسب أنّ هذا ليس بحجّة،....، ذلك أنّ الشرط أن يكون واقعا في الكلمة ذاتها، وإذا ما تنقل هذا النبر من مقطع، وكان هذا التنقل مؤذنا بتغيير المعنى، فهو فونيمي وإذا ما تعذر ذلك فالأمر بالصدّ، والأمثلة المسوقة للتحليل على صحة المذهب لا تتفق وشرائط النبر" 4، إنّ ما قاله "عرار" لا ينسحب على كلّ ألفاظ اللغة العربية ويمكننا إقرار ظاهرة النبر ظاهرة وظيفية تؤثر في معنى الخطابات ودليلنا الأمثلة التالية:

- دَهَبَ / دَهَبَ.

1 - باي : أسس علم اللغة، ص 94.

2 - ينظر: شرحا أوفى بالأمثلة في المصدر نفسه، ص 94.

3 - ينظر: العبيدي(رشيد عبد الرحمان): معجم الصوتيات، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، دط، 2007، ص 200.

4- عرار: ظاهرة اللبس في العربية، ص 25.

- راعي/ راعي. (بترقيق الراء).

(ذهب) بمعنى غادر إلى غير المكان الذي يحلّ به منتج الخطاب، و (ذَهَبَ) بمعنى أملك فلان فلانة ذهباً (المعدن الأصفر). أما الخطاب الثاني فجاء في "الكشاف" أنّ الرسول (صلى الله عليه وسلم) نهى الصحابة عن قول "راعنا" في خطابهم إليه لإلتباسها بـ "راعنا" بالترقيق وهو خطاب كان يخاطب به اليهود لإيذائه بإعمالهم النبر في الراء خروجاً عن قصد الصحابة "تمهل" إلى قصد التحقير، فقال: كان المسلمون يقولون لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم: راعنا يا رسول الله أي راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكان لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية وسريانية وهي راعينا كلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا افتروصوها وخاطبوا به الرسول (صلى الله عليه وسلم) وهم يعنون تلك المسببة فنهى المؤمنين عنها<sup>1</sup>، وكلام "الزمخشري" هذا يوضح بأنّ طريقة نطق اللفظة ونبرها غيّرت قصديّة استعمالها ودورها في الخطاب، فسبب الالتباس من أنظرنا إلى السبب والتحقير، ونجد في العربية لنفس الكلمة استعمالين مختلفين إلى حدّ اليوم: [راعي] بقصد من يرعى غيره ويسهر على خيرهم و[راعي] بترقيق الراء وتستعمل لتحقير من سفه رأيه وعمله وأصبح إلى الشر أقرب.

رغم الخلاف الحاصل في قضية النبر إلا أننا نقول أنّها مؤثرة في قصيدة الخطابات وفي تحويل أو تقدير الخطابات من حال إلى حال في الواقعة الخطابية، وقد يرد الالتباس الحاصل في القضية إلى عدم تمكين الدارسين من النظر والتحليل الموضوعي للقضية فتعريف النبر زيادة قوة أو شدة الصوت للأداء الخطابي، ولا نستبعد أبداً أن يكون له دور في تحديد القصد، فعلى تكثيف قصد التحليل والدراسة للجزم النهائي في هذه القضية.

ثم حتى وإن تضاربت رؤى الدارسين حول وظيفة النبر في الخطابات العربية، نجد إجماعهم على وظيفية التنغيم ظاهرة صوتية فاعلة في تحديد وتعدد قصيدة الخطابات، لإيضاح ما سبق ذكره نمثل له بخطابات منجزة بأشكال مختلفة حسب مقامها ومقالها لايفصل في في تحديد قصديتها إلاّ التنغيم الذي يفعله منشئ الخطاب أساساً:

- تحبّها .

- أنهيت كتابة بحثك

1 - الزمخشري : الكشاف، ج1، ص307.

بتنظيم كتابة معناه قد تنتهي القراءة التحضير جمع المصادر أما الكتابة فصعبة أن تنتهيها.

- أقل الباب.

- وعدت ووفيت.

إذ الخطابات السالفة الذكر يمكن أن تؤدي بسمتين متباينتين أو أكثر سمة الفعل الخطابى (الهابط) النغمة فتأتي بخطاب يحمل قصيدة كقصيدة التعجب مثلا أو حتى قصيدة الكذب واستبعاد الأمر أو السخرية والاستهزاء، كما يمكن أن ترد الخطابات السابقة بنغمة صاعدة واسمة الخطابات بقوة إنجارية إخبارية أو استهزامية:

- تحبها ؟	- تحبها !
- أنهيت كتابة بحثك ؟	- أنهيت كتابة بحثك !
- أقل الباب ؟	- أقل الباب !
- وعدت فوقيت ؟	- وعدت فوقيت !

وهذه التنغيمات المذكورة تنغيمات واسمة للخطاب ككل، ويحدث وقوع التنغيم في جزء من الخطاب فقط، بيان ذلك إذا استعمل المنشئ تشكيلات صوتية تطريزية على مستوى أحد مكونات الخطاب إنجاز لفعل الاستهزاء أو الاستبشار حسب الواقعة الخطابية، كتطريز الوحدة التلفظية "أنهيت" في الخطاب (أنهيت كتابة بحثك) إذ يمكن أن توطر لقصيدة خطابية تأثيرية تضاد حقيقة معنى مجموع ألفاظه، وهي في الحالة ترد على سبيل المفارقة **ironic meaning**، في مثل هذه الحال، "سيدل المنطوق على معناه الحقيقي أو الحرفي، من أجل ذلك سيستلزم المنطوق نغمة هابطة ساخرة وجهارة صوت منخفضة"<sup>1</sup> فالتنغيم سمة تشكيلية أساسية لخرج الخطاب، تساهم في إظهار قصديته وللمتكلم فيه تصرف واسع تبعا للحالة القصديّة الناشء عنها أصلا، ويعمل وظيفيا على تحديد سمات كل مستوى من المستويات التسقيّة للخطاب، مؤديا دور إبرازها وظيفيا في شكلها النهائي، مساهما بذلك في بناء الخطاب بناء فارقا بين الأشكال المتعددة التي يمكن أن يظهر عليها الخطاب نهائيا.

بقي الإشارة إلى أنّ هذه السمة يختص بها خرج الخطاب المسموع، غير أنّه ولأهميتها، عمل الكتاب على وضع نظام كتابي قد يساهم في نقلها إلى الصفات المختصة بخطابات منجزة. وعلى أهمية

1- العبد(محمد): تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب ، دراسة منشورة ضمن كتاب: التداولية علم استعمال اللغة، ص331.

المساعي لذلك إلا أنها تبقى منقوصة، و"إنعدام الرموز الخطية المشيرة إلى الرسوم النغمية يعتبر من أبرز الثغرات الموجودة في أعراف الخطّ المعمول بها حالياً، وما لم تسد تلك الثغرات فإنها تبقى منبعاً أساسياً من منابع الالتباس في النصوص المكتوبة"<sup>1</sup>، ولعل غياب كتابة رمز الشد ( ) فوق الحروف المضعفة في اللغة العربية خير مظهرٍ لهذه القضية فالفرق واضح بين قصدية (كَوْن) و(كَوْن).

بعد لفت النظر إلى أهمية بعض الظواهر الصوتية نصل التحليل، بنسق الخطاب وتأثيره في قصدية تحديد وتعدد الخطابات، ولعله من الذائع في دراسات تحليل الخطاب الحديث على اختلاف مقاصد الخطابات تبعاً لبنيتها الشكلية، إلا أننا سنعمد في هذا الموضع إلى بيان أهمية ورود ثم توارد عناصر الخطابات لتبني نسق خرجها وفق الحالة القصدية الباعثة له، ثم نقف على تأثير تغييرها أو حذفها في تعدد قصدية الخطابات إلى قصدياتٍ أخرى، ومن جملة الظواهر النسقية نذكر ثلاثاً: الورد و التوارد والغياب:

#### أ- الورد:

يعد ورود عنصر تشكيلي من عناصر الخطاب، دون غيره من العناصر المتوفرة في فرص الخطاب المختلفة من أساسيات بناء الخطابات، ومن أساسيات كيفية اختيار خرج الخطاب الموافق للحالة القصدية الباعثة له، وقد تحدث "سيرل" عن هذا المفهوم في تصنيف الأعمال الخطابية، مؤكداً أن أسلوب إنجاز الخطاب مقياس تباين بين الخطابات<sup>2</sup>، تأمل الخطابات:

- أعطني/ ناولني/ سلمني/ ملكني الكتاب.

إذا نظرنا للخطابات السالفة الذكر عامة نجد أنّ لها محتوى قضوي واحد (طلب المخاطب كتاباً معيناً من المخاطب)، إلا أنّ صيغ طلبه اختلفت باختلاف ورود وحدات خطابية مختلفة تعبر عن الطلب في كل خطاب، فالوحدة اللسانية (أعطني) تباين الوحدة (ناولني) و(سلمني) و(ملكني)؛ ففي الوقت الذي تؤدي الوحدة اللسانية (أعطني) قصد الطلب، تضيف الوحدة اللسانية (ناولني) قصد الفضاء المكاني فتوحي بأنّ الكتاب موجود فعلاً أمام كل من المخاطب والمخاطب، وأنّه إلى المخاطب أقرب لذا

1- الزيتوني (كمال) : ظاهرة الالتباس في اللسان العربي- بحث في التأويل الدلالي والتداولي لنحو العربية

ومعجمها، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013، ص148.

2- بلانشيه (فليب): التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص65.

يطلب المخاطب مساعدته بأن يقربه -الكتاب- منه -المخاطب-، أمّا الوحدة اللسانية (سلمني) فتعبر عن قصد الرغبة في الحياة الفعلية و ليس فقط الطلب و الردّ عليه بالإجابة مع إمكانية الإنتظار، غير أنّ المخاطب يقصد تسريع فعل العطاء وريح الوقت لأخذ الكتاب بشكل دائم لا مجرد طلب الإعارة لمدة معينة وزمن محدّد، بهذا يكون لورود الوحدات اللسانية في الخطاب أثر هام في تحديد وتعدد قصيدة الخطابات على شكل دون أخرى، بل كذلك استعمال وحدات لسانية إضافية على سبيل تقوية أو تضعيف القوة الإنجازية للخطابات خدمة للقصيدة الأصلية لها، مثال ذلك الخطابات التي يستخدمها الأطباء عادة للتخفيف على المرضى أو حثهم على التزام العلاج، ومنها:

- أنت مريضة.
- أنت مريضة جدا.
- للأسف أنت مريضة.
- أنت مريضة، لكن مرضك ليس خطيرا.
- أنت مريضة، ويجب أن تلتزمي العلاج والنصائح.

فورود الخطاب (أنت مريضة)، مدعّمًا بفضلات لسانية مختلفة ك(جدا)،(للأسف)، و(لكن مرضك ليس خطيرا)، (ويجب أن تلتزمي العلاج والنصائح)، يؤدي قصودا مختلفة، ولا يتوقف على حال الإخبار بحقيقة المرض؛ إذ تلعب الفضلات (جدا)، (للأسف) دورا في تقوية القوة الإنجازية للخطاب، أما الخطاب الاستدراكي (لكن مرضك ليس خطيرا) فيقوم بتضعيف القوة الإنجازية للخطاب الأصلي، أما الخطاب (ويجب أن تلتزمي العلاج والنصائح) فيضيف التعبير على قصد الإرشاد الطبي الذي قد يرقى إلى درجة التحذير الضمني من خطورة المرض.

وإنّ من المسائل الهامة في قضية ورود عناصر تشكيلية في الخطاب، وتأثيرها؛ نذكر فكرة ترتيب عناصر الخطابات فيما بينها حال الإنجاز، وفي اللسان العربي تتجلى أهمية ذلك بشكل لافت، فالأصل في اللّغة العربية أن يتركب الخطاب من محمول وموضوع (مسند ومسند إليه)، ثم يجيء القائل بالفضلات تبعا لقصديّة خطابه، فإذا جانب ذلك بالتقديم والتأخير فيما بينها، حق للسامع أن يسأله عن سبب ذلك أو يبحث عن القصد الحقيقي له. يقول "السامرائي": "وقد يكون التقديم والتأخير ذا أثر على المعنى فيتغير تبعا للتقديم و التأخير، وذلك كأن يتغير المتعلق أو يتغير الموقع أو لغير ذلك من أسباب التغيير"<sup>1</sup> ثم يعطي مثلا على ذلك الخطابان:

1- السامرائي (فاضل صالح): الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر ناشرون وموزعون الأردن، ط2، 2007، ص48.

- عرفت على عجل كيف جئت.

- عرفت كيف جئت على عجل.

فالخطاب الأول يحمل قصدية أنّ المخاطب عرف على عجل بكيفية مجيء المخاطب، في حين أنّ الخطاب الثاني يحمل قصدية أنّ المخاطب عرف بمجيء المخاطب على عجل أي أنه جاء مسرعا، بهذا تغير قصد الجملة تبعا لموقع عناصرها.

إنّ أهمية ظاهرة الترتيب لا تقتصر على اللغة العربية بل تظهر في غيرها من اللغات الطبيعية، كاللغة الفرنسية، مثلا أنظر الخطابان 1:

شجاع - J'ai rencontré un homme brave

شهم - J'ai rencontré un brave homme

فقصد الخطاب اختلف في الحالتين عندما اختلف ترتيب عناصر الخطاب (brave) و(homme) فيما بينها، إذ قصد في الخطاب الأول التعرف على شخص شجاع أما قصد الخطاب الثاني (brave homme) أنّ الرجل شهم، ولعل الفرق بين القصدية موجود: الشجاعة والشهامة.

من دراسة وتحليل مثل هذه الخطابات وظيفيا؛ يجزم اللسانيون الوظيفيون بدور وظيفة العناصر الخطابية في ترتيبها فيما بينها، وأنّ "خصائص البنية الصرفية - التركيبية للعبارة اللغوية مرتبطة ارتباطا تبعية بوظيفة التواصل خاصة بالغرض التواصل المستهدف"<sup>2</sup>.

ولا يكون من نافلة القول؛ التحدث في هذا الموضوع، عن قيمة ورود عنصر خطابي دون غيره من العناصر المشاكلة أو المقاربة له في فرص الخطاب المتعددة، فاختيار لفظة دون أخرى لا يجري عبثا على لسان المتخاطبين بل خدمة لوظيفة تلك الوحدة في الخطاب وفي الواقعة التخاطبية ككل، ممن وعى ذلك "الزمخشري" لما فسّر أهمية ذكر حرف العطف (و) في الآية الكريمة: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (185) وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَطُّنُكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186)﴾ [الشعراء 185-186] حيث قال: "فإن قلت: هل اختلف المعنى بإدخال الواو ههنا و تركها في قصة ثمود؟<sup>3</sup> قلت: إذا أدخلت

1- الزهري (نعيمية): الإنشاء وأساليبه بين ألفية ابن مالك والنحو الوظيفي، دراسة منشورة ضمن منشورة ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 531.

2 - المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر العربي، ص 32.

3- الآية المقصودة بالإحالة هنا: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154)﴾ [الشعراء 153 - 154].

الواو فقد قصد معنيان: كلاهما مناف للرسالة عندهم: التسحر والبشرية، وأن الرسول لا يجوز أن يكون مسحراً ولا يجوز أن يكون بشراً، وإذا تركت الواو فلم يقصد إلا معنى واحد وهو كونه مسحراً، ثم قرر بكونه بشراً مثلهم<sup>1</sup> لذا فأهل الأيكة لما قرروا سببين لعدم نبوة الرسول المرسل إليهم أصبحوا متأكدين من كذبه أما ثمود فظهر الشك عندهم لما حكموا فقط بأنه من المسحرين الدليل إتمامهم القول ﴿... إِنَّ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154)﴾ [الشعراء من الآية 154] في الوقت الذي كان تمام قول أهل الأيكة ﴿... وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (186)﴾ [الشعراء من الآية 186].

### ب- التوارد:

إنّ مفهوم التوارد قديم في اللغات الطبيعية، ينبثق أصلاً من قواعد تكوين الخطابات في اللغات واللغة العربية إحدى اللغات الطبيعية التي عرفت مفهوم التوارد في ورود عناصر منتقاة في خطاباتها، فلخرج الخطاب فيها أحوال لا تتألف فيها العناصر إلا إذا جاءت مختارة بالطريقة المعبرة على قصدما بالشكل الأمثل، وعرف العرب مفهوم التوارد بين الألفاظ باسم المصاحبة اللفظية أو المشاكلة أو المؤاخاة.

إنّ اختيار عناصر الخطابات من حرص المتكلمين على حسن تسيير خطاباتهم وتأديتها على الشكل الذي يضمن إظهار القصدية على أحسن حال، وهي في اللغات الطبيعية تأتي على سبيل التصاحب والتتابع من أمثلة ذلك ترابط ألفاظ مثل: الليل، الظلام، الحالك، العتمة، أغطش، ببعضها البعض لتعلقها بالليل عامة، ومن ذلك ارتباط بعض التعابير كقولنا: صعد الدرجات، ونزل الدرجات،...، وذكر "السامرائي" أنّ في اللغة العربية "ألفاظا تقع في مواطن خاصة لا تقع في غيرها"<sup>2</sup>، وقد أولت نظرية النحو الوظيفي أهمية لهذه الظاهرة اللغوية الهامة في إنتاج خرج خطاب وظيفي، حتى جعلوا للتوارد مبادئ ترقى إلى صف القيود إذ يعد خرقها ضرباً من اللحن، يقول "المتوكل": "يخضع التوارد داخل كل مجال لقيود تتمثل في سمات يفرضها رأس المجال على توابعه الموضوعات. وتتخذ هذه

1- الزمخشري: الكشاف، ج4، ص413

2- السامرائي (فاضل صالح): الجملة العربية، ص137.

السمات طابع القيود لكون خرقها يؤدي إلى اللحن<sup>1</sup> حيث رأس كل خطاب هو أهم العناصر النسقية فيه ووفقا لاختياره يختار المخاطب باقي مكونات خطابه؛ إليك الخطاب التالي:

- قرأت "نبراس" كتابا.

حيث أن المحمول (قرأت) يستوجب ورود موضوع منفذ له ذات عاقلة تستطيع فعل القراءة، أما موضوعه المتقبل فيقتضي كونه شيء مكتوب يقرأ (كتاب أوكراس، مخطوط،...)، وللفهم أكثر نفترض الخطابات:

- قرأت "نبراس" مكتبا.

- أكلت "نبراس" الكتاب.

بالموازنة بين عناصر كل خطاب نجد المكونين (قرأ) (مكتبا) غير خاضعين لمبادئ التوارد، ما يجعل الخطاب لاحنا يستعصي على الفهم، كذا (أكلت) و(كتابا) فالكتاب يقوم المنفذ بقراءته لا بأكله.

إنّ لقيود التوارد أساس في بناء الخطابات التواصلية وإيصال قصدية الخطابات، ما جعل "المتوكل" ينقل الإشكال الذي طرحه "ديك" في فرضيتين ثم يغلب صدق الفرضية الأولى منهما، والفرضيتان هما<sup>2</sup>؛ أقيود التوارد:

- سمات لغوية، تتدرج في معرفتنا اللغوية، وترصد في البنية اللغوية.

- سمات غير لغوية، تنتمي إلى معارفنا العامة عن العالم الخارجي، لا يمكن رصدها في البنية اللغوية.

إذ ذهب "ديك" لكون قيود التوارد سمات لغوية بالدرجة الأولى، ترصد في البنية اللغوية للخطاب، مثال ذلك الخطابات:

- أكلت "نبراس" الكتاب.

- قرأ "بادر" اللوحة التشكيلية.

1- المتوكل: قضايا اللغة العربية في الأسانيات الوظيفية، ص134.

2- المصدر نفسه: ص 134.

فالمرصود من الخطابين المذكورين أن (الكتاب) لا يؤكل بل يقرأ، و(اللوحة التشكيلية) لا تقرأ بل تبصر وتلاحظ، يضاف لمثل هذه الخروقات (التمثيلية) خروقات نسقية كالأخطاء الصرفية أو العلائقية؛ مثال ذلك:

- قرأت "أحمد" الكتاب.

- ابنتي، ذلك الجميل.

- تلك الرجل.

فلا شك أن الخلل في توارد عناصر كل خطاب من هذه الخطابات واضح في بنيتها

النسقية:- قرأت X "أحمد" الكتاب. ← - قرأ "أحمد" الكتاب.

- ابنتي، X ذلك الجميل. ← - ابنتي، تلك الجميلة.

- تلك X الرجل. ← - ذلك الرجل.

وهناك أنساق خطابية لا يكون مصدر خرقها مرصودا في بنيتها التركيبية بل تتعداها إلى

مجموع معارفنا عن العالم، ما جعل "المتوكل" يميز بين الفرضيتين ويدافع على صحتها معاً؛ قائلاً: "ثمة تراكيب لاحنة يكون مصدر لحنها، دون التباس، خرقا لسمات لغوية صرف... ثمة تراكيب لاحنة يكمن لحنها لا في خرق سمات لغوية بل في مناقضة معارفنا عن العالم الخارجي"<sup>1</sup>، وعندما يكون الخرق غير لغوي يحدث التباس لدى المخاطب، وعامة يكون رده ماذا تقصد؟ في الوقت الذي يحاول فيه تصحيح الخلل النابع من خرق المبادئ اللغوية، فهي أوضح و أسهل للتدارك، مثال ذلك:

- أنا أعيش في "غوانتانامو".

فهذا الخطاب صحيح من الناحية التركيبية (أعيش + ذات +مكان)، إلا أن المخاطب قد

يستغرب هذا الخطاب لمعرفته بأن القائل إنما يعيش في "قسنطينة" وليس في "غوانتانامو"، علاوة على بعد الأخيرة وكونها معزولة على العالم لاحتوائها على أسوء المعتقالات سمعة. لتفادي مثل هذه الخطابات بالتباساتها وأخطائها في اللغة اليومية؛ جعل دور قيود التوارد اللغوية منها والمعرفية، "لا ضمان اتساق الخطاب فحسب، بل كذلك، وعلى الخصوص، ضمان سلامته، إذ بخرقها نحصل على خطاب لاحن إمّا

1 - المتوكل: المصدر السابق:ص:135.

لغويا أو معرفياً<sup>1</sup>. إلا أننا في الأخير نسجل، بعيداً عن سبل التوسع في اللّغة وأبواب الخيال، التي تخرق فيها قيود التوارد بشكل لافت لأغراض كثيرة، يحدث كذلك بعض الخرق لقواعد التوارد في الخطابات اليومية مثال ذلك:

- أكلت "نبراس" الكتاب.

- بالكيميائي يقتل الأسد أبناءنا.

وتتجح مثل هذه الخطابات في أداء قصديتها التواصلية وحمل قيمة الحقيقة فيها، عندما تكون مؤطرة بأطرها الخاصة، فالخطاب الأول يغدو مفهوماً في إطاره التواصلية، حاملاً قصد أنّ "نبراس" قرأت الكتاب وفهمته فهما جيداً لنجابتها. الخطاب الآخر، يؤدي قصده إذا حدّد المخاطب أنّ إحالة الحد (الأسد) اسم علم لذات، وليس اسم نوع الحيوان المفترس المعروف (ملك الغابة). وهذا لإغناء الحال عن الشرح أو الالتزام بقيود التوارد، فيمكننا القول: تحتل قواعد التوارد أهمية في ضمان انسجام واتساق وسلامة الخطابات في الوقائع الخطابية اليومية. إلا أنّه يمكن خرق قيود التوارد، في حال ضمن المتخاطبون أمن اللبس وتأكدوا من قدرتهم على تأدية قصديّة خطاباتهم بشكل ناجح.

### ج- الغياب:

قد لا نجانب الصواب في القول بقولنا إنّ أهمية ورود وتوارد وحدات لسانية معينة في الخطابات التواصلية في الحيات اليومية، توازي أهمية غيابها، وتلك الأهمية مقرونة أصلاً بأهداف العملية التواصلية وقصديّة الخطابات المنجزّة، فترتبط بشكل وثيق بالجانب التداولي لإنجازها. والأصل في الوحدات الخطابية الغائبة في خطاب ما؛ ورودها في مكانها الأصلي أو ورودها بعد عمليات تعديلية (تقديم، تأخير) وفق الحالة القصديّة الباعثة لها، إلا أنّه يحدث أن تغيب من الخطابات، أي أنّ صاحب الخطاب لا يذكرها في خرج خطابه، الذي يبنى بالذكر والحذف معاً، "وهناك فرق بين الأمرين وإلا فلو جعلنا عدم الذكر حذفاً لكانت كل جمل العربية فيها حذف بلا استثناء، لأن كل جملة يمكن أن تذكر فيها أمور لا تذكرها في أخرى، معنى ذلك أن يكون الأصل الحذف وليس الذكر"<sup>2</sup> فمثلاً الخطابان:

1- المتوكل: المصدر السابق: ص 136.

2- السامرائي: الجملة العربية، ص 94.

- أحمد هو أخي.

- أحمد أخي.

فالوحدة الخطابية (هو) الغائبة في الخطاب الثاني لا تعد من باب الحذف في اللغة العربية بل من باب عدم الذكر لذا اخترنا عنوانا لهذا المطلب (الغياب) بدل الحذف. وذكر السامرائي مثلا على ذلك قوله تعالى ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا (42) ﴾ [مريم 42] قائلا: "فهذا ليس من الحذف لأنه ليس القصد تعلق السمع والبصر بمفعول معين ولكن القصد لم تعبد ما لا يتصف بصفة السمع والبصر فليس لهذين الفعلين مفعول به في التقدير فهذا من باب عدم الذكر وليس من باب الحذف"<sup>1</sup>، معنى هذا أن عدم الذكر والحذف عمليتان يقوم بهما منتج الخطاب عن قصد حتى يوصل قصدية خطابه، فيكون لغياب وحدات خطابية معينة - يمكن تقدير حضورها- تبعية ارتباط بقصدية الخطابات. لقد سبق وذكرنا في عنصر الإحالة أنه قد يستغني في خطاب ما على وحدات لسانية إضافية إذا كانت الإحالة عامة وغياب تلك الوحدات يغني عنه حال الواقعة أو المخزون الذهني للمتخاطبين، مثال ذلك:

- ناولني الكتاب. (إذا كان الكتاب معروفا في مرمى البصر).

- ناولني كتاب "المتوكل". (إذا كان هناك أكثر من كتاب).

- ناولني كتاب المتوكل "قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية" (حيث هناك أكثر من كتاب "المتوكل").

هذا عن عدم الذكر أما الحذف فباب واسع واهتم به الكثير من النحاة والبلاغيين، وإنما نحن هنا في موضع الالمام لأهمية هذه الظواهر النسقية في تأطير الخطابات اليومية، وسنختصر مع محاولة عدم بخس الظاهرة حقها من التحليل، وقد ذكر السامرائي لظاهرة الحذف عشرة أغراض، سنقتصر بالتحليل على ما اتصل منها بالقصد 2 :

1- الإنجاز والإختصار عند قيام القرائن: مثال ذلك خطابات التحية وردها.

- السلام عليكم. ← - طاب صباحك. ← - صباحك.

1- السامرائي: المصدر السابق: ص 94-95.

2- السامرائي: الجملة العربية، ص 96.

- سررتي رأيتك. ← وأنا.

2- ظهور القصد: في الكثير من الخطابات خاصة الوصف أين يغيب تكرار الصفات إذا تشابهت:

- وجهها جميل وشعرها ← وجهها جميل وشعرها كذلك.

- كلامها مهذب وشعرها ← كلامها مهذب وشعرها مهذب كذلك.

- أنا راض وأنت ← أنا راض وأنت راض أيضا.

3- الفراغ بسرعة للوصول إلى المقصود: ويكون بشكل عام في حالات التحذير أو الإجابة

السريعة أو المواقف الحوارية على عجل: مثال ذلك من الخطابات اليومية:

- عندك. / إياك. / احذر.

- وينك (دارجة جزائرية) / ها أنا.

- صرف 100 دج / نعم / لا. - هاك / هات .....

إن مثل هذه الخطابات كثيرة جدا ومطرودة في الحياة اليومية حتى لا يمكن حصرها إلا أن حصر

سبب غياب أغلب وحداتها اللسانية رهين الواقعة الخطابية وتابع لقصديتها والمعرفة الذهنية لأطرافها.

4- الاستهجان: يحدث أن يحذف المتخاطبون أجزاء من خطاباتهم لغرابية تلك العناصر الخطابية

أو عدها من المحذور اللغوي في مواقف تواصلية كثيرة، من ذلك عدم ذكر أسماء بعض المواضيع في

الجسم أو بعض الأمراض أو بعض العوارض تحرجا. إذ تحظر عديد المجتمعات بعض الكلمات لما لها

من إيحاءات مكروهة، أو لدلالاتها على قصديات صريحة على ما يستتبع ذكره، وهو ما يسمى

باللامساس، أو المحذور اللغوي، وهي ذات بعدين: 1

الكلمات المحظورة نفسها: Tabooed Words.

الكلمات المتحوّل إليها والمحسنة: Euphemistic.

1- (نهر هادي): علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي، دار النشر والتوزيع، الأردن ، ط 1 ، 2007 ، ص 416. وقد

سماها العرب القدماء: الكنايات أو التعريض أو الألفاظ المستقبحة شرعا أو الألقاب المباحة والألقاب المحرمة، واللفظ

الخصيس أو الكلام القبيح، أو اللفظ المستهجن أو النزاهة، وإن دلت كثرة هذه المصطلحات على شيء، إنما تدل على إدراك

العرب لأهمية هذه الظاهرة في التعبير عن القصد الشادة والمستهجنة.

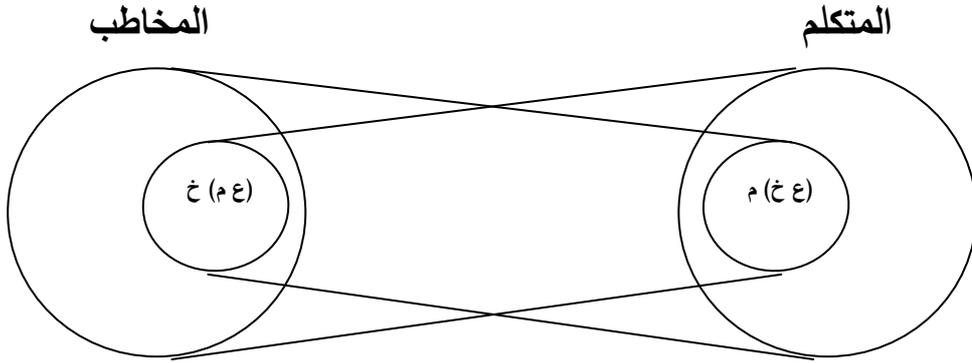
فيمكن أن يرد الحذف في خطاب ما تقاديا لذكر ما يستهجن ذكره أو يتحرج من قوله، وهذا ينسحب حتى على ما يحذف تأدبا كما يحدث في الخطابات الرسمية وحالات عدم اتساع المقام لذكرها لكونه مقاما شريفا أو صونا لألسنتهم من ذكرها وقد يكون كذلك لسطوة المخاطب أو الموصوف بها، فيوصلون الفكرة دون أن تستمسك عليهم بلفظ صريح يستدعي عقابهم أو موقف بطش بهم.

#### IV. 2. الظواهر الدلالية والتداولية:

على كثرة الظواهر الصوتية والصرفية والنسقية، إلا أنها لا تميز الخطابات إلا إذا أثرت في تحديد أو تعديد قصديتها ولا يكون ذلك إلا بتأثيرها في المستويين الدلالي والتداولي. فتربط مستويات الخطاب هو ما يجعل الخطاب خطابا كامل الإنجاز. ولما ارتبطت تلك الدلالة بالمستوى العلاقي (التداولي) أصبح الجمل المطلوب تحليلها لسانيا، نتاجاً لغوياً حركياً بامتياز فعدت خطاباً يراعى فيه القصد والتفاعل، لذا ارتبطت ظواهر المستوى التمثيلي أصلا بأحوال الوحدات اللسانية معجميا وقيمتها الاستعمالية علاقيا، وقلما نجد ظاهرة تطرح بعيدا عن الأخرى، ومن الظواهر الدلالية التي تؤثر في تحديد أو تعديد الخطابات نذكر: التضاد، الترادف، المشترك اللفظي والأضداد.

إن هذه الظواهر التمثيلية؛ إنما منشؤها الاتفاق الذهني بين أفراد الجماعة اللسانية على وجودها بشكل من الأشكال، ونسبة كل فرد معارف وقصديات للآخرين، شأنها شأن مختلف الحالات القصدية الأخرى المؤطرة للواقعة الخطابية، إذ "يذهب "ديك" إلى أن ضابط عملية التواصل الناجح هو ما يسميه "نظرية الآخر" Theory of other " أي ما يعرفه كل من المتخاطبين عن معلومات الآخر حين عملية التواصل"<sup>1</sup>. ثم اقترح تمثيل ذلك بمخطط موضحا أن المتكلم يضم حالات قصدية ينسب فيها حالات قصدية خاصة لمخاطبه، وكذا المخاطب ينسب مثل ذلك للمتكلم؛ أي لا تقوم الواقعة الخطابية بنجاح دون وجود هذه الحالات القصدية التي ينسبها كل طرف إلى الآخر، ما يجعل عملية التواصل في مستوييها التمثيلي والتداولي أكثر توفيقا وترتيباً وملاءمة للقاعدة المعرفية لكلا الطرفين:

1- المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، 1996، ص 147.



**المخطط:** العلاقة القصدية بين أطراف الواقعة الخطابية. 1

حيث: (ع خ) م = ما يعتقد المتكلم عن معلومات المخاطب.

(ع م) خ = ما يعتقد المخاطب عن معلومات المتكلم.

إن المتكلم لا يلجأ إلى استعمال الظواهر اللغوية عامة، الدلالية منها خاصة، في خطابه؛ إلا ناسبا لمخاطبه معرفة سابقة بها، و مخزونا ذهنيا قاعديا يضم مجموعة حالات قصدية بانية لها والظواهر الدلالية؛ ظواهر لغوية هامة في إنشاء الخطابات، إذ أصبح من المسلم به في نظرية "نحو الخطاب الوظيفي" أن بناء الخطاب يوطر دلاليا وتداوليا قبل تأطيره الصرفي والتركيبى، ويمكن حصر أشهر الظواهر الدلالية، التي طرحت إشكالات في تحديد قصدية ألفاظ الخطابات في أربع:

✓ **التضاد:** وجود لفظين مرتبطين من حيث دلالتهما على القصد و ضده.

✓ **الترادف:** يمثل تعدد الألفاظ و القصد واحد.

✓ **الاشتراك:** يمثل تعدد القصديات و اللفظ واحد.

✓ **الأضداد:** يمثل دلالة اللفظ الواحد على القصد و ضده.

وفي الوقت الذي نعدّ **التضاد** في باب اختلاف اللفظ لاختلاف المعنى ندخله في حال الخطابات عامة، ونعدّ الأضداد حالة خاصة من المشترك اللفظي، نهتم هنا إضافة بالظواهر الثلاث الأخر.

## 1 - الترادف:

"الترادف" مصطلح يقصد به اتحاد وحدات لسانية مختلفة في الدلالة على مفهوم واحد، وبعيدا عن التعقيد المنهجي لوجوده وماهيته، نروم الاهتمام في المقام الأول بوجوده ومنطلقاته القصدية في اللغة اليومية للمتخاطبين، إنَّ انتقاء الوحدات الدالة في خرج خطاب ما إنما يتم عبر عملية انتقاء قصدي للمتكلم، وفق حقيقة وفرضية؛ حقيقة ما يضمرة في ذهنه من حالات قصدية وفرضية ما يضمرة غيره من حالات قصدية، وعملا على مطابقتها حتى يكون الخطاب ناجح التوصيل لإتمام التواصل الأمثل، ويكون ذلك في حالتين:

1. انتقاء قصدي لأسباب إيعازية وانفعالية.

2. انتقاء قصدي لأسباب استبدالية وإفهامية.

إذ يستخدم المتكلم إحدى الألفاظ المترادفة أو المتقاربة، بشكل انتقائي دقيق، فيؤثر لفظه دون أخرى عمالا لقصدية شحن الخطاب، باستعمال ألفاظ مشحونة قصديا، و"يقال لها الألفاظ الملقمة (loaded word) أو المشحونة"<sup>1</sup>، ففي العربية مثلا استخدام وحدات خطابية ك: متملق / مجامل، بدائي / همجي، ينطلق فيها المتكلم من حالة انفعالية قصدية، يرمي بها إلى الشحن العاطفي في اتجاه معين سلبا كان أو أيجابا، و"تفعل فعلا آخر غير مجرد رصد الحالة الموضوعية: إنها تحكّم وتقوم وتحرّض وتوعز"<sup>2</sup>، أي أن مثل هذه الألفاظ تملك في سماتها الدلالية تميزا ما، يستثمره المتكلم في انجازه للخطاب، وقد تتعدد دوافع استعمالها بين المغالطة و الحث عن التدقيق القصدي أنظر الخطابات:

- إنه مدير صارم (قصديته المتضمنة متشدد).

- إنه مدير متساهل (قصديته المتضمنة متسيّب).

إنّ مثل هذين الخطابين يلجأ إليهما المتكلمون للمغالطة أو لدرء المسؤولية الخطابية عنهم بتمريرهم لقصديات لم يتجرؤوا على قولها صراحة وخوّل لهم ذلك انتقاء أحد المترادفات المشحونة عاطفيا والملقمة قصديا، إلا أننا نؤكد الرأي القائل: "ليست كل لغة مشحونة هي لغة مغالطة بالضرورة، وإلا

1- مصطفى (عادل): المغالطات المنطقية - طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس

الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2007م، ص123.

2- المرجع نفسه: ص124.

لكان كثير من الدراسات، وكل الأدب والشعر، ركاما من المغالطات! ونحن نريد، في حقيقة الأمر أن نكون قادرين في بعض الأحيان أن نسخر الطاقات الانفعالية والخيالية للكلمات في خدمة الحقيقة<sup>1</sup>، ولا شك أن ذلك السعي إلى التبيين الدقيق للقصدية الخطابية هو ذاته منطلق لجوء المتخاطبين إلى الوحدات الخطابية المترادفة حال الاستبدال.

إذ يلجأ المتكلمون في عديد الوقائع التواصلية إلى استبدال وحدات خرج خطاباتهم إذا اصطدموا بانعدام أو سوء فهم لخطاباتهم، إلا أن هذا الاستبدال لا يكون على سبيل مبدإ الاستبدال لـ"كوين" ذلك أن المتكلم لا يبحث عن وحدة خاضعة لكل الشروط المنطقية حتى تصلح للاستبدال، بل يفعل وحدات خطابية يخضعها لمعيارين: الأول توفرها في مخزونه الذهني، الثاني افتراضه وجودها في المخزون الذهني لمخاطبه، فعملية الاستبدال قصدية بقطبيها، أنظر الخطاب التالي:

- "بن مهدي" شارك في عملية حرق مصنع الفرنان.
- واش الفرنان؟ (درجة جزائرية مؤداها: ماذا يقصد بالفرنان؟).
- الفلين.

فالمتكلم استعمل خطابا مفترضا معرفة مخاطبه بقصدية خطابه، إلا أنه اصطدم بجهل مخاطبه لقصدية الوحدة الخطابية (الفرنان)، بطلبه (المخاطب) الاستفهام على قصدية ذلك، فبحث المتكلم في مخزونه الذهني عن وحدة خطابية تصلح للاستبدال مفترضا معرفة المخاطب لها غالبا، فقام باستبدالها بالوحدة الخطابية (الفلين)، وذلك ما حصل فعلا.

بهذا يستعمل المتخاطبون الوحدات اللسانية المترادفة على سبيل الاستبدال الافتراضي، فالفيصل إذا يتمثل في إدراك المخاطب لقصدية الوحدة المستعملة آخرا، أما كل الوحدات اللسانية المستعملة قبلا (قبل حصول التواصل الأمثل بالفهم الصحيح لقصدية الخطاب) إنما يمكن عدّها سبيلا لتعدد الأشكال النسقية للخطاب، ويقدر ما تعدد المترادفات في الشكل النسقي للخطاب بقدر ما تعمل على تحديد الحالة القصدية حتى تصل بها إلى التطابق بين أطراف الواقعة الخطابية. بعيدا عن الشروط المنطقية لقانون الاستبدال أو حتى مفهوم الترادف التام عند "أولمان" (Ullmann) حيث أخضع الترادف لشرطي: إمكانية

1- المرجع السابق: ص124.

التغيير بينها في جميع السياقات والتطابق في المضمونين الإدراكي والعاطفي<sup>1</sup>، ذلك أن المتخاطبين في الوقائع الخطابية العادية لا يبحثون عن التفاضل بين الوحدات الدلالية قصديا بل على العكس من ذلك يبحثون عن التقريب القصدي للمفاهيم المختلفة للوحدات الخطابية ليحصل الاتفاق والفهم التواصلي الناجح بينهم، يقول "محمد يونس": "وفقا لما هو مقرر منطقيا من وجود تناسب طردي بين زيادة القيود، أو بتعبير أدق زيادة السمات المميزة، أو العوارض المخصصة في المفهوم، ونقصان عدد الأفراد في الماصدق فإن الترادف التام نادر الوجود"<sup>2</sup>، لذا فاستعمال الوحدات الخطابية على سبيل التوسع كمترادفات يساهم في إنجاح عديد المواقف التواصلية كاستعمالنا في العربية للمترادفات: جلس/ قعد، نبراس/ مصباح، أضاء/ أنار، كما نذكر منها خاصة إذا لم يكن المتخاطبان ينتميان إلى نفس الجماعة اللسانية محليا، فاللهجات المحلية قد تخلق غموضا يُحل عادة بالآجواء إلى الترادف حسب النماذج الخطابية لدى المتكلم عن الوحدات اللسانية في لهجة مخاطبه، وتوجد هذه الحالات أكثر في الخلفية المعرفية للمتخاطبين حول الأسماء العلمية أو الإشارية للأشياء في العالم، حال تعلق الأمر بالفعل الإحالي قصديا لشيء ماصدقي كان أو مفهومي من أمثلة ذلك في اللهجات العربية:

- أعطيني 5 عظامات.

- ماذا؟

- ولاد الجاج أولاد الجاج.

حيث لجأ المخاطب إلى معرفته المسبقة بأن أهل العاصمة الجزائر يحيلون على "البيض" بالمركب الوصفي "ولاد الجاج" اسما له فقام بتصحيح خطابه مستخدما ذلك بعدما استعمل أولا الاسم الذي اعتاد على استخدامه في لهجته القسنطينية "العظام"، فالبيض (عربية فصيحة) - لعظام (دارجة قسنطينية) - أولاد الجاج (دارجة عاصمية)؛ وبهذا يكون عمل على رفع اللبس بتحديد ماصدق خطابه

1- أولمان (ستيفن): دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب للنشر، القاهرة مصر، ط1، 1975م، ص97.

2- يونس علي (محمد محمد): المعنى و ظلال المعنى - أنظمة الدلالة في العربية -، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م، ص407.

تبعاً لما نسبته للمخاطبه من معارف ومخزون ذهني. تجدر الإشارة هنا إلى أن المتخاطبين في مثل هذه الحالات الإحالية قصدياً قد يلجؤون إلى المرادفات خارج اللّغة المستعملة إلى لغة أجنبية قد تعمل على تقريب المفهوم بينهم ، فتضمن التّطابق في الحالة القصدية، أنظر لهذه النماذج من الخطابات اليومية:

- سعة كبيرة / سعة ! ( capacité ) .

- لقد فقد توازنه / توازنه ! ( équilibre ) .

## (2) المشترك اللفظي:

موازاة مع ظاهرة الترادف يستخدم المتخاطبون وحدة لسانية معينة محمّلة بأكثر من حالة قصدية تتباين شروط صدقها تبعاً للحالة القصدية الباعثة لها، ويطلق على هذه الوحدات اللسانية "المشترك اللفظي"<sup>1</sup>، وللمتخاطبين في المشترك اشتغال تبعاً لقصدياتهم واستراتيجياتهم التواصلية، لذا يمكن عدّه من أهم وسائل إنتاج الخطابات المضمرة أو المكثفة بشكل قصدي، والضامن لذلك الخلفية المعرفية للجماعة اللسانية على قدرة تحميل وحدة خطابية قصديات متعدّدة. إنّ هذا التحميل قصدي في الأساس إلا أنّه يمدّنا بأنواع للمشارك اللفظي فطن لوجوهها "الغزالي" فنجده يثبت ثلاثة أنواع منه؛ المستعار والمنقول والمشارك. الألفاظ المستعارة عنده هي "أن يكون اسم دال على ذات الشيء بالوضع... ولكن يلقب به في بعض الأحوال لا على سبيل الدوام آخر، لمناسبته للأول على وجه من وجوه المناسبات من غير أن يجعل ذاتياً للثاني وثابتاً عليه"<sup>2</sup> كاستعارة لفظ أم للتعبير عن الأرض أو الوطن. أما المنقول عنده؛ "أن ينقل الاسم عن موضوعه، إلى معنى آخر، ويجعل اسماً له، ثابتاً دائماً، ويستعمل أيضاً في الأول فيصير مشتركاً بينهما"<sup>3</sup>، ونلاحظ أن مثل المشترك اللفظي ينشأ لأسباب عقائدية دينية كانت أم ثقافية ك: الصلاة / الزكاة/ الحج؛ التي أصبحت أسماء عبادات مخصوصة بعد أن كان لها قصود أصلية خاصة

1- وقد حدّه العرب: "أنّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة" أنظر: السيوطي (عبد الرحمن): المزهري في علوم اللّغة العربية وأنواعها، م1، ص292. وعبر القدماء على هذا المصطلح بطرق مختلفة، و"بتعابير تكشف عن مفهومه مثل: ما اتفق لفظه و اختلف معناه أو ما عمت مرائيه وخصّت معانيه" أنظر: منيسي (رضوان): الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللّغة الحديث- أبو عبيدة-، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2007م، ص 451.

2 - الغزالي: معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، دط، 1961، ص85.

3 - المصدر نفسه: ص86.

بها في أصل اللّغة، والفرق بين المستعار والمنقول أنّ صلة الأول بالمسمى آنية ظرفية على سبيل الإعارة أي لا تدوم، في حين يرتبط المنقول بالقصد الثاني ارتباطه بالقصد الأول سيّان.

أما النوع الثالث من المشترك اللفظي عند "الغزالي" فالمشترك: "الذي وضع بالوضع الأول مشتركا للمعنيين، لا على أنّه استحقه أحد المسميين، ثم انتقل عنه إلى غيره"<sup>1</sup>، فيفرق "الغزالي" بين المشترك والمنقول بأن الوضع في الأول سيان للمسميات في الأصل ولم ينقل من المسمى الأول إلى المسمى الثاني، بل وضع لهما معاً من البداية، فلا يعرف أيّهما أثر به وأصل له ك: كلمة عين للعنبر وينبوع الماء وقرص الشمس والجارحة إذ وضع لها اللفظ في الأصل وضعا متساويا ودائما، متساويا بخلاف المنقول ودائما بخلاف المستعار. لذا فإنّ خاصية المشترك في الاشتراك أصلا منذ الوضع تجعله حسب "الغزالي" غامض القصدية صعب التحديد لذا دعا أن لا يأتي به في "البراهين الخاصة، ولا في الخطابات إلا إذا كانت معها قرينة"<sup>2</sup>؛ القرينة تساهم في تحديد قصده أو إرشاد عقل المخاطب إلى استعمال مخزونه الذهني وترجيح مواد معرفية أخرى.

استثمارا منّا لرأي "الغزالي" في تحليل واقع الخطابات اليومية، نلاحظ أن المتخاطبين يلجؤون للمنقول على أنّه خطاب متحجر يحوز دلالة واحدة جديدة فقط، فالوحدة الخطابية "وحدة" يدركها المتخاطبون القسنطينيون بسهولة مشيرا مقاميا لأشياء عدّة في عالمهم، في الوقت الذي قد تطرح اشكالا كبيرا في تحديد قصدية المتكلم إذا أتى بها عامة في "العاصمة" مثلا أو "ورقلة" فتحديد قصدية المنقول تخضع للكفاءات التداولية للمتخاطبين، أنظر الخطاب:

- سور الصين العظيم وسيلة حماية للصينيين.

يحمل هذا الخطاب أكثر من قصدية انطلاقا من تعدّد قصدية المركب الصفي "سور الصين العظيم"، أولا: بناء هندسي ضخم/ ثانيا: نظام رقابة إلكتروني انتقائي تفرضه الحكومة الصينية على مستعملي الأنترنات في الصين.

وهذا ينسحب على استعمال المشترك أيضا بل هو فيه أعقد، إذ يمكن لمنشئ الخطاب استعمال المشترك اللفظي محملا بقصدية واحدة، كما يمكنه أن يحمله بأكثر من قصدية واحدة تبعا لاشتغاله في

1- الغزالي: المصدر السابق: ص86.

2- المصدر نفسه: ص86.

الموقف التخاطبي، إلا أنّ استعماله قد يسبب الالتباس وعدم تحديد الخطابات، ثم "إنّ هذا الالتباس ليس نقصاً في اللغة الطبيعية بل هو مزية فيها يكسبها الطوعية الكافية لجعلها تستجيب لأغراض التبليغ التي لا تحصى"<sup>1</sup>، إذ يعد من الظواهر التي تفتح قصدية الخطابات العادية على التعدد وشغل ذهن المتلقي بالتأويل وتفعيل قدراته ومخزونه باستمرار وتضيف له الجديد من الاستعمالات لألفاظ اللغة، فالتغير المستمر في تحميل ألفاظ قديمة قصديات جديدة من منابع المهمة لهذه الظاهرة بله وجود ألفاظ وضعت أصلاً وعرفت باشتراكها في التعبير عن قصديات خطابية عديدة، من نماذج ذلك:

- الإرهاب تهديد للأمن العالمي.

- إنّ له نصيب عظيم من اسمه إنّه بحق قسورة. [ قسورة: اسم من أسماء الأسد].

- أعطني بعض الثمار من كرمك. [ كرم: العنب / كرم: التين].

إنّنا نجزم أن مستعمل الألفاظ المشتركة في الخطابات العادية لا يستعملها المنجز عادة قاصداً لقصد واحد لا غير بل يفعلها قصدياً، ولجوء المتخاطبين لتعدّد التحميل يكون بقصد تكثيف الخطاب، سواء كان ذلك لتقوية القصدية الأساسية للخطاب، أو في أغلب الأحيان تلاعباً منهم لإخفاء قصودهم، بالقول دون القول، فتتراوح بين الالتباس اللصيق بالمشارك اللفظي والتلبس القصدي للخطاب، وقد تبنى بعض الدارسين رأياً أنّ المشارك اللفظي لا وجود له في واقع المواقف التواصلية، بل يطرح كمشكلة في تصنيف مدخلات معاجم اللغات الطبيعية - أي على مستوى تأليف المعجم - أما خطابات اللغة العادية واستعمالاتها، فلا وجود إلا لقصد واحد من قصديات المشارك اللفظي، إذ يقول "أولمان" [Ullmann]: "كثير من كلامنا له أكثر من معنى غير أن المؤلف، هو استعمال معنى واحد فقط من هذه المعاني في السياق المعين"<sup>2</sup>، غير أنّنا نظن أنّ "أولمان" ومن تابعه في رأيه جانبوا الصواب بعض الشيء، فالمشارك اللفظي يتيح لمستعمله إخفاء أو تشويش قصد الخطابات وفق اشتغال صاحبه بناءً على حالات قصدية أصلية مضمرة، فقد يلجأ إليه صاحبه تأدباً أو خوفاً أو حتى استهزاءً أو استغلالاً للحالة النفسية لمخاطبه، من نماذج ذلك:

- مختار. (منتخب و راغب)

- بصير. (التقاؤل/ التشاؤم/ مراعاة الحالة النفسية)

1- عبد الرحمن (طه): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 99.

2- أولمان (ستيفن): دور الكلمة في اللغة، ص 59.

- عيد. (اسم/ فعل)

حسب الواقعة الخطابية، كما أنه قد يلجأ إليه على سبيل المفارقة لأغراض كثيرة، ونسجل أنّ المفارقة ظاهرة موجودة في الخطابات اليومية يستعملها الناس للإلباس العمدي على متلقي الخطاب، و"الالتباس ظاهرة عرضية في حين أنّ الإلباس عملية مقصودة يصطنعها المتكلم اصطناعاً لغرض خطابي معين"<sup>1</sup>؛ أي أن المخاطب يتعمد أحياناً تلبس خطابه باللجوء إلى خاصية المشترك خدمة لقصدية الخطابية، وقد قدّم "محمد العبد" بحثاً لسانياً متميزاً أفرده لدراسة "المفارقة" واشتغال المتكلمين بها في إنتاج خطابات تتحد في الشكل وتتعدّد في قصديتها؛ خاصة التي يحملها صاحبها قصدية عكسية للقصدية المضمون الحرفي للخطاب على سبيل التهكم تجاه المخاطب أو الواقعة، كما أرفها بالتطبيق على الخطاب القرآني، يقول "محمد العبد" عن قيمة المفارقة في تفعيل القدرات التواصلية للإنسان: "إنّ الطاقة التعبيرية التي نشعر بها مع المفارقة تنطلق من جعلهم [المخاطبين] المفارقة، أعظم إسهاماً في عملية الاتصال، من مجرد الفهم السلبي"<sup>2</sup> إذ تُفعل المنطوقات المفارقة القدرات التأويلية للمتلقي، ليختار الوقوف على أحد قصدين متضادين يحتملها الأداء المادي للخطاب ويصدقان على خرجه، ويعيد للخطاب ملاءمته للواقعة الخطابية التي أنشأ فيها والحالة القصدية المؤطرة له.

- حقاً أنت فهم.

إنّ هذا الخطاب يُحمّل قصدياً بقصدية الذم بنفس نسبة نجاح تحميله قصدية المدح، إلا أن المخاطب لا يأخذه بالقصديتين معاً على سبيل الخطاب المكثف في واقعة واحدة، ذلك أننا لا يمكن أن نستقبل المدح والذم في خطاب واحد، وتبعاً لحالته النفسية والإدراكية وظروف الإنجازي الخطابي لها يغلب أحد القصدين فقط، فالمغرور لا يتقبل الذم من غيره لذا سيرجّح قصدية المدح، في الوقت الذي يغلب المحاسب لنفسه قصدية التنبيه أو التحذير أو لفت النظر إن لم نقل قصدية الذم.

إنّ الحديث عن المفارقة التواصلية كحقيقة استراتيجية ينتهجها الأشخاص للتلبس أو لتفعيل خطاباتهم، تربطنا مباشرة بمحاولة الإحاطة بظاهرة دلالية ثالثة من أهم الظواهر الدلالية أثرا في تحديد

1- المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 113.

2- العبد (محمد): المفارقة القرآنية - دراسة في بنية الدلالة -، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2006، ص 27.

وتعدد قصيدة الخطابات العادية؛ ألا وهي الأضداد<sup>1</sup>، ولا تسبب الأضداد والمشاركات عامة اللبس والغموض إلا بقدر ما يخفق التواصل من منطلق عدم اشتغال المتخاطبين فيها، ما يصيبها بالعجز أو النقص في البيان والتبيين، وقد اعتبرها "الزمخشري" من آيات فصاحة العرب وفصل خطابهم، فهم يأتون بها في خطاباتهم دون لبس، وحتى أنها وردت في القرآن الكريم، وأنها من تفانين العرب في خطاباتهم اليومية والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين، يقول "الزمخشري" في تفسيره ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15)﴾ [الجن 15]: "القاسطون الكافرون الجائرون عن طريق الحق، وعن "سعيد بن جبير" رضي الله عنه أن "الحجاج" قال له حين أراد قتله "ماذا تقول في؟" قال: "قاسط عادل" فقال القوم: "ما أحسن ما قال"، حسبوه يصفه بالقسط و العدل؛ فقال "الحجاج": يا جهلة إنّه سماني ظالماً مشركاً وتلا لهم قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)﴾ [الأنعام 1] <sup>2</sup>، نلمس في ما سبق أن الأضداد موجودة في اللغة العربية والحجة على ذلك الخطاب الذي استعمله عالم من التابعين عُرف بباع وقدر كبير هو "سعيد بن

1- تعدّ ظاهرة استخدام لفظ واحد للدلالة على قصدين متضادين، ظاهرة موجودة في اللغات، رغم كونها قليلة الحدوث فيها، "وتبرز في اللغات السامية، وتزداد بروزاً في اللغة العربية" [منيسي (رضوان): الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث - أبو عبيدة -، ص476]. غير أن الاهتمام بها في أوساط اللسانيين المحدثين ضئيل، وربما لم تشغل من اهتمامهم إلا قدراً يسيراً، ولم تستغرق مناقشاتهم لها إلا قليل الصفحات، يقول عنها "أولمان": "من المعروف أن المعاني المتضادة للكلمة الواحدة قد تعيش جنباً إلى جنب لقرون طويلة بدون إحداث أي إزعاج أو مضايقة" [أولمان (ستيفن): دور الكلمة في اللغة، ص118. راجع: مختار عمر (أحمد): علم الدلالة، ص191]. جاء حديث "أولمان" هذا في معرض حديثه عن المشترك اللفظي وتعدد المعنى، ما يجعلنا نفسر عدم إفرادهم لهذه الظاهرة بالدراسة؛ عدّهم لها ضمن قضية المشترك اللفظي من نوع خاص يستعمل للدلالة على قصدين متضادين، من أمثلة ذلك:

السدف = الضوء / السدف = الظلمة. و المولى = العبد / المولى = السيد.

في المقابل اهتم علماء العربية القدماء، اهتماماً كبيراً بظاهرة الأضداد وظهرت في تأليف عديدة لهم، فـ"ابن الأنباري" صاحب أشهر معجم للأضداد [غالي (وجدي رزق): معجم المعاجم العربية، مكتبة لبنان ناشرون لبنان، ط1، 1993، ص23]. صنّفه رداً على من ردّ ظاهرة الأضداد، ذلك أنّه ظهر من ينكرها، ولعلنا نرجع رأيهم هذا لاعتقادهم بأن الأضداد تشيع اللبس والغموض في تحديد قصيدة الخطابات، فتصبح اللغة غير قادرة على التعبير بوضوح، بعيداً عن أعمال الكفاءات التواصلية للمتخاطبين.

2 - الزمخشري: الكشاف، ج6، ص229 - 230.

جبير" (رضي الله عنه)؛ فهو لما وصف "الحجاج" - وزير (عبد الملك بن مروان) - بالعدل والقسط، لم يكن في صدد مدحه بل كان يذمه بما فيه، وفهم "الحجاج" - وهو العالم بلغة العرب وأفانينهم والحافظ لكتاب الله - القصيدة الصحيحة لخطاب "سعيد بن جبير" (رضي الله عنه)، ووصف من لم يدركوا قصد قوله واستحسنوه بالجهل، فالالتباس الحاصل من الأضداد يرجع أساساً لجهل المتلقي وعدم معرفته باللسان وطريقة استخدام المتكلم له، فتفسر ظاهرة عدم الالتباس في الأضداد تداولياً لأهمية ظاهرة الأضداد في اللغة وأسباب الالتباس الناتج عنها. ظاهرة تحتكم إلى معارف مشتركة للمتداولين والظروف التداولية للخطاب من جهة، كما أنّها تستجيب أيضاً لحاجة تداولية للاستعمال الخاص لبعض ألفاظ اللغة استعمالاً يرقى للأطر التداولية المؤطرة، ف-"ابن جبير" (رضي الله عنه)، لتأدبه وورعه وباعه لم يلجأ إلى ألفاظ السب والشتم وبذاءة اللسان وأوصل قصديته الخطابية إلى مخاطبه وفق ما يعلم عنه مسبقاً من معرفته بلغة القرآن كونه حافظاً ومعلماً سابقاً له، فأوصل خطاباً غاية في الأدب والتبليغ في آن واحد حافظاً بذلك لسانه وسمعه من سفايف الألفاظ والخطابات.

إنّ ما يميّز الاستعمال الخطابي للأضداد، أنّها لا تستعمل أبداً بمعنيها بل تحمّل قصراً أحد المعنيين يمثل قصديّة الخطاب ما يجعل استعمال الأضداد استعمالاً خطيراً، يتسم بضرورة نجاح المتكلم في إيصال قصديته وإلا خسر ما رامه من الفعل التأثيري لخطابه إذ أنّ نسب المتلقي للمتكلم عكس قصديته الباعثة يعرضه إلا سلوك فعل تأثيري بعيد كل البعد عن ما يقصده المتكلم، فينتج بذلك فعلاً تأثيرياً غير قصدي في الجهة المقابلة، وخير نموذج لذلك الفعل التأثيري الذي أنشأه باقي الناس في الحادثة المذكورة آنفاً والذين استحسنوا خطاب "ابن جبير" (رضي الله عنه) في "الحجاج" لما غلبوا قصديّة أنّه يمدحه ويثني عليه.

وليس من نافلة القول؛ تجديد العهد بالجانب التداولي للخطابات وطريقة بناء قصديتها على ما تقدم من لفت للنظر إلى أهمية الظواهر اللغوية في تحديد وتعدد ذلك، فلمنتج الخطابات اشتغال معرفي عقلي وفيزيولوجي عضلي في إنتاج خطابه وإيصاله، وللمتلقي مثل ذلك من الاشتغال، ما ينتج مجموع الظواهر والقضايا الفلسفية واللغوية، وهذا الأخير تظهر أهميتها من حيث أنّها المظهر لخرج الخطاب، المدخلة لقصد عند متلقيه حسب الإطار التداولي له.

غير أن الالتباس التداولي للخطابات وارد أيضا شأنه شأن الالتباس الصوتي والصرفي والتركيبى والدلالي، والتي سبق أن لفتنا النظر إليها، ويرجع "المتوكل" الالتباس التداولي إلى ظاهرتين تداوليتين حسبه قائلا: "أما الالتباس التداولي فهو نوعان: التباس في القوة الإنجازية، ناتج عن مواكبة أكثر من قوة إنجازية لنفس الجملة ولا مرجح... والتهباس في الإحالة"<sup>1</sup>؛ مقتضى كلام "المتوكل" أن الالتباس التداولي إنما يتوزع على طبقتين من طبقات الخطاب التباس إنجازي والتهباس قصوي.

### 1- الالتباس الإنجازي:

يحدث الالتباس الإنجازي عندما يستخدم المخاطب خطابا، يمكن أن يستخدم المخاطب خطابا يمكن أن تحدد له أكثر من قصيدة واحدة، ذلك أنه يحتمل بأكثر من قوة إنجازية في نفس الوقت ويصعب تحديد القوة الإنجازية الفعلية له، وتتفاقم درجة الصعوبة، إذا غابت المساعدات السياقية الأخرى لخرج الخطاب، أو تضاربت، معبرة على إخفاق المخاطب في الإنجاز أو عدم إدراكه لدرجة الملاءمة المناسبة، حتى يدرك المخاطب قصيدة الخطاب لذا سبق أن قلنا أن الظواهر اللغوية يصعب فصلها، فغياب النبر والتثنيغيم مثلا يؤثر ووضوح الصوت يؤثر، وإيلاء التركيب أهمية يؤثر فضلا عن استعمال وحدات معجمية تطرح إشكال الالتباس أصلا بيان ذلك:

- أنت روعي . خطاب بسيط إلا أن تحليله قد يطرح إلتباسا إنجازيا، ف(أنت روعي)

بتنغيمات متباينة تعطينا:

- أنت روعي . (أمر بقصد إذهبي).
- أنت روعي . (تأكيد على الحب).
- أنت روعي . (إستهجان / رد إنكاري) .

في الوقت الذي يقوي تأكيد الخطاب السالف الذكر إعادة ترتيب مكوناته :

- روعي أنت (تقوية التوكيد بتقديم المخبر عنه (البؤرة) حسب الإهتمام).

أما الإلتباس في القوة الإنجازية الناتج عن الإلتباس الدلالي في هذا الخطاب فلا يحدث إلا إذا كان المخاطب (أنثى) فتصبح الوحدة الخطابية (روعي) يقصد بها (ارحلي) أو (أذهبي) إلى جانب دلالة

1 - المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص 112.

(روحي) على قصدية (نفسية). فالإلتباس الإنجازي هو الإلتباس "الناجم عن دلالة اللّغة مقاميا وسياقيا على قيم إنجازية مخالفة لتلك التي تدل عليها بمقتضى مؤشرات القوة الإنجازية التي تدخل في تكوين البنية اللسانية لتلك الملفوظات " 1.

## 2-الالتباس القضوي:

ويحدث عندما ينشأ المخاطب خطابا فيه التباس في الإحالة دون وجود قرائن تساعد على تحديدها أو ترجيح احداها، سواء كانت هذه القرائن مقيدات مقالية أو مؤشرات مقامية، مثال ذلك:

زارني أخي ← زارني أخي فتحي.

فالحَدَّ (أخي) حدّ إحالي كامل الإحالة إذا كان للمخاطب أخ واحد فقط يدرك به المخاطب أن أخ المتكلم فلان هو المقصود بفعل الزيارة أما إذا كان المخاطب له أكثر من أخ، وليكونوا أربعا مثلا يغدوا الحدّ (أخي) ملتبس الإحالة، فيوجب على المخاطب أن يأتي بقيد يحدد به المقصود بالإحالة في الحدّ (أخي) ويرفع بذلك الإلتباس القضوي الذي يمكن أن يحصل من عدم تحديد قصدية فعل الإحالة، والحدّ (فتحي) اسم علم لأحد إخوة المخاطب الأربع؛ يحدد الإحالة في الخطاب لشخص واحد عينه، فيرفع الإلتباس بتقيد الحدّ (أخي) في المسمى "فتحي" لا غيره. أما المؤشرات المقامية فما تعلق منها بالحركات أو الإيماءات أو مكان و زمان الواقعة الخطابية؛ بيان ذلك في المثال الآتي:

- افتح النافذة.

الحدّ (النافذة) حدّ إحالي كامل الإحالة إذا كان المتخاطبان مقاميا في حجرة فيها نافذة أصلا، أما إذا كانت الحجرة لا تحوي نافذة أصلا فعلى المتلقي تأويل الخطاب للوقوف على قصديته بعيدا عن الإحالة المكانية. فيبني لإحالة جديدة للخطاب حسب المعارف المشتركة بين المتخاطبين وسياق الخطاب، وفي حال كان في الحجرة أكثر من نافذة، أي تتوفر على نافذتين، فالمتلقي يستثمر المشعرات المقامية البادية على المخاطب ليحدد قصدية إحالة الحدّ (النافذة) إلى أي نافذة يتجه، كأن يرقب إشارة من يده، أو توجهه بالبصر إلى إحدى النافذتين.

1 - مقبول (إدريس) : الأسس الأستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، عالم الكتب الحديث الأردن، ودارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006 م، ص 345.

### خلاصة القول:

- ضمّ هذا المبحث لفت نظر لأهمية البناء اللغوي للخطابات وكيف يستثمر أطراف الواقعة الخطابية مختلف المعارف اللغوية لديهم لبناء وفهم الخطابات، وكذا تأثير هذه المعرفة في بناء المخزون الذهني للأشخاص، ثم استعماله منطلقين من قاعدة نسبهم لمعارف معين لشركائهم في الواقعة التواصلية ويستندون إليها في إيصال قصدياتهم، ومما سبق يمكننا أن نستخلص ما يلي:
- يعد المستوى التداولي أعمق المستويات التأسيسية لخرج الخطاب.
- الأصل في بناء الخطابات إخراج قصدية ذهنية مضمرة باستثمار معارف لغوية.
- شكل خرج الخطاب يؤثر في تحديد أو تعديد قصدية الخطاب.
- يؤثر الأداء الصوتي لخرج الخطاب في تحديد وتعديد قصديته؛ كدرجة الصوت وضوحه ومواطن الوقف والمفاصل، وتحقيق المخارج.
- يؤثر الجانب الصرفي للألفاظ الخطاب في تحديد وتعديد قصديته، منها استعمال صيغ اسم الفاعل واسم المفعول في اللغة العربية.
- تؤثر طريقة تركيب مكونات الخطاب وطريقة ترتيبها في تحديد وتعديد قصديته، كالقديم و التأخير والحذف والفصل والوصل وإيراد المقيدات والحدود.
- يؤثر استعمال الألفاظ الملتبسة دلاليا أو إحاليا في تحديد وتعديد قصديته، كالألفاظ المتضادة والمترادفة والمشاركة.
- مواكبة خرج الخطاب بأكثر من قوة إنجازية له دور في تحديد و تعديد قصدية الخطاب.

**الفصل الثالث:**

**القصدية والأفعال القصدية.**

## الفصل الثالث: القصدية والأفعال الخطابية.

### تمهيد

#### I. أصل نظرية أفعال الخطاب:

1. أساس نظرية أفعال الخطاب عند "أوستين".
2. شروط إنجاز الأفعال الخطابية عند "أوستين" وأصنافها.

#### II. مرحلة الفعل الخطابي عند "سيرل":

1. مفهوم الفعل الخطابي في أعمال "سيرل".
2. سمات الأفعال الخطابية عند "سيرل".

#### III. مقاييس وتصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل":

1. مقاييس تصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل".
2. تصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل".

#### IV. القصدية والأفعال الخطابية غير المباشرة:

1. مفهوم المعنى غير الطبيعي عند "جرايس".
2. تحليل "سيرل" وتحليل "جرايس".

#### V. تفعيل قصدية القوة الإنجازية للفعل الخطابي غير المباشر:

1. مراحل الإستراتيجية الاستدلالية للأفعال الأولية.
2. قصدية الفعل الخطابي بين النمط الجملي والقوة الإنجازية.

❖ خلاصة القول في الفصل الثالث.

## الفصل الثالث: القصدية والأفعال الخطابية.

### تمهيد:

"الفعل الخطابي" مصطلح لساني متخصص ظهر مع نظرية الأفعال الكلامية، التي يرد لها أغلب الدارسين لـ "جون لانجشو أوستين" [j.l.Austin (1960-1911)]، وأول ظهور له هو "الأفعال الكلامية" مصطلح ارتبط بـ "أوستين"، في حين ظهر مع "سيرل" - (Searle d.r.) « 1932) مصطلح "الأفعال اللغوية"، و جاء المصطلح الأول (أفعال الكلام) مرتبطا بالطرف الأول في الواقعة الخطابية ألا وهو المتكلم، وارتبط المصطلح الثاني (أفعال اللّغة) بالطرف الثاني في الواقعة الخطابية ألا وهو المخاطب - متلقي الكلام على أنّه نظام لساني عليه تحليله لفهم ما فيه- ولما وجد الدارسون قصورا في المصطلحين الأنفي الذكر على جمع قطبي الواقعة الخطابية جاء مصطلح الأفعال الخطابية ليحل هذا الإشكال ويجمع شتات دراسة الواقعة الخطابية بقطبيها وأطرها المتعددة " بتعبير آخر، أصبح موضوع المقاربة اللسانية يقاس لا بالتقسيمات التركيبية التقليدية بل بكل ما يمكن أن يشكل وحدة تواصلية في موقف تواصلية معين"<sup>1</sup>، ففي نظرية نحو الخطاب الوظيفي الأفعال الخطابية هي الوحدات الدنيا التي تكوّن محاورا ما، إذ تتكوّن المحاورا من نقلات حوارية وحداتها الدنيا "الأفعال الخطابية"، "ويتكوّن الفعل الخطابي من قوة إنجازية (خبر، استفهام، أمر،...) ومؤشري المتكلم والمخاطب وفحوى خطابي. ويتضمن الفحوى الخطابي فعلا إحاليا وفعلا حمليا أوأفعال إحالية وأفعال حملية"<sup>2</sup> فهي إذا حاصل إتحاد المضمون الخطابي ( قوة الفعل الإنجازية ) والفحوى الخطابي (الإحالة والحمل).

ويمكن للنقطة الواحدة في المحاورا أن تضم أكثر من فعل خطابي واحد، ف"إذا كانت النقطة تحوي أكثر من فعل خطابي واحد فإن العلاقة التي تقوم بين الأفعال الخطابية التي تكوّنها تكون إما علاقة " تكافؤ" أو علاقة "تبعية"<sup>3</sup>، تكون علاقة التكافؤ قائمة بين أفعال نوية تتساوى في قيمتها

1 - المتوكل ( أحمد ): التركيبات الوظيفية، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط 1، 2005 م، ص 58.

2 - المتوكل ( أحمد ): الخطاب وخصائص اللّغة العربية، ص 32.

3 - المصدر نفسه، ص 34.

كالتصديق والتأكيد، في حين أن التبعية تكون بين فعل نووي وأفعال تابعة له كالشرح أو التخصيص أو الحصر والتقوية أو التخفيف.

والفعل الخطابي في نظرية نحو الخطاب الوظيفي يتحقق فعلا بغض النظر عن التقسيمات التركيبية التقليدية، بل أفعال الخطاب قد تكون جملا، أو مجرد مركب اسمي، إذ تعد المكونات الخارجية (المبتدأ، والذيل) والأجوبة المقتضبة وأسماء الإستفهام في الإستفهامات الصدى أفعالا خطابية تامة مؤدية لمقاصد الخطابات وقصود المتخاطبين<sup>1</sup>. فلا اعتبار لكونه جملة، أو شبه جملة أو لفظة واحدة (اسما كان أو فعلا)، أو حتى حرفا، فمتى أفاد التركيب اللغوي وتم به الأداء كالجواب بالموافقة أو الرفض أو خبرا كان أو نداء فقد تحقق فعلا خطابيا بذلك التركيب.

## I. أصل نظرية أفعال الخطاب:

### I. 1- أساس نظرية أفعال الخطاب عند "أوستين":

أحدث "أوستين" ثورة؛ نبّهت إلى وجود مجال بحث لساني متميز وحيوي، لدراسة مختلف التطبيقات اللغوية مهما كان نوعها عادية أو أدبية، وقد أثر في "أوستين" فكر أستاذه "فتغنشتاين" حول أن اللغة أداء وفعل بل يرتقي عنده إلى أنها شكل حياة. لما قال بأن كل إنتاج لغوي إنما هو لعبة لغوية، مشبها ممارسة اللغة في الحياة العادية بالدخول في لعبة لغوية، شأنها شأن أي لعبة أخرى تستمد قوانينها ثم قيمتها من داخلها، والإنسان يتمرس على أداء هذه الألعاب اللغوية بالتعرض لمختلف ظروف ومظاهر إنشائها في الجماعة اللغوية التي ينتمي لها ثم يعمل على المشاركة الخاصة منه أي يدخل في تلك اللعبة. "ويمكننا أن نتصور أن عملية استعمال الألفاظ بأكملها... يقع في بعض تلك الألعاب التي يتعلم الأطفال بواسطتها لغة الأمومة، سأسمي هذه الألعاب ألعابا لغوية"<sup>2</sup>، ملمحا لإعطاء التطبيقات اللغوية الفعلية قيمة أكبر في التحليل، وافتتا للنظر إلى أهمية الخطابات المستعملة بشكل عادي في استيعاب قصود المتخاطبين على كثرتها وغناها.

داعت أفكار "فتغنشتاين"، ولاقت قبولا في أوساط فلاسفة التحليل، ثم غدت دافعا لإتجاه جديد في ميدان فلسفة اللغة يعنى بشكل أساسي بفلسفة اللغة العادية إذ حسبه "على اللفظة "العبة لغوية" أن

1 - ينظر المتوكل (أحمد): التركيبات الوظيفية، ص 59 .

2- فتغنشتاين (لودفيك): تحقيقات فلسفية، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرزاق بنور، ص 124 .

تبرز أن تكلم لغة ما يعد عملاً أو استعمال حياة<sup>1</sup>. انطلاقاً من مثل هذه الأفكار والتحليلات التي تأثر بها "أوستين" وطورها في نظرية أفعال الكلام، هذه الأخيرة "تتطلق من الاعتقاد التالي: إن الوحدة الدنيا للتواصل الإنساني، ليست هي الجملة ولا أي تعبير آخر، بل هي استكمال (إنجاز) بعض أنماط الأفعال"<sup>2</sup>، يبقى هذا الاتجاه آخذاً في التجدد تبعاً لما يتوصل إليه من نتائج تحليلية مأخوذة من الدراسات التطبيقية للخطابات المختلفة في مواقع استعمالها مهما اختلفت أشكالها، تبقى خطابات كما يقول المتوكل متى حققت وحدتها التواصلية في واقعة خطابية معينة.

ألقى "أوستين" مجموعة من المحاضرات في جامعة أوكسفورد حول موضوع اللغة، وأخذ ينظر لاستعمال اللغة ووظيفتها، ثم داعت أفكاره المنشورة بعد وفاته في كتاب "how to do things with words" "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، سنة 1962م، وبدأه برفضه لكون اللغة مجرد إخبار عن الواقع، إذ دعا ذلك بـ "وهم الوصف"<sup>3</sup>، وقامت نظرية الأفعال الخطابية على جملة من الفرضيات<sup>4</sup>، مستقاة من تحليل مختلف التطبيقات الخطابية في الواقع، ووسم المبخوت تلك الفرضيات بالأساسية، إذ يقول: "قامت نظرية الأعمال اللغوية على جملة من الفرضيات الأساسية التي مثلت منطلقاً لاستئناف النظر في ظواهر لغوية عديدة تتصل بدلالة الأقوال"<sup>5</sup> فالهدف الجوهرى لها الوقوف على القصدية المختلفة للخطابات حال الإنجاز في وقائع خطابية حقيقية؛ في الحياة العادية، بعيداً عن معادلات اللغة المنطقية وقوانينها، وتلك الفرضيات هي:

1- العملية ← كل خطاب هو فعل

1- فتغنشتاين: المصدر السابق: ص 137.

2- أرمينكو (فرانسواز): المقاربة التداولية: ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م ص 60.  
3 - Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, introduction traduction et commentaire: Gilles Lane, edition du Seuil, Paris, France, 1970, p39.

وأنظر أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1991 م، ص 15. من الدارسين من أطلق عليها "المغالطة الوصفية" ترجمة لمصطلح أوستين "discriptive fallacy" (L'illusion discriptive) أنظر: نحلة (أحمد محمد): آفاق جديدة للدرس اللغوي العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، د ط، 2002م، ص 61.

4 - أهم أعلام هذا التيار الفكري: أوستين، سيرل، جرايس.

5 - المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللغوية - مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة ليبيا، ط1، 2010م، ص 9.

- 2- التقسيم الثلاثي ← كل فعل خطابي هو إتحاد عمل قولي، وعمل في القول، وعمل التأثير بالقول.
- 3- المواضعة ← كل فعل في القول يمكن التصريح به بواسطة فعل إنشائي.
- 4- الفعل الإنشائي ← القول الإنشائي هو القول المبدوء بفعل إنشائي ( أعد، أهب، أوصي، ... )
- 5- تصنيف قوى القول ← كل قوة قولية قابلة للإسناد إلى قول تنتمي إلى صنف من قوى القول.
- 6- عدم المباشرة ← إذا وافق نسق الخطاب قصد المتكلم كان الفعل الخطابي مباشرا وإذا اختلفا كان الفعل الخطابي غير مباشر.

فقد لاحظ "أوستين" أن الناس في بعض التطبيقات التخاطبية لا يكونون بصدد وصف واقع، بل بصدد إنجاز حدث جديد أي عملا خطابيا، ومن هنا جاءت الفرضية الأولى، ففي كل تطبيق خطابي نحن بصدد فعل (عمل)؛ أنظر الخطابات الموالية:

- نعم.

- انجح كما نجح أخوك.

إن الخطابين السابقين لا يصفان واقعة أو يخبران عن حال، ولا نحكم على مؤديها بالصدق أو الكذب، فالأول حرف جواب يعبر عن الموافقة أو الإصرار، في حين أن الثاني إيقاع لطلب قد يرقى إلى مرتبة الأمر لأنه معزز لفعل التصميم في واقعة خطابية، وتحققت هذه الأفعال بناء على توفر شروط إنشائها وارتباطها بوقائعها الخطابية. وبملاحظته وتحليله لشبهات هذه الخطابات في المقامات الحوارية العادية وغيرها من الخطابات في المواقف الفعلية ميز "أوستين" <sup>1</sup> بين نوعين من الخطابات:

1. **خطابات وصفية (إخبارية، تقريرية) constatifs.**

2. **خطابات أدائية (إنجازية، إنشائية) performatifs.**

والخطابات الوصفية تخضع إلى معيار الصدق والكذب؛ فتكون صادقة إذا كانت قصيدة الخطاب فيها مطابقة للواقعة الموصوفة أو الشيء الموصوف، وكاذبة إذا كانت مخالفة للشيء

1- Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p41.

أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات: ص17. وينظر أغلب المراجع التي تناولت هذه النظرية بالتحليل، ينظر مثلا: أزيبيط: الخطاب اللساني العربي، ج 2، ص176.

الموصوف، أما الخطابات الإنجازية، فتخضع لمعيار النجاح والفشل<sup>1</sup> فتكون ناجحة إذا كانت قصديتها واقعة بموافقة لشروط إنجازها، وفاشلة إذا غابت تلك الشروط أو خرقت، وهي "شروط مقامية بالدرجة الأولى"<sup>2</sup> وكونها مقامية يجعلها خاصة ومتعددة، ما يعزز رأي "سيرل" في تفرد كل حالة قصدية بشروط استيفائها، فلكل خطاب ظروفه الخاصة جدا التي ينشأ فيها، وتجعله منجزا بها واقعا ويستقر قصده لتتبنى عليه أفعال أو خطابات أخرى.

وعمل "أوستين" على تعزيز مفهوم الأفعال الخطابية، محددًا الشروط التي تؤثر في الحكم على صحة أو إخفاق الأفعال الخطابية، محددًا الشروط التي تؤثر في الحكم على صحة أو إخفاق الأفعال الخطابية، ولاحظ كما كبير من الأفعال المنجزة فعليا من طرف الناس، فاستنتج أن الأفعال الخطابية حتى تنجح ويتحقق مقصد المنشئ لها نجاحا تاما تستلزم احترام عدد من القواعد أو الشروط، فقام بوضع ثلاث مجموعات من الشروط ، "يمكن تصنيفها إلى صنفين: مقامية ومقالية"<sup>3</sup>، لكل منها أهميته في نجاح أو صحة الفعل الخطابي المنجز في كنفها.

## I. 2- شروط إنجاز الأفعال الخطابية عند أوستين وأصنافها:

فرّق "أوستين" بين نوعين من الشروط ، لكل منها أثر في إنجاز الأفعال الخطابية:

### I. 2-1- الشروط المقامية: وحددها في ثلاثة شروط (Γ / B / A)<sup>4</sup> ، كل واحد منها يتألف من

بندين؛ هي:

- أ - وجود مقام عرفي متفق عليه يقع الفعل الخطابي فيه (ظروف أو مراسيم).
- أن يكون الناس الفاعلون له أهل لذلك.
- ب - أن يكون أداء الفعل الخطابي صحيحا.

1- Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p43.

أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص 19 - 21. وأنظر (المبحوث): دائرة الأعمال اللغوية، ص 43.

2 - بعيطيش (يحيى): الفعل اللغوي بين الفلسفة و النحو - عرض و تأصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي، دراسة منشورة ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، إعداد وتقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط 1، 2001، ص 91.

3 - المرجع نفسه: ص 92. وأنظر أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة، ص 27.

4-Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p49.

- أن يكون أداء الفعل الخطابي كاملاً.

ج - أن يكون قصد الفاعل صادقاً.

- أن يلزم الفاعل نفسه بما يستلزمه هذا الفعل الخطابي.

**الشرط أ:** يضمن أداء الفعل الخطابي في واقعة خطابية محددة، قد تكون في إطار اجتماعي

أو مؤسساتي معين، ومن قبل الأشخاص الذين لهم الحق والقدرة على أداء ذلك الفعل، حتى يؤدي قصده بصفة ناجحة تأمل الخطابات:

- أمعك بطاقة المكتبة الجامعية؟

- أي كتاب تريد استعارته؟

إن هذه الخطابات تتكون من سؤال يؤدي فعل الاستجواب، ويقع في إطار مؤسساتي (عرفي) متفق عليه، إذا سأله عون المكتبة داخل المكتبة الجامعية، لما تقدم منه شخص يريد استعارة كتاب من المكتبة، وفعل الإعارة لا يسمح به إلا لمن كان يملك بطاقة الإنخراط حتى يتسنى له الاستفادة من الكتب الموجودة بالمكتبة، وعند تأكده من إنخراط الشخص في المكتبة، يستعلم عن هوية الكتاب الذي يريد الاستفادة منه حتى يناوله إياه. أما متلقي الخطاب فهو طالب جامعي يملك بطاقة الإنخراط وله حق الاستفادة من الكتب المتوفرة بالمكتبة، بهذا ينجح عون المكتبة في أداء فعله الخطابي هذا لما كان في مقام عرفي متفق عليه هو أداء واجب الخدمة في منصبه في وقت العمل الرسمي وهو نفسه أهل لهذا الأداء ومكلف رسمياً به. ولو كان غيره من أنجز الخطاب من العامة أو أحد مرتادي المكتبة فحتماً لن يكون لهذا الفعل الخطابي مقصد الاستجواب بل سيكون عبارة عن حديث عابر لا يحصل بعده الطالب على الكتاب الذي يريد الاستفادة منه. يسحب على هذه الحالة كل الخطابات التي تنشأ في إطار مؤسساتي معلوم، كأسئلة القاضي والشرطي الملزمة للجواب، وحتى خطابات الآباء والأمهات والأساتذة وغيرها من حالات الخطابات المؤطرة بشروط تأسيسها إيقاعاً لفائدتها، فلا تقوم إلا في أطرها وشروطها الخاصة.

**الشرط ب:** أداء الفعل الخطابي كاملاً وصحيحاً، وهذا يتحقق عندما يولي جميع الأفراد

المشاركين في الواقعة الخطابية، بأداء أدوارهم بالشكل الصواب:

- ماذا أفعل؟ سأرى... لن يقطعوا رأسي على كل حال، لم أسرق. 1.

في هذه النقلة أكثر من فعل خطابي واحد أداها المتكلم على أنها أفعال خطابية متكافئة على سبيل التأكيد للفعل الخطابي الأول:

- ماذا أفعل ← يعبر عن حيرته.
- سأرى ← يلتزم الانتظار.
- لن يقطع رأسي ← يعبر عن إعتقاده .
- لم أسرق، لم أجرم ← ينكر السرقة والإجرام.

**الشرط ج:** يتجلى في كون الفاعل صادق في مشاعره وقصده، ويلزم نفسه بما يترتب عن فعله

الخطابي كقول المخاطب:

- ضميري نقي ← تعبير عن الرضى.
- أنا واثق بحسن تصرفك ← تأكيد

وجعل "أوستين" هذه المجموعة من الشروط ضرورية في أي فعل خطابي ما. ثم ميزها إلى صنفين: الشرطان الأول والثاني أساسيان لوقوع الفعل الخطابي وغياب بند منهما يؤدي إلى إخفاق الفعل الخطابي<sup>2</sup> في حين يؤدي غياب بند من بنود الشرط الثالث إلى أداء الفعل، غير أن أداءها لا يتم بشكل صواب (مناسب)<sup>3</sup>. "وقد كان تمييز "أوستين" لهذين النوعين من الشروط حافزا لبعض الباحثين على تقسيم الشروط إلى قسمين اثنين: قسم يسميه الشروط التكوينية CONSTITUANTS. وهي الشروط اللازمة لأداء الفعل فإذا لم تتحقق كان ذلك إيذانا بإخفاق الأداء، وقسم يسميه الشروط القياسية REGUELATIVE. فإذا لم تتحقق نتج عن ذلك سوء أداء للفعل أو أدّى الفعل أداء معيباً"<sup>4</sup> وحتى

1- بن هدوقة (عبد الحميد): الأشعة السبع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981 م، القصة: حلم الصيف، قصة زوجين جزائريين في رحلتها لقضاء العطلة الصيفية في تونس، ص128.

2 - Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p50.

أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ص28.

3 - المصدر نفسه: ص28.

4 - نحلة (أحمد محمود): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1

2002، ص 65.

يفهم المقال في أهمية هذه الشروط وتلك في إيفاء قصدية الأفعال الخطابية، يستعان بالمثال، فمن ذلك نورد أمثلة لقصدية الأفعال الخطابية الموفقة من الأفعال الخطابية غير الموفقة في الحياة اليومية:

**انتفاء الشرط أ:** في حال عدم وجود المقام العرفي المتفق عليه، يقع الفعل الخطابي:

- من أين أتتكَ الدراهم؟

لكن الفعل الخطابي (من أين أتتكَ الدراهم؟) لا يرقى إلى الإنجاز القصدى الصحيح له "الاستجواب" إذا كان السائل رجل شرطة مثلا خارج ساعات العمل أو ليس أثناء أوقات أداء وظيفته الرسمية أو قاضيا مثلا ليس هو المكلف رسميا بالقضية التي يسأل فيها المخاطب.

أما في بنده الثاني: إذا كان الفاعل للفعل الخطابي (من أين أتتكَ الدراهم؟) هو جار له أو صديق، كان مقصد فعل الاستجواب غير واقع أي يخفف الاستجواب أي لا يُلزمُ المخاطب بالإقرار بمصدر المال، وإجاباته تكون على سبيل الإرادة لا على سبيل الإلزام.

ومن أمثلة خرق هذا الشرط عدم صحة قصد الفعل الخطابي في ألفاظ الزواج مثلا إذا لم يكن المقام العرفي المتفق عليه قائما، كصيغ الأفعال الخطابية للزواج في المشاهد السينمائية مثلا كونها ليست حقيقية والمقام فيها ليس صحيحا شرعا وقانونا وعرفا.

**أما انتفاء الشرط ب:** فهو عدم أداء الفعل الخطابي كاملا وصحيحا، كأن يكون أداء الفعل الخطابي ملتبسا أو غامضا كأن يأتي الفعل الخطابي مبتورا فلا يفهم المخاطب قصد المتكلم منه، مثلا:

- وإلا ... ← - وإلا ماذا تفعل؟

- كأنه ... ← - كأنه ماذا؟

يؤكد لنا أن قصدية مثل هذه الخطابات غير منجزة تسأول المخاطب بها، دائما بعدها مستفسرا؛ عن قصديتها ( وإلا ماذا ؟ ) ( ماذا تقصد بذلك؟ ) ( كأنه ماذا؟ ) ...

**انتفاء الشرط ج:** لا تتم الأفعال الخطابية بشكل صحيح مؤدية دورها في الخطابات وفي الواقع إذا خُرق أحد بنود الشرطين أ - ب. في حين يبقى خرق بندي الشرط ج يساء به إيقاع قصد الفعل. ويكون ذلك إذا كان الفاعل ليس صادقا في قصده ومشاعره والتزاماته<sup>1</sup>.

1- Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p69.

وأنظر: أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات: ص 55 - 56.

لاحظ المحاوراة التالية 1 :

- سأل رجل الجمارك التونسية، هل معهما قهوة أو شاي أو حناء أو سقائر؟
- فأجابا بالنفي
- سألهما عما بصندوق السيارة؟
- فقال الزوج بأنه فارغ.
- شكرته زوجته لأول مرة على حسن كذبه وعلى مسكه لأعصابه.

فالجواب بالنفي الأول فعل خطابي صحيح وكامل كما أنه وقع في إطار عرفي صحيح (على الحدود أثناء المرور إلى الأراضي التونسية ) والزوجان صادقان بإنكارهما فهما ليس مهربين للسلع أو البضائع، غير أن الفعلين الخطابيين الآخرين أسئى استخدامهما، إذ أساء الزوج استخدام الفعل الخطابي الإنكار لأنه كان كاذبا في قصده ولم يلتزم الصدق، فصندوق السيارة كان فيه كميات من البنزين ولا يسمح باصطحابه قانونا، والزوجة أساءت استخدام الفعل الخطابي الشكر عندما شكرت زوجها على شيء لا تعتقد هي في نفسها بأنه صواب، فالكذب لا يشكر عليه الإنسان عادة في الصواب، كذلك من نماذج الإساءة في أداء الأفعال الخطابية على الوجه الحقيقي:

- أشكرك على توبيخك لي.
- والله لا أكذب.

فالفعل الخطابي الأول يمتنع أن يكون فعلا مأمدا للشكر، إذ التوبيخ ليس من الأعمال التي يُشكر عليها من يؤديها عامة له؛ بل بالعكس سيضمّر له الغضب والبغض والامتعاض إن لم يستطع مواجهته. أما الفعل الخطابي الثاني؛ فهو قسم يساء استعماله إذا كان قائله كاذبا فعلا ويلجأ إليه استجلابا لتصديق المخاطب له في مقام يعز فيه أن يجد مصدقا له لشهرته بالكذب مثلا.

1 - بن هوقة (عبد الحميد): الأشعة السبع، ص120.

## I. 1-2- الشروط المقالية: 1

رغم وضع "أوستين" لمجموعة الشروط المقالية، إلا أنه بقي يعمل على تحديد أكثر لمفهوم الأفعال الإنجازية في الواقعة الخطابية؛ فاقترح مجموعة من الشروط تعلقت هذه المرة بالجانب النسقي (المقالي، النحوي) للأفعال الخطابية. تم له ذلك باستقراءه لجملة من التطبيقات الخطابية الحادثة في الواقع باللغة الإنجليزية، وتلك الشروط هي:

- (1) أن يأتي الفعل الخطابي مبنيا للمعلوم.
  - (2) أن يأتي الفعل الخطابي بصيغة المتكلم المفرد.
  - (3) أن يأتي زمن الفعل الخطابي في المضارع.
  - (4) أن يأتي الفعل الخطابي بصيغة الأفعال الإخبارية.
- ولفهم شروط "أوستين" النسقية هذه نورد الخطابات التالية:

- أشكرك على تزويدي بكتب قيّمة.
- أؤكد لك أن الكتب أفادتني كثيرا.
- أعدك بالإجتهد.

فهذه أفعال خطابية تتوفر فيها الشروط المقالية التي لاحظها "أوستين" عن الأمثلة التي حلها في الإنجليزية، غير أن اللغات الحية وخاصة اللغة العربية تتوفر على حيز أوسع بكثير من هذه الشروط يصدق فيها أداء أفعال خطابية ناجحة وصحيحة، نتعامل بها يوميا ونسير بها شؤوننا، ومن أشكالها:

## أ - أفعال خطابية الفعل فيها مضارع مبني للمجهول:

- يُقرر تثبيت العامل في منصبه.
- يُعلن افتتاح التظاهرة الثقافية.

## ب - أفعال خطابية الفعل فيها مضارع منسوب إلى أكثر من المتكلم:

- نعد على إتمام العمل في آجاله المحددة.
- نقسم بالله العظيم أن نصون البلد و مقدراته.

1 - Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p79.

أوستين : نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات : ص 71- 72 .

- نعلن افتتاح المحادثات.

- نتفق على الوفاء.

فقد وردت الأفعال في هذه الأفعال الخطابية منسوبة إلى جمع المتكلمين وليس إلى المفرد على شاكلة الأفعال (نعد، نقول، نحذر، نقسم، نحمد، نتفق.....) لا (أعد، أقول، أحذر، أقسم، أحمد أتفق...)، وتأتي قصدية هذه الأفعال جمعية لأنها تضي قصد المشاركة إلى جانب قصد التفاعل بين المتخاطبين.

ج - أفعال خطابية الفعل فيها ليس على صيغة المضارع المتكلم أو ليس فعلا أصلا:

- ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ

يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (7)﴾ [ الأنفال 7 ]

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ

(183)﴾ [ البقرة 183 ]

- نحن بكم و معكم و لكم دائما

- يارك الله لكما و يارك عليكما و جمع بينكما في خير، مبارك زواجكما.

- اقرأ أخي و رتل القرآن

ومن تمحيصنا للأفعال الخطابية في الحياة اليومية؛ نجد أكثر:

د - أفعال خطابية لا تتوفر على فعل انجازي في الأصل:

1- الكتب؟... 2- ما أجمل هذه الساعة!

3- ذلك ممكن. 4- النجاح لا بد منه .

5- ريمة.

فكل هذه الأفعال أفعال خطابية منجزة وعلى اختلاف مقاصدها إلا أن مقاصدها تامة

وإنجازها ناجح دون ذكر أي فعل إنجازي مباشر ك: (أسأل، أتعجب، أقرع، أصمم، أنادي) على التوالي.

فمن تحليل مختلف الأفعال الخطابية، المطبقة في اللغة العادية يجد الدارس أن الأفعال

الخطابية أكثر بكثير من أن تحدها هذه الشروط التي وضعها "أوستين" لإرساء نظريته وقصدياتها

تتجسد وتتعدد وفق شروط استيفائها والواقعة الخطابية المرتبطة بها فلا تظهر قصديات الخطابات فقط

بحصرها في نسق لغوي معين وإن كان اجتهاد "أوستين" هذا رسخ لمفهوم ارتباط قصد المتكلم بظروف إنجاز خطابه وبنيته وطريقة إنجازه.

مع ذلك سيطرت فكرة التأطير النظري للأفعال الخطابية عامة ثم الأفعال الأدائية منها بشكل كبير على أعماله (أوستين)، فاستمر يحاول تجاوز مثل هذه المشاكل والعقبات والملاحظات التي تجعل من الأفعال الخطابية غير واضحة التصنيف، وصفية كانت أم أدائية. فقد نصف بفعل أدائي كما يمكننا أن نأدي فعلا خطابيا بجملة وصفية. ولا اعتبار للشروط المقامية أو المقالية إلا بحسب الأداء العام وغير المجزوء للأفعال الخطابية. إذن "الفيصل في تحديد القوة الإنجازية لأية جملة؛ أي غرضها ومقصدها هو السياق بمفهومه الواسع، كأن يكون سياق لغوي يعكس عبارات مسكوكة متداولة، أو صيغ وأدوات دالة على الأمر والإستفهام والتعجب أو قرائن صوتية تنغيمية"<sup>1</sup> أوعلامات الترقيم في حال الخطابات المكتوبة<sup>2</sup>، أو مختلف الظروف وملابسات واقعة الفعل اللغوي. ومن أمثلة ذلك :

- سامح، سامح (عبارة عامية مشهورة خاصة في الأسواق)

- رقم هاتفك. (طلب).

- الآخرون. الآخرون. (تضجر).

- هل أنت ساذج؟ (حكم سلبي).

- أنت ذهب. (مدح).

- حقاً! (تعبير).

بهذا يتداخل معيارا "الصدق / الكذب" و"النجاح / الإخفاق" ويرتبطان بعلاقة تأثير وتأثر ومن ثم فجميع الأفعال الخطابية أقوال وأفعال في الوقت نفسه. فأى جملة وصفية تصبح إنجازا إذا ضمنا فيها الفعل الإنجازي الموافق أو المناسب لها أو إذا أضفنا لها الفعل (أقول).

1 - بعيطيش (يحيى): الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 95.

2- Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, p85.

أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات: ص 76.

لذا أكد "أوستين" أن كل فعل كلامي؛ إنما هو اتحاد ثلاثة أفعال معاً تتضافر لإيقاع الفعل الخطابية<sup>1</sup>:

- أ - فعل الكلام: **Locutionary Acts** ( فعل تعبيرى، فعل القول، عمل قول، العمل القولي... )  
 ب - قوة فعل الكلام: **Illocutionary Acts** ( الفعل الغرضي، الانجازي، الفعل المتضمن في القول، عمل في القول، الفعل اللاقولي... )  
 ج - لازم فعل الكلام: **Perlocutionary Acts** ( الفعل التاثيري. الفعل الناتج عن القول. عمل تأثير القول، التأثير بالقول... )

إذ يمثل الأول **الفعل التلفظي الصوتي** الذي به يظهر الخطاب في شكله الخرج (المادي) أي مجموعة متتالية من العناصر الصوتية وفق شكل نسقي ذي مضمون دلالي معين، وقوة فعل الكلام هو قوة الخطاب؛ ينجز فيه المتكلم الغرض من إنشائه لخطابه في ظروفه المعينة وبتركيبته تلك ليوصل قصده من الخطاب، وفيه تدمج قوة الفعل ويتحدد حمل الخطاب حسب الصنف الذي يصنف أو ينتمي له، أما لازم فعل الكلام، فإنه الأثر الذي ينتجه الخطاب من رد فعل لدى المخاطب به. "على أن الفعل الإنجازي يرتبط عند "أوستين" ارتباطاً وثيقاً بمقصد المتكلم وعلى السامع أن يبذل الجهد الكافي للوصول إليه، ولهذا يقوم مفهوم قصد المتكلم والذي يعبر عنه بالإنجاز "Illocution" بدور مركزي في نظرية الفعل الكلامي"<sup>2</sup>. وتبعاً لقصدية الفعل الخطابية عنده صنف "أوستين" في المحاضرة الأخيرة الأفعال الخطابية إلى خمسة أصناف عدّها الجامعة لكل أصناف مقاصد الخطابات على تباينها إذ حددها في 3:

- 1 - القرارات التشريعية: **verdictifs** ، يضم الأحكام التشريعية أو ما ينتج عن إصدار حكم.
- 2 - الممارسات التشريعية: **Exercitifs** القرارات، أو توجيهات (أوامر) للآخرين.
- 3 - ضروب الإباحة (أفعال التعهد) ( الإلتزام): **Commissifs**، وتضم الوعود والعهود.

1 - المصدر السابق: ص114، وينظر:

- Austin (John Langshaw): **Quand dire, c'est faire**, p117-118.

2 - نحلة (أحمد محمود): آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص69.

3-Austin (John Langshaw): **Quand dire, c'est faire**, p153.

أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات: ص 174.

4 - الأوضاع السلوكية (أفعال السلوك): Conductifs، تضم مختلف التصرفات ك القسم والاعتذار والتهنئة، التعزية، والتوبيخ وغيرها من التصرفات العرفية في المجتمع.

5 - المعروضات الموصوفة (أفعال الإيضاح) (العرضيات): Expositifs، وتضم وصف مشهد أو ظاهرة أو حدث ما.

لقد تعرض "أوستين" للنقد من قبل غيره من فلاسفة اللّغة، خاصة "سيرل" و"ريكاناتي" [F. Récanati (1979م)]، إذ اعتبر "سيرل" أستاذه جانب الصواب لما اعتمد في تصنيفه على الصيغ الصريحة للأفعال مغفلا أو متناسيا بشكل كلي الأفعال الخطابية التي تنجز بشكل غير مباشر. بشكل غير أولي حسب رأيه هو- فـ"أوستين" ارتكب حسه "خطأ المصادرة على أنّ النحو يتمتع بالاستقلال عن عمل القول، كما أنّه لم يأخذ بعين الاعتبار التفاعل الكائن بين الوقائع والقواعد في المقام الذي يتواصل فيه المتكلمون"<sup>1</sup>، جاعلا شكل خرج الخطاب جزء فقط من الفعل الخطابي وليس كله يبقى للتفاعل وملايسات الوقائع الخطابية وصلة المتخاطبين ببعضهم البعض أهمية في تحديد الأفعال الخطابية ومن ثمة تصنيفها.

### خلاصة القول:

بهذا استوفت نظرية الأفعال الخطابية، قاعدتها على يد "أوستين"؛ متمثلة في إرسائه فكرة الصفة الإنجازية للخطاب، ونقلت الخطاب في الفكر الغربي، من الفعل الكلامي كتلفظ واستعمال وصفي للغة إلى الفعل الخطابي كحدث تواصل، وفعل إنساني مؤثر في تعديد و تغيير أشكال الوجود.

1 - بلانشيه (فيليب): التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص58. وينظر نقد "ريكاناتي" في المصدر نفسه: ص167-170.

## II. مرحلة الفعل الخطابى عند "سيرل":

### II. 1- مفهوم الفعل الخطابى فى أعمال "سيرل":

استقر مفهوم الفعل الخطابى فى أعمال "سيرل"، بعد أن قطع الأجل أعمال "أوستين" فى مرحلة مهمة من التمييز، إذ يعد من سمات الإجحاف إنكار معرفة "أوستين" لمفهوم وجود أفعال خطابية لا يتطابق فيها المحتوى القضوى مع القصد الإنجازى من الأفعال، مع ذلك يعد "سيرل" رائد مفهوم القصدية فى فلسفة اللغة، وعلى هذا المبدأ بنى إسهاماته فى تطوير نظرية الأفعال الخطابية "فلن حافظ سيرل" على العملين الأخيرين (العمل فى القول وعمل التأثير بالقول) فقد رأى ضرورة التمييز بين ما أسماه العمل القولى (فعل التلطف) والعملين القضويين تكوين المحتوى القضوى للعمل اللغوى بوساطة عملي الحمل والإحالة<sup>1</sup>، فاستشف بذلك فى الأفعال الخطابية أربعة أفعال مكوّنة له معدّلاً بها اقتراح أستاذه، وانطلاقاً من تمييزه بين الفعل القضوى للفعل والفعل الإنجازى له؛ تخلص بذلك من إشكال تداخل الأفعال الخطابية فى التصنيف السابق، واستقرّ تحديد الأفعال الإنجازية وصفية أو أدائية بتمييزها بمحتوى قضوى خاص بها<sup>2</sup>. فكل فعل خطابى هو اتحاد أربعة أفعال: فعل تلفظى وفعل قضوى وفعل إنجازى وفعل تأثيرى؛ متميزة (مستقلة) عن بعضها البعض وتتجز متزامنة<sup>3</sup>، فى الوقت نفسه وتتعاون فى تحقيق قصده، وهى:

1. فعل التلطف: **Acte d'énonciation**، إخراج الفعل الخطابى فى شكله المادى.

2. الفعل القضوى: **Acte Propositionnel**، الفعل الحامل للمحتوى القصدى للفعل الخطابى، ويتكون من فعل الإحالة (**Acte de Référence**)، وفعل الحمل (**l'Acte de Prédication**)، أى فحوى الخطاب.

1- المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، ص 97.

2- بلانشيه (فليب): التداولية من أوسين إلى غوفمان، ص 65.

3 - Searle, John. R. : les Actes de langage – Essai du philosophie du langage, tra : Hélène Pauchard, Collection Savoir, Herman, Paris, France, 1972, p61 . أفاق جديدة .

فى البحث اللغوى المعاصر، ص 72 – 73 .

3. فعل الإنجاز: **Acte Illocutionnaire** ، الفعل الذي يظهر القصد المعبر عنه في القول، ويحققه فعلا منجزا في الواقع .

4. فعل التأثير: **Acte Perlocutionnaire**، يتمثل في أثر الفعل الخطابي على الواقع وعلى المخاطب، وهو تابع للأفعال الثلاثة السابقة الذكر له أي يتغير بتغيرها.

وبتطبيق مفهوم الأفعال الخطابية عند "سيرل" نجد: أننا يمكننا تمييز المحتوى القضوي للفعل الخطابي عن الفعل الإنجازي له بكل سهولة فمثلا:  
- قم.

نميز في هذا الفعل الخطابي:

◀ **الفعل التلفظي**: هو لفظ الخطاب إلى الهواء المحيط مع عملية الزفير.

◀ **الفعل القضوي**: يتمثل في تأكيد رغبة المتكلم، ويتكون من فعل الإحالة وفعل الحمل، فعل الإحالة ضمير المستتر للمخاطب + الفعل بصيغة الأمر للمفرد، وفعل الحمل هو نسبة (فعل القيام) المحمول إلى الموضوع (ضمير المخاطب). وفي الخطاب:

- أريد قهوة<sup>1</sup>.

تأكيد مح ( ف ) + س1 ( ه ) + س2 ( قهوة )

المحمول (عمل) + الموضوع<sub>1</sub> ( منفذ ) (الضمير) + الموضوع<sub>2</sub> (المتقبل) (القهوة)

محور ( جملة فعلية = فعل + ضمير ) + بؤرة مقابلة ( قهوة )

[تأكيد [ فحوى خطابي<sub>1</sub> ( أريد قهوة ) ] [فعل خطابي<sub>1</sub> ]]

◀ **الفعل الإنجازي**: هو الفعل الذي يتحقق به قصد التأكيد، أي فعل التأكيد على رغبة تناول القهوة ولا يتوفر في هذا الفعل الخطابي بشكل صريح بصيغة (أؤكد) بل يفهم من خلال السياق ووجود فعل خطابي سابق (فعلا) يعد تابع له، يعزز فهم إنجاز قصد التأكيد، ثم فعل خطابي آخر تابع أيضا لهما في نفس النقلة (هنا لها نفس مذاق قهوة الجزائر) إخبار بسبب هذه الرغبة.

◀ **الفعل التأثيري**: هو لما أكد الزوج رغبته في تناول القهوة، ظهر على الزوجة استقرار معرفتها برغبة زوجها في شرب القهوة ، ويظهر ذلك بناء على ردها:

1 - بن هذوقة (عبد الحميد): الأشعة السبع، ص125.

- إذا وجدت بقعة شاغرة. إن المقهى هنا مكتضة في كل وقت، فكأن الناس لا عمل لهم. إذ عرفت رغبة زوجها و بدأت التحرك على أساس أن يجدا مكانا شاغرا في المقهى يتسنى لهما الجلوس فيه و الراحة أثناء تناوله لفنجان القهوة .

و ليتضح أكثر الفعل الإنجازي في هذا الفعل الخطابى نفترض الأفعال الخطابية الموالية:  
أريد قهوة ! / أريد قهوة، من فضلك. / أريد قهوة ؟ / تريد قهوة ؟ / حبذا فنجان قهوة.

هذه الخطابات تشترك في محتوى قضوي واحد هو: الرغبة في فنجان قهوة، غير أن الأفعال الإنجازية لكل واحد منها يختلف، فيتمثل في: الاستغراب، الطلب، الاستتكار، السؤال، التمني، على الترتيب. وبناء على توافر ووضوح دلائل القوة الإنجازية فيها يختلف الفعل التأثيرى المصاحب لكل واحد منها. والتفريق بين الفعلين الإنجازي والقضوي للأفعال الخطابية نقل الدارسين إلى مرحلة جديدة ثرية بالقضايا هي مرحلة الفعل الخطابى غير المباشر.

انطلق "سيرل" من مبدأ أن الفعل اللغوي عنده مرتبط بقصدية المتكلم من جهة والأعراف اللغوية والاجتماعية من جهة أخرى "إذ يعتبر تقديم الفعل الكلامي بالضرورة تعبيراً عن الحالة القصدية المطابقة له"<sup>1</sup> وحتى في حال جانب مضمون الفعل الكلامي الحالة القصدية المعبر عنها يبقى للفعل الكلامي قصد معين، "ولما كانت حالة الكذب أو أي فعل كلامي زائف يتم التعبير عنه بفعل كلامي، وبالتالي يعبر عن حالة قصدية، فإن المرء لا يكون لديه الحالة القصدية التي يعبر عنها هذا الفعل"<sup>2</sup>؛ معنى ذلك أن قصدية الأفعال الخطابية عنده حاضرة وموجودة في الفعل الخطابى وعلى المتلقى (محل الخطاب) الوقوف عليها حتى يتم إنجاز الفعل إنجازاً تاماً سواء كان الفعل صادقاً أو زائفاً، صحيحاً أو سيئاً، صريحاً كان أم ضمنياً. فحدد القواعد التي يتحقق في كنفها الفعل الخطابى وقسمها إلى:<sup>3</sup>

1 - سيرل: القصدية، ص 30.

2 - المصدر نفسه : ص 31.

3 - Searle , John. R. : les Actes de langage, P 72.

1. القواعد الضابطة: وهي قواعد تحكم الفعل الإنساني عامة ، كسلوك أدبيات الفعل اللغوي.
2. القواعد التأسيسية: وهي قواعد تحدد نظام أو معايير عملية ما، مثل القواعد والممارسات التي تسيّر بها لعبة ما ( ك الشطرنج أو كرة القدم ، ... )، فهي القواعد التي تصنع الفعل نفسه وأي خلل فيها يعرّضه للفشل 1 .

وشهدت بلورة أفكار "أوستين"، بأفكار تلميذه جواً علمياً متميزاً أحدث تجديداً في نظرية جديدة أصلاً، فقد انتقد "سيرل" الشروط المقامية والمقالية فأضاف لها اقتراحات، منطلقاً من فرضية أستاذه: القول هو فعل، ثم هذه الأفعال تتحقق بخضوعها لجملة من القواعد (سلف ذكرها) المسيّرة لاستعمال العناصر اللغوية المكوّنة لها<sup>2</sup>. وقطع "سيرل" شوطاً في رحلة الأفعال الخطابية بطرحه الخاص بتمييزه بين المحتوى القضوي والمحتوى الإنجازي، وهذا التمييز أقال عثرة صعوبة الخوض في تحديد طبيعة الأفعال الخطابية، وصفية كانت أم أدائية، فـ "أوستين" لاحظ كما سبق ذكره وجود ترابط بين المعيارين [الصدق / الكذب] و [النجاح / الإخفاق]، وإمازة المحتوى القضوي عن المحتوى الإنجازي في الحكم على الفعل الخطابي تخوّل للمخاطب القدرة على التلقي الصحيح للقصد من الفعل بتحديد قوته الإنجازية الفعلية. وحتى يرسى أكثر طريقة ناجعة لتحديد طبيعة الأفعال الخطابية قام بتحليل هذه الأخيرة وتمحيصها ليقف على أربع سمات لها. ثم إنّ "سيرل" عدّد سمات أربع للحالات القصدية إنطلاقاً من تحليله للسمات ذاتها في أفعال الخطاب مرسّخاً إرتباط الفعل الخطابي بالحالات القصدية للمخاطبين، قائلاً: "توجد أربع نقاط تشابه بين الحالات القصدية وأفعال الكلام"<sup>3</sup>. وهي ما سنعرض له في العنصر الموالي:

## II. 2- سمات الأفعال الخطابية عند "سيرل":

ذكر "سيرل" أربع سمات للأفعال الخطابية، في مقارنة له بينها وبين الحالات القصدية وسبق أن أوردنا في البحث سمات القصدية، إنّ "سيرل" استنتج سمات الحالات القصدية بإقامة مجال المقارنة بينها وبين الأفعال الخطابية لا العكس، إذ أنّ دراسته للأفعال الخطابية جاءت سابقة لدراسة

1 - بعيطيش (يحيى): الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 101 .

2 - Searle , John. R. : les Actes de langage , p 52.

3 - سيرل: القصدية، ص 26.

طبيعة الحالات القصدية، وخصائصها، ومبعث هذا في فكر "سيرل" إهتمامه منذ البداية بدراسة قصود المتخاطبين وقصدات الخطابات على إختلاف تطبيقاتها في اللغات الطبيعية، والسّمات وفقه هي:

- 1- ارتباط الأفعال الخطابية بحالة قصدية خاصة باعثة.
- 2- ازدواج القصد في الأفعال الخطابية.
- 3- إختلاف اتجاه المطابقة بين الخطاب والعالم.
- 4- مبدأ شروط التّحقّق.

## II- 2-1. ارتباط الأفعال الخطابية بحالة قصدية خاصة باعثة:

يجزم "سيرل" بأنّ كل فعل خطابي يرتبط أصلا بحالة قصدية خاصة به، هذه الحالة هي الباعثة الأصلية لذلك الفعل الخطابي، "فنحن عند تقديم فعل كلامي ذي مضمون لغوي ما، نعبر عن حالة قصدية معيّنة بهذا المضمون اللغوي (القضية)، وتعد هذه الحالة شرطا لقصدية هذا النمط من الفعل الكلامي"<sup>1</sup>، أي أنّ المخاطب عندما ينجز خطابا ما يفترض أن يكون صادقا في إعتقاده بمحتوى خطابه، فعندما يأمر أو يطلب أو يعد أو يسأل...، فإنّه يعتقد بما هو بصدد إنجازه، لذا عدّ "سيرل" "اتجاه مطابقة الفعل الانجازي عموما هو شرط الصدق نفسه، ونلاحظ أنّ في الحالات التي لا تكون للفعل اتجاه للمطابقة، يتمّ افتراض صدق المضمون اللغوي (القضية)"<sup>2</sup> ذلك أنّ الأفعال الخطابية التي تمتلك إتجاه مطابقة<sup>3</sup> يسهل الحكم عليها بالصدق أو الكذب والنجاح أو الفشل بمقارنتها بظروف إنكارها من جهة ونتائج إنجازها من جهة أخرى، وهو الحال مع مختلف أفعال الخطاب كحال: الإخبار أو الإعلان أو الطلب في حين نفترض سلفا دائما صدق الأفعال الخطابية التعبيرية عن المشاعر مثلا كالتعبير عن الحب أو الكره أو الخوف أو التعجب...، فمثل هذه الأفعال الخطابية يعبر المخاطب عن شيء داخلي حادث في نفسه ولا يتعدها وإن كان متعلقا بشيء ما قد يكون خارجيا - فالحب مثلا فعل داخلي للإنسان وإن كان الحب يرتبط بشخص أو شيء آخر خارجي هو المحبوب - فلا يملك ولا يستطيع المخاطب أن يحكم على مثل هذه الخطابات بالصدق أو الكذب لعدم امتلاكه للمرجع القصدى للمخاطب لأن مرجع هذه الخطابات إنما هو الحالة القصدية الباعثة لها وهي لا يقف

1- سيرل: المصدر السابق: ص 30.

2- المصدر نفسه: ص 31.

3- سيأتي أفراد هذا المفهوم بالتحليل في قابل هذا المطلب.

على صدقها أو كذبها إلا منجز الخطاب نفسه فقولي (أنا أخاف الظلمة) فعل خطابي قوته الإنجازية الإخبارية، وإنما التعبير عن الخوف كمضمون لغوي (قضوي) فيه هو سمة وجهية تبرز خوفي اتجاه الظلمة والأماكن المعتمة وبناء على رأي "سيرل" هذا ودراسات عدد من التداولين؛ حذف "هنخفد وماكنزي" (2008) التعجب من قائمة القوى الإنجازية واقترحا رصده على أساس أنه مخصص من مخصصات الفعل الخطابي الممكنة" 2/1.

## II-2-2. إمكانية ازدواج القصد في الأفعال الخطابية:

إن هذه الخصيصة في الأفعال الخطابية من سمات النظر والتحليل المائز لـ "سيرل" الذي طعم به الدرس اللساني بنتاج فلسفة اللغة، فقد لاحظ "سيرل" أننا نستخدم في الكثير من الأحيان عبارات استفهامية للطلب أو عبارات خبرية للاستفهام وغيرها، وتبقى وظيفة مثل هذه العبارات رهن الواقعة الخطابية التي أنتجت فيها، وأن العبارات التي لا ينطبق مضمونها اللغوي مع فحواها تنتج بقوة خاصة تلك القوة تعطي للأفعال الخطابية فحوا جديدا إضافيا إلى جانب مضمونها اللغوي<sup>3</sup>، يقول "سيرل" "قد يعد من الأفضل قصد استخدام مصطلح "المضمون اللغوي (القضية)" على تلك الحالات التي تتحقق لغويا فقط واستخدام مصطلح "المضمون التمثيلي" أو "المضمون القصدى" كمصطلحين أكثر عمومية حتى يضا كلاً من الحالات القصدية المتحققة لغويا وتلك التي لا يتم التعبير عنها لغويا أولاً تتحقق بالغة" 4 إذا فرق "سيرل" تفريقاً حاسماً بين الأفعال الخطابية التي ينطبق فيها المضمون القضوي والمضمون القصدى وتلك التي لا ينطبق فيها المضمون القضوي والمضمون القصدى ونتيجة لتفريقه هذا إقترح تحديداً أكبر للمصطلحات فكل مضمون قصدى وافق المضمون القضوي للفعل الخطابي كان الفعل

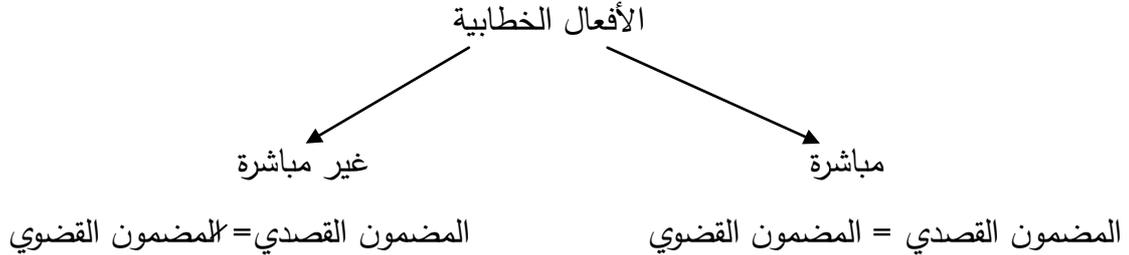
1- يعد "المتوكل" من الدارسين الذين لفتوا النظر إلى هذه القضية وقام بتحليلها مقترحا إعتبار التعجب سمة وجهية لا قوة إنجازية ذلك أن الجمل التعجبية يحوي إخبارا عن استغراب المتكلم من أمرها. ينظر المتوكل: التركيبات الوظيفية قضايا ومقاربات، ص 103. وينظر المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 56.

2- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 56.

3- المضمون اللغوي: المضمون القضوي ترجمة للمصطلح propositional content قوة الإنجاز: القوة المؤثرة للمصطلح illocutionary force ، يقول "سيرل" «لقد بات من المألوف في نظرية أفعال الكلام قيام مثل هذه التفرقة بين المضمون اللغوي (القضية) والقوة التنفيدية أو القوة المؤثرة» ينظر هامش من وضع المترجم "أحمد الأنصاري": القصدية، ص 26 والمصدر نفسه، ص 27 .

4- المصدر نفسه: ص 27.

الخطابي مباشرة تظهر قوته الإنجازية في نسقه، وكل مضمون قصدي لم يوافق المضمون القضوي للفعل الخطابي كان هذا الفعل الخطابي غير مباشر، وتظهر قوته الإنجازية بالجوء إلى وحدات خارج لسانية زيادة على وحداته النسقية.



فمعيار التفرقة بين الأفعال الخطابية هو طبيعة المضمون القصدي لا غيره لذا يكون القصد من إنجاز الفعل الخطابي هو المحدد الأساسي للفعل الخطابي وقصديته. وقطع "سيرل" شوطاً في رحلة الأفعال الخطابية بطرحه الخاص التمييز بين المحتوى القضوي والمحتوى القصدي، وهذا التمييز أقال عثرة صعوبة الخوض في تحديد طبيعة الأفعال الخطابية، وصفية كانت أم أدائية.

ثم لاحظ "سيرل" أن للقوة الإنجازية (المؤثرة) للفعل دليلاً معيناً يختلف باختلاف قصدية الفعل الخطابي نفسه، واسماً إياها بـ "دليل القوة الإنجازية" "Marqueur de force illocutionaire" ويتمثل في الطريقة التي ينفذ بها المتكلم فعله الخطابي، أي يظهر في القوة الإنجازية المنتجة لحظة أداء الفعل الخطابي<sup>1</sup>.

عدد "سيرل" في اللغة الإنجليزية، جملة من الأمثلة عن دليل القوة الإنجازية، إذ ذكر نظام الجملة النبر، التنعيم، وعلامات الترقيم (في الفعل الخطابي المكتوب)، وصيغة الفعل (le mode de verbe) وما يسمى الأفعال الأدائية "verbes dits performatif" إن الواسمات التي ذكرها سيرل أغلبها واسمات لسانية للأفعال الأدائية ولا شك أن لها دوراً في تحديد القوة الإنجازية غير كافية لتحديد المضمون القصدي للفعل الخطابي، فمثلاً في اللغة العربية، غير أنها قد تغيب فيلجأ متلقي الخطاب إلى دلائل أخرى لفهم قصدية الفعل الخطابي، أنظر للخطاب التالي:

- صدق موسى عيسى.

<sup>1</sup>-Searle, john : Les actes de langage,p 52.

إن العارف باللسان العربي يولي أهمية ثانية فبعد علامات الإعراب حال غيابها للترتيب كدليل للقوة الإنجازية وهي هنا الإخبار، غير أنه يصطدم بحقيقة عقلية تنقض الفهم الحرفي للخطاب، فصدق موسى عيسى يقتضي حسب الرتبة أن سيدنا موسى عليه السلام جاء بما جاء به عيسى عليه السلام فصدقه بذلك ودعم نهجه، إلا أن هذا الفهم بجانب المضمون القصدي للخطاب، لإعتبارات أخرى، هي إعتبارات تاريخية واقعية، فبالتحليل العقلي نفهم أن عيسى عليه السلام هو من جاء مصدقا بما جاء به موسى عليه السلام والدليل تاريخي أن الله عز وجل أرسل سيدنا موسى في فترة سابقة لفترة رسالة سيدنا عيسى عليه السلام، وهذا يستدعي أن اللاحق يصدق السابق وليس العكس، أما تأويل حال تقديم (موسى) على (عيسى) فهو إشتغال منتج الخطاب إذ جاء بالوحدة اللسانية (موسى) كبؤرة إبطال تلقى إلى متلقي شاك أو متردد، في حين أننا لو أردنا تقويتها ردا على منكر قلنا: لقد صدق موسى عيسى.

بهذا يمكننا أن نضيف إلى مفهوم واسمات (دلائل) القوة الإنجازية عن "سيرل" مفهوما موازيا هو داعمات القوة الإنجازية، التي نقترح تمثيلها بالأطر العامة للأفعال الخطابية وسياقها التلفظي والتداولي من طريقة الإلقاء مثلا، والخلفية المعرفية للمتخاطبين كقارئ مقالية ومقامية، إذ يمكن أن يسم القوة الإنجازية لفعل خطابي ما، الخلفية المعرفية للمتخاطبين كما رأينا في الخطاب المذكور (صدق موسى عيسى).

انطلاقا من مثل هذه الملاحظات، "تُدرج القوى الإنجازية، من منظور نحو الخطاب الوظيفي، في زميرتين اثنتين: قوى إنجازية أصول تتعكس في بنية الخطاب صرفا أو تركيبا وقوى إنجازية يحكمها السياق وحده" <sup>1</sup>، فحتى ينجح أداء فعل خطابي ما على المخاطب والمخاطب الوصول إلى المضمون القصدي للفعل لا المضمون اللغوي، فلا يعتمدان فقط على المواضع اللسانية الصرفة، فللفرد إشتغال في خطابه على المستويات المختلفة للخطاب، المستوى الصوتي والصرفي والنسقي والتمثيلي والعلاقي، لذا وجب استحضار كمّ من القدرات الإنتاجية والتحليلية، و"ما يتحتم أخذه بعين الإعتبار في نحو الخطاب الوظيفي أن قائمة القوى الإنجازية قائمة متحركة في التزامن حيث إن عملية الإنتقاء تتم حسب أنماط اللغة وأنماط الخطاب كما أنها متحركة فبالتزامن حيث تخضع للفقدان والاستحداث والنقل" <sup>2</sup> إن ما يعطي للقوة الإنجازية هذا المجال المرن لاستغلال المخاطب عليها أداء نقله للحالة القصدية الأصلية له، ومن هذا الإشتغال بخلق التجدد الدائم للخطابات بتحيينها فيهمل ما لا يحتاجه ولا يعبر عن حالته القصدية وما لم

1- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص70.

2- المصدر نفسه: ص70.

يعد صالحا للتداول العام محصلا للفقدان لبعض أنماط الخطابات في حين يستحدث حسب الحاجة وقدراته الإبداعية أنماط أخرى وفق الاستعمال، وقد ينقل أنماط خطابية ما من استخدام إلى آخر حسب المواقف والوقائع التواصلية بالتصرف في القوة الإنجازية للخطاب من نمط إلى آخر.

- أريد الأكل من يدك.

- أطبخي لي.

- أطبخي لي، من فضلك.

- أطبخي لي أكلة لذيذة .

الملاحظ أن المحتوى القضي للخطابات السالفة الذكر واحد هو (طلب طبخ الأكل) إلا أن ما يختلف فيها هو قوتها الإنجازية، فالأول تعبير عن رغبة، والتالي طلب يرتقي إلى الأمر، والثالث خفت قوته الإنجازية وظهرت ذلك بواسطة خطابي هو (من فضلك)، في حين أن الرابع يحمل قوة إنجازية التمني مثلا (يمكنه حمل غيرها حسب الواقعة المؤطرة كالتذمر، التساؤل، التعنيف).

## II- 2-3. مبدأ شروط التحقق:

سبق أن أوردنا أن مبدأ شروط التحقق مبدأ أساسي في إرساء مبدأ القصدية، وإنما استنتجته "سيرل" من ملاحظته وتحليله للأفعال الخطابية، لذا فشرط التحقق في الأفعال الخطابية أوضح وألصق، "ولا تزال الموازة بين نظرية "سيرل" في أفعال الكلام ونظريته في القصدية قائمة في هذه النقطة" 1، ذلك أنه لا تواصل لغوي دون أفعال خطابية<sup>2</sup>، ولا أفعال خطابية دون مضمون قصدي كما سبق واستقر لدينا، بناء عليه رأى "سيرل" أن قصد الأفعال الخطابية لا يتحقق دون شرط للتحقق إنطلاقا منه جزم أن الأفعال الخطابية أفعال مؤسساتية.

إن البحث عن شروط تحقق الحالة القصدية لفعل خطابي ما لا يكون إلا في ما تحمله العبارة من استخدامات في المقام الذي استخدمت فيه والإعتقاد الذي تتضمنه في ألفاظها، ما يجعلنا نجزم بأن شروط تحقق أي فعل خطابي إنما هي تنحصر في كونها خاصة سياقية بالدرجة الأولى يقول "سيرل": "عند تقديم فعل كلامي ذي مضمون لغوي، نعبّر حالة قصدية معينة بهذا المضمون اللغوي (القضية) وتعد هذه

1- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، ص227.

2-Searle: les actes de langage: 52 p.

الحالة القصدية شرطا لصدق هذا النمط من الفعل الكلامي<sup>1</sup> يتباين المحتوى القضوي للأفعال الخطابية تباين المواقف المنشئة لها، إلا أن تباين القوى الإنجازية لها أظهر، تعبيرنا عن الشكر أو صياغتنا للوعد أو استفسارنا يكون تبعا لقصد الفعل والمعرفة، ما يجعل الفعل الخطابي أيضا رهين القصدية المنشئة له، فـ **”حين أنطق بصورة قصدية عبارة ذات مجموعة من شروط التحقق والتي تم تحديدها وفقا لطبيعة هذا الفعل الكلامي، أكون قد عثرت قصديا عن الحالة النفسية المطابقة لهذه العبارة لا أستطيع نطق عبارة من دون التعبير عن اعتقاد معين، أو التعبير عن وعد دون التعبير عن قصد“<sup>2</sup>** فشروط تحقق الفعل الكلامي كثيرة ومتضافرة، إلا أنه من منطلق كونه حتما تعبيريا عن حالة قصدية باعثة له ومرتبطة به. و يعد وجود هذه الحالة القصدية وإشباعها، الشرطان الأولان لتحقيق ذلك الفعل، **”وذلك لأن الشرط الأساس لفعل الكلام أن تكون شروط تحقق الحالة القصدية نفسها التي تفرضها الحالة النفسية الخاصة بهذه العبارات“<sup>3</sup>**، معنى هذا؛ لا يكون الفعل الخطابي فعلا خطابيا إلا إذا كان مستندا إلى مجموعة من المقاصد، تحركها حالات قصدية باعثة لها، فتصبح **”السبب الأساس لتحويل الفعل المنطوق إلى فعل كلامي“<sup>4</sup>**، إذ لا يعد أي فعل نطقي فعلا خطابيا إلا إذا كان موجها بحالة قصدية باعثة له ومصاحبة لأدائه، فالقصدية الخطابية في الأساس قصدية مشتقة من القصدية الأصلية لصاحب الخطاب.

من أجل هذا تعد الحالة القصدية للأفعال الخطابية شرطا أساسيا من شروط تحقق الأفعال الخطابية (الوعد، الأمر، الإخبار...) شرط لتحقيق كل أنواع الأفعال الخطابية المنجزة باللغة، يبقى أن ينفرد كل فعل خطابي بشروط أخرى خاصة به، فالخطابات الواصفة تحتمل الصدق والكذب. حالها حال الأخبار، في حين تحتمل الأوامر التنفيذ أو العصيان، والوعود الوفاء أو الخلف...، وإنما تستوفي الأفعال الخطابية شروط تحققها **”إذا كان المحتوى القضوي (لها) يضاهاي العالم مع اتجاه المطابقة الملائم أم لا يضاهايه، يكون التقرير (أو العبارة) مستوفيا عندما يكون الشيء المقرر صادقا، ويكون الوعد مستوفيا عندما يحقق هذا الوعد، ويكون الأمر مستوفيا عندما يتحقق أيضا“<sup>5</sup>**.

1 - سيرل: القصدية، ص30.

2- المصدر نفسه : ص51.

3- نفسه: ص51.

4- نفسه، ص53.

5- إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، دراسة في فلسفة جون سيرل، ص 227.

إذا كانت شروط تحقق حالة قصدية ما هي صدق إدراكها وحصولها، يتعدى شرط تحقق الفعل الخطابي إلى حصول ارتباطه بحالة قصدية خاصة به ويفترض صدقها، أي أنني عندما أطلب من شخص ما طلباً فأنا أعلن عن رغبتني في أن يعمله وإذا أصدرت حكماً على شخص ما أعبر عن اعتقادي تجاهه، وإذا واسيت شخصاً ما أعبر عن أسفي لما ألم به.

من جهة أخرى، ترتبط شروط التحقق في المقام الذي تنجز فيه الأفعال الخطابية بخارج، يعد من الضروري جداً تحديد هذا الخارج بالنسبة للفعل الخطابي، إنطلاقاً من الحقيقة المتفق عليها أن "موجه القول إنما هو المتكلم الذي يلقي التراكيب المخصوصة باعتبارها علامات على المقاصد"<sup>1</sup>، يقصد ورود شروط التحقق من جانب المتكلم بصفة ظاهرة في الخطابات الوصفية والخبرية، فالمخاطب يلقي خطابه مقراً لحقيقة قيمتها داخل الخطاب ذاته، من ذلك فرض الصدق المسبق في العبارات الواصفة لشهور المخاطب وأحاسيسه الخاصة، في الوقت الذي يوازن محتوى أفعال خطابية أخرى مع الواقع الخارجي الذي تصفه أو تقدمه في قالب قصدية مشتقة مستقاة من قصدية أصلية محللة ثم واصفة لها.

مؤدى هذا الكلام تأكيد الرأي القائل بأن خارج الفعل الخطابي هو ما يستقر في ذهن منشئه من حالة قصدية (ذهنية) حوله وليس الواقع الخارجي مما يضمه المحيط، وإن صدق شروط التحقق في بعض الخطابات نجد لها واقعا خارجيا عيانيا ما يطرح لنا نوعاً من الغموض، مثلاً، الخطاب:

- إن أختي طيبة فعلاً.

يقتضي وجود حقيقة واقعية في الواقع خارج الخطاب أن للمنشئ الخطاب أختاً تتصف بالطيبة، وهذه الحقيقة بوصفها فعلاً منقولاً عبر خطاب ما تتعدى بشرط تحققها، وجود هذه الأخت الطيبة في الواقع إلى إعتقاد المخاطب بأن له أختاً طيبة فعلاً، معنى ذلك شرط تحقق هذا الفعل الخطابي رهين بصدق تكوينه لحالة قصدية تبني أن أخته طيبة علاوة على وجود أخته الطيبة في الواقع.

فيتضافر الواقع المشاهد بالحالة القصدية والمخزون الذهني للمتكلم ذكر "المبخوت" ملاحظة جديرة بالتحليل والتعديل، مدافعاً بها على رأي شبهه بما أوردها أنفاً، حول علاقة الخارج الذهني

1- المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللغوية، مراجعات ومقترحات، ص 97.

للخطاب بالخارج الواقعي له، قائلا: "بين هذين الخارجين علاقة يكون بموجبها ما يوجد في الخارج العياني موجودا في الخارج الذهني ولكن ما يوجد في الخارج الذهني قد لا يشاهد في الخارج العياني"<sup>1</sup>. أما تحليلنا له فينطلق من التفريق الواضح بين خارج الخطاب العياني(الواقعي) والذي يكون المرجع فيه هو العالم الملموس المشاهد في الواقع من ذوات وأشياء وآلات وغيرها، ووجودها يسهل بناء الفعل الإحالي كفعل تداولي يبني قصدية الخطاب بشكل مباشر وصریح، وخارج الخطاب الذهني(التصوري)والذي يكون المرجع فيه هو المخزون الذهني للمخاطب واستخدام مخزون ذهني مقارب لمخزون ذهن المخاطب يسهل عملية الإحالة بشكل صحيح، خاصة إذا كان هناك إشتراك بين المتخاطبين في تكوين مخزون ذهني مشترك، يمكن عدّه من شروط تحقق الفعل الخطابي بشكل صحيح. أما التعديل الذي نسوقه، فهو لفت نظر إلى أنّه قد يحدث أيضا أن يوجد في الخارج العياني ما لا يوجد في الخارج الذهني لمنشئ الخطاب وتلك حال الجاهل بحقائق الأمور ودلالاتها، وللأمانة أن "المبخوت" وعي هذه الحقيقة إلا أنّه حلّها في إطار ما يوجد في الخارج الذهني الذي لا يشاهد في الخارج العياني فحلّها في اعتقاد المخاطب لشيء بطريقة مناقضة أو مغايرة للخارج العياني<sup>2</sup> معنى هذا أن تكوين المتخاطبين للحالات القصدية المؤطرة لحالتهم الذهنية تجعلهم يكوّنون خارجا ذهنيا لخطاباتهم قد يتطابق وقد لا يتطابق مع الخارج الواقعي.

ثم إنّنا نجد في واقع الخطابات الطبيعية، أفعالا خطابية لا يوافق مضمونها الحالة القصدية الحقيقية لمنجزها، أي إذا كان المخطيء يخطيء في بناء خارج ذهني لا ينطبق مع الواقع العياني، نجد الكذاب يخرج خرج خطاب لا يوافق الخارج الذهني لخطابه فضلا عن الخارجي الواقعي له، يتحدث "سيرل" عن مثل هذه الحالات مؤكدا وجودها، فيقول: "ويظهر ذلك واضحا في مقارنة "مور"<sup>3</sup> فلا تستطيع القول إن الثلج يتساقط ولكن لا أعتقد أنه يتساقط" أو "أمرك بالتوقف عن التدخين ولكن لا أريد أن تتوقف عن التدخين" أو "أعتذر عن إهانتك ولكن ليست أسفا على إهانتك" أو أرسل لك التهاني

1- المبخوت: المصدر السابق: ص99.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص106-107.

3- مفارقة مور: مفارقة شهيرة، حسبه لا يستطيع المتكلم أن يقول خطابا ولا يعتقد بصدق محتوى خطابه، إنطلاقا من هذه المفارقة عمم "سيرل" دراسته وحكمه أننا لا نقوم بأي فعل خطابي، إلا ونحن نضمّر نية الإعتقاد والعزم على أدائه كاملا إذ لا يمكن أن نقول: "أعد بإنجاز (ب) وأنا لا أنوي إنجاز (ب)". ينظر أرمتكو (فرانسواز): المقاربة التداولية، ص64.

على نيل الجائزة ولست سعيدا بحصولك عليها“<sup>1</sup> يدعم رأي "سيرل" هذا حقيقة وجود كم لا حدود له من تراكيب الكذب والمغالطات فضلا عن عبارات التملق والمجاملات التي كثيرا ما تنطلق من حالات قصدية أصلية مخالفة للحالة القصدية المشتقة المظهرة لخرج الخطاب من ذلك الخطابات التالية:

- أحبك (إذا قيلت طمعا في خير عند المخاطب يؤمل الوصول إليه).

- أشكرك على تعنفي (إذا قالها على الواقع رافض له).

- نورت (إذا قيلت لشخص شديد السمرة على سبيل السخرية).

في هذا المقام نصل إلى سؤال مهم أشروط التحقق في الأفعال الخطابية تقاس بالتطابق مع الخارج الذهني أم مع الخارج الواقعي؟.

لقد وضع "أوستن" في تعييده للنظرية الشروط المؤطرة للأفعال الخطابية فحدد أن صدق المتكلم يضمن أداء الفعل الكلامي أداء صحيحا، في حين أن كذبه يسيء لأداء الفعل الخطابي إلا أنه لا ينفي أداءه، أي أن تطابق الفعل الكلامي مع الخارج الذهني لمنشئه يضمن الأداء الناجح والكامل للفعل الخطابي، في حين أن عدم تطابقه معه يبقي على حقيقة أدائه دون نجاح الأداء وكماله، أنظر للخطاب الآتي :

- ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (1) ﴾ [المنافقون 1].

لاحظ أن هذا الخطاب، فعل خطابي يتضمن معنى الخبر بقوة إنجازية حُكمية من الله تعالى على حقيقة المنافقين وكذب شهادتهم، فالمنافقون شهدوا أن محمدا رسول الله أرسله إلى الناس كافة لهديتهم، إلا أن شهادتهم هذه لا تطابق إعتقادهم فلا تطابق الخارج الذهني لفعلهم الخطابي (الشهادة)، في حين أن المضمون القضوي لخطابهم يطابق الواقع الخارجي للخطاب، وجاء التكذيب في آخر الآية تكذيبا لصدق المنافقين لا تكذيبا لرسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، ما يوضح لنا أن هناك فصلا فعليا بين الفعل الخطابي في حد ذاته وبين الحالة القصدية الباعثة له. ولا يرفض "سيرل" مثل هذه الحالات والقضايا بل يصفها بالتناقض والشذوذ "أن نقدم فعلا كلاميا وننكر في الوقت نفسه وجود الحالة القصدية المطابقة له"<sup>2</sup> وقد

1- سيرل: القصدية، ص30.

2- المصدر نفسه: ص31.

ذكر من المواقف المشابهة حكاية الأقوال، أو نقل القرارات وغيرها، حين يفصل المرء بين فعل الكلام وما يعتقدده هو فعلا، وينطق العبارات دون أن يلزم نفسه بمضمونها القضوي، أو ما يترتب عليها من نتائج وآثار وقد قيل في موروثنا ما على الرسول إلا البلاغ المبين، كقول أحدهم.

-إنه يقول لك "إرحل".

فمثل هذا الفعل الخطابي المضمّن في مقول القول قد يثير غضب المخاطب أو حزنه، جاعلا المخاطب يأسف لحاله أو يتأدى بردة فعله، رغم أنه لم يكن في الأصل غاضبا منه أوحاقدا عليه أو حتى رافضا لوجوده في المكان المتنازع عنه، وما كان منه إلا أن نقل فعلا خطابيا من منجزه الفعلي إلى المخاطب فهو صادق في النقل الأمين للخطاب، حر في الحالة القصدية له اتجاه الموقف ولا يلزمه تبني شعور المخاطب الأصلي صاحب الخطاب الفعلي. هذا حال المنافقين في الخطاب الأنف الذكر، كأنهم لما طلب منهم الشهادة صادقين مصدقين ظنوا أن مجرد النطق بها يغنيهم عن صدق الاعتقاد فتحسب لهم الشهادة صادقة يقول "المبخوت": "الشهادة تقتضي معرفة الشهادة بما يشهده، فإذا عبّر عنها بمقتضى اللفظ اقتضى ذلك منه أنه يعتقد في مضمون شهادته فيفهم السامع أنّ الإخبار بالشهادة يقتضي الاعتقاد بها وهو يقتضي كذلك وقوعها. والخلل في شهادة المنافقين ليس واقعا في اقتضاء الوقوع وإنما هو في فعل الإخبار والرابط بين الحالة الذهنية والإعتقادية واللفظ المخبر به"<sup>1</sup>.

### خلاصة القول:

إن شروط تحقق أي فعل خطابي، لا يكون إلا رهين ظروف إنشائه وملابسات أدائه، ذلك أن الفعل الخطابي فعل ينشأ شخصا ليقع مؤسساتيا، بذلك يصبح فعلا يؤطره خارجان يركز فيه المتخاطبون على معياري الصدق/الكذب والنجاح/الإخفاق على حد سواء.

يتجاذب معيار الحكم على الأفعال الخطابية توافر شروط تحقق واسمة لها، تطرح إشكالا فلسفيا حقيقيا مفاده، كيف نؤطر شروط التحقق أولا ثم نحكم على الأفعال الخطابية تبعا لها بالنجاح/الإخفاق والصدق/الكذب، يتأثر ذلك بنسبة البنية الخرج للخطاب إلى خارج ذهني وخارج واقعي في الآن نفسه، ونسبة الخطابات إلى الخارج الواقعي دون الخارج الذهني توقعنا في المفارقات: "مفارقة مور" و"مفارقة المنافق"، أما نسبة الخطاب إلى خارج ذهني دون الخارج الواقعي توقعنا في مفارقات منها:

1- المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللغوية، ص141.

"مفارقة الجاهل" و "مفارقة الواهم" و "مفارقة الكذاب". لعل هذا ما جعل الفلاسفة يربطون أفعال الخطاب بميزة أخرى هي ميزة إتجاه المطابقة (علاقة الخطاب بالعالم).

## II-2-4. اختلاف اتجاه المطابقة للأفعال الخطابية:

تتوالد الخطابات، وتتكاثر معها أشكال أداء الأفعال الخطابية، في اللغة الطبيعية ونقف على عديد الخطابات بمختلف محتوياتها القضوية وقواتها الإنجازية بناء على القصد الباعثة لها والقصدات الممثلة فيها. هذا ما يتجلى في الخطابات التالية:

- ناولني حساء لذيذا.

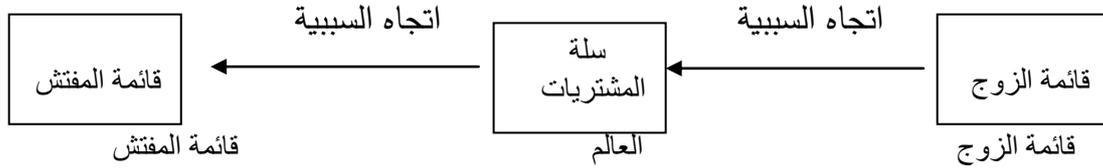
- هذا حساء لذيذ.

- حبذا حساء لذيذا.

إن المحتوى القضوي لهذه الخطابات واحدة، وجود حساء لذيذ، إلا أن الحساء اللذيذ عند المتكلم في الخطاب الأول يُحاز بعد إنتاج الخطاب، لم يتجسد له بعد في الخارج الواقعي (العالم)، في حين أنه في الخطاب الثاني موجود فعلا بشكل سابق للخطاب في الخارج الواقعي (العلم) أما في الخطاب الثالث فوجود الحساء اللذيذ غير مؤكدة، فقد لا يحصل المتكلم عليه وفق ظروفه، وإنما يبين الخطاب رغبة المتكلم الحصول على حساء لذيذ.

إنطلاقاً من تحليلنا للفروق في القوة الإنجازية للخطابات السالفة الذكر، نستنتج تباين الأفعال التأثيرية وعلاقتها بالعالم في الخطابات، وارتباطها بتوفر شروط التحقق والاشباع، ويعد اشباع الحالة القصدية الباعثة لها أهم هذه الشروط، وسبق لنا أن حددنا أنه لا يصدق محتوى أي حالة قصدية ولا يتم بناؤه وإعطاؤه شبكة من شروط الاستيفاء إلا إذا تم ربطه بحقيقة مستقرة في الموضوع المقصود وليس في القصد ذاته، فالحالة القصدية مبنية على التوجه واتجاهه يختلف باختلاف مصدره (التعلق بالشيء المقصود)، واتجاه المطابقة بالنسبة للحالات القصدية، سمة أقرها "سيرل" كذلك للحالات القصدية قياساً على هذه الخصيصة في الأفعال الخطابية، في الوقت الذي حدد العلاقة في بناء الحالات القصدية بين العقل والعالم الواقعي، بين أن في الأفعال الخطابية العلاقة قائمة بين الكلمات والعالم الواقعي بشكل خاص نوعاً ما.

إن "سيرل" كان أميناً في نسبة مصطلح "اتجاه المطابقة" "Direction of fit" 1 إلى صاحبه "أوستن" ولشرح مفهوم اتجاه المطابقة أورد مثلاً وصفه بالأفضل نقلاً عن (اليزابيث أنسكومب) 2، التي افترضت أن رجلاً أعطته زوجته قائمة لمشتريات المنزل ولما ذهب إلى المتجر وأثناء تسوقه، كان مفتش يراقب الرجل ويكتب في قائمة كل ما يشتريه، في نهاية العملية، تكون هناك قائمتان، قائمة الزوج وقائمة المفتش متطابقتان في المحتوى إلا أن لكل منها وظيفة خاصة بها، "إذ تؤدي قائمة المفتش وظيفة وصف أو تقرير لما حدث فعلاً...بينما تؤدي قائمة الزوج وظيفة تمكنه من تغيير الواقع [واقع سلته] ليحمله يجاري محتويات القائمة" 3 إذ أثناء سعي الزوج إلى جعل الواقع (العالم) يطابق (يلتزم) القائمة التي بحوزته، يعمل المفتش على أن تكون قائمته مطابقة (ملائمة) للواقع (العالم) الذي يراقبه ألا وهو سلة الزوج، فقائمة الزوج ترمي إلى تغيير العالم في الوقت الذي يكتفي قائمة المفتش بوصف ذات العالم فيكون بذلك، "في قائمة الزوج اتجاه ملائمة من العالم إلى القائمة ولقائمة المفتش اتجاه ملائمة من القائمة إلى العالم" 4 يتضح أيضاً هنا تحديد اتجاه المطابقة باللجوء إلى اتجاه السببية.



#### 1- Direction of fit: ترجم اتجاه المطابقة أو اتجاه الملاءمة.

ذكر "سيرل" أن "أوستن" ابتكره في كتابه "أوراق فلسفية"، ينظر سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 152.

أنظر: إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل دراسة في فلسفة جون سيرل، ص 222.

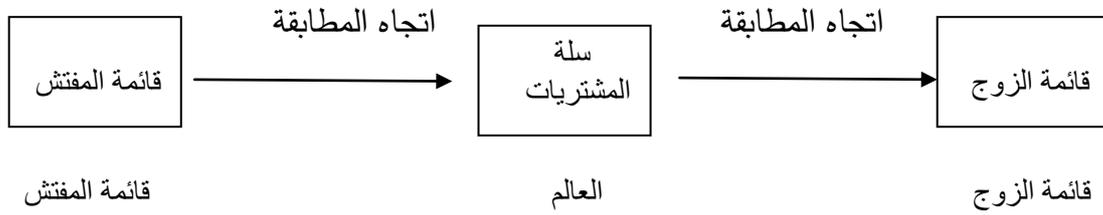
2- ذكر سيرل في كتابه القصدية، ص 29، مثال آخر لتقريب فهم مفهوم اتجاه المطابقة، حيث أعطى مثلاً بحذاء سنديلا، ففي الوقت الذي سعت سنديلا إلى انتعال حذاء يطابق مقاس رجلها، سعى الأمير إلى إيجاد القدم التي تطابق الحذاء الذي بحوزته، يقول سيرل: "عندما تذهب سنديلا إلى محل الأحذية لشراء حذاء، فإنها تختار الحذاء المناسب لمقاس قدمها (يكون اتجاه المطابقة من الحذاء إلى القدم)، بينما حين بحث الأمير عن صاحب محل الأحذية أخذ الحذاء، وطلب البحث عن قدم يناسب مقاسه (يكون اتجاه المطابقة من القدم إلى الحذاء) / (سنديلا) الحذاء ← القدم، (الأمير) القدم ← الحذاء. وينظر قصة سنديلا، المكتبة الخضراء، دار المعارف المصرية، دط، ص 38.

3- سيرل: المصدر السابق، ص 153.

4- المصدر نفسه، ص 153.

لمزيد الفائدة ينظر تحليل: أزيبيط: الخطاب الأساني العربي، ج 2، ص 198-199. وإسماعيل صلاح: فلسفة العقل، ص 221-224.

فلدى الزوج، القائمة سبب في ملء السلة، في حين لدى المفتش امتلاء السلة هو سبب وجود القائمة لديه إذ ما يدونه هو رهين ما يضعه الزوج في السلة، بهذا نستنتج اتجاه المطابقة، الإتجاه المعاكس لاتجاه السببية:



ولتوضيح مثال "أنسكومب" أكثر أضاف "سيرل" افتراض الخطأ في القوائم، فإذا أخطأ الزوج في قراءة القائمة وأحضر لحم البقر بدل لحم غنم فإنه لا يستطيع تصحيح خطئه بمحو كلمه (غنم) من القائمة وكتابة (بقر)، لأنه يفترض به أن يجلب لزوجته ما كان مكتوباً وإلا عاد إلى المتجر لشراؤه من جديد في الآن نفسه، هب أن المفتش تنبه حال التفتيش النهائي أن الرجل أخذ لحم غنم بدل لحم بقر، في الوقت الذي دون هو لحم بقر، في هذه الحال يكون على المفتش فقط محو كلمة (بقر) وكتابة كلمة (غنم) بدلا منها وتصبح قائمته مطابقة للواقع<sup>1</sup>، فالزوج إذا أخطأ أخفق في جعل الواقع مطابقاً لقائمه أما المفتش إذا أخطأ فيمكنه استدراك خطئه بتصحيح كتابة البضائع بالشكل الصحيح، فيحصل على قائمة مطابقة للواقع، وبهذا الشرح المستفيض استطاع "سيرل" النجاح في التمييز بين اتجاه المطابقة من القائمة إلى العالم، ومن العالم إلى القائمة، ثم قال: "هو مثال على تمييزات أعم بين اتجاهات ملائمة من الكلمة إلى العالم، ومن العالم إلى الكلمة، وكذلك من العقل إلى العالم ومن العالم إلى العقل. أتمنى أن يكون هذا التمييز واضحاً، وأعتقد أنه حاسم في أية نظرية عن القصدية"<sup>2</sup>، فوفقاً لمفهوم المطابقة الذي ذكره "أوستين" ورسخه "سيرل" مسهباً في شرحه، ثم عممه على تحديد الأفعال الخطابية وكيفية

1- ينظر سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 153-154.

ننبه هنا بوجود خطأ في كتاب: إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل، ص 223؛ إذ ورد أن «قائمة الزوج لها اتجاه مطابقة من القائمة إلى العالم» والصحيح «قائمة الزوج لها اتجاه مطابقة من العالم إلى القائمة» ونحسب هذا خطأ لم يقع عن خط دليلنا أن الأستاذ صلاح إسماعيل خير من وعى وشرح هذه المسألة وأخذنا الكثير من آرائه العلمية الدقيقة، في هذه المسألة وغيرها من المسائل الدقيقة، إلا أننا نقف على هذا الخطأ فنصححه، وجل من لا يخطأ، للتأكد من إجادته ينظر تحليله في الصفحة 224.

2- سيرل: العقل واللغة والمجتمع، ص 154. و أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج 2، ص 199-200.

تحليلها وفهمها إنطلاقاً من فهم قصديتها، قياساً لعامل السببية المشكل لها أصلاً، وتبعاً لذلك جزم "سيرل" ومن جاء بعده أن للأفعال الخطابية حال الإنجاز "اتجاه مطابقة" بين الكلمات والعالم وأنها تختلف في اتجاهها تبعاً للحالة القصدية الباعثة للفعل الإنجازي.

بناءً على ذلك يكون للمحتوى القضوي للأفعال الخطابية والقوة الإنجازية دور في تحديد الكيفية التي يجب على مضمون الفعل الخطابية أن يرتبط بها مع الواقع، وتحديد اتجاه مطابقته، وبعوده إلى الخطابات التي سقاها في أول هذا المطالب نحاول تحديد اتجاه مطابقته وفق لما استقر لدينا من مفاهيم .

- ناولني حساء لذيذا .

- هذا حساء لذيذ .

- حبذا حساء لذيذ.

في الخطاب (ناولني حساء لذيذ)، قوة إنجازية إنشائية، طلبية، والمخاطب، يطلب من المخاطب -ولیکن عاملاً في المطعم- حساء لذيذاً، أي أن الحساء مستقر في خطابه، وبإنشائه لخطابه، يريد المخاطب محاولة تغيير العالم الواقعي له من حالة عدم وجود حساء إلى حالة وجود الحساء، أي أنه يرمي إلى مطابقة العالم الواقعي لخطابه، لهذا يكون لخطابه اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمات.

وفي الخطاب (هذا حساء)، قوة إنجازية خبرية، يؤكد بها المخاطب وجود الحساء اللذيذ في عالمه الواقعي فهو بخطابه يحاول جعل كلماته هي المطابقة للعالم الواقعي، بهذا يكون لخطابه اتجاه مطابقة من الكلمات إلى العالم.

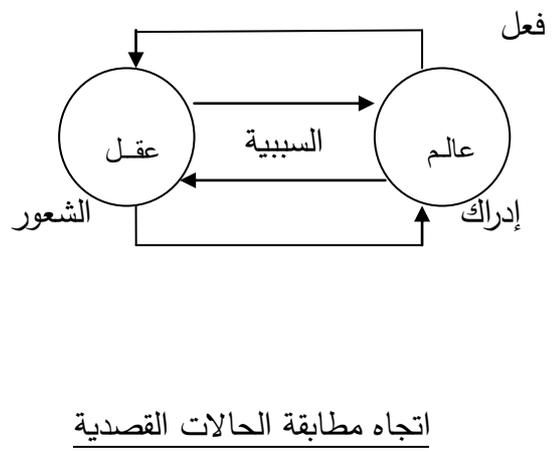
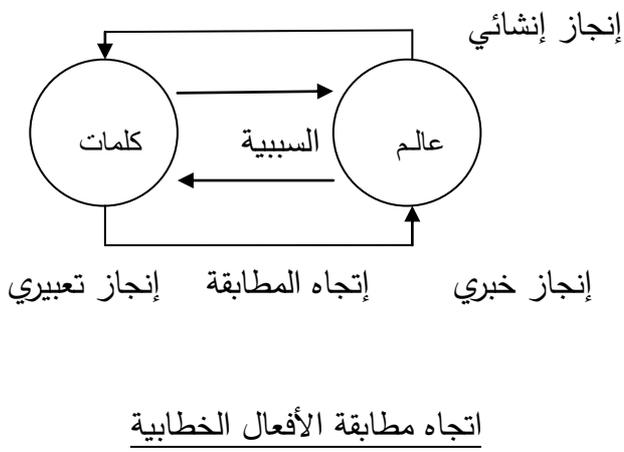
أما في الخطاب الثالث، فالمتكلم يعبر عن حبه للحساء اللذيذ، وهو لا يصف حساء موجوداً فعلاً في عالمه الواقعي، كما لا يرغب في وجوده مستقبلاً بإنجازه لخطابه لذا، فإتجاه المطابقة في الخطاب فارغ تبعاً لكون الحالة القصدية الباعثة له هي شعور المخاطب الذي لا يتعدى مجال الرغبة الداخلية.

بهذا نقف مبدئياً على حالتين لاتجاه المطابقة للأفعال الخطابية:

1- اتجاه مطابقة من الكلمات إلى العالم: وهو اتجاه الأفعال الخطابية ذات القوة الإنجازية التوكيدية: ك: الوصف، والتوكيد والخبر....

2- اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمات: وهو اتجاه الأفعال الخطابية ذات القوة الإنجازية التوجيهية التوجيهية، ك: الوعد، والطلب، والاستفهام.....

إذ يكون اتجاه المطابقة تابعا للحالة القصدية المنشئة للخطاب، بصفتها القصدية الأصلية له، و: "ما هو إلا نتيجة الهدف الانجازي ... ومن هذا اعتبر "سيرل" مبدأ "الانطباق واتجاهه" ركيزة من ركائز الهدف الانجازي"<sup>1</sup>.



ونورد هنا قضيتين لا يستقيم هذا المطلب إلا بهما:

**القضية الأولى:** جزم "سيرل" بأن من الأفعال الخطابية، أفعال ذات اتجاه المطابقة الباطل أو الفارغ، لاحظ وجودها بناء على تعقيد نابعين أساسا من طبيعة الحالة القصدية للخطاب، "التعقيد الأول هو أنه لا تنطوي جميع الحالات القصدية على محتويات خبرية كاملة ونهائية...ويستقي آخر من كون الحالات القصدية ليس لها كلها اتجاه ملاءمة من العالم إلى العقل أو من العقل إلى العالم. حقا أن بعضها يفترض قبلًا أن الملاءمة حدثت أصلا"<sup>2</sup> إن من الحالات المقصودة بتحليل "سيرل" هذا، حالات الفرح، والابتهاج، أو حالات، الحزن، الاشمئزاز الندم وغيرها، فالتعقيد الأول الذي تطرحه أنه قد يشعر الفرد بالفرح والانشراح دون سبب محدد أو وضع معين، كما يحدث أن يشعر أحدنا بالحزن أو الانقباض أو الخوف، دون أن يحدّد سبب حزنه أو مبعث خوفه هذا، وهذه حقيقة فينا لا يمكن لأحد أن ينفىها، فتتكوّن لدى الفرد في مثل هذه الحالات حالة قصدية غير مكتملة المحتوى الخبري، كما أنّ تقاريرها تكون ناقصة، مع ذلك تعدّ هذه الحالات حالات قصدية أما التعقيد الثاني منشؤه وجود حالات قصدية يفترض أصلا صدقها دون اللجوء إلى البحث وتحديد اتجاه تطابقها، فالرغبات والمشاعر

1 - أزيبيط : الخطاب اللساني العربي، ص 200.

2- سيرل : العقل واللغة والمجتمع، ص155.

والأحاسيس، لا يبحث في خلفيتها وأسبابها، صاحبها وحده يستطيع الحكم عليها بالصدق أو الكذب ولا أحد غيره، مع ذلك فيملك حالة قصدية مشبعة دون ضرورة تعلقها بشيء معين وحادثة ما<sup>1</sup>. وتمثل عادة في حالات الشعور أو الإحساس وبناء على ما سبق، تتعدّ أفعال الكلام المعبرة على مثل هذه الحالات القصدية الأصلية، أفعالاً كلامية لا تمتلك اتجاه مطابقة، ولا يحدّد لها أحد الإتجاهين من اتجاهات المطابقة، مثال ذلك الخطابات:

- أعتقد المستقبل أفضل.
- شكرا لك يا أمي.
- أحبك أبي.
- أفخر بكما.

فكلها أفعال خطابية تملك محتوى قضوياً ولها قوة إنجازية أصلية ( موافقة للمحتوى القضوي) تتمثل في: التعبير عن اعتقاد، أداء شكر، تعبير عن المحبة، افصاح عن الشعور بالفخر، على الترتيب، أداها المخاطب وينجح بها في إنجاز الأفعال الخطابية، مع ذلك، إنّ هذه الأفعال الخطابية لا تملك اتجاه مطابقة نحتكم إليه للقضاء بصدقها ونجاحها في أداء الفعل الخطابي الموافق لها بمطابقتها إلى ما حدث فعلاً فتكون على سبيل الوصف أو الاخبار أو ما سيكون فتكون على سبيل الطلب والأمر، إنّ هذه الأفعال الخطابية لا تنتمي لا إلى تلك ولا إلى هذه إنّما هي أفعال تعبيرية يؤدي بها المخاطب أفعال لتمثيل حالة قصدية أصلية له مبعثها الشعور، في حالة أصلية مشتقة يفترض صدقها وكفى، لذا لا تملك اتجاه مطابقة، إذ يفترض فيها التّحقّق سلفاً وقطعاً.

**القضية الثانية:** يجزم "سيرل" بوجود أفعال خطابية تملك اتجاهين للمطابقة في الوقت

نفسه، اتجاه مطابقة من الكلمات إلى العالم واتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمات، من هذه الأفعال: تصريحات وإعلانات وقرارات، وميزتها أنّها تساهم في "إحداث شيء جديد أو خلق حالة جديدة من حالات الأشياء عن طريق النطق أو التعبير بالكلام فقط"<sup>2</sup>، فلا شكّ خطاب الرئيس الجزائري "هواري بومدين".

- قررنا تأميم المحروقات.

1- ينظر مطلب تعدد اتجاهات المطابقة بين الحالات القصدية والعالم في الفصل الأول من هذه الدراسة.

2- سيرل : القصدية، ص 216.

ليس مجرد فعل خطابى واصف، يصف حقيقة تأميمه للمحروقات، بل قام عن طريقه بتغيير واقع كان سائدا قبل الخطاب هو هيمنة الشركات الأجنبية على المنشآت البترولية الجزائرية، وانطلاقا من هذا الفعل الخطابى، نجح الرئيس في تحقيق تغيير الوضع السائد حينها، فحين أعلن الرئيس تأميم المحروقات يكون بصدد مطابقة العالم للخطابه أي أنّ الخطاب له اتجاه مطابقة من العالم إلى الكلمات، ثم يوجد في الوقت نفسه لهذا الخطاب اتجاه آخر للمطابقة من الكلمة إلى العالم - كيف ذلك؟ - أي إقراره بتأميم المحروقات وتغيير الوضع القائم. إنّ منجز مثل هذه الأفعال الخطابية "يحاول أن يحدث تغييرا في العالم حتى يحقق المضمون اللغوي للقصد، في اتجاه مطابقة من العالم إلى العقل، ويتمثل العالم كما لو كان قد تغير أي التعبير عن المضمون اللغوي نفسه باتجاه مطابقة من العقل إلى العالم. لذلك لا يقدم فعليين كلاميين باتجاهين مختلفين، وإنما يقدم فعلا واحدا باتجاهين مختلفين للتطابق" <sup>1</sup> يمكننا أن نقيس على ذلك حالات خطابية عديدة مثل: صيغ الزواج، أو الطلاق، مختلف الإعلانات كـ: إعلان افتتاح الجلسة أو الاجتماع، إعلان الاختتام، إعلان القرارات أو الأحكام الآتية التنفيذ، فإذا نجح منجز الفعل الخطابى في إحداث التغيير الذي يفترضه لخطابه "يكون قد غير العالم بتمثله متغيرا، وبالتالي يحقق كلا الاتجاهين للمطابقة بفعل كلامي واحد" <sup>2</sup>. غير أن منجز الخطاب لا تكون له هذه القدرة على التغيير إلا إذا جاء الفعل الخطابى مؤسسا ومؤظرا مؤسساتيا، قائما داخل مؤسسة يستطيع المنجز فيها الإنجاز ويملك القدرة عليه، فليس في مقدور أيّ كان إعلان افتتاح جلسة الأشغال أو اجتماع ما إذا لم يكن مخولا في إطار مؤسساتي أو إجتماعي لفعل ذلك، كأن يكون رئيسا للجلسة أو قائما بأعمالها، كما لا يمكن لأي كان أن يعلن زواج أو طلاق زوج إذا لم يكن مخولا شرعا وقانونا بذلك كأن يكون رجل دين أو قاضيا؛ فمثل هذه الأفعال الخطابية لا تنجز إلا داخل تنظيم مؤسساتي "حيث يكون في سلطة المتحدّث وضع هذه القواعد الجديدة وتقديم الأفعال الكلامية المناسبة. تكون كلّ التصريحات اجتماعية ونتاج مؤسسات اجتماعية حضيت بموافقة مجتمعية. تضع هذه المؤسسات مجموعة من القواعد التأسيسية التي يخضع لها أفرادها" <sup>3</sup>. فمثل هذه الأفعال الخطابية تمتلك سلطة الأحداث من سلطة ممنوحة سلفا لمنجزها بالقدرة مؤسساتيا على تفعيلها فيكون تفاعل الآخرين معها احتراما لتلك السلطة وإقرارا بها وجودا وفاعلية، فالرئيس إنّما يمتلك قوّة وفاعلية تأميم المحروقات إنطلاقا من تنصيبه رئيسا من طرف مجموع

1- سيرل: المصدر السابق: ص 217.

2 - المصدر نفسه: ص 217.

3- نفسه، ص 216، وينظر Searle : les actes de langage, P92.

المؤسسات القانونيّة والإجتماعية المخولة له لإدارة شؤون البلاد ومقدراتها. لذا لا يمكن لأي فرد من الأفراد إنجاز مثل هذه الأفعال الخطابية وإلا فقدت قيمتها كإنجاز محدث. "فتشهد الأفعال الإنجازية ذات الطبيعة الإيقاعيّة المحدثة قوتها من استنادها إلى مؤسسة خارج لسانية تمكن من اشتقاق قوة إنجازية لها أصل في المؤسسة الإجتماعيّة، بينما الأفعال التي لا تستند إلى أيّة مؤسسة لسانية لا تتيح إلا اشتقاق قوة إنجازيّة عرضية من صميم اللغة"<sup>1</sup> ، أنظر إلى الخطابات التالية:

- قررنا ايداع المشتبه فيه الحبس الاحتياطي.

- أعلن منح "علا" الدّرجة العلميّة.

إن منجز كلّ خطاب من الخطابات المذكورة، منجز مخصوص، لا يؤديها أي كان في مناسبة كانت. الخطاب (قررنا ايداع المشتبه فيه الحبس الاحتياطي) فعل خطابي لا يحصل الإحداث به إلا إذا كان قائله، قاضي تحقيق أثناء أداء وظيفته الرّسميّة أي في ساعات عمله وهو يحقق في القضية المعني بها المشتبه، فالإطار المؤسّساتي له من يعطيه السّلطة للأداء بقراره وإحداث التّغيير به، بحبس المشتبه فيه بعد أن كان حرّاً طليقا، وكذا الاعلان في الفعل الخطابي (أعلن منح "علا" الدّرجة العلميّة) فعل إنجازي يضمن قوّة التّغيير فيه استيفاء جلسة المناقشة العلميّة واتّفاق الأساتذة على نجاح "علا" لمنحها الدّرجة العلميّة، ليقوم بإعلان المنح الأستاذ رئيس جلسة المناقشة، فينتقل وضع "علا" من مجرد مترشّحة للدّرجة إلى حائزة عليها بناء على قرار وفعل الإعلان.

إنّ الإخلال بشرط التأسيس المؤسّساتي للأفعال الخطابية من هذا القبيل، ينسف القيمة الإنجازيّة للأفعال، حتّى وإن وقع انجازها في الواقع، أنظر للحادثة الآتية:

في الساعة السابعة صباحا ركب رجل حافلة نقل عمومي، قاصدا التّوجّه إلى مقر عمله، في الطّريق طلب من قابض الحافلة إخفاض صوت الموسيقى فيها قائلا :

- أخفض صوت الموسيقى من فضلك، فأجابه القابض بالرفض، فأعاد الرجل طلبه بصيغة أخرى.  
- أخفض صوت الموسيقى، فأجابه القابض بالرفض، مصرا على موقفه ، التزم الرجل الصمت لمدة من الزّمن، ولمّا وصل إلى وجهته نزل من الحافلة، وأخذ يدون الرقم التسلسلي لها، فنزل القابض إليه، ناهرا له، متعجبا.  
- لماذا تفعل هذا؟ انصرف. فأجابه الرجل.

1- أزيبط : الخطاب اللّساني العربي، ص204.

- أنا الآن أمارس وظيفتي، وفي أوقات عملي الرسميّة. نظر القابض متعجبا، فأردف الرجل:

- قلت لك أخفض الموسيقى ولم تفهم، الآن.

- أخفض صوت الموسيقى، أنا شرطي لمراقبة السير في هذه المنطقة. سترى....

لا شك أنّ الفرق في إيقاع القوة الإنجازيّة، في الخطابين الأوّل والأخير تختلف اختلافا بيّنا مردّ ذلك؛ قيمة الإطار المؤسّساتي الذي يعطي للخطاب الأخير قوّة خارج لسانيّة تدعم قوّته الانجازية وتعطيها صبغة الفاعلية في الآن نفسه، فتجعلها بذلك أوقع وأظهر فاعلية.

كانت هذه سمات الافعال الخطابية التي حدّدها "سيرل" انطلاقا من تمييزه لنقاط التشابه بينها وبين سمات الحالات القصدية، ما مهّد له وضع مقاييس دقيقة لتصنيف مختلف الافعال الخطابية بعيدا عن مجرد جمعها في أنماط يجمعها نسق مشترك، المبحث الموالي سيعرض بالتحليل والشرح والتمثيل المقاييس التي حدّدها "سيرل" لتصنيف الأفعال الخطابية، وكذا التصنيف الذي أقرّه.

### III. مقاييس وتصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل":

لقد صنف "سيرل" الأفعال الخطابية وفقا لمقاييس؛ وضعها للتمييز بين مختلف أنماط الأفعال الخطابية، ونتطرق لها بالتحليل مظهرين أهمية "مبدأ القصدية" في اعتبارها ووضعها وتصنيفها:

#### III. 1. مقاييس تصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل":

لقد إنطلق "سيرل" في تصنيف الأفعال الخطابية من وعي بسماتها، ثم وضعه لمجموعة من المعايير التي يبين الفروق الجوهرية بين مختلف الأفعال الخطابية، مغيرة طريقة الحكم عليها انطلاقا من تعددها وتجدها، وفقا لقصدية منجزها. ساد تصنيف "أوستين" محددا مجالات الأفعال الخطابية في خمس - القرارات، الممارسات، ضروب الإباحة، السوكيات، المعروضات - مع وجود انتقادات كثيرة وجهت إليه أهمها أن تصنيفه ارتكز على الفلسفة التحليلية وجانب الجانب الواقعي الذي ينشئ الأفعال الإنجازية وفق معاييرها اللغوية والاستخدام المخول لها لغويا يقول "بنفست(1965م)" ردا على "أوستين" "وهذا ما يشكّل للظاهرة الإنشائية خاصية وحيدة، وهي إحالتها على الواقع الذي كونها في حد ذاتها، بحيث، تغدو وتعابرها خاضعة لشروط جعلت منها أفعالا. ومن هنا ينبثق التجلي اللساني المنطوق به، الناتج عن الواقع، واعتباره منجزا للأفعال اللغوية" 1 ، فالأصل في الأفعال الخطابية، الصبغة اللسانية لها، ذلك أنها تظهر عبر القصدية المشنقة لمنجزها لا غير، مع ذلك يجب تحديد أن ظروف إنجازها وملابساته هي مؤطرات خارجية لها، ويمكنها التحكم في تركيبها إلا أنها لا تلغيها كلية وتبقى القوة الإنجازية لها لسانية وإن كانت باقي الظروف الخارجية مساعدة على تحديدها "وقد كان من الصعب نقد التصنيف المقترح وتقديم تصنيف آخر بكل ما يكفي من الضمانات دون طرح مباشر لمسألة المقاييس" 2 ، هذا ما تقطن له "سيرل" وعمل على تحديده في إثنا عشر مقياسا، تساهم في تصنيف الأفعال الخطابية، هذه المقاييس حسبها هي:

#### III. 1-1. اختلافات بالنسبة لقصد الفعل أو المناسبة:

إذ يختلف قصد إنجاز السؤال عن قصد إنجاز الأمر عن قصد إنجاز الفعل الخطابي الخبري، كما تختلف مناسبة استعمال كل فعل خطابي مخصوص، وهذا يتقاطع مع القاعدة

1 -نقلا عن: أزيبط: الخطاب اللساني العربي : ج2، ص183-184.

2 -أرمينكو: المقاربة التداولية، ص83.

الأساسية من القواعد التي تحكم استخدام دلائل القوة عند "سيرل"، فقصد المخاطب في إنجاز خطابه بالطريقة التي يرومها إنما مبعثة التأثير في المخاطب بشكل معين متأمل مسبقاً. إلا أننا نسجل بأن هذا التأثير قد يحصل بالشكل المتأمل وقد يحصل بشكل معاكس له كما قد لا يحدث أبداً، ففي الخطاب:

- أدرس جيداً؟

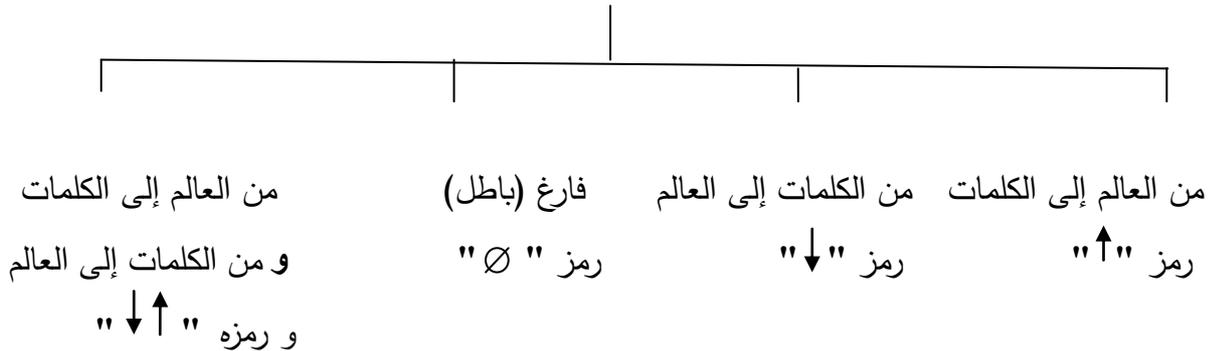
- تدرس جيداً.

تبدى بنية الخطابين الحاملين لمضمون قضوي واحد إلا أن القصد فيهما مختلف ما يوكد تباين في رد فعل المخاطب ففي الوقت الذي قد يفرحه الخطاب الأول، لوجود شخص يهتم لحسن سير دراسته، قد يسبب له الخطاب الثاني الغضب والإمتعاض لوصول قصد المراقبة في الخطاب إليه.

### III. 1-2. الإختلاف في اتجاه المطابقة بين الخطاب والعالم:

بناء على ما سبق ذكره في السمة الرابعة من سمات الأفعال الإنجازية عند "سيرل" يمكننا أن نختصر هنا بتحديد القول في تعدد إتجاهات المطابقة بين الخطاب والعالم وفق حالات أربع:

#### إتجاهات المطابقة



ولنا الخطابات التالية بإتجاهاتها المختلفة للمطابقة:

- يونس ناجح. ↑↓ (قرار مجلس القسم).

- يونس ناجح؟ ↑ (بتنظيم الاستفهام).

- يونس ناجح. ↓ (جواب عن سؤال: ما نتيجة يونس الدراسية).

- يونس ناجح! ∅

نلاحظ من الخطابات المذكورة أن الخطابات حاملة لمحتوى قضوي واحد إلا أن لكل منها إتجاه مطابقة خاص بها تبعا للقوة الإنجازية الواسمة لها، وهذا حسب قصدية منتج الخطاب.

### III. 1-3 . الاختلاف في الحالة النفسية المعبر عنها:

إنّ الأفعال الخطابية تتباين إنطلاقاً من قصد إنشائها وقصدية خطاباتها، وكلّها تمتلك محتوى قضوي يقوم به منجز الخطاب، أمّا قوّته الإنجازية فتظهر موقفه تجاه هذا المضمون، سواء كان مخلصاً أم لا<sup>1</sup>، فإن من يأمر يأمل من المخاطب القيام بالعمل، ومن يشكر يعبر عن رضاه وامتنانه للمتفضل، ومن يسأل يتأمل الإجابة الشافية عن سؤاله.

والاختلاف في الحالة النفسية المعبر عنها محمول على شرط الصدق<sup>2</sup>، فالمفترض حسب "سيرل" أن يكون المخاطب دائماً صادقاً في تعبيره على ما يستضمره من اعتقادات أو معارف أو أحاسيس.

- من جاء؟ (معبراً عن اعتقاد التساؤل الفعلي لإرادة المعرفة).

- أسعد لنجاحك (معبراً عن سعادته وفرحه).

انطلاقاً من هذه المبادئ الثلاث، استطاع "سيرل" استقصاء الأنماط الأكثر قابلية لتجميع عدد لا بأس به من الأفعال الإنجازية وهي: "الإعتقاد (كالتأكيد، والملاحظة، والتفسير، والافتراض، والاستنباط) والمقصد (كالوعد، والتمني، والتهديد) والرغبة أو الحاجة (كالطلب والأمر والترجي، والابتهال) الابتهاج (كالتهنئة، وحيّة الترحيب)"<sup>3</sup> وذكرها أزابيط، ذكراً أفعال الابتهاج تحت تسمية أفعال الإرضاء<sup>4</sup>.

إضافة إلى هذه المقاييس الثلاثة، التي استطاع عزو أكثر الأفعال الخطابية إلى الاختلاف فيها ذكر "سيرل" سلسلة أخرى من المقاييس تساهم في تحليلها وتصنيفها، وتتمثل في:

### III. 1-4 . الاختلاف في درجة كثافة القوة الانجازية:

تؤدي عديد الأفعال الخطابية لمحتوى قضوي واحد، إلا أننا يمكن أن نحدّد فيها اختلافاً ظاهراً على مستوى القوى الإنجازية له ودرجة إحداثها، لشرح ذلك نورد الخطابات التالية:

1 - أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 64.

2 - أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ص 200.

3 - أرمينكو: نفسه، ص 64.

4 - أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ص 200-201.

- احضر إلى مكتبي.
- احضر حالا إلى مكتبي.
- احضر إلى مكتبي من فضلك.
- احضر إلى مكتبي لو سمحت.
- أرغب أن تحضر إلى مكتبي.

إنّ هذه الأفعال الخطابية المذكورة تمثل أداء، محتوى قضوي واحد، يتمثل في الحضور إلى مكتب منجز الخطاب، إلّا أنّ تصنيف هذه الأفعال الإنجازية لا ينحصر في نوع واحد من أصناف الأفعال الخطابية بل يتوزّع على، الطلب، الأمر، الالتماس، الرجاء، ورغم أنّ الخطابين الأوّل والثاني يحملان معنى الالتزام نلمس تخفيفاً للقوة الإنجازية الأمرية في الخطابين الثالث والرابع، يظهر ذلك عبر البنية النسيجية للخطاب وطريقة أدائه، عن طريق الواسمين (من فضلك) و(لو سمعت) اللتان توحيان بمحاولة المخاطب استمالة المخاطب وكسبه. أمّا الخطاب الخامس فدرجة التخفيف فيه أخرجته من الطلب والالتزام إلى مجرد التعبير عن رغبة ووصف أمنية. حيث "كثيراً ما ترتبط بدرجة التصريح بالعمل قوّة وضعفاً أو بالفعل الانشائي المستعمل إذا كان العمل صريحاً"<sup>1</sup>، إذ حتّى في حال الأفعال الإنجازية الصريحة تختلف حسب قوتها الإنجازية في كثافتها ففرق بين (أحضر)، (أمرك أن تحضر)، (أقسم عليك أن تحضر).

### III. 1-5. الاختلاف في وضعيّة وعلاقة المتخاطبين فيما بينهم وبين الخطاب:

وتتمثّل بشكل مباشر في قدرة منجز الأفعال الخطاب على تكثيف القوّة الإنجازية للخطاب، يتّضح هذا أكثر في التوجيهات والالتزاميات، فمن لا يستطيع أن يأمر لا يستطيع إنجاز فعل الأمر، ومن لا يستطيع الوعد لا يستطيع إنجاز فعل الالتزام بالوعد وهكذا، هذا ما يوافق القاعدة التمهيدية من شروط "سيرل" فالفعل لا يستطيع أن يأمر رئيسه، بل يطلب منه أو يرجوه، والانسان يدعو الله عزّ وجلّ ولا يأمره، تبعاً لقيمة المتخاطبين وعلاقتهم ببعضهما البعض.

1- ريبول (آن) و موشلار (جاك) : القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: شكري المبخوت: ص 74.

### III. 1-6. الاختلاف في علاقة الخطاب بمصالح المتخاطبين:

إنّ الأفعال الخطابية تختلف، في علاقتها بمصالح المتخاطبين، فأفعال ك: الأمر والرجاء والالتماس والطلب ترتبط بشكل مباشر بمصلحة المخاطب، في حين أنّ المخاطب ينجز أفعال خطابية أخرى لصالح مخاطبه، من ذلك: التهنئة، التناء، الشكر، الوعد، الأسف.

### III. 1-7. الاختلاف في العلاقة مع بقية الخطاب:

يتعلق هذا المقياس بقضية وجود بعض العبارات داخل الأفعال الخطابية تحيل على أجزاء أخرى من الأفعال، وتكون في الأفعال الخطابية المركبة 1 نجد في الأفعال الخطابية:

- الأفعال ذات علاقة التكافئ: تحوي واسمات مثل: أؤكد، أصدق.....

- الأفعال ذات علاقة تبعية: تحتوي واسمات مثل: أشرح، أقصد، أفسر، أوضّح، إلّا أنّ أي يمكن، لأنّ، ألخص.....

فوظيفة بعض العبارات الإنشائية "أنّها تعمل على ربط التلّفظ بباقي الخطاب (أو كذلك بالسّياق المحيط)" 2. منذ ذلك العناصر الرابطة و العناصر الإحالية سواء كانت الإحالة إلى الخطاب وأجزائه أو إلى العالم الخارجي عن الخطاب، ك الإحالة إلى الأشياء أو الأماكن أو الأحداث.

### III. 1-8. الاختلاف في المحتوى القضوي الذي تحدده آليات مرتبطة بالقوة المتضمنة في

القول:

إنّ وجود القوة الانجازية في الفعل اللغوي، تعمل على إظهار المحتوى القضوي له، سواء كانت أصلية أو مستلزمة، " حيث تؤدي المخصّصات اللغوية دورها الهام في الفرق بين الأفعال اللغوية

1 - من حيث التركيب: الأفعال الخطابية قسمان:

أفعال بسيطة: تقدم فعلا خطابيا واحدا.

أفعال مركبة: تركيب تفسيري أو تكافئ.

2 - أزيبيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 202.

إنجازيًا ومصمونيًا، فضلا عما تؤدّيه العناصر غير اللسانية " 1 ، ما يؤكد ما ذهبنا إليه من إمكانية عدّ عناصر غير لسانية في واسمات القوّة الانجازيّة (كأسارير الوجه، والاشارات المصاحبة)، لحملها لمضامين حالة قصدية مصاحبة للخطاب المنجز، و "سيرل" في هذا المعيار " لم يبيّن طبيعة الواسم القضوي الذي تلتجئ إليه عبارات "التقرير" أو عبارات التوقّع، هل هو واسع لغوي أو غير لغوي " 2

للتوضيح أنظر للأفعال الخطابية التالية:

- المؤمن يدخل الجنة.

- المؤمن سيدخل الجنة.

يتضمن الفعلان الإنجازيان محتوى قضوي واحد هو التنبؤ بدخول المؤمن الجنة، وفيهما قصد الاستقبال فليس واردا حدوث ذلك في الحاضر أو الماضي، فما طبيعة واسم فعل التنبؤ في الخطاب (المؤمن يدخل الجنة)، حتما هوليس واسما لساني ذلك أن الخطاب خبري. إضافة إلى هذا أنظر للخطاب:

- ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14)﴾ [الليل 14]

فالإنذار لا يكون إلا لشرّ يتوقّع وقوعه مستقبلا، في حين استعمل فعل "أنذر" بصيغة الماضي، فما واسم القوّة الانجازيّة في هذا الخطاب إنّه علاقة عناصر المحتوى القضوي بينها وبين ما يملكه المخاطب من حالة قصدية، يدرك بها أنّ النّار أحد الجزاءين، يتوعدها الشقيّ من الناس، لا السعيد، أمّا مجيء الصياغة في الماضي فله قصد اللاحاح في التذكير بأنّ الإنذار قد تمّ فعلا.

### III. 1-9. الاختلاف في التجسيد الفعلي للأفعال الخطابية:

يختلف الفعل الخطابي حال إنجازه، عن المحتوى القضوي له بصورة معزولة عن إنجازه هذا ما يولّد الاختلاف في درجة التّجسد له في الواقع، مثلا:

- أفزعتك.

- أعتذر أنني أفزعتك.

1 - أرابيط: المصدر السابق، ج2، ص203.

2 - المصدر نفسه، ج2، ص203.

فالفعل الخطابي "أفزعتك" يحوي قوّة إنجازيّة خبريّة، مؤدّاها إخبار المخاطب للمخاطب بأنّه أفزعه، مثلاً بسيره في الظلّمة بهدوء حتّى تقاجاً بوجوده، إنّ فعل الإخبار هذا إنّ قصدية المخاطب الاعتذار، فإنّه قد لا يحدث، إذ لا تقي الحالة الاخباريّة بالنسبة للمخاطب ليفهم قصد منجز الخطاب بالاعتذار، هنا لا يعدّ المخاطب (أفزعتك)، فعل انجازي ينجز بمجرد تلفّظ المخاطب به، في حينه، ذلك أنّ الفعل تام ومباشر. إنّ تمايز الفعل الخطابي إنجازاً عن المحتوى القضوي له، تماماً يطابق مفهوم تمايز فعل القصد عن مضمونه.

### III. 1-10. الاختلاف في الحاجة إلى سند مؤسّساتي:

تستند بعض الأفعال الانجازية إلى تنظيم مؤسّساتي يتّصف بأنّه غير لساني، فيوفّر لها منح سلطة لمنجز الخطاب حتّى يكون لخطابه قوّة إنجازيّة فاعلة، "غالبا ما تكون في حاجة في إنجازها إلى وضعيّة أو موقف خاص بالمتكلم والمستمع، في حضن المؤسّسة" <sup>1</sup> فكّما كانت سلطة منجز الفعل الخطابي قويّة، أثمرت قوّة إنجازيّة توقع الفعل الخطابي، لا تعني المؤسّسة وجود مؤسّسة إداريّة أو حكوميّة أو قانونيّة بالمعنى الهيكلي بل هي أي مؤسّسة اجتماعية ترتبط وترتب العلاقة بين المخاطب والمخاطب ك: رئيس ومرؤوس، مدير وموظف، من أب الى ابنه، أو أخ أكبر، من أستاذ الى طالب من أمّ الى ابنها مفتي وعامة المسلمين، وتسنّد إليها أفعال: القرارات والأحكام والتّوجيهات عامة مثلاً:

- لا تشرب الخمر.
  - ابتعد عن رفقاء السّوء.
  - هات أوراقك التّبوتية ورخصة سياقتك.
- كما تنجز من ابن إلى أبيه، من ابن: إلى أمّه، من طالب إلى أستاذه، من عامة المسلمين إلى المفتي.... مثلاً:

- أنت أحنّ النّاس عليّ.
- ممتنّ لفضلك يا أبي.
- أشكرك على سعة صدرك.
- كيف أرّق صلّاتي حال الخطأ.

1-أرمينكو: المقاربة التداولية، ص 65.

بالمقابل كثيرا ما ننجز في حياتنا اليومية أفعالا خطابية لا نحتاج فيها إلى دعم مؤسس أو سلطة توجيه، من ذلك التعبيرات وقسم من التوكيدات، وبعض أفعال الطلب بين الأنداد، وكذا الإلزاميات، والتي تشترط بشكل أساسي صدق منشئها، دون الحاجة إلى سلطة تراقبه.

- سأنجح في دراستي.

- وفقك الله.

- أسعد لنجاحك دائما.

- أعطني ورقة بيضاء.

### III. 1-11. الاختلاف في ارتباط الأفعال الخطابية في إنجازها باستعمال فعل إنجزي ما أو لا:

نميّز حسب هذا المقياس بين أفعال خطابية يرتبط إنجازها بذكر فعل إنجزي معيّن وأفعال إنجزية لا يرتبط إنجازها بذكر فعل إنجزي معيّن وإذا كانت مجمل الأفعال الإنجزية المصدرّة بفعل إنجزي صريحة وقوية الإنجاز ومباشرة فإنّ من الأفعال الخطابية في وقائع خطابية معيّنّة لا تعدّ أصلا أفعال إنجزية حاوية للفعل الإنجزي المقصود من آدائها إلا إذا تصدرها فعل إنجزي صريح يؤدي به الفعل الإنجزي مثلا: شهادة الدخول في الإسلام لا يتمّ الدخول في الدين الإسلامي لغير المسلم إلا إذا أدى فعلا خطابيا مخصوصا بأداءه شهادتين مباشرتين ومقترنتين هما:

- أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنّ محمدا رسول الله.

فالدخول في الإسلام لا يتمّ إلا بإتمام الشهادة بهذه الصيغة، ولا يعدّ مسلما من ينجز فعلا خطابيا واحدا فقط منهما كأن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، أو أن يقول: أشهد أنّ محمدا رسول الله.

ولا يعدّ داخلا في الإسلام من قال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله إلا إذا قرنها بالفعل الإنجزي أشهد عند أداء الشهادة لأول مرّة، مع أنّ المسلمين يؤدون الشهادة دائما دون قرنها بالفعل الإنجزي في سائر أيامهم، ويتمّ أداء شهادة الدخول في الإسلام أمام شهود من المسلمين وجو احتفالي، لينتقل بمجرد أداء هذين الفعلين الخطابيين (المعدودين في قيمة الفعل الإنجزي الواحد) إلى اعتناق العقيدة الإسلامية والتسليم بالخضوع إلى أحكامها.

نقيس على هذا المنوال عديد الأفعال الخطابية بفعل القسم أمام هيئة المحكمة، أو أمام القاضي التصريح باستعمال الفعل الإنجزي مباشرة تقاديا لوقوع الالتباس أو التلبّيس.

### III. 1-12. الاختلاف في أسلوب الفعل الانجازي:

آخر المقاييس التي حددها "سيرل" منظرا لفاعلية إيقاع الأفعال الإنجازية، وما يميّزها عن بعضها البعض، الاختلاف في أسلوب الإنجاز نفسه، أنظر الأفعال:

- إنّ الحزن يولد كبيرا ثمّ يصغر.
- طبع الحزن التبدّد.
- يتلاشى الحزن مع الزمن.

إنّ هذه الأفعال الإنجازية، على اختلافها تمثّل فعلا إنجازيا واحدة هي الإخبار، محتواها القضوي أيضا واحد "الإخبار بطبيعة الحزن" إلا أنّها تختلف في أسلوب الإنجاز فتظهر كل منها حالة قصدية أصلية مضمرة باعثة تختلف حتما عن بعضها البعض لذا ظهر خرج الخطابات فيها مختلفا متباينا.

### III. 2- تصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل":

يمكننا أن نجمل إنطلاق "سيرل" من ملاحظتين وجهت وضعه لسلسلة المقاييس:

أ- "أوستين" صنّف الأفعال الخطابية إنطلاقا من بنيتها التّسقيّة وضرورة وجود فعل إنجازي صريح لإتمام ذلك، في حين أنّنا في حياتنا اليومية ننجز سلسلة لا حصر لها من الأفعال الخطابية دون استخدام أي فعل إنجازي صريح.

ب- "أوستين" صنّف الأفعال الخطابية تصنيفا يلحظ معه تداخلا بين أقسام الأفعال الإنجازية وانتماء الأفعال الخطابية لها، كما يمكن أن يحوي القسم الواحد "أفعالا مختلفة اختلافا شديدا لا يستجيب جزء منها للتعريفات التي وضعها "أوستين" 1.

وبناء على مجموع المقاييس اللسانية وغير اللسانية، التي اعتمدها "سيرل" في تمييزه بين الأفعال الخطابية، بإيلائه الأهمية لقصدية الأفعال الخطابية، الدافع الأساسي للقوة الإنجازية للفعل الخطابي مؤطرا بالواقعة الخطابية المنجز فيها، وضع "سيرل" تصنيفا جديدا، وصف بالجدّي 2 يضم خمسة أقسام هي:

1 - ريبول (آن) و موشلار (جاك) : القاموس الموسوعي للتداولية، ص 76.  
2 - ينظر: أزابيط : الخطاب اللساني العربي، ص 208.

### III. 1.2. الأفعال التوكيدية: Assertive acts: (الجزميات، الإثباتيات، التأكيدات،

#### (التمثيلات)

إنّ منجز الخطاب في هذه الفئة من الأفعال الخطابية يلتزم بتأكيد صدق محتوى القضية، المتحدّث عنها، "على أن يكون شيء ما حالة بالفعل، لتعيين قيم الحقيقي والخطأ" <sup>1</sup> ، فيكون معيار الحكم على هذا النوع من الأفعال الخطابية معيار [الصدق/الكذب]، فإذا كان المحتوى القضوي للفعل الخطابي مطابقاً للحالة التي يتعلّق بها فهو يعبر عن حقيقة وبذلك يكون الحكم عليه بالصدق، فإن خالف ذلك حكمنا عليه بالكذب، مؤدى هذا النوع من الأفعال الخطابية وجود الحدث أو الحالة أو الشيء موضوع الخطاب في العالم أولاً اسم في الخطاب ممثلاً اتجاه مطابقة من الخطاب إلى العالم.

واقترح "سيرل" ترميز هذا النوع من الأفعال الخطابية، كالاتي:

— ↓ عق (خ) .

حيث:

— مؤشّر القوة الانجازية للجزميات.ذ  
↓ اتجاه المطابقة من الخطاب إلى العالم .

عق مؤشّر الاعتقاد.

خ المضمون القضوي للخطاب.

فالأفعال التوكيدية إذا، تمثّل بشكل أساسي ومباشر اعتقاداً ما يضمّره المخاطب في ذهنه، ثم يلتزم صدقه في إظهار اعتقاده ذاك، مثال ذلك الخطابات:

- لا بأس .

- حضرت على الساعة 08:00 صباحاً.

- لم أقرأ هذا الكتاب بعد.

### III. 2.2. الأفعال التوجيهية: Directive acts: (الطلبات، التوجيهات، الأوامر)

إنّ القوة الانجازية للأفعال التوجيهية، تصدر عن إضمار المخاطب حالة قصدية تدفعه إلى جعل المخاطب يقوم بشيء ما، سواء كان الشيء المراد قولاً أو تصرفاً، والحالة النفسية الموافقة لهذه الفئة من

1- أرمينكو (فرانسواز): المقاربة التداولية، ص 65.

الأفعال تتمثل في رغبة أو رجاء أو إرادة المخاطب أن يقوم المخاطب بشيء، أمّا اتجاه المطابقة، فيكون من العالم إلى الكلمات، عكس اتجاه السببية ذلك أنّ الخطاب هو سبب إحداث الشيء مثال:

- أعطني كتاب "المتوكل".

فالمخاطب يضمّر رغبته في الحصول على (كتاب المتوكل)، ويحاول دفع المخاطب أن يعطيه إيّاه بطلبه منه، فيكون الطلب (المصاغ في خطاب) سياقي حصول المخاطب على (كتاب المتوكل) فيكون اتجاه السببية من الخطاب إلى الواقع، ليظهر اتجاه مطابقة الحالة القصدية الأصلية، واتجاه مطابقة الحالة القصدية المشتقة متطابقين عكس اتجاه السببية من الواقع إلى الخطاب أي من العالم إلى الكلمات واقتراح " سيرل " ترميز هذا النوع من الأفعال الخطابية كالتالي:

! ↑، [ (مخ) ينجز (ف) ].

! رمز التوجيه 1.

↑ اتجاه المطابقة من الخطاب إلى العالم.

مخ المخاطب.

ف فعل ما ينجز في المستقبل.

ويضم هذا النوع من الأفعال: الطلب، الأوامر، .....، الرجاء، النهي، التعليمات، ..... "والاستفهام فرع من فروع الطلب، بما أنّ المتكلم يطلب من المخاطب أن يجيب، ويتم فعلا لغويا معينا" 2 ، مثال ذلك الخطاب:

- ما رأيك في هذه المسألة؟

- كيف حالك؟

فتدخل بذلك ضمن هذا النوع من الأفعال الخطابية الاستجواب، والتحقق والاستعلامات .....

### I. 2. 3. الأفعال الإلزامية: Commissive Acts : (الوعديات، الإلتزامات)

القوة الانجازية لهذه الأفعال، هي إلزام شخص ما نفسه على فعل شيء مستقبلا (سواء كان ماديا أو معنويا )، واتجاه المطابقة فيه من العالم إلى الكلمات، ويتعلق شرط الإخلاص فيها، بصدق قصد المتكلم القيام بالفعل الذي الزم نفسه بالقيام به، والمحتوى القضوي لها (المتكلم يقوم بفعل(ف) مستقبلا)، وترميزها المقترح هو:

1- Searle : les actes de langage :P 70.

2- أزيبط : الخطاب اللساني العربي، ج 2 ، ص 209.

ل أم [ (ك) ينجز (ف) ]

(ل) مؤشر القوة الانجازية للالزاميات.

أ: اتجاه المطابقة من العالم إلى الخطاب .

م : مؤشر الحالة النفسية - القصد-.

ك: المتكلم .

ف: فعل ما ينجز في المستقبل.

والمضمون القضوي للفعل الخطابي انجاز المتكلم للفعل القاصد الالتزام به. و"ويسجل "سيرل" من هنا بأن الأوامر والالتزامات تقوم التوجيهات نفسها، فيما يخص مطابقة العالم للكلمات، ولا تساقها فيما يخص منقذ الفعل - إذ نجد المتكلم في حالة والمستمع في أخرى - الذي يحول دون تجميعها في الصنف نفسه<sup>1</sup> ما يجعلنا نجزم بالأهمية التي أولاها "سيرل" لمتلفظي الخطاب أو المتعلق بفعل التأثير، ففي التوجيهات يقع تأثير الفعل الخطابي على غير المخاطب نفسه بل على شخص آخر هو السامع المخاطب (متلقي الخطاب)، المقصود بفعل التوجيه، ويكون المتلقي انطلاقاً من ذلك الخطاب حالة قصدية ملائمة تجعله يتفاعل مع ذلك الخطاب ويأتي بالفعل التائري المناسب بناء على الحالة القصدية الأصلية المتكونة لديه (كمخاطب) في الواقعة الخطابية، إذ يكون ناتج فعل التأثير فيه حمل شخص آخر على فعل الفعل المرغوب إنجازه من الفعل التوجيهي، أما في الفعل الإلزامي المخاطب يلزم نفسه لا سامع غيره بإنجاز الفعل، ملتزماً بإنجازه مستقبلاً، مثلاً: سأنجح.

### III. 2. 4. الأفعال التعبيرية 2 : Expressive Acts : (التعبيريات)

إن القوة الإنجازية لهذه الأفعال في التعبير عن حالة نفسية معينة ضمن شرط الاخلاص، تجاه حالة الأشياء المتعينة في المحتوى القضوي في الفعل الخطابي، فالمخاطب (المتكلم)، فيها يعبر إما على

1- أرمينكو: المقاربة التداولية، ص67.

2 - ترجمها "سعيد علوش": التصريحات عند ترجمته لـ: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص 67، إلا أننا نفضل ترجمة "إسماعيل صلاح" التعبريات ذلك أن للتصريحات طابع الإحداث الآتي وازدواج اتجاه المطابقة في حين أن الأفعال التي يضمنها هذا الصنف تظهر اتجاه مطابقة فارغ ذلك أنها عامة تعبر عن مشاعر وأحاسيس ومكونات المتخاطبين.

سعادته، أفرحه أو حزنه أو شكره أو غيرها من الحالات النفسية، لذا نجد في هذه الفئة من الأفعال: الشكر، التهنئة، التأسف، التعزية، الاعتذار،.....

وفي التعبيرات لا نملك الحكم على الأفعال المنجزة إلا بالصدق، ذلك أنها لا تملك اتجاه مطابقة مع العالم، فالتعبيرات تضم، افصاح المتكلم عن حالات قصدية أصلية يستضمها في عقله، لا يحكم غيره عليها إلا بالصدق " قضية مقتضاة " 1 " Pr suppos  .

واقترح لهذا "سيرل" ترميزا:

هـ ∅ [ م ) ( ك / مخ + خصوصية ) ] .

هـ: رمز الهدف الانجازي المشترك بين المتكلم والمخاطب.

∅: غياب اتجاه الانطباق (فارغ، باطل).

م: مؤشر الحالة النفسية (متغير تتمثل مسيرته القيميّة في مختلف الحالات النفسية المطابقة للأفعال المنجزة من هذا النوع).

ك: متكلم .

مخ: مخاطب.

من نماذج هذه الفئة من الخطابات:

- تسرني رؤيتك .

- هنيئا لك .

- لا أشعر بشيء .

- مات صبري .

### III. 2. 5. الأفعال التصريحية 2: Declarative Acts (التصريحات، التصريحات،

الادلاءات الإيقاعيات):

إن القوة الإنجازية للأفعال التصريحية تتمثل في العمل على تحصيل مطابقة بين المحتوى القضوي للخطاب والعالم الواقعي، ويحتكم فيها إلى معيار [النجاح/ الاخفاق]، ويتوقف نجاح انجازها على احترام القواعد العامة التي تحكم استخدام القوة الإنجازية، فالفعل الخطابي يحوي محتوى قضوي معينا

1- أزابيط : الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 210.

2 - من المترجمين من أطلق عليها: الإدلاءات، إلا أن طابع الإنشاء الإيقاعي فيها يجعلها أكثر من مجرد إدلاء، أنظر المقاربة التداولية، ص 68.

ويصدر عن متكلم قادر على إصداره أي له سلطة إنجاز الفعل الخطابي، كما يجب أن يكون صادقاً في قصده إنجاز الفعل الخطابي، عاملاً على إحداث تأثير فعلي في الواقع بإنجازه لذلك الفعل الخطابي ووقوع تأثير هذه الفئة من الأفعال الخطابية محكوم عامة بهيكل اجتماعي أو مؤسّساتي معيّن ومرتبطة بالواقع المنجزة فيه، فإن أنجزت بشكل صحيح وناجح فإنها تحدث تغييراً فعلياً في الواقع الذي تنجز فيه أنظر:

- أعلن حصول الطالب على الدرجة العلمية المرجوة.

إنّ إنجاز هذا الفعل الخطابي من قبل الأستاذ المخوّل رسمياً لمثل هذا الإعلان، وضمن ظروفه الخاصة وشروطه المحدّدة، ينقل الطالب من وضع المرشح إلى وضع الحائز فعلاً على الدرجة العلميّة محل الإعلان، وهذا الإعلان يصبح فعلاً إنجازياً تصريحيًا كاملاً يؤثّر في الواقع، ويغيّر من حال إلى حال جديدة.

اقترح "سيرل" ترميز هذا النوع من الأفعال الخطابية:

(تص)  $\updownarrow \emptyset$  (خ).

(تص) مؤشر القوة الانجازية للتصريحات.

$\emptyset$  مؤشر الحالة النفسية للمتكلم.

$\updownarrow$  ازدواج اتجاه المطابقة في التصريحات: من العالم إلى الخطاب ومن الخطاب إلى العالم.

(خ) المضمون القضوي للخطاب.

من نماذج هذه الفئة من الأفعال الخطابية:

- بَعْتُ.

- اشْتَرَيْتُ.

- قَبِلْتُ، أَقْبِلُ.

- أعلن هذا العقارا وفقاً لوجه الله تعالى.

- أهب نصيباً من المال إلى جمعية "نور العلم".

#### IV. القصدية والأفعال الخطابية غير المباشرة:

تستقر بنا الأفكار في هذا المقام إلى تحليل أطروحة " سيرل " بتعدد القصدية الخطابية في الخطابات اليومية، فمفهوم القوة الانجازية لخطاب ما، عنده، تساوي الفعل الخطابية، أي الفعل الذي يقوم به المخاطب بإنجازه داخل واقعة خطابية معينة من : أمر، نهي، نفي، إخبار، شكر، تعزية،..... ويميز " سيرل " في مقالته المعنونة بـ: " الأفعال اللغوية غير المباشرة " بين صنفين من الإنجازات اللغوية<sup>1</sup>.

- الإنجازات البسيطة.

- الإنجازات المعقدة.

ويحتكم في التفرقة بينها إلى وضوح قصديتها، عبر ظهور القوة الانجازية للأفعال، ففرق بهذا بين القوة الانجازية والألفاظ الانجازية، حيث تتساوى الألفاظ الانجازية في الإنجازات البسيطة مع القوة الانجازية للفعل عندما يقول المخاطب فعلا ما يقوله، أما حال الإنجازات المعقدة فتتضح عندما تختلف القوة الانجازية للفعل الخطابية عن الألفاظ الانجازية التي يتم التلّفظ بها، والقوة الانجازية ترتبط ارتباطا وثيقا بالمحتوى القضوي للخطاب، فهي جزء من بنيته الدلالية.

وكونها جزء من بنيته الدلالية يعني وجود اعتبارات أخرى، لتحديدها، فإذا احتيج إلى أمر آخر إضافة للألفاظ الانجازية لتحديد القوة الانجازية لخطاب ما، خرج الخطاب من كونه مباشرا إلى كونه غير مباشر (معقد)، " فحين يكون الأمر بسيط يتلّفظ المتكلم بجملة ليقصد الدلالة بالضبط على ما يقول حرفيا، أما حين تتعدّد الأمور فإنّ معنى الجملة كما هي، والمعنى الذي يتلّفظ به المتكلم، يتوقفان عن التغطية، وندخل من ثم إلى عالم، هو بالأحرى العالم السحري، الذي تكون مظاهره شراكا، إذ ينزلق تحت العشب الأخضر ثعبان السخرية، والايحاد والتلميح ومضمرات الالتباس، والمعاني المزدوجة"<sup>2</sup>، وتتطلق الأفعال الخطابية المعقدة من قصديات متعددة ومختلفة، بتوظيف مجموع أصوات خرج خطاب توظيفا عاكسا أو خافيا لها بدرجات تتفاوت حسب حال الواقعة الخطابية للوصول إلى قصد معين، وتحركها أساسا مختلف

1 - الزهري (نعيمية): الانشاد وأساليبه بين ألفية بن مالك والنحو الوظيفي، دراسة منشورة ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 526.

2 - أرمينكو (فرانسواز): المقاربة التداولية، ص 71.

عمليات استعمال آليات التأدب والتحفظ أو التَّحَكُّم في التخاطب والمراوغة أو التهكم والسخرية أنظر الحوار التَّالِي:

أ- كيف حالك؟ وما آخر أخبارك؟

ب- مات صبري.

أ- حقا، متى.

ب- لما تعبت.

إن هذه المحاورة تتطوي على حالة من اللبس حصل بين المتخاطبين (أ) و (ب)، وحصل ذلك عندما أحال المخاطب (أ)، الحد (صبري) على ذات (شخص)، فاستفسر عن زمن موته، في حين أوضح المخاطب (ب) قصده غير المباشر في إحالة الحد (صبري) إلى صبره وجلده، بذكره الفعل الخطابي (لما تعبت)، ما حوّل للمخاطب معرفة المحتوى القضوي للفعل الانجازي بتحديد الفحوى الصحيح له، بعيدا عن الازدواجية التي يحتملها الخطاب المنجز أولا (مات صبري).

إنّ ازدواج القصدية الخطابية للأفعال الخطابية بين البساطة والتعقيد، بين الألفاظ الانجازية لخطاب ما والقوة الانجازية، هي ما دفع "سيرل" للتساؤل حول المشكل الذي تطرحه مثل هذه الحالات "هو كيف يمكن لمتكلم أن يقول شيئا، ويريد أن يقول الشيء، ويريد كذلك قول شيء آخر؟ وكيف يمكن لمستمع فهم فعل اللّغة، غير المباشرة، بينما ما يقصده يدلّ على شيء آخر ويصبح المشكل أكبر حدّة، عند سيرل، بحكم أن بعض الجمل مستعملة بشكل عادي وعرفي للتعبير عن مطالب غير مباشرة"<sup>1</sup> من قبيل:

- أنا جائع ————— أعطيني الأكل.

- هذا الكتاب مفيد جدا ————— أعطني هذا الكتاب .

- ينادونك ————— اذهب إليهم .

- سمعت ببعض التخفيضات في المتجر المجاور ————— تهووق منه أفضل.....

في المستوى الأولي نقول: مفهوم الفعل غير المباشر عن "سيرل":

أنّ المخاطب قد يظهر بعض الأفعال الخطابية بطريقة صريحة بسيطة تستدعي الفهم الحرفي للمركبات الخطابية، في المقابل هناك أفعال خطابية تستدعي الوصول إلى قصديتها إعمال العقل وتفعيل

1 - أرمنكو (فرانسواز): المصدر السابق، ص71.

آلياته الاستدلالية للوقوف على مقاصدها لأنها تتسم بخفائها على المستوى النسقي للفعل الخطابي، فهي ترتبط بالمحتوى القضوي لها، وهي بذلك تمتلك قوة انجازية مستلزمة، تدرك بصفة غير مباشرة، وتمتلك الأفعال البسيطة فقط القوة الانجازية الحرفية، ومن أمثلة هذا ذلك:

- كم عندك الآن من نقود ؟ استفهام (فعل خطابي = قوة انجازية حرفية).

- لماذا تتنهد ؟ 1 استفهام + استهجان ( فعل خطابي غير مباشر ).

فهذا الفعل الخطابي الصادر عن الزوجة يختلف فيه المحتوى القضوي ( فحوى الخطاب ) {الإحالة : (الزوج) [ بؤرة جديد (لماذا)، محور (الزوج)، الحمل: لماذا (موضوع)، تتنهد (محمول) } أما الفعل الإنجازي للجملة فهو التعجب و الاستهجان والامتعاض، في حين تنحصر ألفاظه الانجازية فتمثل الاستفهام وواسمه الإنجازين نسقيا هو "لماذا".

إن تفرقة "سيرل" بين الألفاظ الإنجازية والقوة الإنجازية لفعل خطابي ما، قامت أساسا على افتراض " أن قوة القول واقعة في مستوى مجرد يتجاوز اللغات في حين أن الأفعال الإنشائية (الإنجازية) تتصل بالألسنة المخصوصة " 2 ، معنى ذلك أن الأفعال الإنجازية تستمد قوتها من منجزها وقصديتهم الإدراكية، فيكسب الخطاب معاني متعددة إلى جانب معناه الخالد، تعدد الحالات القصدية الباعثة والمنطقية لفرص الخطاب المتاحة غير المفغلة.

واحتدم الخلاف بين أقطاب "نظرية أفعال الكلام" ، عن أساس توليد القوة الإنجازية لخطاب ما، ففي جزم "أوستين" أن قوة المنطوق الإنجازية تحقيق لقصد المتكلم تحقيقا ناجحا، أشرك " سيرل" كل من المتكلم والمستمع في إنجاح القوة الإنجازية للأفعال الخطابية، حسب موقعها ودورها الفاعل في ذلك، انطلاقا من حالتها القصدية وسعيها لإشباع شروط تحققها، وجعل ذلك الدافع الأساسي له لتقسيم المنطوقات إلى الأنماط الخمسة السالفة الذكر، يقول "سيرل": "كما يقوم الدافع لتقسيم العبارات أو المنطوقات التي لها اتجاه مطابقة إلى مقولتين من مقولات أفعال الكلام، قائما على التصور المسبق لدور كل من المتحدث والمستمع في درامات تقديم الأفعال الكلامية. فبينما يكون المتحدث مسؤولا في التعبيرات الإلزامية عن تحقق المطابقة، يكون المستمع مسؤولا في العبارات الإرشادية. كذلك تتضمن كل هذه الأنواع من التعبيرات عليا قصدية مستمدة" 3 بمعنى أن "سيرل" يربط جزءا من تحقق الحالة القصدية للعبارات

1 - بن هدوقة: الأشعة السبع، ص111.

2 - المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللغوية، ص151.

3 - سيرل: القصدية: ص 221.

مهما كان نمطها وتوليد قوتها الانجازية، بفاعل قاصد سواء كان متحدّثاً أو مستمعا على السواء، ذلك أنّ إيفاء الأفعال الكلامية كما سبق وذكرنا يضيف إلى شروط تحقّقه الفعلي تحقق الحالة القصدية المنجزة له، أنظر للمحاورة:

- أنا لم أساعدك بشيء .

- أنا لم أقل ذلك، غير أنني أطمع في فضلك.

إنّ الفعل الكلامي (أنا لم أساعدك بشيء)، يتضمن الحالة القصدية للمتحدّث في صفة الفعل التوكيدي حاملا القوة الانجازية الاستتكار، وقد استقرّ له ذلك انطلاقاً من إشباع المتحدّث للحالة القصدية له بمصاحبتها بواسمات خارج لسانية تدعم إظهار الحالة الشعورية الحاصلة لديه، ما جعل المستمع يرسّخ انجاز الفعل الخطابى كما أنشأه المتحدّث، ودليل ذلك الفعل الخطابى الذى أنشأه هو (أنا لم أقل ذلك) نافيا جرده لمساعدة المتحدّث له، وإبراز الفرق في تأثير إشباع الحالة القصدية للطرفين في توجيه تصنيف الفعل الخطابى إلى مسار غير مباشر، لنفترض أن يكون ردّ المخاطب على الخطاب السالف الذّكر، ب) لا، غير أنني أطمع في فضلك) فالمستمع كوّن حالة قصدية توكيدية على ردّ محتوى الفعل الخطابى (أنا لم أساعدك بشيء)، ناسباً للمتحدّث إنجازاً لفعل خطابى ينتمى إلى صنف التوجيهات، نتيجة إشباعه لحالة قصدية، دفعته فظهرت في صورة حالة قصدية مشتقة (خرج الخطاب) منشأة في الخطاب ب) لا، فهو بذلك فعل ما يحقّق استقرار القصد التوجيهى في الفعل الخطابى (أنا لم أساعدك بشيء) لديه، وأجاب عن السؤال غير المباشر المتضمن فيه (ألم أساعدك؟).

#### IV. 1. مفهوم المعنى غير الطبيعي عند "جرايس":

لقد أرسى "سيرل" مبدأ "القصدية" في الأفعال الإنسانية عامة، والأفعال الخطابية بشكل خاص، وقوبلت أعماله بالنقد والتحليل وتراوحت بين قبولها جملة ورفض بعض تفاصيلها، ويعد "جرايس" من فلاسفة اللغة الجادين، الذين عملوا على نقد وتحليل وتطوير أعمال "سيرل" الأولى، حتى وصل (غرايس) إلى إرساء "نظرية التواصل القصدية"، والتي "بقيت تنير سبل تحليل الخطاب بنوعيه الشفاف والكثيف، مقدمه نماذج لسانية من واقع الخطاب اللغوي الطبيعي، كما تقدّم بدائل و صيغا لأنواع الدلالات الطبيعية وغير الطبيعية، والحوارية وغير الحوارية... إلى ألخ" <sup>1</sup> وكان "جرايس" تحدّث لأول مرة عن

1 - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج1، ص 129.

نوعي المعنى في مقاله "المعنى" عام 1957، وكانت له أهمية كبيرة في تاريخ التحليل اللساني للخطابات، وفرّق فيها بين نوعين من المعنى: سمي الأول "المعنى الطبيعي"، وأطلق على الثاني اسم "المعنى غير الطبيعي".

#### IV. 1.1. المعنى الطبيعي: Natural meaning

إنّ "جرايس" عرّف المعنى الطبيعي، بأنّه المعنى كما تملكه الأشياء في الطبيعة<sup>1</sup>، وجزم أنّ امتلاك الأشياء لهذا المعنى هو في ذاته، ومن الأمثلة التي ساقها "جرايس":

1- هذه البقع تعني الحصبة.

2- الميزانية الحالية تعني أننا نسوق نشهد عاما صعبا.

قس على ذلك:

- تلون النبات بالأخضر يعني أنّه غني بالكلوروفيل.

- تلبّد السماء بالغيوم يعني أنّ السماء ستمطر.

ويمكن تمييز المعنى الطبيعي بمميزات أشار لها "جرايس"<sup>2</sup>:

##### 1- 1. لا يمكن نفي المعنى الطبيعي:

ونعبر له بالمعادلة: س تعني أن ق، و س تعني أن ق يستلزم ق/ حيث:

س ترمز إلى موضوع أو موضوعات.

ق ترمز إلى قضية.

معنى هذا أنّ الخطاب الحامل لمعنى طبيعي يستلزم وصف واقعة معينة، فهو موجود سابق

ليس للفرد الحرية في إلغائه أو حذفه أو حتى تغييره.

##### 1- 2. المعنى الطبيعي لا يرتبط بقصد:

إذ لا نستطيع أن نقول: تلبّد السماء بالغيوم المقصود به أنّها ستمطر، ولا يمكن أن نقول أنّ

تلون النباتات باللون الأخضر يعني أنّه غني بالكلوروفيل يبرهن لنا على نتيجة تتعلّق بما هو مقصود

1 - ينظر: إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص 40.

2 - المصدر نفسه، ص 37.

بالدخّان، "إنّ ما هو مدلول عليه في هذه الحالات طبيعي والوقائع المدلول عليها **Faits** **Significatifs**.....لم تنتج قصديا لكي تدل على شيء من الأشياء"<sup>1</sup>.

### 1-3- المعنى الطبيعي لا يعود لقصد أي شخص:

إنّ المعنى الطبيعي لا يرتبط بقصد شخص ما أو شخص آخر ولا تستطيع البرهنة به على أية نتيجة تتعلّق بقصد شخص أو آخر، أو أنّه يعينه (فتلبّد السماء بالغيوم يعني أنّ السماء ستمطر) خطاب لا يتعلّق ولا يبرهن على قصد شخص معيّن أو غيره، بل هو دلالة طبيعيّة على شيء يملكها في الطّبيعة.

### 1-4- لا يمكن إعادة صياغة العبارات الحاملة للمعنى الطبيعي: بحيث يتبع الفعل يعني بعبارة في

علامتي اقتباس، مثال ذلك أنّه لا يمكننا إعادة صياغة العبارة تلون النّبات بالأخضر يعني أنّه غني بالكوروفيل بالصيغة: تلون النّبات بالأخضر يعني (أنّه غني بالكوروفيل).

لا يمكننا تخصيص أو وضع الجزء الذي يتبع اللفظ يعني أو معناه في الدلالة الطبيعيّة لأنّه يرتبط بالشيء المذكور قبل اللفظ ارتباطا طبيعيا وليس عن طريق التّدليل أو الجمع من طرف المتكلم.

### 1-5- يمكننا إعادة صياغة الخطابات الحاملة للمعنى الطبيعي بتصديرها بتعبير "الحقيقة أنّ":

إنّ تصدير الخطابات ذات المعنى الطبيعي لا يخل بها بل يدعم دلالتها الطبيعية على سبيل

المثال:

- الحقيقة أنّ تلبّد السماء بالغيوم يعني أنّ السماء ستمطر.

- الحقيقة أنّ البقع التي لديه تعني أنّه مصاب بالحصبة.

إذ تستمد الخطابات الحاملة للمعنى الطبيعي، دلالتها من حقيقة وجود الأشياء التي تحيل إليها وتعبّر عليها، لا إلى قصد خاص مرتبط بشخص ما أو بآخر أو اتفاق حاصل حوله.

## IV. 1-2. المعنى غير الطبيعي: Non Natural meaning

استقر لنا المعنى الطبيعي لخطاب ما هو المعنى الذي تملكه الأشياء في الحقيقة، أمّا المعنى غير الطبيعي للخطابات، فتملكه الأشياء (الكلمات أو الإشارات) انطلاقا من أفعال فاعلين يفعلونها، إذا

1 - أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج1، ص 129.

"المعنى غير الطبيعي فتملكه كلماتنا وعبارتنا وبعض أفعالنا وإيماءاتنا أيضا"<sup>1</sup>، بعبارة أخرى المعنى غير الطبيعي، معنى يملكه شخص فاعل لكلماته أو إيماءاته، محملا إياها معنا خاصا، فيكون خاضعا لقصد منتج الخطاب أو الإشارة، فمثلا، عندما نستعمل خطابا ما وليكن "السلام عليكم" فإنّ هذا الخطاب يملكه منجزه معنا غير طبيعي مفاده "أنا أحبيك بتحية الإسلام" ولا يتأتى فعل أداء التحيّة هذا إلّا لما يصل المتلقّي إلى فهم قصد المنتج فيتمّ بذلك فعل التحيّة. إنّ القصد عند "جرايس" شرط ضروري في تحديد المعنى غير الطبيعي، يقول "جرايس": "أن نقول إنّ القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معيّنة فذلك يعني أنّ هذا القائل كان ينوي وهو يتلفّظ بهذه الجملة ايقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيّته"<sup>2</sup>.

يمكننا القول أنّ الدلالة غير الطبيعية خاضعة حسب "جرايس" إلى قوانين عقد السنن وآلياته، بين طرفي التخابط الفاعلين في تسيير العملية التواصلية. من الأمثلة التي ساقها<sup>3</sup> :

- هذه الرنات الثلاث في جرس الباص تعني أنّ الباص ممتلئ.

ومن الخطابات اليومية يمكننا أن نسوق الخطابات التالية:

- إن صمتها يعني موافقتها.

- إذا دق الباب ثلاث مرات متتالية يعني أنّني أنا الطارق.

- لما أهاقك مرة واحدة معناه أن مكتب معالجة النصوص مغلق.

- عدم حضوري للموعد المحدد يعني أنّني مريض.

وعلى غرار تمييزه للمعنى الطبيعي بمميزات محددة، حدّد "جرايس" مميزات المعنى غير

الطبيعي<sup>4</sup>، نوضحها (وجودها ومفهومها) فيما يأتي:

2- 1- يمكن نفي المعنى غير الطبيعي: ونعبر عليه بالمعادلة:

س تعني أن ق ، و س تعني أن ق لا تستلزم ق.

1 - إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص40.

قصد التعرف على هذا القصد. أزيبيط: الخطاب اللساني العربي، ج1، ص 131.

2 - ريبول (آن) و موشلار (جاك): التداولية اليوم علم جديد للتواصل ، 53.

يقول "أزيبيط" : على هذا الدلالة غير الطبيعية لشيء من الأشياء تقوم حسب "جرايس" على تعرف المرسل عليه على القصد الذي أدلنا عليه، أو أن يحصل له.

3 - إسماعيل(صلاح) : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص38.

4 - المصدر نفسه: ص 39.

- نفهم من هذا أن المعنى غير الطبيعي معنى يمكن أن يتغير؛ لأنه خاضع لظروف و شروط وضعه كعنصر خطابي تواصلية بشكل أو بآخر، بذلك يمكننا أن نفهم الخطابات السابقة مثلا ما يأتي:
- إن صمتها يعني موافقتها، لكنّها ليست موافقة في الحقيقة.
  - إذا دق الباب ثلاث مرات متتالية يعني أنني الطارق لكن قد يكون الطارق لصا.
  - لما أهاتفك مرة واحدة معناه أن المكتب مغلق إلا أنّ صاحبه سيفتحه بعد مدّة وجيزة.

## 2-2- المعنى غير الطبيعي يرتبط بقصد:

- إذ نستطيع أن نقول: الدقات الثلاث على الباب المقصود بها أنني أنا الطارق، ويمكن أن نقول أنّ الصمت المقصود به الموافقة، على شاكلتهما:
- لما أهاتفك مرة واحدة المقصود به أن المكتب مغلق.

## 2-3- المعنى غير الطبيعي يرتبط بقصد شخص ما:

- نستطيع أن نبرهن انطلاقا من الشق الأول للخطابات السالفة الذكر على أنّ شخصا معينا قصد بذلك شيئا ما، مثال ذلك:

- نستطيع البرهنة بشق الخطاب (صمتها يعني موافقتها) (صمتها) تقصد به فلانة أنّها موافقة، ويمكننا البرهنة بشق الخطاب (إذا دق الباب ثلاث مرات متتالية) يقصد به وليكن (ضيفا مرتقا أو قريب معين) أنّه هو من حضر بذاته وليس شخصا آخر.

- ## 2-4- يمكننا إعادة صياغة العبارات الحاملة للمعنى غير الطبيعي: بحيث يتبع الفعل يعني بعبارة في علامتي اقتباس، أي يمكننا صياغة الخطابات الحاملة للمعنى غير الطبيعي بوضعها داخل علامتي اقتباس كـ:

أعني ” إن صمتها يعني موافقتها “ .

أعني ” إذا هاتفك مرة يعني أنّ مكتب معالجة النصوص مغلق “ .

- ## 2-5- لا يمكننا إعادة صياغة الخطابات الحاملة للمعنى الطبيعي بتصديدها بتعبير ” الحقيقة أن “:

- لأن تصديدها بالعبارة ” الحقيقة أن “ يخل بمبدأ القصد المترتبة عنه، فمن المنطقي في حال الخطابات الحاملة للمعنى غير الطبيعي تصديدها بالعبارة ” القصد أن “ لدعم دلالتها غير الطبيعيّة، مثال ذلك:

القصد من الطرقات الثلاث أنني أنا الطارق.

القصد من صمتها أنها موافقة.

القصد إذ هاتفتك مرة واحدة أنّ المكتب مغلق.

وبمعرفتنا لمميزات كل من المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي، قد يتسنى لنا تحديد وجه التفرقة التي قام بها "جرايس" لأنواع المعنى، فالمعنى الطبيعي هو معنى تملكه الأشياء جميعا في الواقع وموجود بشكل حقيقي في الطبيعة، في حين أنّ المعنى غير الطبيعي يجسده فرد فاعل في تصرفاته أو إيماءاته أو كلماته أي في أفعاله بصفة عامة اللسانية وغير اللسانية على حد سواء، فيكون "بهذا المعنى الطبيعي يعتمد على العلاقات السببية وقوانين الطبيعة أما المعنى غير الطبيعي فيعتمد على القصد **Intention** أو الاصطلاح **Convention**"<sup>1</sup> وبهذا يكون المعنى الطبيعي ملزما، يلزم المتخاطبين بحقيقة واقعة معينة، والمعنى غير الطبيعي غير ملزم من منطلق أنّ المعنى غير الطبيعي يمكن نفيه أو تغييره أو الاستدراك عليه.

إن ارتباط تحديد المعنى غير الطبيعي بفكرة الاصطلاح يجعله غير ثابت وغيره مستقر، لأنّ الاصطلاح قد يختلف من جماعة لسانية إلى أخرى ومن مكان إلى آخر، إلا أنّ السؤال الذي يطرح نفسه في هذا الموضوع، إذا كان "جرايس" ربط التفرقة بين المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي بفكرة الاصطلاح، فلماذا لم يعتمد طرق التفرقة التقليدية بين العلامات الطبيعية **Natural Signs** والعلامات الاصطلاحية **Conventional Signs**؟ يجيب "صالح إسماعيل" عليه، بإيراده أن هناك "بعض الأشياء لا تكون اصطلاحية بأي معنى عادي (مثل بعض الإيماءات) على حين أن بعض الأشياء التي تعني بصورة طبيعية لا تكون علامات لما تعنيه"<sup>2</sup>، فوسّع "جرايس" بتصنيفه للمعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي، جاعلا الأخير يشتمل على أكثر من المعنى اللغوي الاصطلاحي ويتعداه إلى الإيماءات والتصرفات أيضا.

1 - إسماعيل(صالح) : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص41.

2 - المصدر نفسه: ص40.

ثم نجد "جرايس"، عاود النَّظْر في تمييزه بين المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي في مقالة بعنوان "معاودة النَّظْر في المعنى" "Meaning Revisited" سنة 1982 ، ومما أتم مناقشة فيها:1

ركز "جرايس" على العلاقات التي تربط المعنيين الطبيعي وغير الطبيعي، إذ اعتبر المعنى غير الطبيعي مشتقا من المعنى الطبيعي، وفَسَّر ذلك عن طريق تأمل بعض حالات المعنى الطبيعي وكيف يمكن أن تحوي معنى غير طبيعي في حالة الأنيث مثلا، قد يكون الأنيث صادرا عن شخص ما فنعتقد بأن ذلك الشخص يتألم، ويكون معنى طبيعيا عن المرض والألم إذا صدر بشكل لا إرادي من الإنسان، إلا أن الإنسان يمكنه أن يئن بصورة إرادية.

يرى "جرايس" أن الانتقال من المعنى الطبيعي إلى المعنى غير الطبيعي يحدث إذا لم يَعْزُ المتلقي للمعنى، فاعلا مريدا مزيفا (خادع)، ويعتبر المعنى طبيعيا أي نتيجة طبيعية للعلامة أو الخطاب، فالانتقال يحدث فعلا في حالة الأنيث الإرادي أو الزائف (المخادع) عندما يصدر الأنيث بصفة إرادية من الشخص الأول، ويستمر الشخص الثاني يعتبر ذلك الأنيث سببا كافيا للاعتقاد بأن الشخص الآن يتألم ولا يعتبره دالا على الخداع، بهذا ينتقل معنى الأنيث من كونه طبيعيا في حالة الألم، إلى كونه غير طبيعي في حالة الأنيث الإرادي مع وجود مستمع ملاحظ يعتقد بأنه دليل على الألم، و"جرايس" يرى "أن الانتقال من المعنى الطبيعي إلى المعنى غير الطبيعي يتحقق تحققا كاملا عندما ينظر الملاحظ (أو المستمع بصفة عامة) إلى الشخص الذي يئن (أو المتكلم بصفة عامة) على أنه جدير بالثقة"<sup>(2)</sup>، فيحافظ الملاحظ على المعنى الطبيعي في الوقت الذي يستخدم الباث تصرفاته بالمعنى غير الطبيعي، فيمتلك التصرف أو الفعل سواء كان لسانيا أو غير لسانيا معنى طبيعيا أي معنا اصطلاحيا إلا أنه لا يحدث اتفاق بين الشخصين حول هذا المعنى غير الطبيعي.

إنَّ هذا هو وجه الاختلاف بين فكرة "جرايس" حول المعنى غير الطبيعي المرتبط أساسا بالقصد، قصد المنتج أو قصد المتلقي أو قصدهما معا، في حين يشترط "سيرل" في الاصطلاح الإتفاق بين الشخصين أو الإتفاق القصدي بين أعضاء الجماعة بصفة عامة، حيث "سيرل" لم يميز

1 - كادة (يلى): المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية - ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجاً، أطروحة مقدمة

لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي، نسخة مرقونة، جامعة باتنة، الجزائر، ص 102-103.

2 - إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى عند بول جرايس، ص 41.

إلا مظهرين هما الإشارة (الدلالة الطبيعية) والدلالة التواضعية، وهو بذلك يرد تماما الدلالة غير الطبيعية إلى الدلالة التواضعية، وهذا لا يدخل في مقاصد جرایس فالواقع أن المقصد الثاني عند "جرايس" لا يذكر سوى فهم المقصد الأول دون أن يشترط تحقق هذا المقصد - كما هو الحال عند "سيرل" - من خلال الدلالة التواضعية للجملة" (1) إلا أن "سيرل" أفاد من طريقة تحليل "جرايس" لمعنى غير الطبيعي في تمييزه الحاذق بين المحتوى القصدى للخطابات والقوة المتضمنة فيها ثم إرسائه لمفهوم الأعمال الخطابية المباشرة وغير المباشرة، لكن قبل أن نصل إلى تحليل "سيرل"، نتمم المسيرة مع تحليل "جرايس" للمعنى غير الطبيعي.

اقترح "جرايس" صيغا لتحليل المعنى غير الطبيعي، حيث قدمها على مراحل كان للنقد والتحليل فيها أثر كبير، وجاءت أوائلها كالآتي (2) :

**1- "س" يعني شيئا بالمعنى غير الطبيعي** ( حيث س منطوق).

**2- "ص" يعني شيئا بالمعنى غير الطبيعي** ( حيث ص هو المتكلم).

يقول "إسماعيل صلاح": إن صيغا كهذه يلفها غموض يمكن التغلب عليه بالصيغ التالية (3):

(1-أ) س ( المنطوق) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي ( في مناسبة معينة).

(2-ب) س ( المنطوق) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي ( الخالد).

(3-أ) ص ( المتكلم) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي عن طريق س ( في مناسبة معينة).

(2-ب) ص ( المتكلم) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي ( الخالد) عن طريق س هذا إذا تعلق

التحليل بالمنطوق ككل، فماذا لو أخذنا بنيته بعين الاعتبار؟، فإذا أخذنا بنية الكلام بالاعتبار، لوجدنا حسب نقاد "جرايس" (4) أن صيغ التحليل تتعد أكثر فأكثر، لأنهم أفسحوا المجال لتحليل أجزاء

المنطوق فأصبح هناك تحليل لـ ( 1-أ) و ( 1-ب).

(1-أ-1) س ( منطوق كامل) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي ( في مناسبة معينة).

(1-أ-1) ز ( جزء من المنطوق) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي ( في مناسبة معينة).

(1-ب-1) س ( منطوق كامل) يعني شيئا ما بالمعنى غير الطبيعي ( الخالد).

1- ريبول (أن) ومشلار (جاك): التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ص 45.

2- إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص 42.

3- المصدر نفسه: ص 42.

4- المصدر نفسه: ص 42-43.

(1-ب-2) ز ( جزء من المنطوق) يعني شيئاً ما بالمعنى غير الطبيعي ( الخالد).

والملاحظ هنا من اقتراح "جرايس" و انتقادات نقاده والتحليل المتعلقة حول طريقته لتحليل مفهوم المعنى أننا نحصل في الأخير على تفرقة مفادها أن هناك معنى للمنطوق Utterance meaning، وهناك معنى لدى الناطق Utterer's meaning (معنى لدى المتكلم)، وهناك معنى خالد Timeless meaning وهناك معنى في المناسبة Occasion meaning وهناك معنى للمنطوق الكامل، وهناك معنى لأجزاء المنطوق، إلا أن "جرايس" تحلى حسب "صالح إسماعيل" بصبر جميل واقترح أن نرتب خطوات السير، فنعالج المنطوق الكامل قبل معالجة المنطوق الجزئي، لأن " هذه البداية تتسجم مع استخدامه الواسع لمعنى المنطوق، إذ يستخدمه ليشمل السلوك اللغوي وغير اللغوي على حد سواء" (1) ويضم السلوك اللغوي؛ الخطابات اللسانية أو عناصر خطابية ذات وظيفة تواصلية، أما السلوك غير اللغوي فيحتوي مختلف الإيماءات بالرأس أو الحركات الجسدية كالتلويح باليد أو الغمز بالعين أو رفع الحاجب أو الابتسام، هذا ما يجعل مفهوم المنطوق عند "جرايس" مطابقاً إلى حد بعيد مع مفهوم الخطاب في نظرية نحو الخطاب الوظيفي التي جازمت بأن خرج الخطاب يكون صوتاً أو كتابة أو إشارة.

ثم إن "جرايس" يعطي الأولوية لتحليل معنى المناسبة أي معنى المنطوق مربوطاً بمناسبة معينة، على المعنى الخالد الذي يحتفظ به المنطوق أو الخطاب في كل مكان وزمان، دون الارتباط بقصد شخص معين أو مناسبة معينة، بهذا وصل "جرايس" إلى تعريف المعنى الطبيعي بقوله:

"يعني المتكلم ( ص) شيئاً ما بالمعنى غير الطبيعي بالمنطوق(س) في مناسبة معينة الاستعمال"

ثم اتخذ سبلاً لتحليله، روجع في مراحل كثيرة منها وجاءت كما يأتي:

### الصيغة الأولى:

" يعني المنطوق (س) شيئاً ما بالمعنى غير الطبيعي" هو صيغة صادقة إذا قصد الناطق لـ (س) أن يحدث اعتقاداً في مستمع ما، وقول ما هو الاعتقاد هو قول ما يعنيه (س) بالمعنى غير الطبيعي(2)، خذ مثلاً على ذلك قول المخاطب للمخاطب الخطاب:

1- إسماعيل (صالح): المصدر السابق: ص 43.

2- المصدر نفسه: ص 44-52.

- هذا الكتاب مفيد

فيوجهه المتكلم للمتلقى، والشرط لبيان المعنى غير الطبيعي لهذا الخطاب هو: يقصد ناطق الخطاب أن يحدث اعتقاداً لدى المتلقي بأن الكتاب المقصود مفيد.

إلا أننا نلاحظ أن قصد إحداث الاعتقاد في المخاطب ليس كافياً بذاته لتحديد المعنى غير الطبيعي للخطاب، فقد يقصد المخاطب أن يصرف اعتقاد المخاطب إلى فائدة الكتاب المحال عليه، ليصرفه على اعتقاد الفائدة في كتاب آخر، في مثل هذه الملاحظة وجد "جرايس" نفس سلسلة من الأمثلة المضادة لتحليل المعنى غير الطبيعي.

المثال المضاد الأول قدمه "جرايس" قائلاً فيه: "ربما اترك وشاح (ب) على مقربة من مسرح الجريمة لكي أقنع المحقق باعتقاد بأن (ب) هو القاتل، ولكننا لا نريد القول بأن الوشاح (أو تركي له هناك) يعني أي شيء بالمعنى غير الطبيعي أو أنني أعني بصورة غير طبيعية بتركي إياه أن (ب) هو القاتل"<sup>(1)</sup>، فالوشاح أو تركه بهذه الطريقة قد لا يحمل معنى غير طبيعي إليه أصلاً، فلا يحصل تواصل بين الوشاح والمحقق، كما أن عملية ترك الوشاح قد تحدث قصداً من المجرم لتضليل المحقق، فهب أن الوشاح الموجود في مسرح الجريمة وشاح المجرم فعلاً وقد تركه دون قصد لحظة فراره، ففي الحالتين سوف يمتلك المحقق اعتقاداً واحداً أن صاحب الوشاح هو المجرم، والمشكلة هنا أن للوشاح دلالة غير طبيعية في حالة التضليل في حين أن له دلالة طبيعية على المجرم الحقيقي في الحالة الثانية ولا فرق عند المحقق بين المعنيين المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي.

لتقادي مثل هذا المثال المضاد نضيف للصيغة الأولى عنصراً للتحليل:

#### الصيغة الثانية:

يعني المتكلم (ص) شيئاً ما إذا فقط إذا نطق (ص) المنطوق (س) قاصداً:

- (أ) أن نطق (ص) للمنطوق (س) يحدث اعتقاداً أو استجابة معينة (ج) لدى مستمع معين (ل).  
(ب) أن يدرك (ل) قصد (ص).

1 - Paul Grice, Studies In The Way Of Words

ينظر: إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: ص 44

إن إدراك المخاطب لقصد المخاطب نقطة لخطابه (س)، لا يكفي لتحديد المعنى غير الطبيعي، ذلك ان المعنى غير الطبيعي يركبه المخاطب أصلا على قصد إحداث أثر معين في المخاطب، وهناك فرق بين أن يدرك المخاطب قصد المخاطب بالخطاب (س) وبين تأثير ذلك الإدراك عليه واستجابته، والتي يقصد أن يمتلكها المخاطب.

### الصيغة الثالثة:

يعني المتكلم (ص) شيئا ما عن طريق نطق (س) إذا فقط إذا نطق (س) قاصدا:

- (1) أن نطق (ص) ل (س) يحدث اعتقادا أو استجابة معينة (ج) في مستمع معين (ل).
- (2) أن يدرك (ل) قصد (س) المتمثل في (1).
- (3) أن إدراك (ل) لقصد (س) المتمثل في (1) سوف يعمل على الأقل بوصفه جزءا من السبب الذي لدى (ل) للاعتقاد أو الاستجابة (ج)

بالعودة إلى الخطاب السالف الذكر ( هذا الكتاب مفيد)، نستنتج تحليله وفقا لهذه الشروط كما

يلي:

1- يقصد المخاطب بنطق الخطاب ( هذا الكتاب مفيد) أن يحدث في المخاطب اعتقادا بأن الكتاب مفيد.

2- يقصد المخاطب أن يدرك المخاطب القصد من وراء نطق الخطاب ( هذا الكتاب مفيد)

3- يقوم إدراك المخاطب لمقاصد المخاطب بدور في تفسير السبب في أن المخاطب يؤلف الاعتقاد بأن ( الكتاب مفيد).

لوهلة يبدو لنا هذا التحليل كافيا للإعتداد بتحليل المعنى غير الطبيعي والوقوف على قصد

المخاطب من طرف المخاطب مع هذا، يورد صلاح إسماعيل سلسلة أخرى من الأمثلة المضادة التي أنت من كل صوب، "وهي تسعى إلى بيان أن استيفاء هذه الشروط لا تكفي وحدها للمعنى لدى

المتكلم"<sup>(1)</sup>، المثال المضاد الأول ساقه "أرمسون J.O.Urmson"، إذ افترض أن جنديا أسر في الحرب وأن أسريه اعتقدوا انه يملك بعض المعلومات المهمة، التي يرون أن من الضرورة أن يكشفوها.

"وهو يعرف أنهم يريدون منه تقديم هذه المعلومات ولكي يتحقق لهم ما يريدون يخضعونه للتعذيب بأدوات يضغط بها على الإبهام"<sup>(2)</sup> بتحليلنا لهذا المثال وفق الصيغة الثالثة نجد أن:

1- إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص47.

2- المصدر السابق: ص 47.

المعتقلون يعنون شيئاً عن طريق استخدام أدوات الضغط على الإبهام الأيسر ( أنه لابد أن يخبرهم بتقديم المعلومات التي يريدون معرفتها)، وشروطه:

1- يضغط المعتقلون على إبهام الأسير بقصد إحداث استجابة معينة، هي أن يقدم لهم المعلومات التي يمتلكها.

2- يقصد المعتقلون أن يدرك الأسير أنهم يقصدون بتعذيبه إحداث هذه الاستجابة.

3- يقصد المعتقلون أن الأسير تحت التعذيب سوف يخبرهم بالمعلومات التي يريدونها، وان ذلك سينتج جزئياً على الأقل من إدراكه لقصد المعتقلين له.

ومع استيفاء التحليل لكل شروط الصيغة الثالثة إلا أن أداة التعذيب قد لا تكشف عن مقاصد

المعتقلين، فقد يكتفي الأسير بالاعتقاد أن القصد هو تعذيبه أو التسبب في الأذى له.

ولتفادي هذا المثال المضاد لابد من إضافة شرط إلى عناصر التحليل يضمن لنا ان يدرك

المخاطب من المنطوق إدراكاً ولو جزئياً، حسب الواقعة الخطابية، ولقد عبّر

"شيفر (S.R.Chiffre 1972)" عن تحليل المعنى الذي يضم هذا الشرط في صورة صيغة رابعة، والتي

قدمها على الشكل التالي (1):

#### الصيغة الرابعة:

يعني المتكلم (ص) شيئاً ما عن طريق المنطوق (س) إذا فقط إذا قصد (ص) بنطق (س) ما يلي:

(1) - أن يملك (س) ملمحاً (أو ملامح) معينة (م).

(2) - أن يدرك المستمع (ل) أن (س) يملك (م).

(3) - أن يستدل (ل) بصورة جزئية على الأقل من الحقيقة القائلة إن (س) هو (م) على أن (ص)

نطق (س) قاصداً.

(4) - أن (ص) عندما ينطق (س) يحدث استجابة (ج) في (ل).

(5) - إن إدراك (ل) القصد (ص) المتمثل في (4) لابد من أن يعمل بوصفه جزءاً على الأقل من

السبب الذي لدى (ل) للاستجابة إلى (ج)

ولدحض قوة هذا التحليل وبيان ضعفه وضع "ستراوسن Strawson" مثالا مضادا قام فيه بخرق

عملية التواصل، فماذا لو كان المخاطب غير أمين في إنجاز فعله الخطابي، إذ افترض أن المخاطب

1 - Schiffer ( stephen) : Meaning oxford .

نقلا عن إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص 48.

حال إنشاء خطابه، يعلم أن المخاطب يراقبه من مكان يمكنه أن يراه منه، إلا أنه لا يدري (المخاطب) أن المخاطب يعلم أنه يراقبه، ويقدم "سيرل" مثال "ستراوسن" على النحو التالي:

للمتكلم (ص) قصد إحداث اعتقاد شيء ما للمتلقي (ل)، يحمل (ل) على التعرف على القصد الذي عمل على أن يجعله يعتقدده حول شيء ما، لكن (ص) في هذه الحالة لا يكمل الفعل الإنجازي (1).

ويرمي "ستراوسن" من هذا المثال إلى إقرار أن "جرايس" لم يأخذ بعين الاعتبار أن المخاطب قد لا يتعامل درجة من الصراحة والصدق تجاه (ق) لإبلاغها للمخاطب، لذا اقترح "ستراوسن" شرط خامسا للتغلب على هذا الإشكال هو في حال أراد (ص) التواصل الناجح مع (ل).

(ص) لا يقصد فقط أن يدرك (ل) قصده ليجعل (ل) مدركا لقصده أن يجعل (ل) يعتقد أن (ق) (2)

بهذا يمكن ان يضاف إلى الصيغة الرابعة كما هي شرط سادس يفي بغرض رفع اللبس عن المعنى غير الطبيعي.

#### الصيغة الخامسة:

وتضم جميع عناصر الصيغة الرابعة، يضاف لها شرط سادس مفاده:

(6) - أن (ل) لا بد من أن يدرك قصد (ص) (التمثل في 3).

ونلاحظ هنا أن العلاقة انتقلت من معرفة (ل) لقصد (س) إلى معرفة (ل) لقصد (ص) أي لم تبق العلاقة مرهونة بمعرفة المخاطب لقصد الخطاب بقدر ما هي مرهونة بمعرفة المخاطب لمعرفة قصد المخاطب بلمح أو ملامح معينة، لذا سرعان ما تنبه ستراوسن إلى وجوب وجود شرط يضمن شيئاً من الصراحة بين المخاطب والمخاطب وإلا فلا سبيل لتخلص من مشاكل تحليل المعنى غير الطبيعي وفق نظرة "جرايس".

## IV. 2. تحليل "جرايس" وتحليل "سيرل":

عند هذا الحد نجد رأياً لـ "سيرل" يحاول فيه تعديل تحليل "جرايس" لاتقنيده وتغلب على مشاكل تحليله وفق مبدأ استقر لها أن القصدية تكوّن الفعل الإنجازي في الأفعال الخطابية، ثم لا يقف

1 - Strawson (P.F) : Intention and convention in Speech acts

Searle : les actes de langage : p88 . نقلا عن:

وينظر تقديم صلاح إسماعيل لمثال ستراوسن في : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص51.

2- إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص51.

عند القصدية الفردية كما فعل " جرايس " والذي سعى في تحليله للمعنى غير الطبيعي إلى إقرار أن للمخاطب (ص) قصدا معينا من الخطاب (س) على المخاطب (ل) ان يصل إليه عن طريق الفهم أو التأويل، ورأيه هذا نجده في أكثر من مؤلف له، إذ نجده يجزم أن لا تعارض بين طريقة " جرايس " في تحليله للمعنى غير الطبيعي وطريقته، قائلا أنه منذ أن ظهرت أعمال "أوستين" و " جرايس " وأعماله هو نفسه، بدت عوالم التمييز بين جدليتين الأولى: تتمثل في اهتمام " جرايس " بفكرة " القصدية الفردية Individual intentionality بوصفها الفكرة الأساسية في نظرية أفعال الخطاب، حيث يحاول المتكلمون إحداث تأثير في المستمعين عن طريق جعل المستمعين يفهمون محاولتهم لإحداث هذه التأثيرات، "وفي تحليل جرايس لا وجود لاقتراح أن الموضوعات أو القواعد أو الممارسات الاجتماعية تكون أساسية لأداء الأفعال الكلامية" (1)

أما الجدلية الثانية فتتمثل في أداء كل من "أوستين" و "سيرل" التي تعطي أهمية للمجتمع والمواضعات و دور المؤسسات الاجتماعية في أداء الأفعال الكلامية.  
فأداء الأفعال الكلامية لا يتم فقط بوجود قصدية فردية فحسب بل ونتيجة للمعاملات الاجتماعية (2)  
إذن " سيرل " انطلق في نقده لـ " جرايس " من مسألتين أساسيتين.

**المسألة الأولى:** أن عملية أداء فعل خطابي ليست عملية إحداث تأثير في مستمع معين في مناسبة معينة

**المسألة الأخرى:** أن عملية أداء فعل خطابي ليست عملية مرتبطة بالقصدية الفردية لكل من المتكلم أو المتلقي كل على حدة

**المسألة الأولى:** أوضح " سيرل " مجانية " جرايس " فيها (عدم تأثير المتكلم في المخاطب) بشكل بسيط بساطة أسلوبه في التحليل دائما إذ افترض مثلا لذلك أن هناك كثير من الأفعال الخطابية لا تتطلب من متلقيها إظهار فعل تأثيري ما، من ذلك المثال الذي طرحه هو نفسه بقوله عندما أقول "يوم سعيد لشخص ما، فقصدي أن أجعل مخاطبي يعرف أنني أحييه، وعندما يفهمها كقصدية لي أن أحدث

1 -Searle : consciouness and languague: cambridge university press, First published 2002, p142.

2 - Ibid :p142.

وينظر رأي صلاح إسماعيل في كتابه : نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: ص 106.

فيه فعلا ما، فالفعل قد تم" (1) أي أن استجابة المتلقي أو قيامه بمبادلة التحية أفعال خارج فعل التحية الأول، ففعل التحية حسب "سيرل" لا يشترط فعل التأثير بالقول، فالتحية واقعة متى تلقاها المخاطب. بهذا فرق "سيرل" بين أن يفهم المتلقي لخطاب ما الخطاب وبين أن يعتقد أو يستجيب استجابة ما، مصدرها فهم ذلك الفعل الخطابية، لأن "كثير من أنواع الجمل المستخدمة لإنجاز أفعال متضمنة في الكلام لا تملك تأثيرا عن طريق الكلام يكون مرتبطا بمعناها"(2)، ومن أمثلة الأفعال المتضمنة في الخطابات: الأفعال التعبيرية كالتحية والشكر والتعزية.. وبعض من الأفعال التوكيدية، كالقص والحكاية...

**المسألة الأخرى:** لم يفتئ "سيرل" أن يذكر ويدافع مرارا وتكرارا على الصبغة المؤسساتية للفعل الخطابية، أي أن أي فعل خطابي، إنما هو وليد قصدية جماعة إنسانية لغوية لا قصدية فردية وحسب، وبقدر ما تعطي الفردية القصدية تميز فعل خطابي عن آخر، تعطي القصدية الجماعية قاعدة المعنى غير الطبيعي للفعل الخطابي عبر ما تقره قواعد وآليات مشتركة بين الجماعة اللغوية.

وأول ما ظهر دفاعه عن رأيه هذا، في المثال المضاد الذي صاغه للرد على الصيغة الخامسة من صيغ تحليل "جرايس" للمعنى غير الطبيعي، إذ يفترض المثال التالي:

لنتصور أنني جندي أمريكي، ووقعت في أسر الإيطاليين في الحرب العالمية الثانية، فأردت أن أجعلهم يعتقدون أنني جندي ألماني حتى يطلقوا سراحي، فأهم أن اخبرهم بأني ألماني، إلا أنني لا أعرف القدر الكافي من اللغة الألمانية أو الإيطالية لفعل ذلك، وأني أعرف بالألمانية الجملة الأولى من محفوظات حفظتها في دراستي في مادة اللغة الألمانية، فأنا ضابط أمريكي أخاطب جنودا إيطاليين قاموا بأسري، بالعبارة (3).

Kennst du das land, wo die zitronen bluen ?

إن الجندي الأمريكي بنطقه لمثل هذه الجملة، قطعاً لا يقوم بإخبار الجنود الإيطاليين بأنه جندي ألماني، بل هو نطق عبارة بالألمانية معناها "هل تعرف منطقة تزهر فيها أشجار الليمون؟" (4)، وقد

1 - Searle : les actes de langage , p84

2- إسماعيل صلاح: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: ص 54

3 -searle : les actes de langage , p 84-85

4 -Ibide, p 85

وينظر: إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس: ص 52

فعل ذلك مستندا على أمله أن الجنود الإيطاليين ليس لهم أدنى علاقة بمعرفة اللغة الألمانية وتراكيبها، فيعمل على إيهامهم فقط؛ فخداعهم ما يصبو إليه.

إن "سيرل" بهذا المثال يوضح الفرق بين أن يقول شخص شيء ما وإن يستطيع غيره الوصول إلى ما يريد قوله، بهذا يقترح "سيرل" صيغة جديدة لتحليل المعنى غير الطبيعي للخطابات قائلا: (1)  
قولنا أن:

(ص) يلقي الجملة (ج) يقصد الدلالة على (س)

أ- للمتكلم (ص) بواسطة القول (س) الذي يدل على (ج)، القصد ص-1 لجعل (ل) يعرف (يتعرف، يعي) أن الوضعية التي تخصصها قواعد (ج) (أو بعض قواعدها) قد تحققت (ولنسم هذا التأثير المتضمن في القول (ث و)

ب- للمتكلم (ص) قصد إحداث ث و ، بواسطة (ج) من خلال التعرف على ص-1

ج- قصد (ص) هو أن يتم التعرف إلى ص-1 بفضل (أو بواسطة) معرفة (ل) بالقواعد (بعض القواعد) التي تميز عناصر (ج)

إن الناظر لهذا التحليل للمعنى عند "سيرل" يجد أنه يولي أهمية إلى وجود قاعدة أو قواعد مشتركة بين المتخاطبين صغرت أو كبرت تساعدهم على إقامة صرح التواصل الناجح، إلا أن مفهوم القواعد عند "سيرل" يختلف عنه عند غيره من فلاسفة اللغة، ذلك أنه ينبه إلى وجود شيء مختلف عن مجرد وجود قوانين أو قواعد لسانية تحكم استعمال اللغة المتحدث بها، على أن هذا الجانب لا ينكره "سيرل" ولا يرفضه بل يزيد عليه أن مثل هذه القواعد تتأزر مع كم لا متناه من المعارف والمعلومات والإدراكات والمشاعر لتكون ما سماه بـ "الخلفية القصدية" **The background** وعرفها بقوله "مجموعة القدرات اللاتمثيلية التي تمكننا من تشكيل التمثلات العقلية، فإذا كان للقصدية شروط للتحقق تخصصها، فإنها لا تستطيع اكتساب هذه الشروط إلا من خلال خلفية من مجموعة من القدرات التي لا تعد في حد ذاتها حالات قصدية، أي لا تكون حالاتنا القصدية على ما هي عليه إلا بسببها، لذلك لا بد أن أعرف كيف تكون الأشياء" (2) فالخلفية القصدية ضرورة للإنسان حتى يستطيع أن يقوم بأي فعل بيولوجي

1- سنحترم الرموز التي استخدمها الأستاذ صلاح إسماعيل، والتي قدمنا بها صيغ "جرايس" حتى لا يحصل لبس أو فصل بين التحليلين.

وينظر Searles, les actes de langage, p 91

2- سيرل: القصدية: ص 183.

كان أو فكري، فعندما أريد أن أقرأ كتابا مثلا فأنا أتمثل مجموعة من القدرات والاستعدادات الجسمية والعقلية التي تجعلني قادرة على فعل ذلك بالشكل الصحيح والجيد، إذ عليّ مسبقا أن أمتلك مصادر بيولوجية وثقافية تقوم باستحضارها للقيام بقراءة الكتاب، منها مثلا القدرة على الحركة والذهاب إلى المكتب، وأخذ الكتاب في يدي ثم فتحه على الصفحات المرام قراءتها، فضلا أن يكون مجموع معارف القراءة باللغة التي كتب بها الكتاب، ومعرفة طريقة طباعته (مثلا الخط)، ثم تكون لي القدرة على النظر إلى المكتوب ثم فهم ما تلتقطه عيناى من صور كتابية، هذا كله مجموعة من القدرات اللاتمائية التي أمتلكها من قبل وتخول لي القيام بمثل هذه الأفعال مرارا، إن دور الخلفية ينحصر في أنها "تمدنا بمجموعة من الشروط التي تمكن الصور القصدية من العمل" (1) فهي بهذا أشبه بقواعد اللغة التي تحكم تناسق الأصوات وتوارد الصيغ وتركيب العبارات إلا أنها لا تملك التحكم في نتيجة استعمال مستعمل اللغة والخطابات التي ينجزها، فاختلاف هذه الأخيرة بين حتى وإن كان مستعمل اللغة هو نفسه، فالخلفية "تمكننا من القيام بالعمل دون أن تحدد لنا ما نعمله أو تلزمنا بنتيجة معينة، فلا شيء يجبرني على الفهم الصحيح للمضمون اللغوي لقصدية ( فتح الباب) ومع ذلك من دون خلفية يكون الفهم مستحيلا" (2) بهذا تعتمد كل الأفعال التي يقوم بها كل شخص منا على امتلاكه لخلفية ما يكونها على مر سنين حياته ما يحدث فيها، ومن الأفعال الإنسانية التي تعتمد على وجود الخلفية، وجود قواعد أداء الأفعال الخطابية، وتفسير الأفعال الخطابية غير المباشرة وكذا قواعد تفسير المجاز والاستعارات (3) وحتى العبارات المتحجرة .

### خلاصة القول:

إن "سيرل" أفاد من تحليل "جرايس" للمعنى الطبيعي ورأي "جرايس" قدرة المتكلم على تحميل أي خطاب معنى غير طبيعي يعمل على إيصاله لمستمعه، إلا أن "سيرل" أضاف لتحليل "جرايس" مفهومين أساسيين يمكن عددهما كشرطين لنجاح الأفعال الخطابية:

- 1- أن للمتكلم مقاصد متضمنة في فعله الخطابي.
- 2- أن يقصد المتكلم احترام الاصطلاحات والقواعد التي تحكم استعمال الخطاب، تتيحها له خلفية يكونها وسط نظام مؤسساتي جمعي.

1- سيرل: المصدر السابق : ص 199.

2- المصدر نفسه: ص 200.

3- ينظر نفسه، ص 193.

## V. تفعيل قصدية القوة الإنجازية للفعل الخطابى غير المباشر:

يجدر بمتتبع تحليل الأفعال الخطابية، التمييز بين الأفعال الخطابية المباشرة والأفعال الخطابية غير المباشرة، والأفعال الخطابية المباشرة تظهر في شكل صيغ لسانية خالصة بسيطة، تعبر عما فيها بألفاظها، فنجد التوجيهات والتوكيدات وغيرها ظاهرة في صيغ الخطاب لا نبحت عنها بين ثناياها مثال ذلك:

- أعدك بالنجاح.
- أنا اعمل جاهدة.
- شكرا.

إلا أننا نجد صوراً لا حصر لها من التعابير الخطابية التي تؤدي بها يوماً أفعالاً خطابية لا تحمل فحواها في محتواها اللساني بشكل مباشر، أي أن منجزها - حسب سيرل - ينتهج إستراتيجية ما ليضمن خطابه معنى آخر هو أشبه بمفهوم المعنى غير الطبيعي عند "جرايس" وإن "سيرل" اعتمد على تمييز "جرايس" للمعنى الطبيعي، ودور المتخاطبين في بيانه، وحاول "سيرل" تجاوز الأمثلة المضادة المثبطة له لإنجاح تحليله، بغية التفرقة الجيدة بين الأفعال الخطابية المباشرة والأفعال تحليله، بغية التفرقة الجيدة بين الأفعال الخطابية المباشرة وفق حالة قصدية متكونة، مبنية على خلفية، ليصل إلى إنجاز حالة قصدية مشتقة تخول له التخاطب مع غيره.

إن المخاطب يضمن خطابه قصدية ما مستخدماً آليات الخطاب، فتظهر في شكل ما أسماه "سيرل" كما سبق القول "القوة الإنجازية" للفعل الخطابى والتي استقر لنا مفهومها في تحديد سمات الأفعال الخطابية، نضيف لهما من شأنه إقراراً دور القصدية في تحديد القوة الإنجازية لفعل خطابى ما .

إن أشهر مثال استخدمه "سيرل" للحديث عن مفهوم الأفعال الخطابية غير المباشرة هو خطاب "ناولنى الملح"، "إذ لا نقول "ناولنى الملح" أو "أمرك بأن تناولنى الملح" بل "هل تستطيع أن تناولنى الملح (من فضلك)؟" (1)

إن خطاب ( هل تستطيع أن تناولنى الملح من فضلك؟) يتحد مع (ناولنى الملح) من ناحية المحتوى القضوي فيها واحد طلب الملح إلا أنّهما لا تتفقان بأي شكل من الأشكال ولا تتكافئان من ناحية الدلالة التواصلية، التي جعلها "سيرل" مبدأ فهم الأفعال الخطابية غير المباشرة، لان مقاصد المخاطب في

1- آن (ريبول) وموشلار (جاك): التداولية اليوم علم جديد للتواصل ، ص 58

الخطاب ( هل تستطيع أن تتاولني الملح) ليست السؤال على مدى قدرة المخاطب على مناولته الملح، بل هو يطلب منه أن يناوله الملح فعلا، وهو بفعله هذا يخرج عن الاستعمال المباشر للخطاب إلى استعمال غير مباشر، إذن المخاطب هنا ” لا ينجز عملا لغويا واحدا بل اثنين: عملا أوليا يتمثل في الالتماس الذي ينجز بواسطة عمل ثانوي هو السؤال “ (1)، فالفعل الخطابي غير المباشر يتكون أساسا من فعلين إنجازيين اثنين.

1- الفعل الإنجازي الأول الابتدائي ( Acte illocutinaire primaire )

2- الفعل الإنجازي الثانوي ( Acte illocutinaire secondaire )

أما الفعل الخطابي الثانوي، فهو الفعل الإنجازي الحامل للقوة الإنجازية الحرفية لخرج الخطاب، ومنه يستقصى آلية إيقاع الفعل الخطابي الأولى، حسب ظروف الأداء وطريقته وملابساته. ويصل المخاطب إلى الفعل الخطابي الأولي عند طريق مجموعة من العمليات العقلية الاستدلالية انطلاقا من أداء المخاطب للفعل الخطابي بقطبيه، وفي صورته التلفظية الحرفية وفق ”إستراتيجية استدلالية تسمح بالتأكيد على مناسبة الإنجازي الابتدائي مختلفة عن مناسبة الإنجاز الحرفي أولا وثانيا كما تسمح بتعيين هذه المناسبة الحرفية، وثالثا تحدد المناسبة الإنجازية على أنها هدف التواصل الحوارى التخاطبي“ (2) وقد بين ”سيرل“ مراحل الإستراتيجية الاستدلالية، وجاءت عشرًا في مثال الملح.

## V. 1- مراحل الإستراتيجية الاستدلالية للأفعال الأولية:

بعد أن تلقى المخاطب الفعل الخطابي (هل تستطيع أن تتاولني الملح؟)

**المرحلة 1:** طبق المخاطب القواعد الدلالية وعرف أن المخاطب طرح عليه سؤال مؤداه إذا كان قادرا على أن يعطيه الملح.

**المرحلة 2:** إلتجأ إلى المعارف المحصلة سلفا (الخلفية) وافترض أن لمخاطبه قصدا ما بإنجازه لهذا السؤال.

**المرحلة 3:** أدرك المخاطب أن السؤال غير مناسب للمناسبة التي ذكر فيها ليس المقام مقام سؤال عن قدرة إعطاء الملح.

1- آن (ريبول) وموشلار (جاك): المصدر السابق، ص 59

2- أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 249.

المرحلة 4: إستدل بموجب مبدأ التعاون ان المخاطب يستطيع مناولته الملح أي أن جواب سؤاله سلفا هي: نعم حسب الخلفية.

المرحلة 5: إذن فسؤال المخاطب، على الأرجح ليس سؤالاً حسب المراحل 1-2-3-4 وله قصد إنجازي آخر فما هو؟

المرحلة 6: افترض المخاطب أنه وفق الشروط التمهيدية لأي إنجاز طلبى هو أن يكون المخاطب قادراً على إنجاز الفعل المرجو.

المرحلة 7: استدل المخاطب انه إذا أجاب على السؤال بتأكيد قدرته على إعطاء الملح، فمعنى ذلك أن الشرط التمهيدى لطلبه لمد الملح أصبح حاضراً.

المرحلة 8: والحال العامة لأداء الفعل الخطابى (هل تستطيع أن تتاولنى الملح؟) وجودهم على طاولة الطعام وأن كل منهم قد يحتاج إلى أن يمده من هو أقرب منه إلى الملح به، حتى الأخير... (معلومات خلفية).

المرحلة 9: يقتنع المخاطب بأن الشرط التمهيدى للطلب (إلتماس) قد تحقق وما عليه إلا التلبية.

المرحلة 10: يجزم المخاطب أنه في غياب هدف إنجازى آخر وارد أن المخاطب يلتمس منى أن أمده بالملح.

فكيف انتقل المخاطب استدلالياً من السؤال إلى القصد الإنجازى الأولى ألا وهو الإلتماس؟، لقد تعرضت اقتراحات "سيرل" للمراحل العشر هذه إلى انتقادات صائبة في مجملها، يمكننا تحليلها في النقاط التالية:

- استخدم "سيرل" في اقتراحه للمراحل العشر فكرة "جرايس" حول تحديد المعنى غير

الطبيعى للفعل الخطابى واستقاه منها من مفهوم مبدأ التعاون (1) الذى جاء به، إلا أن خطاباً كالخطاب الذى أخذه "سيرل" نموذجاً "ينتهك في نظرية "جرايس" قاعدة العلاقة ( تحدث في شان كذا...) وأن عمل الإلتماس يصبح مجرد استلزام محادثى يقتضى عملية تفكير.. فالأمر يتعلق هنا باستلزام محادثتى معتم، أي جار في الاستعمال" (2).

1- مبدأ التعاون: مبدأ تخاطبى شهير أرسى مبادئه الفيلسوف "جرايس" مؤشراً ومؤظراً للعملية التخاطبية، نسهب القول حوله و التحليل في قابل هذه الرسالة (المبحث الأول من الفصل الرابع).

2- ريبول (آن) وموشلار (جاك): التداولية علم جديد للتواصل ، ص 60

- اعتماد "سيرل" آلية الاستدلال المبنية على الاحتمالات المرتكزة أصلاً على الخلفية القصدية المستمدة من المخزون الذهني والمعارف المشتركة بين المتخاطبين، ويقول "أزايبيط" أن ارتكازها هذا مرتبط أصلاً بالمواضعة أو العرف اللغوي "أكثر من كونها موجهة بمسلمات الحوار (وبالخصوص مسلمات "كوردون-لايكوف")، ولهذا فإن أغلب المتون المستعملة (أو المستشهد بها) في اللغات الطبيعية لا تخرج عن كونها جملاً من تعابير، أو أقوال مستعملة استعمالاً مواضعاً عليه لسانياً، لرصد إنجاز الفعل اللغوي غير المباشر<sup>(1)</sup> ومن الأعراف اللغوية أننا إذا قلنا: هل تستطيع فعل كذا؟ القصد منه: افعل ذلك من فضلك؟... وإذا قلنا هل تملك هذا...؟ فقد نستعمله بقصدية هل تعيرني إياه؟... على أساس أن السؤال بهذه الطريقة يضم الإجابة عليه التحقق من الشرط التمهيدي لإنجاز الفعل الخطابي.

غير أن الأفعال الخطابية غير المباشرة كثيرة جداً ومتنوعة وقد تبتعد عن مثل هذه الأسئلة التي قد تنتهي بنا إلى التحجر الاستعمالي للخطابات، وحتى يحاول تنميطها اقترح "سيرل" أن تكون الشروط المؤطرة للفعل الخطابي الحامل للهدفين الإنجازيين الابتدائي والثانوي كما يلي (2):

الشروط	الطلبات (نموذج الالتماس)	الوعديات (نموذج الوعد)
1- الشرط التحضيري	- بإمكان (مخ) أن ينجز "ك"	- بإمكان "مك" أن ينجز "ك" - يريد "مخ" أن ينجز "مك" "ك"
2- شرط الصدق / الصراحة	- يريد "مك" من "مخ" أن ينجز "ك"	- للمتكلم قصد إنجاز "ك"
3- شرط المضمون القضوي	- يتوقع "مك" حدث "ك" من "مخ"	- يتوقع مخاطب حدث ك <sup>(3)</sup> المستقبلي من "مك"
4- الشرط الأساسي	- العودة إلى محاولة "مك" في جعل "مخ" يقوم بـ "ك"	- العودة إلى ما يقوم به "مك" من إجبارية القيام بـ "ك"

1- أزايبيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 251.

2- المصدر نفسه: ج2، ص 252.

3- جاء في الجدول الذي وضعه "أزايبيط": يتوقع المتكلم حدث "ك" المستقبلي من مخ ونحسب أن الصواب ما أوردناه.

بحيث: مك: المتكلم  
مخ: المخاطب  
ك: المضمون القضوي

وقد جعل "سيرل" مجموعة متكونة من الشروط الأربع التي تحكم إنجاز عدد من الأفعال الإنجازية منها إلى جانب الطلبيات والوعديات، الإخبار والتقرير والإعلان والشكر والنصح<sup>(1)</sup>، ويمكننا استعمالها لوصف وتحديد القصدية الخطابية في الأفعال الخطابية غير المباشرة، على غرار الأفعال الخطابية المباشرة، على سبيل التمثيل، يمكن للمتكلم أن ينجز فعل التوبيخ انطلاقاً من فعل الأمر عبر الفعل الخطابية:

- احترم نفسك.

**1- الشرط التحضيري:** لا يحترم "مخ" نفسه وبإمكانه احترام نفسه.

**2- شرط الصدق:** يريد المتكلم من "مخ" أن يحترم نفسه.

**3- شرط المضمون القضوي:** وضع المتكلم المضمون القضوي على شكل طلب يرقى إلى الأمر، احترم نفسك

**4- الشرط الأساسي:** ويتوقع المتكلم أن المخاطب سيحترم نفسه، ومحاولة "مك" جعل "مخ" يصح تصريحاته إلى الأفضل بتوبيخه موجهاً إياه إلى احترام نفسه.

بهذا يمكننا تتبع خطوات الانتقال من المعنى الثانوي إلى المعنى الأولي للفعل الخطابية محترمين وضع الشروط ووجودها.

إن "سيرل" بهذه التفرقة بين الفعل الخطابية الأولي، الفعل الخطابية الثانوي، فرق بين القوة الإنجازية الحرفية المظهرة لفحواه الخطابية وبين القوة الإنجازية المستلزمة، وعبر عن التفرقة بينها بالمعادلة التالية:

ف = [ قو ] [ ( ق ) ] (2)

ف = [ قو ] [ ح + ]

حيث :

ف: الفعل الإنجازي. / قو : القوة الإنجازية للخطاب.

1 -Searle : les actes de langage : 108-109.

2 -Ibid: p 70 . وينظر؛ بعيش (بحي): نحو نظرية وظيفية للغة العربية، أطروحة دكتورا دولة في اللسانيات . الحديثة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، نسخة مرقونة، مكتبة جامعة قسنطينة، 2006م، ص.

ح: فعل الحمل. / ق: المضمون القضوي.

إ: فعل الإحالة.

كدليل على وجود التفرقة بين الفعل القضوي للفعل الخطابى عن الفعل الإنجازى له سجل "سيرل" (I) اختلاف نفي الانجاز عن نفي القضية معبرا عنها بالمعادلتين:

~ قو (ق) معادلة نفي الإنجاز.

قو (~ق) معادلة نفي القضية.

ومثلا في الفعل الخطابى ( الوعد بعدم البكاء ) هناك فرق واضح في اختلاف قصدية عملية

النفي فيه بين:

- أعدك بألا أبكى.

- لا أعدك بالبكاء.

فالفعل الخطابى (لا أعدك بالبكاء) فيه نفي للفعل الإنجازى الوعد ما أقر معنى أن إمكانية أن يبكى المتكلم واردة لا تنمحي، في حين أن الفعل الخطابى (أعدك بألا أبكى) فيه نفي للقضية (البكاء) ما يجعل قصدية الفعل الخطابى هي إثبات القوة الإنجازية للفعل الخطابى (الوعد) ونفي القضية (البكاء) فأنجز بذلك المخاطب قصدية الوعد بعدم البكاء مهما كان.

## V. 2. قصدية الفعل الخطابى بين النمط الجملى والقوة الإنجازية:

إلى هذا الحد يستقر لنا القول في الفصل بين الفعل الإنجازى من جهة والمحتوى القضوي من جهة أخرى وبين القوة الإنجازية الحرفية والقوة الإنجازية المستلزمة، أنه بالأخذ بما استقرت عليه مفاهيم كل من "جرايس" و"سيرل" في إقرار وجود قصديات غير مباشرة للأفعال اللغوية إلى جانب وجود قصديات مباشرة، تنبه كل من "هنخفلد" و"ماكنزي" إلى أن المقاصد المباشرة تعكسها صورة خرج الخطاب متمثلة في مكوّنها النحوي، وأن المقاصد غير المباشرة، وهي المقاصد المضمرة أو المكثفة فغالبا ما توكل مهمة اشتقاقها إلى المخاطب على أساس ما يمدّه به السياق من مؤشرات، "فالفئة الأولى ترصد داخل المكون النحوي ذاته في حين ترصد الفئة الثانية في مكوّن غيره وقد اختار نموذج نحو الخطاب

1. Searle : les actes de langage : p 71.

الوظيفي أن يتم رصد هذه الفئة في أحد المكونات "المصاحبة" وبالتحديد المكون السياقي<sup>1</sup> فصفة المباشرة وغير المباشرة الأخرى أن تلتصق بالقوة الإنجازية للأفعال الخطابية لا بالفعل الخطابي ككل فالمحتوى الخطابي للفعل الخطابي مستقر في مكوناته النحوية إلا أن القوة الإنجازية له تختلف وتتعدد باختلاف وتعدد الاستعمال ما يجعلها لصيقة بالمكوّن السياقي على وجه القوة دون غيره من المكونات رغم أهمية المكونات الأخرى لنموذج مستعمل اللّغة من بناء الفعل الخطابي، فالمكوّن المعرفي مكوّن محرك والمكوّن السياقي مكوّن مؤطر في حين أن المكوّن النحوي مكون بانٍ والمكوّن الخرج مكوّن مظهر للخطاب، بهذا فرقت نظرية "الأفعال اللّغوية" بين "النمط الجملي" و "القوة الإنجازية الأصلية"<sup>2</sup> و "القوة الإنجازية المستلزمة".

### 1- النمط الجملي:

إن "النمط الجملي" هو الصنف الجملي الذي تنتمي إليه جملة الفعل الخطابي صرفياً ونسقياً وتتغيمياً، وصنف "ديك" الجمل أربعة أصناف: جمل خبرية وجمل استفهامية وجمل أمرية وجمل تعجبية<sup>2</sup>، مثال كل صنف من أصناف الأفعال الخطابية على التوالي:

- حضرت مبكراً.
- من جاء برفقتك؟
- لا تصدمني بأرائك الشاذة.
- ما أظع ما تصف !

ويستخدم كل لسان أدوات نسقية تعمل على ترسيخ النمط الجملي للفعل الخطابي، مفعلة قصدية القوة الإنجازية الأصلية، أي أن القوى الإنجازية الأصلية؛ قوي تظهرها بشكل مباشر البنية النسقية للنمط الجملي المؤدى في الفعل الخطابي، فهي بذلك القوة التي تطابق النمط الجملي.

### 2- القوى الإنجازية الأصول: (القوى الإنجازية المباشرة) في اللّغات الحية عامة عدّ

"هنخفد" و "ماكزري" اثنتي عشرة قوة إنجازية أصلية، تنتقي كل لغة منها ما يناسبها، ويعرفان عناصر هذه القائمة كالاتي<sup>(3)</sup>:

- 1- المتوكل: الخطاب وخصائص اللّغة العربية، ص 59.
- 2- المصدر نفسه: ص 50.
- 3- المصدر نفسه: ص 57-58.

- 1- الخبر: يخبر المتكلم المخاطب بفحوى الخطاب
- 2- الاستفهام: يطلب المتكلم من المخاطب جوابه عن فحوى الخطاب.
- 3- الأمر: يأمر المتكلم من المخاطب بتنفيذ الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- 4- النهي: يمنع المتكلم المخاطب من تنفيذ الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- 5- التمني: يبلغ المتكلم المخاطب رغبته في أن تتحقق الواقعة البعيد حصولها التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- 6- الدعاء: يبلغ المتكلم المخاطب بأنه يدعو أن تتحقق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- 7- التحضيض: يهيب المتكلم بنفسه أو بغيره أن يحقق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- 8- التحذير: يهيب المتكلم بنفسه أو بغيره أن يتجنب تحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- 9- النصح: ينصح المتكلم المخاطب بتحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب
- 10- الالتزام: يلتزم / يعدُّ المتكلم بتحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب .
- 11- الالتماس: يطلب المتكلم من المخاطب تحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب أو الإذن في تحقيقها.
- 12- الاستغراب: يعبر المتكلم عن اندهاشه من الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.

يظهر من عمل "هنخفلد وماكنزي" أنهما رصدتا عامة القوى الإنجازية الظاهرة في الصورة النسقية للخطابات، ظهوراً جلياً، ويؤكدان "احتراماً لمبادئ نحو الخطاب الوظيفي لن يرصد لكل لغة من القوى الإنجازية الأصول إلا القوى الإنجازية التي تبرر ورودها سمات نحو تلك اللّغة"<sup>(1)</sup> وانطلاقاً من مبدأ أن: القوى الإنجازية الأصول هي القوى التي تتمظهر في خرج الخطاب حصر "هنخفلد" و "ماكنزي" قائمة القوى الإنجازية الأصول في اللّغة الإنجليزية في ست تتمثل في: الخبر، الاستفهام، الأمر، الدعاء التحضيض، الاستغراب "باعتبارها وحدها القوى الإنجازية المؤشر إليها صرفاً أو تركيزاً في هذه اللّغة، أما القوى الإنجازية الست الباقية فإنها مقصاة من المكون النحوي ومتروك رصدها للمكون السياقي"<sup>(2)</sup>. قام "المتوكل"، تأسياً بمبدأ إظهار القوى الإنجازية الأصول في المكون الخرج رصد القوى الإنجازية الأصول في اللّغة العربية، وانطلق في ذلك من فحصه بانتهاج نهج

1- المتوكل: المصدر السابق: ص 58

2- المصدر نفسه، ص 63.

"هنخفلد" و"ماكنزي" في رصد القوى الإنجازية الأصول في اللغة العربية، وانطلق في ذلك من فحصه لما ورد في الفكر العربي القديم بلاغته ونحوه عن مقاصد الخطابات العربية وإفصاح العربي عنها في ضوء معطيات اللغة العربية صوتاً وصرفاً ونسقاً مؤكداً ان اللغة العربية تضم عدد كثيراً من عناصر القائمة، بخلاف اللغة الإنجليزية ويعزوا ذلك إلى غناها الصرفي وطبيعتها الاشتقاقية قائلاً: "ولعل مرد ذلك إلى كون العربية من اللغات الغنية صرفياً"، أي اللغات المتوافرة فيها صرفات وصيغ تسخر للدلالة على السمات العلاقية (وغيرها) إضافة إلى تراكيب مخصوصة" (1).

إضافة إلى ما ذكره "المتوكل" تعد اللغة العربية من أغنى اللغات على وجه الخصوص بحروف المعاني والأدوات، ذات الأهمية العظيمة في بيان دقة مقاصد الخطابات في اللغة العربية، فهي - اللغة العربية- "تتضمن على أدوات تؤدي معاني - أو وظائف - معينة، يمكن أن تؤدي أدواراً إنجازية مباشرة في سياقات محددة مناسبة لمعانيها الأصلية" (2) من أمثلة ذلك، الفرق في إظهار القوة الإنجازية الأصل الاستفهام باستخدام حرفي الاستفهام «أ» و «هل».

- أحمد من ساعدك؟

- هل أحمد من ساعدك؟

ولدور حروف المعاني الرائد في تجلية مقاصد المتخاطبين، صنفها الدارسون العرب كأفعال خطابية قائمة بذاتها، ما يخول لنا عدها في قائمة القوى الإنجازية الأصول المحددة لقصدية الأفعال الخطابية، المؤثرة في إيقاع أفعال ومواقف اجتماعية أو فردية، وقد أسسنا لفكرة دور حروف المعاني في بيان القوة الإنجازية الأفعال الخطابية، ولنا عودٌ لها في التحليلي الذي سوقه على رأي "المتوكل" في شأن قائمة القوى الإنجازية الأصول في اللغة العربية، فما القائمة التي أقرها "المتوكل" أولاً؟

إن "المتوكل" قال بأن اللغة العربية تنتقي، من القائمة التي عينها "هنخفلد وماكنزي" للقوى الإنجازية الأصول في اللغات الحية عامة، تسعا من القوى تتحقق بواسطة صيغة المحمول، أو بواسطة الأدوات، أوبهما معا (3):

القوى المتحققة بواسطة صيغة المحمول: أي الفعل أساساً، وتتمثل في:

1- المتوكل: المصدر السابق، ص 63.

2- الصراف (علي محمود حجي): في البراجماتية- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 105

3- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 63

- الخبر: قضيت يوماً جيداً، إنّه يوم جيد.
- الأمر: ع ما تقرأ.
- الدعاء: من ذلك قولنا: اللهم آتني من فضلك.
- التحذير: إحذر اللعب بالنار.

#### القوى المتحققة بواسطة الأدوات: وهي:

- الاستفهام: ومن أدواته، هل ، الهمزة، كيف، ماذا، من...!
- الاستغراب: أو، أف/ أف تظن بي السوء حقاً!
- التمني: ليت/ ليت النهار يطول أكثر.

#### القوى المحققة بتظاهر صيغة المحمول والأدوات:

- النهي: مثاله الخطاب، لا تلمس المصحف دون وضوء.

ويجزم "المتوكل" أن القوى الأصلية الثلاث الباقية، الالتزام، النصح، والالتماس فهي "غير واردة بالنظر إلى اللغة العربية كقوى إنجازية أصول إذ إن التعبير عنها في هذه اللغة يتم بواسطة المقام وحده، أو عن طريق فعل إنجازي صريح" (1) وقد ساق مثالا على الفعل الخطابي ذي القوة الإنجازية الالتزام: - سأعطيك مالاً.

جازماً بأنها ليست قوة إنجازية أصلية ذلك أن المقام وحده هو المحدد لكونها التزاماً أو تعهداً، وأنه ليس في اللغة العربية صيغة أو صيغ خاصة بالتعهد والالتزام بعيداً عن المكوّن السياقي أو صراحة الفعل الإنجازي ( أعد، ألتزم)، مثال ذلك: - أعدك بمبلغ من المال. - ألتزم بإعطائك نصيباً من المال.

إلا أننا نسجل أن كثرة استعمال: صيغة المضارع، خاصة إذا ضم الخطاب عناصر الإحالة إلى ضمائر المتكلم/ مع حروف التسوييف (السين، سوف)، قد تصل بنا إلى اعتمادها صورة من صور إنجاز قوة للالتزام تتحقق بواسطة الصيغة والأداة، من ذلك الأفعال الخطابية:

1- المتوكل: المصدر السابق: ص 65.

- سأعطيك ما لا.
- سأحضر الحفل.
- سوف أزودك بالكتاب.
- سوف أكون من الناجحين.

وإذا كانت القوة الإنجازية للنصح والالتماس لا ترتبط في اللغة العربية بأدوات أو صيغ معينة، فإننا نجد فيها- اللغة العربية- أساليب تظهر قوى إنجازية أصلية أخرى، وقد أثبت "المتوكل" نفسه بعضا منها وسنقترح قوى أخرى تجلي الأساليب العربية، لعل "المتوكل" غفل عليها، أما القوى الأصلية التي أضافها "المتوكل" هي الإغراء والإنكار والترجي، ومبرر هذه الإضافة حسبه خصوصيتها من حيث معناها ومن حيث الوسائل المسخرة لتحقيقها " فالإغراء غير التخضيب وإن تلابسا والإنكار ليس مجرد الاستغراب والترجي في مقابل التمني طلب للممكن حصوله لا طلب للمستحيل (أو البعيد) حصوله، ولكل من الإغراء والإنكار والترجي تركيب يخصه أو أداة ينفرد بها دون غيره"<sup>(1)</sup>، فأسلوب الإغراء متفرد بصيغة أو بنية التكرار فيه، من ذلك الخطابات:

- الله الله ومال اليتيم.
- الله ومال اليتيم !
- مال اليتيم !
- أو تتجاهل رأي والديك؟
- لعل الفرج قريب.

**1- الإغراء:** هو غير التخضيب وإن تلابسا إذ ذكر "المتوكل" أن العرض والتخضيب قوتان إنجازيتان واعتبر التخضيب هو القوة الإنجازية الأصلية والعرض قوة إنجازية مستلزمة عنها ومرد ذلك اشتراك كل من العرض والتخضيب في أداة واحدة، ينجزهما المتكلم لينبه المخاطب إلى القيام بفعل فحوى الخطاب، أي "أن يحدث الفعل الذي بعد أداة العرض والتخضيب"<sup>(2)</sup> وأدواتهما هي: ألا، هلا، إليك الخطابات التالية:

- ألا تجتهد تصب خيرا.
- هلا تحمد الله يؤتكَ من فضله.

1- المتوكل: المصدر السابق: ص 67.

2- عتيق (عبد العزيز): في البلاغة العربية، ص 71.

يمكن رد استئثار "المتوكل" جعل التحضيض القوة الإنجازية الأصلية لهذا النسق في اللغة العربية؛ ورود التحضيض كقوة إنجازية أصلية في قائمة "هنخفد وماكنزي" لا أصلية هذا النسق، إضافة إلى ما ذكره "المتوكل" عن رأي "السكاكي" في العرض أنه ليس باب على حدة بل أنه من مولدات الاستفهام، إلا أننا نجد "المتوكل" نفسه مع هذا يفطن لتساوي التحضيض والعرض في الأصلية في قوله: "إلا أن هذا لا يمنع من أن نعكس الاقتراح فيكون العرض قوة إنجازية وسيلة تحققها الأداة "ألا" ويكون التحضيض قوة إنجازية فرعاً تحددها مقتضيات السياق" (1)، بهذا أثبت "المتوكل" أصلية كل من الإغراء والتحضيض على حد سواء، وجعل صيغة الإغراء الوظيفية :

- الإغراء: يحبب المتكلم إلى المخاطب تحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.(2)

**2- الترجي:** إن للترجي في اللغة العربية أدوات وأساليب خاصة تثبت في صورة خرج خطابها، منها:

- "لعل"، "عل"، التي تعد "من صيغ الإنشاء غير الطلبية هي التي تقيذ الرجاء نحو لعل انحدارا الدمع يعقب راحة" من الوجه أو يشفي شجي البلابل" (3) و "عل" لغة من "لعل" (4)، ومثالها الخطاب: عل الله يأتينا من فضله

- "عسى": تعد من أفعال الرجاء، كالخطاب: اجتهد عسى النجاح يكون نصيبك.

وأكد "المتوكل" أن "الترجي" قوة إنجازية أصلية (5) يمكن إضافتها إلى قائمة القوى الإنجازية

الأصول في اللغة العربية ويعرفها بالصيغة التالية:

1- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 68.

2- المصدر نفسه: 68.

3- عتيق (عبد العزيز): في البلاغة العربية- علم المعاني- البيان- البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، ط 1، ص 68-69. والبيت ل: ذي الرمة.

4- الزناد (لزهر): دروس في البلاغة العربية- نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، لبنان، العربية للنشر، صفاقس، تونس، ط 1، 1992م.

5- إن الفرق بين الترجي والتمني؛ أن التمني صعب المنال حسب اعتقاد المتمني في حين أن الترجي ممكن الوصول إليه، لذا يستبطن المتكلم في التمني حالة قصدية متشعبة بالرغبة في حدوث التمني أكثر من المرجو، إلى ذلك يعزى الفرق بينهما، « ذلك أن الأساس الانفعالي النفسي الذي يقوم عليه التمني يبيسر الانتقال، تصوريا، من الممكن إلى المحال، فمضمون التمني ليس مستحيلا في نفسه بل لأن المتكلم يقدمه على أنه كذلك ولا ينفذ تكذيبه في العالم الخارجي»، ينظر: المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 223.

- **الترجي:** يبلغ المتكلم المخاطب رغبته في أن تتحقق الواقعة الممكن حصولها التي يتضمنها فحوى الخطاب. (1)

**3- الإنكار:** إن أسلوب الإنكار في اللغة العربية، ظاهر في خرج الخطاب، إذ له أداة لآدائه، مستعملة في الخطابات اليومية، من ذلك الفعل الخطابي التالي:

- أو تتجاهل رأي والديك؟ - أو تأكل المال الحرام؟.

**الإنكار:** يبلغ المتكلم المخاطب أنه يستنكر أن تتحقق الواقعة التي يضمنها فحوى الخطاب. 2.

**4- تعقيب على رأي "المتوكل" في التعهد و الالتزام:**

- أضاف "المتوكل" لقائمة "هنخفد وماكنزي" ثلاثة قوى عدها أصلية هي: الإغراء، والترجي والإنكار.

- كما حذف ثلاثة عدها غير مطبقة على المستويين النسخي والصرفي، إلا أننا وإن ثننا رأيه في عدم أصلية قوتي، النصح والالتماس لعدم ظهورها بشكل مباشر في خرج الخطاب، نقرر تأسي بإقراره هو نفسه لعنصر الاستعمال المتكرر والشائع لأسلوب ما في اللسان إلى اعتماد التعهد والالتزام قوة أصلية كما فعل هو نفسه مع أسلوب الإغراء.

- فنقرر أن للالتزام والتعهد في اللغة العربية صيغة مرتبط بها حال الاستعمال ما يجعلها قوة إنجازية أصلية في اللغة العربية.

وإذا كان في الإلتزام والإغراء على حد سواء قول ووجهات نظر، إلا أننا نسجل أن "المتوكل" أشار إلى عدد من القوى دون أن يضيفها للقائمة وأغفل عددا آخر من القوى الإنجازية الأصلية في اللغة العربية، لا تخفي استعمالاتها ولم تخبو منها؛ من القوى التي نكرها ولم يصنفها: النداء والندبة والاستغاثة، التي عدها أفعالا خطابية قائمة بذاتها لا مجرد قوة إنجازية، إلا أننا إذا اعتمدنا مبدأ أن القوة الإنجازية في الأفعال الخطابية تؤشر بالخصائص المعجمية والصورية لذلك الفعل الخطابي، التي تحدد استعماله علاقيا لتحقيق قصد تواصلية ما (3)، يمكننا اعتماد كل من النداء والندبة والاستغاثة قوى إنجازية أصلية كون

1- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 68.

2- المصدر نفسه: ص 68.

3- ينظر نفسه، ص 56.

الخصائص المعجمية والصورية للفعل الخطابى المتعلق بها ذي الوظيفة التنبيهية بالدرجة الأولى، ظاهرة في خرج خطابها بشكل صريح ، نعرضها كما يأتي:

**5- النداء:** " إنشاء طلب يراد منه، إقبال السامع على المتكلم بذهنه فوظيفة النداء التنبيهية " (1)، بالنداء ينبه المتكلم المخاطب بأنه هو المقصود بتوجيه فحوى الخطاب إليه، ومن أدواته في اللغة العربية:

- أ، أي: لنداء القريب، ك: أبادر / أي أم.

- يا، آ ، أي، أيها، أيا، ها: لنداء البعيد "أو من هو بمنزلة نائم أو ساه فإذا نودي من عداهم فلحرص المنادي على إقبال المدعو عليه ومفاظنته لما يدعو له" (2)، فالمتكلم يأخذ بعين الاعتبار الحال الذهنية لسامعه، محاولا لفت انتباهه لفحوى خطابه. ومن الأفعال الخطابية ذات القوة الإنجازية النداء:

- يا لله، آتني من فضلك.

- أي بنيتي، اقتربي وامشي بجواري.

- أيا لائمي على ضعفي إن الضعف سمة الإنسان.

ومن خطابات الندبة والاستغاثة:

- وا جابرا لكسر الضعفاء، أجبرني.

إن القوة الإنجازية النداء، ليست القوة الإنجازية الوحيدة التي غفل عن تأصيلها "المتوكل" رغم أنه من أصلها كوظيفة خارجية من الوظائف التداولية لعناصر الخطاب في نظرية "النحو الوظيفي"، لتمييز اللغة بها كأسلوب من أساليب إظهار قصيدة الخطابات، غفل "المتوكل" أو أهمل أيضا أهمية كل من أساليب المدح والذم والقسم كقوى إنجازية أصول في اللغة العربية.

**6- القسم:** ينجز فعل القسم في اللغة العربية توكيدا للقوة الإنجازية الخبرية في أجزاء الخطاب المتعلقة به، "إذ يرمي إلى تحصين الخطاب باعتماد سلطة خارج الخطاب (المقسم به) وهو لا يستقيم بنفسه لا تركيبا ولا معنويا فهو يفنقر إلى كلام بعده بكلمة" (3)، يرتبط القسم

1- الزناد (لزهر): دروس في البلاغة العربية، ص 132.

2- عن المفصل

ينظر: الصافي ( خديجة محمد): نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 2008، ص 143

3- الزناد (لزهر): دروس في البلاغة العربية، ص 142.

بفحوى الخطاب ارتباط تلازم، ويشكلان بذلك فعلين خطابيين متكافئين، غير منفصلين إلا إذا

جاء على سبيل الجواب المقدر أجزاء منه على سبيل عدم الذكر مثاله المحادثة:

- أَقْسِمُ أَنْكَ لَمْ تَفْعَلْ.

- وَاللَّهِ

وينجز فعل القسم في اللغة العربية بواسطة الصيغة أو الأدوات أو بهما معا.

**2- المدح والذم:** ينجز فعلا المدح والذم المتكلم ليلبغ المخاطب انه يحس بالرضى والإنبساط أو الرفض

والسخط على فحوى الخطاب الذي يقره وينجزه.

أدواتهما:

المدح: نِعَمَ ، حَبِذَا ، نِعَمَ .

الذم: بئسَ ، لا حبذا .

ومن الخطابات التي تظهر القوة الإنجازية المدح:

- نِعَمَ الزَّوْجِ أَنْتِ .

- حَبِذَا كِتَابٌ نَافِعٌ .

أما من الخطابات التي تظهر القوة الإنجازية الذم:

- بئسَ المَقَامُ مَقَامُكَ .

- لا حبذا نَمَامٌ مِثْلَ بَضْغِينَةٍ .

ويمكننا إقرار المدح والذم كقوى إنجازية أصلية منطلقين من قاعدة أن المتكلم عندما يمدح شيئاً

أو يذمه موجود مستقل عن الخطاب ( شيء مادي أو مجرد)، فيستقر لصيغ المدح والذم اتجاه مطابقة

وفق الحالة القصدية المنشئة له من الخطاب إلى العالم، ملا يتوفر في صيغة التعجب التي تعد وجها فقط

قوتها الإنجازية الأصلية الخير، لأن التعجب مرتبط بشعور يخبر به المتكلم يفترض سلفاً صدقه؛ واستقرار

في ذهن الشخص المتفضل بالفعل الخطابي ذي غرض التعجب.

**8- صيغ العقود:** وهي إنشاءات إيقاعية يعرفها "الزناد" ب: "الإنشاء الإيقاعي ملفوظ يوقع

به المتكلم حدثاً فتكون له قيمة الحدث"<sup>(1)</sup>، وينجزها المتكلم فيحدث بها تغيير في الوجود، ومن

1- الزناد (لزهر): دروس في البلاغة العربية، ص 142، وأنظر: صحراوي (مسعود): التداولية عند العلماء

العرب ، ص169.

صيغها: بعث، اشتريت، أوصي، أعلن، أقبله، وعديد من الأفعال الموقعة للأحداث الواصفة لها من ذلك الخطابات:

- أوصي / أوصيت بثلاث مالي لليتيم.
- أعلن / نعلن / أعلننا افتتاح جلسة الأشغال.
- أقبل الزواج.

وفي اللسان العربي أجمع أغلب علماء الأصول على أن صيغ العقود تقع حتى بالصيغ غير المباشرة والكنائية توقع العقود والأحداث ومن ذلك.

بهذا نعمل على إتمام القائمة بالقوى الإنجازية الآتية كقوى إنجازية أصلية، ويمكننا تعريفها بما يلي:

- الإلتزام: نعرفها كما عرفها "هنخفلد وماكنزي" (1).
- النداء: يطلب المتكلم من المخاطب الإقبال عليه لتحقيق الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- الاستغاثة: يطلب المتكلم من المخاطب إجابته، بتحقيق الواقعة المرجوة التي يتضمنها فحوى الخطاب، أو اجتناب الواقعة المرفوضة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- القسم: يقسم المتكلم للمخاطب لتحسين الواقعة المتضمنة في فحوى الخطاب
- المدح والذم: يبلغ المتكلم المخاطب مدحه أو ذمه الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.
- صيغ العقود: يوقع المتكلم بها الواقعة التي يتضمنها فحوى الخطاب.

بهذا يتم لنا أن قائمة القوى الإنجازية الأصلية في اللغة العربية تمت في حوالي عشرين قوة إنجازية أصلية في الخطابات العربية:

- تسع أقرها "المتوكل" من قائمة "هنخفلد وماكنزي"، هي: الخبر والاستفهام والأمر والنهي والتمني والدعاء والتحضيض والتحديد والاستغراب.
- أضاف "المتوكل" ثلاث قوى إنجازية أصلية، هي: الإغراء، الترجي، الإنكار، ثم ألمح إلى إمكانية إضافة كل من التنبيه والاستفتاح.

1- ينظر: قائمة "هنخفلد وماكنزي" المذكورة سابقا، وينظر: المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 58.

- حاولنا نحن لفت النظر إلى أصلية ست قوى إنجازية أصلية أخر، هي: الالتزام والنداء والاستغاثة والقسم والمدح-الذم وصيغ العقود.

إن ما شجعنا على إضافة هذه القوى الإنجازية إلى قائمة الأصول هو رأي "المتوكل" نفسه الذي عدّ هذه القائمة قابلة دائماً للتعديل بالحذف أو الإضافة، لأن القائمة مرتبطة لحد الآن بالعربية الفصحى أما بالنظر إلى اللغة العربية الفصحى (المعاصرة)<sup>(1)</sup>، ومختلف الدواجر المستعملة حالياً على لسان العرب، "فإن الأمر يقتضي بحثاً قائم الذات مستندا فحص معطيات هذه اللغات يرصد ما طرأ من تطور على تلك القائمة إن من حيث الكم أو من حيث الكيف"<sup>(2)</sup> رصداً يولي أهمية لخرج الخطاب كخادم لقصدية انطلاقاً من مبدأ تبعية البنية للوظيفة، وتوقع "المتوكل" أن يخضع التطور في مجال القوى الإنجازية للنزوعات التالية<sup>(3)</sup>:

**1-** تقليص الغنى الصرفي لحساب التركيب: يحدث أن يستغنى مستعمل اللغة عن بعض الصرفات (أدوات، صيغ) ذات الدلالة على القوة الإنجازية الأصلية، كما حصل مع بعض الأدوات ذات الصدارة في اللغة العربية، كأدوات الاستفهام والإنكار والترجي والاستغراب، مثال ذلك الأفعال الخطابية.

- قرأت تفسير "ابن باديس" ؟ (بتنظيم الاستفهام) قوة إنجازية استفهامية.

- هل قرأت تفسير "ابن باديس" ؟

- أقرأت تفسير "ابن باديس" ؟

**2-** تعويض ما استغنى عنه بغيره من الصرفات: قد تعوّض اللغة ما تم الاستغناء عنه بأدوات أو صيغ أو تراكيب مخصوصة تؤدي الدور نفسه فتظل القوى الإنجازية الأصول ثابتة الوجود، كالفعل الخطابي:

**1- اللغة العربية الفصيحة:** اللغة العربية المستعملة حالياً، وقد اختلف موقف الدارسين من هذه التسمية، حتى نجد من يطلق عليها "اللغة العربية البيضاء" ذكر "الصرف" منها: العربية المعاصرة، اللغة العربية المشتركة المعاصرة، "الفصحى المعاصرة"، وحدّد مميزاتها وأورد لها تعريفاً، تعريفها: «شكل لغوي مختار يتعلمه العربي تعلماً، وتفاوت مستعملوه في القائمة تفاوتاً ظاهراً، ومن ثم فلا أحد يكتسبها في بيئته أو يستعملها في شؤون الحياة العامة» ومميزاتها: التزامها بقواعد اللغة العربية الفصحى، وكونها مشتركة بين جميع الأقطار العربية، وكونها متأثرة بالدواجر من جهة واللغات الأجنبية من جهة أخرى. ينظر: "الصرف": في البراجماتية- الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 14-15

**2-** المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص 68

**3-** المصدر نفسه، ص 68

أم تأكل؟ ← دراجة جزائرية من منطقة " جيجل " قوته الإنجازية الاستفهام (1)

3- فقد القوى التي لم تعوض صرفاتها لصفة أصليتها، والقوى المعنية بأمر التعويض إذ لك يتم تعويض صرفاتها، تغدوا مع الاستعمال قوإنجازية مستلزمة يحتكم في إجراءات لمقتضيات السياق لا صورة خرج الخطاب ونفسه.

4- اختلاق اللّغة عبر تطورها أدوات وصيغ وتراكيب جديدة، ينتج عنها أمرين اثنين:

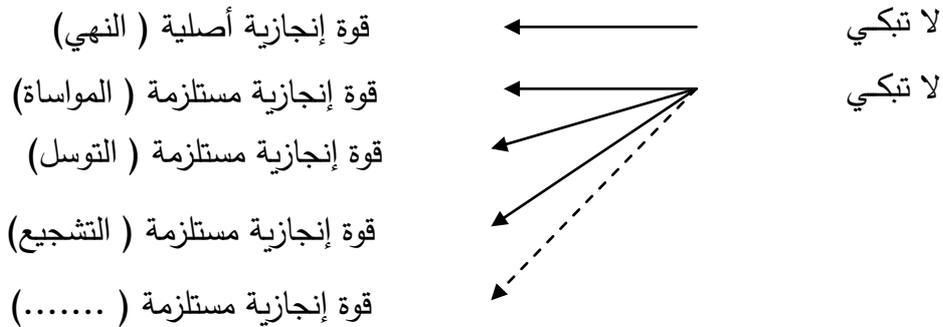
- استحداث قوى إنجازية جديدة تضاف إلى قائمة القوى الأصول.

- نقل قوى إنجازية مرتبطة بالسياق من وضع الفرع إلى وضع الأصل.

5- خضوع الأفعال الخطابية لسنن الاستحداث والفقدان كما يطرأ على القوى الإنجازية.

### 3- القوى الإنجازية المستلزمة:

سبق وذكرنا أن الاستناد إلى مفهومي "المقاصد المباشرة" و "المقاصد غير المباشرة" يتم به التمييز بين القوى الإنجازية الأصلية المرتبطة بالمقاصد المباشرة والمرصودة في المكوّن النحوي (الخرج)، وبين القوى الإنجازية المستلزمة المرتبطة بالمقاصد غير المباشرة والمرصودة باللجوء إلى المكون السياقي، أو المكون المعرفي، ما يجعلنا نجزم بأن القوة الإنجازية الأصلية لفعل خطابي ما هي قوة ثابتة مرتبطة بخرجه بعيدا عن أي اعتبار آخر لا يؤثر فيها، السياق أو المعارف السابقة، أما القوة الإنجازية المستلزمة فهي وليدة ظروف الواقعة الخطابية المعنية بها لا غير، تتعدد وتجدد، متغيرة حسب ظروف إنجازها ، مثال ذلك الفعل الخطابي النهي:



1- عوّضت في هذا الفعل الخطابي أداة الاستفهام " ألا " ب " أم " مؤدية القوة الإنجازية الاستفهام مساويا في قوته الإنجازية للفعل الخطابي ألا تأكل معنا؟

ولتعددتها وتجديدها أطر منها ما يؤخر العملية التواصلية بصفة عامة ويؤطر إنتاج الخطابات من أطر مقامية ومقالية. سبق وذكرنا في بداية هذه الأطروحة<sup>(1)</sup> لا نكرر الحديث عنها هنا وإنما سنولي أهمية لقضية أخرى، يمكننا عدّها الجامع لكل أطر إنجاز الخطابات، والمتمثلة فيما أسماه "سيرل" "العرف" حيث يؤكد "سيرل" أن للعرف الدور الأساسي في إنجاز وفهم وتحقيق الأفعال الإنجازية غير المباشرة، وذكر "هدسون" أن "العرف" يشترك مع الضرورة في تحديد خرج الخطابات، فمن الخضوع إلى الأعراف الخطابية في جماعة لغوية ما الحديث حسب طريقة وصيغة معينة حتى يغدو الخطاب مقبولاً لدى المتلقي، أما الضرورة فتحكم لجوء المتكلم إلى استخدام تعبير لا يمكنه أن يستغني عنها لعدم وجود بدائل عنها، فتصبح الخطابات اللاجئ إليها خطابات وليدة ضرورة ملحة، لا يمكن الحياد عنها إذا أردنا توصيل قصد محدد، يقول "هدسون" "ومن الصعب أن نحسم مسألة الصراع القائم بين الضرورة والعرف بما يعتبر تفسيراً لهذه الحقائق والمشكلة هي أن أحدهما قد يكون مصيباً في بعض الحالات بينما يكون الآخر مصيباً أيضاً في بعض الحالات الأخرى"<sup>(2)</sup> تتمثل أهمية العرف في تحديد أو تعديل الخطابات وقصدياتها في إنجازها وفق نمط إدراك عقلي أصلاً، فدور العرف يتعدى تأطير اللغة إلى تأطير الفكر الباعث لها، فبناء الحالات القصدية أصلاً يخضع للعرف العام في الجماعة الإنسانية.

واللغة حسب "سيرل" تشتمل على كينونات رامزة، وفيها قدرات خاصة بالقصد العقلي، ولا تملكها اللغة في أصلها بل إن مستعملي اللغة من يفرضونها عليها حسب قصدهم العقلي "فجملة" "أنا جائع" هي جزء من اللغة، لأن العرف قد جعل لها دلالات لها القدرة على أن تعبر عن الأشياء وتمثلها، بل على أن ترمز كذلك إليها، غير أن الشعور الفعلي بالجوع ليس جزءاً من اللغة، لأنه يمثل شروط الإشباع الفعلي، فليس بحاجة إلى اللغة أو إلى أي نوع آخر من الأعراف كي تشعر بالجوع"<sup>(3)</sup>، إن تفرقة "سيرل" بين القصد العقلي الخاص المؤطر للإنجاز الخطابي، والقدرة التعبيرية للعبارة اللغوية، فتحت له المجال لتأطير العملية بما سماه "العرف"، وتبرز أهمية العرف عنده، في أن "الغاية من امتلاك سلطة العرف من تنظيم العلاقات بين الناس، في إطار هذه الطائفة من الأوضاع نمنح حقوقاً، ونفترض مسؤوليات، والتزامات، وواجبات ونمنح امتيازات وتعويضات، ونعاقب بجزاءات ونمنح سلطان، وتصاريح

1- ينظر مدخل هذه الأطروحة حول "الخطاب"، حيث ذكرنا أهم أطر إنجاز الخطابات في الحياة اليومية.

2- هدسون : علم اللغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، مراجعة: نصر حامد أبو زيد و محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، مصر، ط3، 2002م، ص 87.

3- سيرل: بناء الوقع الاجتماعي، ص 97.

وغيرها من ظواهر العرف الأخلاقية<sup>(1)</sup>، فالعرف هو المانح للعلاقات الاجتماعية صفتها وقيمتها الفعلية بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة وفي إطاره يكون المتخاطبون مختلف المعارف المتضمنة في المكونات الأربع لنموذج مستعملي اللغة- المعرفي والسياقي والنحوي والخرج- ولما كان القصد أصل كل فعل إنساني فهو مؤطر كذلك بالعرف العام للجماعة الانسانية التي ينتهي إليها الفرد:

الشعور الفعلي ← ← ← قصد عقلي ← ← ← خاص

التعبير عن الشعور -بالجوع- ← ← ← بقصد جمعي ← ← ← عرف عام

كما أن الأعراف الاجتماعية تبنى عليها مجموع الأعراف اللسانية التي تتيح التواصل الناجح بين أفراد الجماعة اللسانية الواحدة، بهذا تخلف مجال من المدركات، تحدد وتفعّل الكفاءات التواصلية للفرد داخل الجماعة، وسبق أن رأينا في الفصل الثاني، أن الكفاءات التواصلية قاعدة هامة لإنجاح التواصل اللساني، ونخص الشكل غير المباشر منه لأنه يتطلب تفعيل جلّ الكفاءات التواصلية غير اللسانية واللسانية على حد سواء حال الإنتاج وحال التأويل، من ذلك ما تقوله "أوركينيوني": "بينما كل المتكلمين يتوفرون على كفاءة ترادفية" و "كفاءة تعددية المعنى" (الشعور بوجود هاته الظواهر ومعرفة المناسبات حيث تلتقي)، مشكلة الترادف ( الاختيار في الإجراء المنطقي - الإبلاغي للوحدات) أساسا من طبيعة "إبداعية" بينما مشكلة تعدد المعاني ( اختيار الإجراء المنطقي الدلالي) من طبيعة تأويلية<sup>(2)</sup> فيستغل منتج أو متلقي الخطاب في إنجاح عملية التواصل وفق أعراف لسانية إذن تؤطر العملية، لتحديد مقاصد الخطابات المتدرجة من الشكل المباشر للشكل غير المباشر لها، إلا أنه يواكبها بأخرى ثقافية وإيديولوجية ومعطيات مقامية<sup>(3)</sup>.

يؤكد "أزايبيط" أن كل وحدة لسانية تكوّن مضمونا صريحا أو مضمرًا تمتلك رسوا<sup>(4)</sup> نصيًا

"Ancrage textuel" مباشرة أو غير مباشرة، ومن طبيعته الخصائص التالية<sup>(1)</sup>:

1- سيرل: المصدر السابق: ص 139

2- أوركينيوني: فعل القول من الذاتية في اللغة، ص 25.

3- المصدر نفسه، ص 25.

4- اشتق "أزايبيط" مفهوم الرسو عن "كربرات أوركينيوني" منطلقا من فكرة الرسو الطبيعي للأشياء في الكون بخضوعها لقانون الجاذبية الأرضية، معبرا بذلك على قصد استقرار قصدية الخطابات ظاهرة كانت أو مضمرة، وتميّز "كربرات أوركينيوني" بين نوعين من الرسو (الترسيخ): الترسيخ المباشر يبنى على الركائز اللسانية الدالة، الترسيخ غير المباشر يسهم في بنائه إلى جانب الركائز اللسانية ركائز أخرى تتعدى إلى الافتراضات والمضمنات تقول "أوركينيوني": "تنتمي المضمنات بغالبيتها إلى نمط الترسيخ غير المباشر، حيث يضاف المحتوى المضمر، بحسب آلية انفكاكية مماثلة لتلك التي

- 1- خاصية الاستيعاب والتأطير وخلق المجال.
- 2- خاصية التحرك والتفاعل والتوالد والتغير والاستمرار.
- 3- خاصية إمكان الاستخراج أو الإدلاء أو الكشف أو الغوص في ثناياه.
- 4- خاصية التأثير والتأثر أو الفعل والانفعال، كلما تعلق الأمر بإضافة عناصر جديدة، أو بحذف عناصر قديمة داخل مجال الرسو.
- 5- خاصية الوضوح أو الاختفاء.
- 6- قد يتوفر الرسو على علامات قبلية دالة عليه، أو مباشرة بقدمه، أو معلنه عن انسحابه ومغادرته مجاله.
- 7- قد يتوفر الرسو على روافد تساهم في بلورته واتساع حجمه.
- 8- وبمقدار ما يتوفر على روافد أو مواد قد يتوفر كذلك على خاصية التزويد والإمداد.

إن وضع كل هذه الخصائص لرسو قصدية الخطابات المباشرة كانت أو غير مباشرة إنما يدل على التعقيد الكبير الذي يشوب ذلك في ذهن كل من منتج أو محلل الخطابات، ذلك أن وسائل الوصول إلى رسو معين على قصدية ما تتعدد وتتجدد بتعدد مقاصد الخطابات، فاللغة تشكل مجالاً متسعاً جداً، توجد عناصره إما على شكل مستقل، لا يربط بينها رابط (وجودها بالقوة)، وإنما على شكل عناصر متفاعلة بحسب رابط المقصودية والاستعمال (وجودها بالفعل)، وفي هذا القسم تتحدد (وتتجلى) آلية الرسو (2) فترتبط عملية رسو الخطابات على قصديات معينة وفق الاستعمال المنتهج، وتتجلى بشكل كبير في أنماط الخطابات غير المباشرة إذ أن منتجها يستخدم واسمات إنجازية توجه عملية الرسو الخطابي إلى قصد دون قصد آخر يحتمله شكل الخطاب، ما يجعل الخطاب يقدم قوة إنجازية مستلزمة دون غيرها من القوى الإنجازية مستلزمة كانت أم حرفية.

إن القوى الإنجازية المستلزمة في الأفعال الخطابية تابعة إذن لقصدية مستعملي اللغة، وللوصول إلى إنجازها ينتهج المتكلم تفعيل مختلف قدرات ومكتسبات مكونه المعرفي، وبشكل

تميز بعض محتويات التضمين، إلى مستوى أو مجمل مستويات المحتوى المفرطة التنظيم في القول أو إلى جزء منها“ أنظر: أوركيني (كاترين كيربات): المضمير، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص30.

1- أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج1، ص 199-200.

2- المصدر نفسه: ص 210

مناظر يقوم المتلقي بتفعيل عدد من العمليات الاستدلالية-كالتى اقترحها "سيرل"- للوصول إلى فهمها والوقوف على قصدية الفعل الخطابى المنتج، بغض النظر عن منطلقها سواء كان مقاميا أو مقاليا. وبهذا يثبت لدارسها أن القوى الإنجازية المستلزمة أوسع من أن تضمنها قائمة محددة أو أنواع معينة، لخضوعها لتعدد الحالات القصدية الباعثة لها وأشكال خرج خطابها.

وقد وعى علماء اللغة العربية أن القوى الإنجازية الأصلية، يمكن تعديدها مع تأكيد عدم تحديدها، نظرا لتبعيتها لصورة خرج الخطاب، فالخطاب في اللغة العربية كما سبق ذكره أن الخطاب إما خبر وإما إنشاء وكلاهما يعد في نظرية نحو الخطاب الوظيفي إنجازا وظيفيا على حد سواء، ينبثق عن هذين النوعين ما لا يمكن إحصاؤه من القوى الإنجازية المستلزمة، ونجد في ثرائنا البلاغى هذا المفهوم مصاحبا بمصطلحات كثيرة ومتعددة منها: "نقل الغرض" و "النسخ" و "الحمل" و "الوجه" و"القصد" وغيرها.

وفطنوا أن لكل من من الخبر والإنشاء على حدّ سواء استعمالا يلجؤ المتكلم فيه إلى أداء فعل غير الذي تدل عليه الصيغة، يقول "السكاكى": "واعلم أن الطلب كثيرا ما يخرج لا على مقتضى الظاهر، وكذلك الخبر فيذكر أحدهما في موقع الآخر" (1)

إن إقرار "السكاكى" على خروج الخبر إلى قصد الطلب ينسحب في اللغة العربية على غيره من الأساليب الإنجازية كالإنشائية، وإليك بعضا منها:

**1- الخبر:** الشائع قبل الدرس التداولي، ونتاج الحديث في فلسفة اللغة العادية ونظرية أفعال الخطاب، أن الخطاب الخبري، ما احتمل العرض على معيار الصدق / الكذب إلا أن، الخطاب الخبري تبت جانب النجاح والإخفاق فيه كذلك بخضوعه لمساواته بمفهوم أقول، فأى خطاب خبري هو خطاب وصفي ينجز زيادة على فعل التلفظ فعلا إنجازيا مثال ذلك الخطابات:

- الجوّ بارد.

- أقول // الجوّ بارد.

والفرق بينهما أن الخطاب الثانى ظهر فيه الفعل الإنجازى صريحا مباشرا " والأنماط الخبرية هي الشق الأول من تصنيف علم المعاني للجمل والعبارات ومعظم الأنماط الخبرية تتوزع على (الإخباريات)

1- السكاكى (أبو يعقوب يوسف بن محمد) (626هـ): مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد الهنداوى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ص

و(التعبيرات، ثم الاعلانيات حسب تصنيف " سيرل " (1)، إن توزع الأفعال الخطابية الخبرية في أكثر احوالها على الإخباريات والتعبيريات والإعلانيات رهين خضوعها لمبدأ " المقاصد المباشرة" لأداء الفعل أي إنجازه وفق القوة الإنجازية المباشرة له. والعلاقات التي تحكم المتخاطبين، منجز الخطاب ومتلقيه، وملابسات إنجاز وطريقة تركيبه وإظهار خرج خطابه. أما إذا كان الفعل الخطابي الخبري القصدية المشتقة لحالة قصدية أصلية تنجز وفق قوة إنجازية غير مباشرة خرجت إلى أنماط أخرى، قد تصنف في "التوجيهيات والإلزاميات" وفق تصنيف "سيرل".

وعالج علماء اللغة العرب هذه الظاهرة في اللغة العربية، فتحدثوا عن الخبر، وعلاقته بمنشئه من جهة وبمستلقيه من جهة أخرى، وفيه:

- 1 ← منجز، الخطاب ← قصدية مباشرة ← فائدة الخبر ← خالي الذهن - المتلقي -  
 2 ← منجز الخطاب ← قصدية غير مباشرة ← لازم الفائدة ← شاك  
 منكر

1 - الله فاق الحب والنوى ← متلقي الخطاب طالب علم.

2 - الله فائق الحب والنوى ← متلقي الخطاب ملحد ينسب العملية لنواميس الطبيعة  
 أو (إنَّ الله فائق الحب والنوى) مستبعدا وجود قوة قادرة على إيجاد الفعل في  
 أو (إنَّ الله لفائق الحب والنوى) غياب شروط ونواميس أداءه.

إن الأنماط الخبرية لاترد على لسان مستعملي اللغة فقط وفق المقاصد المباشرة، إذ يحدث أن يشتغل منجز الخطاب فيها مستخدما إياها للتعبير عن مقاصد غير مباشرة، يرشد المتلقي لقصديتها مختلف معلومات المكوّن السياقي، فتخرج بالخبر إلى غيره من الأغراض الإنجازية طلبية كانت وغير طلبية.

1- الصراف (علي محمود حجي): في البراجماتية-الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 156.

2- مختلف الأفعال الخطابية غير المباشرة المنجزة بخطاب خبري:

أ- أفعال خطابية خبرية:

- الاستغراب: أنا لا أعرفك!
- التعجب: هذا الخبر صحيح!
- التعظيم: إنّه رجل شهيم.
- الاعتراض: لا أحب التجسس.
- التسويق: حصلت على كتاب مفيد جداً
- المدح: أنت أستاذتي.
- التودد: رؤيتك تسرني.
- الاعتراف: قلت ذلك.
- الذم: لا أقيم وزناً للنامين.
- النهر: لم أحصل على المنحة.

خبر

ب- أفعال خطابية إنشائية:

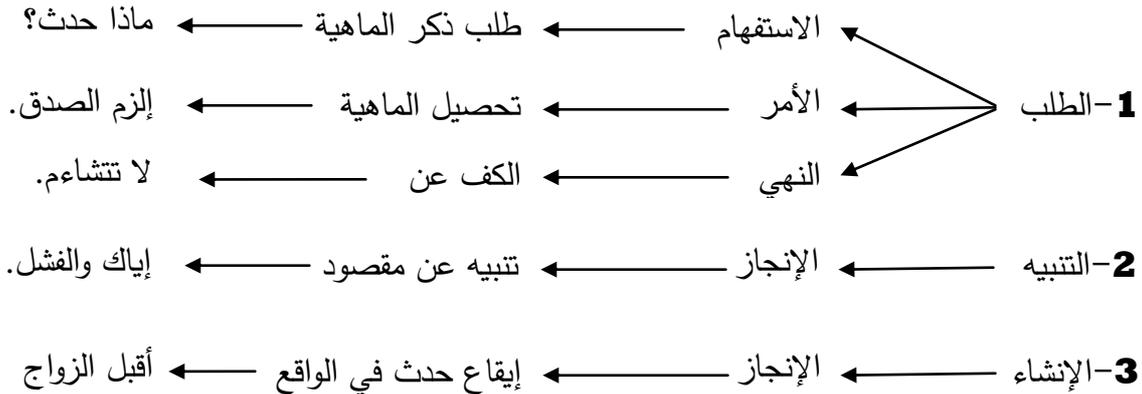
- نهى: عندك دراسة غدا. (عليك بالنوم مبكراً).
- الاستفهام: عدت أمس؟
- الإنكار: تظلم غيرك.
- الدعاء: إياك نستعين.
- الوصية: إنّها أمانة في عنقك.
- الالتزام: لن أناقشك.
- الوداع: في أمان الله .
- التحذير: الخداع أمر فضيع.
- التصميم: لا أخاف إلا الله .
- الترجي: أسعى أن أحج ووالدي إلى بيت الله الحرام.
- التمني: أمني أن أحيا في مجتمع الفضيلة.

خبر

.....

## 2- الإنشاء:

إن التفرقة بين الخبر والإنشاء تقام أساسا في الدرس اللساني الحديث على مبدأ- اتجاه المطابقة ففي الوقت الذي يخضع الخبر إلى إشباع اتجاه مطابقه ينطلق من - الخطاب إلى العالم غالبا) مع وجود خطابات خبرية ذات اتجاه مطابقة مزدوج أو فارغ)، يعمد المتكلم إلى انشاء أفعال اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الخطاب، والتميز الحاصل بينهما ينطلق أساسا من قصد إنجاز القول والحالة النفسية لمنشئه وصيغة خرج الخطاب وأطر الواقعة الخطابية، ويحدد " السكالي " الفرق بين الخبر والإنشاء قائلا: « الكلام إن أفاد بالوضع طلبا فلا يخلو إما إن يكون بطلب ذكر الماهية، أو تحصيلها أو الكف عنها، والأول الاستفهام، والثاني الأمر، والثالث النهي، وإن لم يفد طلبا بالوضع فإن لم يحتمل الصدق والكذب سمي تنبيها وإنشاء لأنك نبهت به على مقصودك، وأنشأته أي ابتكرته من غير أن يكون موجودا في الخارج سواء أفاد طلبا باللازم كالتمني والترجي والنداء والقسم أم لا كأنت طالق، وإن احتملها من حيث هو فهو خبر» (1)، فيكون الإنشاء في اللغة العربية في صورته الأصلية لثلاث قصديات:



إن الإنشاء بهذا ينسحب على عدد من الأنماط التي حددها " سيرل " فيضم الالتزامات والتوجيهات بشكل عام، وتضم ما يعرف باسم الإنشاءات الطلبية في اللسان العربي، كما ينسحب إلى قسم من التعبيرات، وتتجلى فيما يعرف بالإنشاء غير الطلبية المنسحب على المدح والذم والتحية والعقود والقسم.... تبلغ سعة الخطابات الإنجازية المقصودة بمصطلح " الإنشائية " في التراث اللغوي العربي حدا

1- السكالي: مفتاح العلوم، ص 302.

وأنظر: الزهري (نعيمه): الإنشاء وأساليبه بين ألفية ابن مالك والنحو الوظيفي، ص 516.

واسعا من أنماط الخطابات إلا أننا سنأطر هذا المطلب معنويا تبعا لأهم الأفعال الإنجازية الإنشائية التي سبق وحددنا وجودها في قائمة القوى الإنجازية الحرفية وسنحاول الانطلاق منها لتتبع تأديتها لأنماط أخرى تتجلى فيها إنجازية مستلزمة ونذكر منها: الاستفهام، النداء:

## 2- 1- مختلف الأفعال الخطابية غير المباشرة المنجزة بخطاب إنشائي:

إنّ الأفعال الخطابية المظهرة للقوة الإنجازية الاستفهام يمكن أن تحمّل بعدد لا حصر له من القوى الإنجازية المستلزمة، وسنختار كنماذج لها الاستفهام و النداء:

1- مختلف الأعمال الخطابية غير المباشرة المنجزة بالاستفهام: نسجل أساسا أنّها تنبني على

ثلاثة أنماط أساسية هي:

- الاستفهام الحقيقي ← قوة إنجازية أصلية.

- الاستفهام التقريري ← قوة إنجازية مستلزمة.

- الاستفهام الإنكاري ← قوة إنجازية مستلزمة.

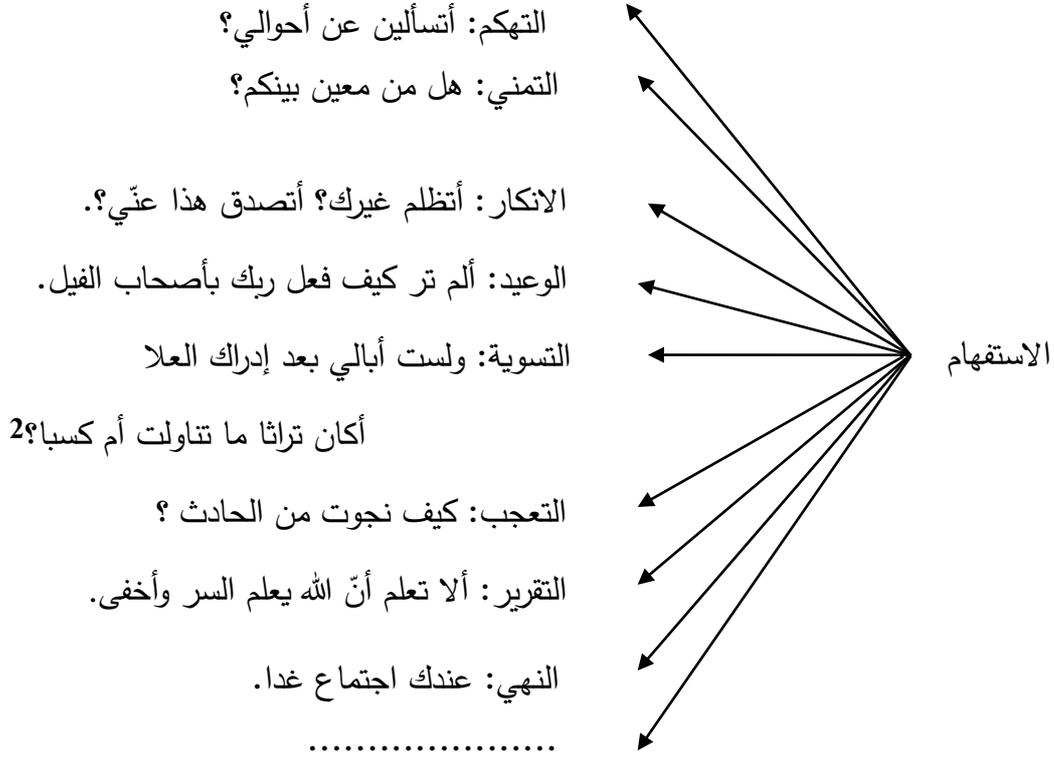
أما الاستفهام الإنكاري فينصرف إلى نمطين اثنين: توبيخي وتكذيبي.

الإنكار التوبيخي منه هو الذي يفيد معنى " ما كان ينبغي أن يكون" أو " لا ينبغي أن يكون" 1، فيميز الاستفهام الإنكاري التكذيبي عن التوبيخي؛ الحالة القصدية الأصلية التي يبطنها المتكلم حول موضوع فحوى الخطاب، فالمتكلم يوبخ إذا كانت حالة رفضه للواقعة أقل درجة من الرفض حال التكذيبي لأنّ التكذيب قد يصل بالمتكلم إلى أمر المخاطب أن يكف أو لا يقوم أو حتى لا يفكر في الواقعة المتضمنة في فحوى الخطاب، من نماذجهما: الاستفهام التوبيخي: - أفعلت ذلك حقاً؟ - أتصدق هذا عني؟ الاستفهام التكذيبي: - أضربتة؟

كما نجد من نماذج مختلف القوى الإنجازية المؤداة بالاستفهام، ما نحصيه -بعض الأمثلة- في المخطط التالي:

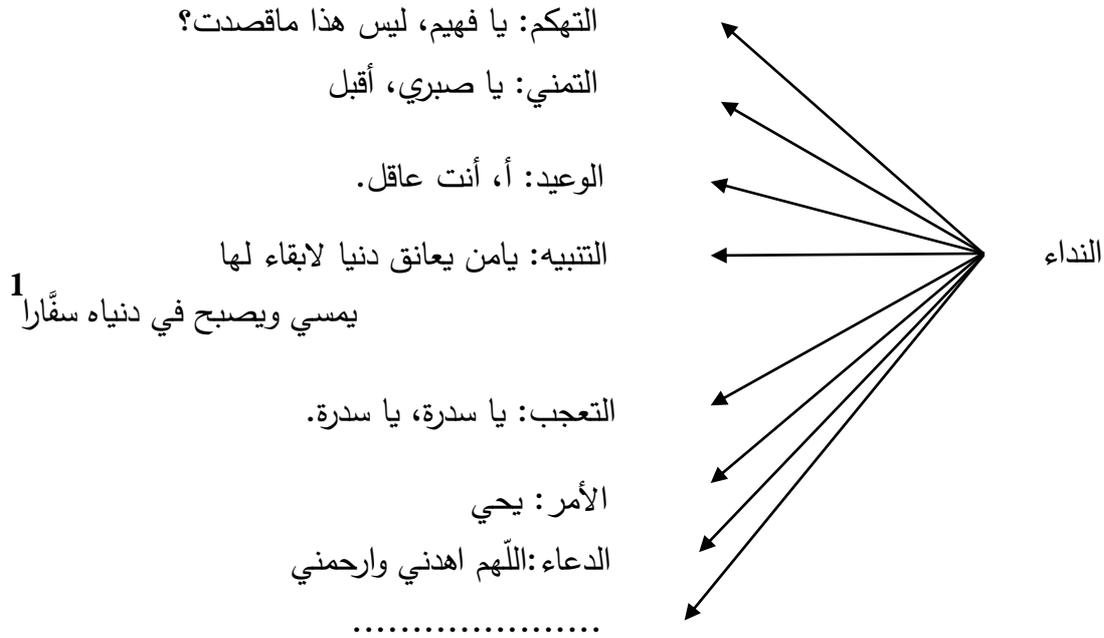
1- علام (عبد العاطي غريب): دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ليبيا، ط1، 1997، ص56.

2- المتنبّي (أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي) (965م-354هـ): ديوان المتنبّي، دار بيروت للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1983م، ص326.



## 2- مختلف الأعمال الخطابية غير المباشرة المنجزة بالنداء:

سبق وأوردنا تأصيلا لمفهوم النداء في اللغة العربية، وسنورد في هذا الموضوع بعضا من النماذج الفعلية المأخوذة من الخطابات اليومية ومختلف قواها الإنجازية المستلزمة:



#### 4- القوى الإنجازية المتحجرة:

##### 1.4 - مفهوم التحجر: Grammaticalization

إنَّ التحجر ظاهرة وظيفية بالدرجة الأولى، تكتسب بها الألفاظ اللغوية قصود جديدة على حساب أو إلى جانب دلالاتها القديمة، تتعرض لها الألفاظ والعبارات تبعاً لاشتغال المتكلمين بعناصر خطاباتهم المختلفة، وتتسم هذه الظاهرة حسب "المتوكل" بسمات ثلاث<sup>2</sup>:

أ - يتم التحجر في شكل مسلسل: فتمر الألفاظ اللغوية بمراحل متعددة، حسب ظروف وقدرة إنجاز الخطابات، ويمكن أن تتم عملية التحجر كلية، كما يمكن أن تتوقف عند أي مرحلة، فيوصف الأول بأنه تحجر كلي، و الآخر بكونه تحجر جزئي.

ب - يتم عبر مراحل التحجر فقدان المفردة لمحتواها المعجمي: بفقدانها لمعناها "الخالد" واكتسابها لمعناها الجديد جزئياً أو كلياً حسب المرحلة التي يتوقف فيها مسلسل التحجر.

1- الشافعي: ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقييم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر، د ط، د ت، ص 65.

2- المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، 1996، ص 27.

ج - تنتقل المفردة من وضع عنصر معجمي إلى وضع عنصر نحوي (صرفي - تركيبى) كما

### تدل على ذلك التسمية الغربية **Grammaticalization** 1.

ونكر "المتوكل" نموذجاً لهذا المفهوم؛ مسلسل تحجر مجموعة من أفعال اللغة العربية غدت مع الاستعمال المطرد والمتكرر عبر الزمن أفعالاً ناقصة متحجرة تستخدم استخدامات صرفية وتركيبية، من ذلك ما أصبح يعرف بالأفعال الناقصة ك: أصبح، أمسى، بات، أضحى....، التي كانت محمولات تامة لها معاني خالدة خاصة بها يتكون منها المعجم اللساني، وتمايزت حسب المراحل التي توقف فيها التحجر؛ بين المتحجرة كلياً والمتحجرة بشكل جزئي، من ذلك الخطابات:

- بات أحمد في بيت العائلة الكبير.

- بات أحمد زوجاً ورب عائلة.

نلاحظ أن الوحدة اللسانية (بات) في الخطاب الأول استعملها منتج الخطاب بقصدية مغايرة تختلف عن القصدية التي تحملها (بات) في الخطاب الثاني، ففي الخطاب الأول استعملها المتكلم بقصدية (قضى فترة الليل)، أمّا في الخطاب الثاني فتؤدى بها قصدية (تغيير حاله) اجتماعياً من أعزب إلى شخص متزوج. واستخدام (بات) بهذا القصدية غداً مطرداً في الاستعمال. من مثل هذه الملاحظات نستنتج أن الوحدات اللسانية المتحجرة فئتان، "أفعال تقعد محموليتها فقداناً تاماً وأفعال تبقى على الاستعمالات العادية إلى جانب استعمالاتها كأفعال ناقصة. من الفئة الأولى الأفعال (طفق) و(انفك) و(زال) منفيين ومن الفئة الثانية (كان) وإلى حد ما الأفعال (أصبح) و(أمسى) و(أضحى) و(بات)"<sup>2</sup>، دليل فقدان مثل هذه الوحدات اللسانية لبعض خصائصها المعجمية والتركيبية؛ ارتباطها تركيبياً ووظيفياً مع أداة النفي (ما) التي أصبحت جزء منها، منها: مازال، ما انفك، مادام،....، "كما لا يجوز توارد هذه الأفعال مع أحد توابع النفي مثل (شيء) و(أحد) و(قط)"<sup>3</sup>، إذ لا تستطيع في اللسان العربي صوغ الخطابات على شاكلة:

- ما في المكتبة فتى عامل ينشط.\*

- ما فتى في المكتبة يعمل أحد.\*

1- المتوكل: المصدر السابق: ص 27.

2- المصدر نفسه: ص 28.

3- المصدر نفسه: ص 29.

لا يؤول الخطاب الثاني بقصدية النفي بل على عكس ذلك يستعمل مدلا على قصدية الإثبات. يقول "المتوكل" كذلك "من هذه الأفعال ما يبلغ تحجره درجة فقدانه للتصرف كما هو شأن (ليس) التي لا يأتي منها مضارع ولا أمر" <sup>1</sup>، إلا أننا نجد (ليس) تستعمل في العربية استعمال الأدوات، وتستقر لها قصدية النفي، والحقيقة أن تحجرها يعد جزئياً ذلك أنها ماتزال تستجيب لبعض الظواهر التصريفية حيث تقبل لحاق تاء التأنيث بها، كما في الخطابات:

- ليس البر التزام العبادات فقط.

- ليست الجنة كالنار.

ونجد من الأفعال الناقصة ما بلغ درجة أكثر تقدماً في ظاهرة التحجر، فبالموازاة مع (ليس) لا تستجيب (عسى) لانضمام مميزات التأنيث والتذكير، ما دفع "المتوكل" إلى الجزم بأنه "فاق في تحجره (ليس) إذ أصبح من الممكن استعماله دون مطابقته" <sup>2</sup>، مثلما هو الحال في الخطابين:

- عسى الجنة مقامك الأبدي.

- عسى البر ينتشر بين الناس.

إلا أننا نلفت النظر إلى أن (عسى) لم يبلغ تحجرها الحد الأقصى ذلك أنها ماتزال تقبل بعض السمات التصريفية كقبولها لإنضمام الضمائر لها، فضمائر المخاطب والغائب والمتكلم تتحد بـ(عسى) في مختلف الخطابات لتوجيه قصديتها مقامياً للمتعلق بها، مثال ذلك:

- عساكم (عساها) (عسانا) سالمين.

إنّ مسلسل التحجر بالدرجة الأولى تابع للاستعمال، ولا يرتبط بفعل معين دون آخر أو اسم دون آخر أو أداة دون أخرى، بل لا ترتبط بتعبير أو خطاب دون آخر، ويجزم "المتوكل" أن في اللغات الحية بعض الصرفات والإواليات أكثر عرضة من غيرها للتحجر منها المحمولات: <sup>3</sup>

- الدالة على الوجود (كان Etre – To Be).

- الدالة على الملكية (Avoir – To Have).

- الدالة على الأوضاع الفيزيائية (قام، قعد، استقر، بقي،...)

1- المتوكل: المصدر السابق: ص29.

2- المصدر نفسه: ص31.

3- المصدر نفسه: ص29-30.

- الدالة على التنقل المكاني (راح، غدا، رجع، عاد، أصبح،...) والفعل الإنجليزي ToBe والفعلين الفرنسيين (Aller)، (Venir).

لقد حصر "المتوكل" برأيه مبدئياً التحجر كظاهرة لسانية في بعض الأفعال دون غيرها، متسائلاً عن سبب ترشح هذه الأفعال دون غيرها للتحجر؟ واختار أن يجازف حسب رأيه بالإجابة على هذا السؤال في انتظار ما يثبت أو يبطله؛ قائلاً: "هو عملية انزلاق دلالي من مفهوم إلى مفهوم أو من حقل دلالي إلى حقل دلالي آخر. ويسهل هذا الانزلاق الترابط القائم بين المفهومين أو الحقلين"<sup>1</sup>، أي أن لقصدية الفعل قبل التحجر علاقة قائمة مع القصدية الجديدة أو القصدية المنتقل إليها عبر مراحل مسلسل التحجر، ومن العلاقات التي ذكرها "المتوكل" في اقتراحه:

1- علاقة معرفية: كالتعبير على الزمان و المكان؛ منها: غدا، قعد، ظل، ...

2- علاقة اللزوم بين مفهوم ومفهوم: كمفهوم الوجود والهيئة ومثاله فعل الكينونة كان، Etre

To Be - ....

إنّ ما ذكره "المتوكل" عن تحجر الأفعال يمكننا سحبه على الأسماء، ففي اللغة العربية كلمات كثيرة يستخدمها المتخاطبون وقد أصابها نوع من التحجر و إن كان جزئياً نظراً لتغير دلالتها من قصدية معناها الخالد إلى استعمالها بالقصد الذي تحجرت عليه منها: العناصر اللسانية في اللهجة الجزائرية (وحدة)، (واحد)، (الوحدة)، (الواحد)؛ التي اكتسبت دلالة الإشارة الوجودية إلى شيء ما بدل قصد الإشارة على العدد المنفرد، فانتقلت بذلك في الخطابات اليومية في الدارجة لمناطق كثيرة من "الجزائر" من قصدية أصلية إلى قصدية متحجرة، يستعملها الناس بشكل شائع خاصة في "قسنطينة" بقصدية الإشارة المقامية بدل قصدية الإشارة إلى المفرد، الدليل على ذلك استعمالهم لها بصيغة الجمع (الوحدات) و(الواحد) ، ونرى أن الألفاظ: (وحدة)، (واحد)، (الوحدة)، (الواحد) و(الوحدات) و(الواحد) أخذت سمة المشيرات المقامية من ذلك استعمالنا للخطابات:

- أعطيني الواحد اللّي فوق الوحدة. (دارجة جزائرية)

وتدرك قصدية مثل هذه الخطابات في المجتمع القسنطيني بشيء يستدعي الدهشة من الكفاءات التداولية للقسنطينيين في ترجيح القصدية المستلزمة لمثلها -لتشابهها- إلا أنّه ينذر أن لا يحصل اتفاق بين المخاطب والمخاطب في دقة تحديد قصدية (الوحدة) و(الواحد) في مختلف الوقائع الخطابية على

1 - المتوكل: المصدر السابق: ص32.

تعددها، وفي الخطاب الوارد آنفا تشير (الوفايد) إلى الكتب، ويستقر قصد (الوحدة) مقاميا هنا على الإحالة على الطاولة. تبرز اللفظة (الوحدة) مع كل استعمال دلالة إشارية مرتبطة بمقام التخاطب، ما يخول لنا عدّها مشيرا مقاميا، ذلك أنّ "كل ما يحيل على محال عليه لا يتحدد إلا بحضوره في المقام التخاطبي يعد مشيرا مقاميا"<sup>1</sup>، والعناصر اللسانية (وحدة) و(واحد) أخذت مع مرور الزمن وكثرة الاستعمال سمة إضافية تكاد تكون في زمننا هذا صورة قصدية متحجرة في قصد الإشارة، سواء كانت إشارة حضورية مادية، أو إشارة تخيلية وجودية.

وما سجلناه من مفهوم للتحجر يمكننا إقراره على مستوى الخطابات والأفعال الخطابية.

#### 2.4 - القوة الإنجازية للخطابات المتحجرة:

يتدرج الناس في الوصول إلى قصدية الخطابات المنتجة، فمن الخطابات من يوصل إلى قصديتها بصفة مباشرة لاحتوائها قوة إنجازية أصلية، ومن الخطابات ما يتطلب بعض أتويا وأعمال آليات و مراحل استدلالية نظرا لكون قوتها الإنجازية مستلزمة، وضعت حسب الواقعة الخطابية لا يصال قصود مركبة غير القصدية الحرفية (الظاهرة) لها.

اهتم "المتوكل" بتأصيل ملاحظة أنّ القوة الإنجازية المستلزمة في فعل خطابي ما يمكنها التعرض -حالها حال العناصر اللسانية المكونة لها أو المظهرة لها- لظاهرة التحجر، والقوة الإنجازية عنده؛ إما أصلية أو مستلزمة أو متحجرة، أنظر الخطابات الآتية:

- لقد ربيناك فينا وليدا.

- ألم نربك فينا وليدا؟ ↓

إنّ الخطاب الثاني يحمل إلى جانب القوة الإنجازية الأصلية الإستفهام قوة إنجازية مستلزمة خبرية تحمل غرض التقرير، أي إقرار حقيقة مفادها الإثبات، يقول "المتوكل" في مثل هذه الأفعال الخطابية أنّها "تحمل قوة إنجازية واحدة هي القوة الإنجازية الخبر التي تحجرت وأصبحت قوة أصلية"<sup>2</sup> وذكرت "كادة" نقلا عن "المتوكل" أنّ التحجر عملية تخضع لها الخطابات خلال مرحلتين اثنتين:<sup>3</sup>

1- باديس (نور الهدى): المشيرات المقامية في اللغة العربية، ص189.

2- المتوكل: الخطاب وخصائص اللغة العربية، ص51.

3- كادة (ليلى): المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ص163.

1- تزامم القوة الإنجازية الأصلية قوى إنجازية مستلزمة متولدة على السياق التخاطبي للفعل الخطابى.

2- انفراد القوة الإنجازية المستلزمة بتشكيل الحمولة الإنجازية للخطاب.

وبموازنة هذا الرأي مع النص المقتبس قبله عن "المتوكل" نفسه يمكننا إقرار ملاحظتين:

(1) وجود أفعال خطابية لا تفقد القوة الإنجازية الحرفية لها فتبقى محافظة على نوعين من القوى الإنجازية: أصلية ومستلزمة، وشيوع الثانية يجعلها أقرب للتجبر، ما يعنى خضوع التجبر كظاهرة لعاملي الاستعمال المتكرر والشىوع بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة عبر الزمن.

(2) وجود أفعال خطابية تفقد كلية القوة الإنجازية الحرفية لها لصالح القوة الإنجازية المستلزمة التي تغدو بظاهرة التجبر الكلي لها قوة إنجازية أصلية.

تحليل الملاحظتين:

الملاحظة الأولى: تخضع بعض الخطابات لعاملي الاستعمال والشىوع بين أفراد الجماعة اللغوية، ما يجعل قصده هذه الخطابات قصد ثابت ومكتسب نتيجة التقاط الفرد لمجموع المعارف التي يجمعها ويراكمها من احتكاكه بغيره من العقول والمعارف الجمعية (الأعراف)، "وهذا التراكم هو ما يسميه "المتوكل" التجبر، وغالبا ما يكون في مستوى التراكم"1، إلا أنه يمكن أن يحدث على مستوى الوحدات كما سبق الذكر، وينقل "الشهري" مصطلح "سيرل" عنها "التعبيرات الإصطلاحية" مؤكدا أن كونها متراكمة يكسبها صفة التراث، ما يجعل مستعملي اللغة يستعملونها استعمال الكلمات، يقول "الشهري": "ولكون التعبيرات الإصطلاحية أصبحت مأثورة، فإنها تعامل على أنها كلمات طويلة ينظر إليها تركيبيا ودلايا كمداخل معجمية"2، وبقوله هذا يرسخ مفهوم معاملة مستعمل اللغة للخطابات المتحجرة على أنها كالعناصر اللغوية يستخدمها حسب معرفته وحاجته لها (قصديته).

ونميز في اللغة العربية كثيرا من الخطابات من هذا القبيل، تتدرج في درجة تحجرها من: الخطابات الجاهزة؛ كخطابات التحية والاستهلال والختام والمجاملات والتأديب والترحيب، والخطابات المسكوكة والمتحجرة كالأمثال (الفصيحة والشعبية) والحكم والشعر الحكمي، فالخطابات:

1. تسرني رؤيتك.

1- الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص400.

2- المصدر نفسه: ص401.

2. أهلا وسهلا.
3. سلام.
4. تعرف مايسوس الملح.1 (تعلم لا يفسد الملح)
5. يداك أوكتا وفوك نفخ.
6. كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فإنه يتسع.
7. إذا غامرت في شرف مروم ❁ فلا تقنع بما دون النجوم.2.

فالخطابات (1) (2) (3) خطابات جاهزة في المخزون الذهني لدى المتكلمين يلجؤون إليها في حياتهم اليومية لتسيير مختلف الوقائع الخطابية التي يعيشونها، أما استعمالاتهم لها فوفق ما يضمرونه من حالة قصدية، فالفعل الخطابي الترحيب يمكن أن يؤدي بأكثر من فرصة خطاب جاهز منها: أهلاً بك، أهلاً وسهلاً، حللت أهلاً و نزلت سهلاً، مرحباً.....

ويحدث أن تستعمل مثل هذه العبارات الجاهزة، إلا أن مستعملها يحتملها قصدياً قصدية معينة، غير قصديتها الحرفية، على سبيل التأدب أو المفارقة أو حتى السخرية من ذلك الخطاب:

- صباح الخير.

الذي يستعمل عادة كخطاب لأداء التحية في الفترة الصباحية، إلا انه يستعمل كثيراً بقصدية اللوم على التأخر إذا قاله المخاطب لمخاطب من المفترض أن بينها موعد قبل ساعة من وقت لقائها الفعلي، يجلؤ إليه المخاطب لعبر عن سخطه أو غضبه أو رفضه لتصرف المخاطب بمجيئه متأخرا جدا.

**الملاحظة الأخرى:** إن ظاهرة التحجر تمر بمراحل، وحسب مراحلها يترسخ التحجر في الخطابات المسكوكة لتغدو عبارات متحجرة تحجرا تاما. تستعمل العبارات المتحجرة تحجرا كلياً بقوتها الإنجازية المستلزمة دون الاتفات إلى قصديتها الأصلية، من ذلك الخطاب:

- برمته.

- 1- مثل جزائري: مضره التنبيه للأهمية أمر ما. أنظر: بن مالك (يمينه) وآخرون: الأمثال الشعبية في المجتمع القسنطيني-دراسة لغوية دلالية، مخبر الدراسات اللغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، دط، دت، ص 18.
- 2- المتنبي (أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي) (965م-354هـ): ديوان المتنبي، ص232.

أما الخطابات المسكوكة أو المتحجرة فهي خطابات جاهزة غالبا في المخزون الذهني للجماعات اللغوية ولها أعراف تتعلق مباشرة بدرجة شيوع الاستعمال وكيفيته، ما يجعل مستعمل اللغة يلجئ إليها ليختصر جهدا في إيصال حالة القصدية الأصلية عبر حالة قصدية مشتقة مظهر له، إذ يستعمل خطاب (برمته) بقصدية المستلزمة (كاملا) ولا يستعمله أحد منا بقصدية الأصلية (بحله) لكون (الرمة) و(الحبل)، ما يجعل الخطاب (برمته) خطابا متحجرا تحجر كليا، ما يجعلنا نستخدم قصدية المستلزمة على أنها قوة إنجازية أصلية له. وفي الخطابات المتحجرة "القصد لا ينفك عن اللفظ، رغم أنه يمكن أن يكون قد نشأ في الأصل بالاستعمال، آلية الكناية وآلية الاستعارة، ولكن خصيصة التعبير الاصطلاحي هو أن العلاقة بين هذين المتلازمين أصبحت ثابتة، إلى درجة أن المرسل لم يعد يفكر في أصلها عند إنتاج الخطاب، بقدر ما يفكر في الترابط القصدي بين اللفظ وبين القصد" (1) أنظر للمحاورة التالية:

- هل وصلتك إساءة مني؟
- الجاجة مربوطة والفلاس نقبوا الحيطان (2). (الدجاجة في وثاقها وكتاكيته تعيث فسادا بكامل حريتها في المكان)

فالخطاب (الجاجة مربوطة والفلاس نقبوا الحيطان) يمثل صورة استعارية لمشهد حاصل، فأصل معنى هذا الخطاب صورة تخيلية لدجاجة تُحْدُ حركتها في حين أن كتاكيته تعيث فسادا من حولها، إلا أن القوة الانجازية المستلزمة لهذا الخطاب تتعدى معناه الحرفي إلى مضرب هذا المثل، في كل من تلحقه الإساءة من أشخاص محيطين بالشخص الذي يخاصمه فعليا.

أخيرا تجدر الإشارة إلى أن الخطابات المتحجرة موجودة، بمعزل عن مستعملها أي أنها لا ترتبط بقدرته الإبداعية بأي حال ومن الأحوال، إذ هو يجدها جاهزة ويستعملها حسب حاجته التواصلية مع هذا يعد استخدام الخطابات المسكوكة دليلا على كفاءة مستعمل اللغة التداولية، لأنه يستثمرها من داخل مكوّنه المعرفي وفق إدراكه للمكوّن السياقي وما يناسبه من المخزون الذهني لفرص الخطابات المتاحة لديه، "يقينا منه أن المرسل إليه سوف يرجح قصده ويفهمه بالتحديد دون التفكير في غيره من المعاني الأخرى مثل المعنى الحرفي" (3).

1- الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 403.

2- يضرب هذا المثل في وقاحة وشراسة الأبناء بصفة لاتطاق لأم تتصف بالعقل والاتزان والرزانة.

ينظر: بن مالك (يمينة) وآخرون: الأمثال الشعبية في المجتمع القسنطيني، ص 23.

3- الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 405.

## خلاصة القول:

ويمكننا تلخيص ما سبق ذكره في هذا المبحث في المخطط الآتي: مخطط القوى الإنجازية للخطابات.

## شرح المخطط:

تُظهر الأفعال الخطابية في عدد لا حصر له من القوى الإنجازية التي يؤديها المتخاطبون، وهذه الأخيرة تظهر في نوعين:

1- القوى الإنجازية الأصلية: أقرنا حوالي 20 قوة إنجازية أصلية في اللغة العربية، هي: الخبر، الأمر، الدعاء، التحذير، الاستفهام، التحضيض، التمني، الاستغراب، النهي، الإغراء، الترجي، الإنكار، النداء، والندبة، والاستغاثة، القسم، المدح والذم، صيغ العقود، الإلتزام، تتضاف لها في اللغات الحية: النصيح والالتماس.

2- القوى الإنجازية المستلزمة: عددها لا يمكن حصره لأنها ترتبط أساساً بقصدية المتخاطبين (خلفية قصدية وأعراف) من جهة وأطر الواقعة الخطابية من جهة أخرى. وكثرة الاستعمال واعتماد بعض الخطابات الجاهزة تخوّل للمتكلم اللجوء إلى بعض فرص الخطابات الجاهزة لاستعمالها كقوى إنجازية مستلزمة ما يجعلها تصبح مسكوكة، أو متحجرة، حتى تغدو مع الشيوخ عبر الزمن قوى إنجازية أصلية. ولفهم أقرب لما أوردناه في هذا المبحث نأخذ الخطاب اليومي الموالي أنموذجاً:

- سامح

خطاب يومي عادي:

- يحتمل في معناه الخالد في الاستعمال المباشر حالتين من القوى الإنجازية الأصول :

• النداء ← إذا كان مستعملاً ك اسم علم لذات.

• الأمر ← إذا كان مستعملاً كفعل أمر.

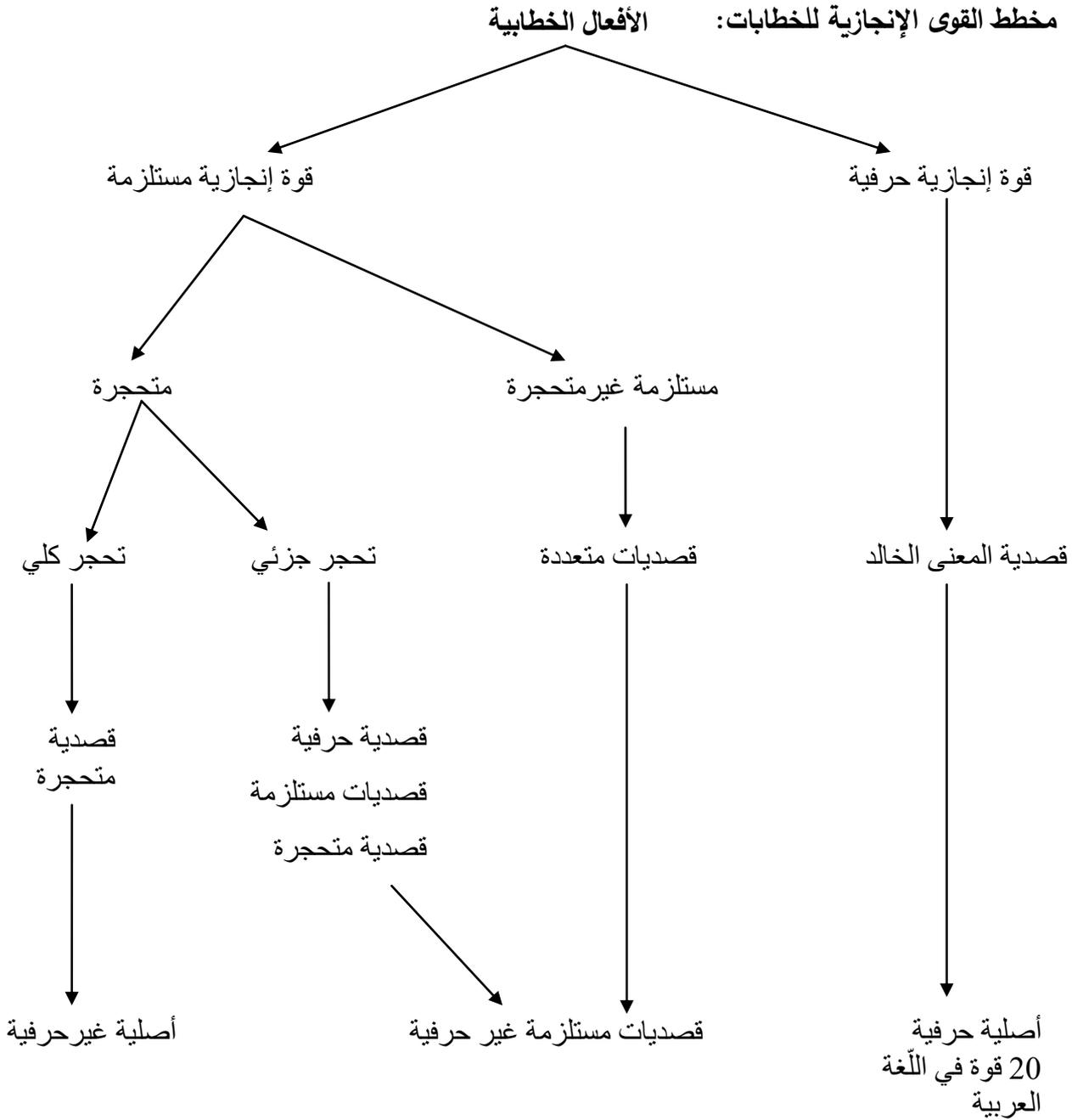
- يحتمل في استعماله قسدياً متعددة بين الإغراء، النصيح، التهكم، الدعاء، التوبيخ ...

- يحتمل في صورته المتحجرة خطاباً في الدارجة القسنطينية (خاصة في الأسواق والساحات العامة

والشوارع القسنطينية) يحتمل قوة إنجازية مستلزمة تأخذ صفة التأصل في الأسواق القسنطينية نتيجة

الشيوخ والرسوخ عبر الزمن إذ يستعمل فيها بشكل مطرد بقصدية؛ أتركني أمر وابتعد عن طريقي أو

بعني الشيء بثمن أقل.



- سامح
- ابتعد عن طريقي
  - بعني بئمن أقل
  - (دارجة قسنطينية)

- سامح
- استفهام
  - إغراء
  - تهكم

- سامح
- اسم علم: نداء
  - خطاب فعلي: أمر

## خلاصة الفصل الثالث:

إنّ ما جاء في هذا الفصل حاولنا به؛ أولاً التأسيس لمفهوم الأفعال الخطابية في التواصل اليومي واللغة العادية، ثم التحليل الذي أخضعنا له مفهوم إنجاز الأفعال الخطابية عبر قواها الإنجازية المختلفة، مما استقر لنا من هذا وذاك:

ضمّ كلّ من المبحث الأول والثاني التأسيس لمفهوم الفعل الخطابي ومراحل إرساء نظرية الأفعال الخطابية، فالفعل الخطابي يتجاوز بالخطاب الصبغة اللسانية والشكل النسقي إلى كون الفعل الخطابي عمل يحدث تأثيراً في الواقع، يتم وفق شروط وله سمات:

أما شروطه فمنها ما يرتبط بالمتكلمين كأشخاص لهم قوى عقلية توجّه بالسمة القصدية، ومنها ما يرتبط بالجماعة اللسانية وظروف وأطر الواقعة الخطابية.

أما سماته: فتطبق على سمات الحالة القصدية الباعثة له وهي: ارتباط الأفعال الخطابية بحالة قصدية خاصة باعثة، وإمكانيات ازدواج القصد في الأفعال الخطابية الظاهرة عبر القوة الإنجازية له، ومبدأ شروط التحقق، واختلاف اتجاه المطابقة للأفعال الخطابية.

في حين ضم المبحث الثالث تحليلاً وتعقيباً على مقاييس التفرقة بين الأفعال الخطابية لتصنيفها، إذ عدّها "سيرل" اثني عشر مقياساً كلّها تحكمها القصدية فردية كانت وجماعية، يعود لها دائماً للتفرقة بين أنماطها الخمس، حيث عدّ:

- الأفعال التوكيدية؛ يؤكد فيها المتكلم حالة قصدية معيّنة كونها حول حادثة ما.

- الأفعال التوجيهية؛ يوجه فيها المتكلم غيره بأداء فعل ما.

- الأفعال الإلزامية؛ يلزم فيها المتكلم نفسه بأداء فعل ما.

- الأفعال التعبيرية؛ يعبر فيها المتكلم على حالة قصدية متكونة أساساً من حالة نفسية وشعور يستضمّره.

- الأفعال التصريحية؛ يحدث بها المتكلم تغييراً في واقعه بمجرد التلفظ بها.

إلا أنّ الأفعال الخطابية في الحقيقة تتمظهر بمظهرين أساسيين مباشرة وغير مباشرة، لـ "جرايس"

فضل الإلماح إلى مفهومها بإرسائه لمفهوم المعنى غير الطبيعي، ويوصل إلى قصديات الأفعال الخطابية غير المباشرة عبر تنشيط عدد لا يحصى من المعارف والأعراف الاجتماعية تعمل على تفعيل القوى الإنجازية للأفعال الخطابية.

القوى الإنجازية للأفعال الخطابية إما أصلية (مباشرة) أو مستلزمة (غير مباشرة) أو متحجرة (جاهزة- مسكوكة- متأصلة).

وتظهر الصعوبة في معرفة الأفعال الخطابية غير المباشرة أساسا من أصل تكوين القصد الخطابية المضمرة غير الظاهرة في المكونات النسقية للخطاب، ومجموع الأعراف الإجتماعية داخل الجماعة اللسانية.

**الفصل الرابع:**

**التعريفية وفاعلية التفاعلية**

**الفصلية.**

## الفصل الرابع: القصدية وفاعلية التفاعلات الخطابية.

### I- حضور القصدية الخطابية واحترام مبادئ التواصل الخطابي:

I-1 - القصدية في المبادئ التخاطبية.

I-2 - تحليل تعقيبي على حضور القصدية في مبادئ التخاطب.

### II- القصدية في الخطابات الحجاجية:

II-1 - مفاهيم الحجاج وتحديد القصد فيه.

II-2 - قيمة القصدية في بناء الخطاب الحجاجي.

II-3 - الترابط الحجاجي وتفعيل قصدية الخطابات الحجاجية.

### III- القصدية ولغة الشطط:

III-1 - مطابقة الخطاب للخارج مع عدم مطابقته لقصد المتكلم.

III-2 - عدم مطابقة الخطاب للخارج مع مطابقته لقصد المتكلم.

III-3 - عدم مطابقة قصدية الخطاب للخارج مع عدم مطابقته لقصد المتكلم.

❖ خلاصة القول في الفصل الرابع.

## الفصل الرابع: القصدية وفاعلية التفاعلات الخطابية.

### تمهيد:

سبق واستقر لنا حتى الآن، أن العملية التواصلية، عملية قصدية بامتياز توطرها قصدية كل من المتكلم والمخاطب في واقعة خطابية معيّنة، يتجلى ذلك في سعي المتكلم إبلاغ مخاطبه قصدا معينا على هذا الأخير السعي للتعرف عليه، ووفقا لإدراكه يتصرف أو يتفاعل حسب الحالة القصدية المتكونة لديه. والمتكلم يمتلك قصد إبلاغ قصده للمخاطب، إلا أنه لا يمتلك بالضرورة قصد التأثير فيه، ما يجعل المتكلم يصطدم في عدد من وقائعه الخطابية برد فعل لم يكن ينتظره كنتيجة لتواصله مع غيره من أفراد جماعته اللسانية، ما يجعل المتخاطبين يضعون في حسابهم اعتبارات لمخاطبيهم للحصول على ردود أفعال (أفعال تأثرية) مرغوبة أو موجهة لحد ما.

### I. حضور القصدية الخطابية واحترام مبادئ التواصل الخطابية:

إنّ إنجاز إنجاز الأفعال الخطابية، مباشرة كانت أو غير مباشرة، يأتي تبعا لطريقة ومتعلقات آدائها حتى يستوعب المتلقي دلائل قوتها الإنجازية بشكل صحيح، ويصل إلى التحديد الصحيح لقصدية الخطابات، لذا لاحظت "أوركينيوني" أن المتكلم ليس حرا دائما في إنجاز أي خطاب كان، وأضاف بعض فلاسفة اللغة، شروطا أو أطر تساهم في إنجاز الإنجازات الخطابية، وقد نبّه "دافيدسون" على أن استعمال الأفعال القصدية يستند إلى علاقيتين: علاقة المساهمين في عملية التخاطب فيما بينهم وعلاقة القضية بالمساهمين<sup>(1)</sup> فالخطابات الحوارية عملية تشاركية، يتشارك أطرافها في بناء القصد والوصول إلى القصدية الصحيحة، انطلاقا من نوعي العلاقات القائمة والتي نبّه لوجودها "دافيدسون"، فقرة العلاقة بين المنجز والمتلقي كسطحيتها كلاهما يوجه الفهم لقصدية الخطابات، ثم إن قيمة القضية عند كل منهما وماهيتها أيضا له تأثيره، يعزز هذه الأطر معرفة المتخاطبين بالعرف العام، الخاص بإنجاح الفعل الخطابية، إذ حدّ "سيرل" عملية التواصل الخطابية بحيزي الأعراف الجمعية والخلفية القصدية الفردية، وداخلهما يعمل المتخاطبون دائما على تفعيل القوة الإنجازية لخطاب

1- ينظر، الصراف: في البراجماتية، ص 127.

ما، فـ"هؤلاء المتحاورين يتبعون جملة من القواعد الضمنية اللازمة لتحقيق فعالية هذا التواصل، الذي يتقاسم الشركاء فيه هدفاً مشتركاً، إذا انعدم لن يكون هناك داع للتواصل" (1)، وكما عمل "سيرل" على حدّ عملية التواصل بحيز الأعراف والخلفية القصدية، جاء إسهام هام لـ "جرايس".

وحاول به "جرايس" تأطير التفاعل الخطابي الرامي إلى تسهيل إنجاح الفعل الخطابي عند كل من المخاطب والمخاطب على السواء، «وتعتمد نظرية "جرايس" في الاقتضاء على النظر إلى استعمال اللّغة بوصفه ضرباً من الفاعلية العقلية والتعاونية والتي تروم تحقيق هدف الاتصال بين الناس» (2)، عقلية بارتباطها الخاص بالمنشئ وقصدية خطابه أولاً ثم بالمتلقي وقصدية فهمه لذلك الخطاب، أما كونها تعاونية فمنطلقه ارتباط الخطابات بالطرفين في الآن نفسه لذا فيقدر التعاون والتقارب بينهما ينجحان في تفعيل القوة الانجازية المظهرة للقصد الصحيح للأفعال الخطابية بينهما، فينجحان عملية إنجازها تواصلياً ثم واقعياً.

ومبدأ "التعاون" أول المبادئ التخاطبية، إلا أنه ليس الوحيد، "ومعروف أن موضوع التخاطب في كلا وجهيه التواصلية أو التبليغية والتعاملية أو التهذيبية، أخذ يشغل الباحثين من مختلف الآفاق العلمية، منطقيين ولسانيين وفلاسفة واجتماعيين ونفسانيين..." (3) ليفرزا لنا مجموعة من القوانين أو القواعد المؤطرة للعمليات التواصلية في الحياة اليومية للناس، يحترمها المتخاطبون كونها مبادئ تأسيسية جمعية تخوّل لهم إنجاح عملياتهم التواصلية بإيصال قصدياتهم الخطابية داخل جماعاتهم الإنسانية، وأهم المبادئ التخاطبية القارة عند المشتغلين، خمسة مبادئ تحاول تأطير العملية التخاطبية حتى ينجح المتخاطبون في إيصال قصودهم (4):

1. مبدأ التعاون.
2. مبدأ التأدب.
3. مبدأ التواجه.
4. مبدأ التأدب الأقصى.
5. مبدأ التصديق .

1- كادة (ليلى): المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ص 115

2- إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص 86-87

3- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان و التكوثر العقلي، ص 237

4- المصدر نفسه، من ص 237 إلى ص 252.

## I. 1- القصدية في المبادئ التخاطبية:

## I. 1-1- مبدأ التعاون the cooperation principle :

أول المبادئ التخاطبية إرساءً، وكان ذلك في بداية الربع الأخير من القرن الماضي، ويرجع وضعه - كما سبق وذكرنا- للفيلسوف اللغوي "جرايس" سنة 1975م، "عندما كان يحاضر في جامعة "هارفرد الأمريكية"<sup>(1)</sup>، وذكره لأول مرة في دروسه المرقونة بعنوان «محاضرات في التخاطب» عام 1967م، ثم ذكره في مقاله الشهيرة «المنطق والتخاطب» "Logic and Conversation"، ثم أتبعه بـ«ملاحظات على المنطق والتخاطب» عام 1978م<sup>(2)</sup>، وصيغته:

"لتكن مساهمتك في المحادثة لحظة حصولها وفق ما يقتضيه هدف المحاوراة اللغوية التي انخرطت فيها أو وجهتها المقبولة"<sup>(3)</sup>

ونستنتج منه:

- 1- كل محاوره تتطوي على هدف يعد الباعث الحقيقي لعملية التواصل.
- 2- الهدف من التواصل موجود فعلاً، سواء بشكل سابق لعملية التواصل أصلاً، أو أثناء استحداثها وحصولها.
- 3- وجوب تعاون المتكلم والمخاطب على الوصول إلى الهدف من عملية التخاطب .
- 4- يحدث تدخل كل من المتكلم أو المخاطب بمقدار ما يطلب منه حسب اقتضاء الهدف التواصلي.
- 5- حقيقة تضافر الفعالية العقلية **activity rational** متمثلة في فعل القصدية والتعاونية **cooperative** الماثلة أثناء عملية التخاطب بين أفراد الجماعة اللغوية، في تحقيق مقاصد الاتصال والتخاطب بين أفراد الجماعة اللغوية، في تحقيق مقاصد الاتصال والتخاطب بين الناس<sup>4</sup>.

1- أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 281

2- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي، ص 238، وينظر له: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص103، وإسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص 112، أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص282، بعيطش (بجي): الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص 108، كادة (ليلي): المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ص176.

3- ريبول (آن) وموشلار (جاك): قاموس التداولية، ص 214.

4 - ينظر إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص86-87.

ولبلوغ مقاصد التواصل، اقترح "جرايس" تأطر العملية بجملة من القواعد التخاطبية

<sup>1</sup>conversational maxims عدما أربع:

#### 1- قاعدة الكم (Maxim of quantity) :

تؤطر كمية المعلومات التي يتضمنها فحوى الخطاب، وصاغها في فرعين:

- اجعل مساهمتك في الخطاب بالقدر الذي تقتضيه قصدية التخاطب.

- لا تجعل مساهمتك تتعدى القدر المطلوب.

#### 2- قاعدة الكيف (Maxim of quality) :

تؤطر صدق امتلاك الحالة القصدية الأصلية الباعثة لإنجاز الخطاب، كحالة قصدية

مشتقة منها، مظهره لفحوى الخطاب وصاغها في فرعين:

- لا تقل ما تعلم عدم صدقة ( خطأه أو كذبه).

- لا تقل ما ليس لك عليه دليل ( لست متأكدا من صدقه).

#### 3- قاعدة ورود وملاءمة الخطاب للقصد التواصلي (Maxim relevance) :

تؤطر هذه القاعدة ورود مساهمة المتدخل بما يلائم القصد التواصلي للواقعة الخطابية، وتحمل قصدية

جديدة يحتاجها التخاطب، وصيغتها:

- لتكن مساهمتك في التخاطب ملائمة لموضوع المتحاور فيه.

#### 4- قاعدة الصيغة (Maxim Manner) :

تؤطر هذه القاعدة شكل بناء القصدية المشتقة انطلاقا من الحالة القصدية الأصلية، اللازمة والصادقة

والملائمة لموضوع التخاطب، وصيغة هذه القاعدة:

- كن واضح القصدية الخطابية.

- ويتفرع عنها وضع اعتبارات أساسية منها، أن المخاطب:

- يلتزم: الإيجاز، الوضوح، التنظيم، التأدب.

- يجتنب: اللبس، الإبهام، الغموض.

1- Grice (H.Paul): Logic and Conversation, Licensed of use at University college London for The pragmatic theory Onlin Course , permission granted, January 2004, p47.

## 1-1-1.I تحليل وتعقيب حول مبدأ التعاون:

إن وضع مبدأ التعاون أنعش عملية تحليل الخطابات اليومية، مستبعدة التحليل الدلالي المتمسك بالنظرية و الانغلاق داخل كيس معين للكلمات، وباعثة لانتهاج التحليل التداولي على اتساع أفكاره وتطبيقية قصدياته وتعالقها بالوقائع الخطابية، يمكن تلخيص مناقب وضع "جرايس" لمبدأ التعاون في:

- إنَّ وضع مبدأ التعاون محاولة عقلية من "جرايس" لنمدجة هيكل تخاطبي جادّ وفَعّال، ومحاولة لإرساء مبادئ عامة للعملية التخاطبية وسط أي جماعة لسانية حال التفاعل الخطابي.
- يعد سعيًا للحفاظ على استمرار الحوارات وبيان ما يجب على المتخاطبين انتهاجه حال مساهمتهم في التواصل اللساني، بطريقة ناجحة، تولي أهمية للجانب الجمعي في العملية التواصلية، بإيلاء الأهمية لشركائهم في الواقعة.
- بيان حاجة عملية التواصل لخطاب يتسم بسمات الكفايتين الكمية والكيفية، وكذا ملاءمته للقصد التواصلية للواقعة، ووفق الصيغة المناسبة والطريقة الأمثل لاشتقاق قصدية انطلاقًا من القصدية الأصلية الباعثة له.
- حقيقة الوجود الضمني لمثل هذه القواعد بين الناس، وسعيهم لاحترامها عند التواصل، وهي في ذلك جزء من مجموع الأعراف الاجتماعية التي يؤسسونها لحياة جماعية أفضل وأنجع، ويمكن عدها كأعراف لسانية ، «وهي في ذلك تشبه المبادئ العامة للتفكير»<sup>(1)</sup>

ويمكننا في عديد المواقف الحوارية لمس احترام المتكلمين لجميع هذه القواعد، أنظر المحاور

التالية:

- الطالب: أتحسب علينا هذه السنة الأكاديمية سنة أولى؟
- رئيس القسم: نعم، ابتداء من تاريخ التسجيل الرسمي.

نلاحظ في هذه المحاور أن رئيس القسم، احترم القواعد التخاطبية الأربع التي وضعها "جرايس"، فقد قدم مساهمة متعاونة في المحاور، إذ سأله الطالب مستفسرا عما إذا كانت السنة

1- إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى عند بول جرايس، ص 88.

الأكاديمية تحسب عليهم سنة في تكوينهم الجامعي، فأجابه متعاوناً، وقام بإعطائه المعلومة المطلوبة، وإجابته جاءت بالكم المطلوب، وأداها صادقاً وفق ما يعتقده صدقاً ومتأكداً من صدقه، وأعطى بها الإضافة الملائمة التي طلبها الطالب بسؤاله له، كما أنه جاء بها، وفق صياغة موقفه مرتبة ترتيباً منطقياً فلم يقل مثلاً: ابتداءً من تاريخ التسجيل، نعم، بل بدأ بحرف الجواب متصدراً ثم صاغ بيان حد احتساب مدة الانتساب التكويني في الجامعة، بهذا يكون كل من المتخاطبين أدى مساهمته التواصلية بشكل تعاوني ناجح، فالطالب ألقى سؤالاً، واضحاً، مفهوماً، كافياً، يستتصر صدق رغبته في أن يجد له جواباً، وكذا رئيس القسم، جاء جوابه كافياً كماً وكيفاً، وملائماً بشكل واضح.

إلا أننا نجد في كثير من حالات الوقائع الخطابية، قد لا يحترم فيها المتخاطبون القواعد التخاطبية، وذلك تبعاً لتقديراتهم ومقاصدهم من عملية التواصل، فيحدث بذلك خرق لبعضها، إلا أن ذلك قد لا يتسبب في فشل عملية التخاطب بالضرورة، إليك المحاورات التالية:

- ﴿ وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى

غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى (18) ﴾ [طه 17-18]

1- ما تلك بيمينك يا موسى  
2- هي عصاي أتوكأ عليها، وأهش بها على غنمي

1- الأم: إنك لم تساعدني في توضيب حديقة المنزل  
2- الابن: أنا مريض. (متملصاً)

1- الطالب: أبحث عن كتب في فلسفة اللغة  
2- صاحب المكتبة: ألف ليلة وليلة، كتاب تراثي ممتع

1- ماذا تشرب؟  
2- الشراب العزيز مفقوداً، والهين موجوداً

ففي المحاوره (1) ذكر سيدنا "موسى" أكثر من المعلومة التي يتطلبها السؤال، إن الجواب الكافي كماً (هي عصاي) إلا أنه أضاف فائضا خطابيا، لقصدية قائمة فيه وهذه الزيادة لم يخل بمبدأ التعاون رغم أنها خرقتة بخرقها للقاعدة الأولى قاعدة الكم.

أما المحاوره (2) فجاء فيها خرق لقاعدة الكيف على لسان الابن، إذ أن الابن في الحقيقة يضر حالة قصدية أصلية تتمثل في عدم رغبته في العمل في حديقه المنزل لأنه يريد الخروج مع أقرانه، إلا أنه تحجج بخطاب يعلم كذبه، فهو ليس مريضا، ووضع قاعدة الكيف يفترض أن كل الخطابات تنطلق من حالة قصدية صادقة، بذا يصبح مبدأ الصدق "قاعدة معيارية خلقية تفرض وجود أهل الاستقامة والشرف والبلاغة في المجتمع، ولكن الناس يعلمون أن المنافقين والمخادعين والمستهزئين والشعراء والضعفاء في اللغه موجودون أيضا في المجتمع"<sup>1</sup>، إلا أن بعض حالات الخرق منه أيضا لا يعد مؤثرا على العملية التخاطبية.

في المقابل إن الخرق الموجود في المحاوره (3) قد يؤثر على مبدأ التعاون، ذلك أن خرق مبدأ الملاءمة يقضي بعدم إضافة المعلومة المتوخاة من الخطاب ما يجعل الخطاب خاليا من الهدف التواصلي الذي هو المحرك الأساسي لأي إنتاج خطابي فالقصدية المحتواة في الخطاب لا تنفك على الارتباط بالعملية التواصلية في أي واقعة خطابية داخل الجماعة التواصلية، فمبدأ التعاون يلزم "صاحب المكتبة" بالتفاعل بشكل ملائم لإعطاء المعلومة التي طلبت منه وهي (أيوجد في المكتبة كتب في فلسفة اللغه) وما ينتظره الطالب أن يجيبه "صاحب المكتبة" بالتأكيد أو النفي لا عرض كتب أخرى بمواضيع متنوعة، إن هذا الخرق تسبب في بتر العلاقات القائمة بين الخطاب وبين طرفي التخاطب، ما جعل الخطاب (كتاب ألف ليلة وليلة كتاب تراشي ممتع) خطابا فارغ القصدية في هذا السياق بالنسبة للطالب، رغم أن "صاحب المكتبة" يضر قصدية الإشهار له وترغيب الطالب في اقتنائه.

على شاكلته يبتر الخطاب (الشراب العزيز مفقودا والهين موجودا) العملية الحوارية إذا افتقر المخاطب في خلفيته القصدية إلى الحالة القصدية المدركة لما يساوي هذا الخطاب من مفهوم، أي لا يعرف أن الشراب الذي قصده المخاطب المجيب بخطابه إنما يتمثل ماصدقيا في "الماء".

1- مفتاح (محمد): تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 1992م، ص142.

بهذا تستند العمليات التخاطبية في إنجاحها إلى مجموع المخزون الذهني للمتخاطبين حول الخطابات واستعمالها من جهة والمفاهيم وكنهها من جهة أخرى، وهذا أشبه بحال استخدام العبارات المسكوكة والمتحجرة في مختلف المقامات التخاطبية ما يدخلنا في مفهوم الاقتضاءات أو الاستلزام أو المضمّر والمضمني في الخطابات، لذا تعدّ قاعدة الورود "القانون المسؤول عن إنتاج عدد لا يستهان به من الاستلزمات المعيارية"<sup>(1)</sup> نظراً لعمله على ضمان نجاح التفاعل الخطابي حسب مقتضيات الوقائع التواصلية وفاعلية التضمين، فالفعل الخطابي الخبر قد يستعمله الفرد للدعاء مثلاً في واقعة خطابية خاصة مثلاً:

- تسلم ← سلمك الله.
- ناجح ← أدعو الله أن يوفقك للنجاح.

وقاعدة الصيغة هي القاعدة المسؤولة عن إنتاج عدد لا يستهان به من أشكال خرج الخطاب، إلا أن الخطابات تبتعد كل البعد عن التحديد أو القولية وتخضع للإبداعية والحدس، "تلتون أحوال التخاطب وتفاوت أغراض المقام، وكلما نحا الخطاب قالبا معينا إلا وسقط فيما يشبه "البناء المنذج **Stériotype**" وعندئذ يخرج من إطاره الطبيعي إلى إطاره الاصطناعي، الذي نحتاج إليه في عملية تعلم التعابير، واعتبار نماذج للناشئة، أو قوالب لغير الناطقين بذلك الخطاب اللغوي"<sup>(2)</sup>، ما يجعل قاعدة الصيغة تعمل على ضمان وضوح وتنظيم الخطابات بعيدا عن قولبة الحالات القصدية المختلفة في قوالب محدودة محددة.

لهذا يمكننا القول: إن كان لقاعدتي الكم والكيف الدور الأساسي في تحديد هدف وقصدية الخطابات في قوالب أو نماذج خطابية جاهزة، فإن لقاعدتي الورود والصيغة الدور الأساسي في تعديد أشكال الخطابات اليومية في اللغات الطبيعية، تضمن لها التنوع والفاعلية في آن واحد.

ويقول "صلاح إسماعيل" بأن القاعدة التي إتكا عليها "جرايس" لصياغة مبدأه وإظهار فاعليته هو مبدأ «نصل أوكام» القاضي بالاقتصاد، «ويستخدم "جرايس" لتوسيع فكرته هذه مبدأ منهجيا يجوز أن نسميه بمبدأ الاقتصاد الدلالي **Parsmony semantic** ... وهاك نصه: «لا يجب مضاعفة المعاني

1- أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 295

2- المصدر نفسه: ج2، ص 297

من غير ضرورة»<sup>(1)</sup>، جاعلا للمعاني وحدات لسانية محددة، ما أوصله لفكرة إقراره المعنى الخالد للوحدات اللسانية، وبهذا تتسع الخطابات عنده في فضاء الاستعمال على سبيل الاستلزام وقواعده لا المعاني التي توفرها اللّغة، لإنجاز خطابات مجسّدة لقصديات خاصة مؤطرة، تعمل على توليد معان لسانية تثري قاموس اللّغة، «ومن ثمة كل خروج عن مقتضى هذه القوانين، إلا وعرض النظرية الدلالية لمجموعة من تواليدات دلالية متناقضة داخليا مع ما تنص عليه القوانين الخطابية المرصودة، الشيء الذي يؤدي إلى ظهور نوع آخر من الاستلزمات القائمة على انتهاك القوانين السابقة، هذا نوع كان قد أطلق عليه "جرايس" مصطلح "الاستخفاف" بالقوانين الخطابية **floutings of maxims** أو استغلالها

«(2) **Exploitation of maxims**»

لقد وقف بذلك "جرايس" على إطراد حالات الخرق والاستخفاف بقوانين التخاطب وآثاره الخاضعة أصلا لملايسات التخاطب ومواضع المتخاطبين، فتنسج بذلك الدائرة عنده من حيث تصيق حلقاتها، فتنسج المعاني عبر الاستعمال المأسس على شرط معرفة المخاطب لقصد المخاطب في سياق الواقعة الخطابية حال الإنجاز.

أنظر الأجوبة المحتملة لسؤال واحد على النحو التالي:- من زارك أمس؟

1- أخي أحمد.

2- أخوك أحمد. ( السائل والمجيب والزائر أخوة)

3- النافع. ( اسم ثان لأحمد)

ولاشك أن الإجابات الثلاث صحيحة، وكافية، وصادقة وملائمة وذات صيغة مناسبة إلا أن استعمال كل جواب من الأجوبة الثلاث إنما تطوي من ورائها قصدية خاصة بظروف وملايسات الواقعة الخطابية تختلف عن غيرها على أنّ الهدف واحد هو إعطاء المعلومة المطلوبة من السؤال، أما القصديات المختلفة فقد نرصدها في:

- أخي أحمد. (إخبار بهوية الزائر)

- أخوك أحمد. ( لوم السائل والإشارة له بأنه لم يزره هو بعد)

1- إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، ص 91.

2- أزيبط: الخطاب اللساني العربي، ج 2، ص 299

- النافع. ( يقصد الفخر بأن الزائر أهل دائما لفعل الخير )

إذا: فلا يكفي فقط خضوع الخطابات لقواعد مبدأ التعاون الأربع حتى يؤدي أهداف التواصل بل إن الوقوف على قصدياته الخاصة جدا يستدعي أكثر من هذه القواعد وقد حصر "أزيبيط" أن "هذه القواعد بمقولاتها لا تنطبق إلا على الخطاب اللغوي الطبيعي وعلى صنف منه اعني الصنف التقريبي الإخباري **Assertif**، لذا يجب أن تعدل حتى تلائم أنماطا أخرى من الخطاب اللغوي الطبيعي، كالنمط الإنشائي، ولعل هذا ما فات "جرايس" ومن حذا حذوه من محلي الحوار اللغوي الطبيعي"<sup>(1)</sup>، إلا أن حصره هذا يعكس أمرين اثنين نثمن أولهما ونعقب على الآخر:

أما الأول فهو بوعي "أزيبيط" بعدم استيعاب نموذج مبدأ التعاون لدى "جرايس" لمختلف أشكال الخطابات المؤدية لعدد لا حصر له من القصديات المتولدة حال التخاطب سواء كانت مباشرة ظاهرة أو غير مباشرة مضمرة.

وأما الآخر: فجزمه باستيعاب نموذج "جرايس" لكل أشكال الخطابات ذات النمط الإخباري، وهو رأي لا نتفق معه فيه إلا أننا لا نرده جملة، فنموذج "جرايس" أثرى وصف وتحليل نماذج وأشكال كثيرة للخطابات الإخبارية إلا أن عجزه يسجل أمام غنى ومرونة الاستعمالات القصدية للأفعال الخطابية الإخبارية الخاضعة لقصدية مستعمل اللغة حالها حال الخطابات التوجيهية والإلزامية مباشرة كانت أو غير مباشرة، بسيطة كانت أو معقدة، ودلينا على ذلك المثال السالف الذكر والذي جاءت خطابات الإجابة فيه خبرية، ملائمة كما وكيفا وصيغة إلا أنها حملت قصديات خاصة تستتصر قوى إنجازية غير مباشرة كاللوم والفخر...

إنّ مثل هذه الحالات والحقائق حدثت بـ "أزيبيط" أن يعمل على اقتراح وضع صيغة معدلة لصيغة مبدأ التعاون لـ "جرايس" لمحاولة إرساء عميق المضمرة على سطح عملية تحليل العمليات التخاطبية، فأورد صيغته كما يلي:

1- أزيبيط: المصدر السابق : ج1، ص 145

ويورد قولاً لـ "جرايس" قال فيه: «لقد قدمت قواعد هاته مفترضا أنها ذات فاعلية كبرى في الحوار الإخباري، وهذا التحديد ضيق جدا بطبيعة الحال لأن هذه الصياغة تحتاج إلى تعميم لتشمل أهدافا أخرى كالتأثير في الآخرين وقيادتهم مثلا» المصدر نفسه: ج1، ص 147.

## صيغة تعديل مبدأ التعاون ليشمل كل القصديات الخطابية:

«أن تكون مساهمتك الحوارية المتعلقة بما هو مطلوب منك في الوحدات الخيرية أو الإنشائية على حد سواء. ملتزما بالهدف واتجاه الكلام التبادلي»<sup>(1)</sup>.

ووفق هذا المبدأ المعدل أورد القواعد الفرعية على الشكل التالي:

قاعدة الكم: أن تكون مساهمتك الإبلاغية أو الإنشائية بالقدر المطلوب  
قاعدة الكيف: أن تكون مساهمتك صادقة أو بحسب ما تمليه عليك الظروف  
قاعدة الورد: ليكن كلامك واردا إذا علمت مسبقا أنه وارد، وإذا لم يحصل لك علم بذلك فليكن كلامك بحسب مقاصدك.

قاعدة الصيغة: كن واضحا أو مضمرا إذا اقتضى المقام ذلك.

وأضاف قاعدة خامسة هي:

- إذا لم تستطع ذلك فأورد مساهمتك بحسب ما في نفسك شريطة أن تحتل التأويل ويصح إيضاها أو تفكيكها.

وأراد "أزيبيط" بهذا التعديل تجاوز قصور مبدأ "جرايس" على إنتاج خطابات حوارية إنشائية أو محملة بقصديات مضمرة، أي لتقادي ما أخذ عليه من تحليلات لعدم كفاية مبدئه لتكوين مختلف الخطابات المضمرة غير المباشرة واستعمال العبارات المسكوكة والمتحجرة، وإن كانت محاولة "أزيبيط" محاولة لتعديل مبدأ "جرايس" نفسه، إلا أن هناك من المحاولات، التي سعى فيها غيره من فلاسفة اللغة إلى وضعها تجاوزا لجملة من الانتقادات التي وجهت له، والتي تعود أغلبها إلى أخذهم عليه عدم كفايته لجل ما يمكن للناس أن ينتجوه من خطابات مباشرة أو غير مباشرة في مختلف وقائعهم الخطابية، من ذلك اقترح "سيرل" "أن يضاف إلى القوانين التي وضعها "جرايس"، قانون العبارات المسكوكة أو المتحجرة، كالصيغ أو التعابير التي تستعمل في مقام الإقرار بالحقائق... أو في مقام التأدب والتودد لإفادة

1- أزيبيط: المصدر السابق: ج1، ص 146.

الطالب، لأن متطلبات الحوار وأدبياته تصرفنا عن التلطف بجمل أمرية يطغى عليها طابع العنف أو الإيجار<sup>(1)</sup> مثل الخطابات:

- ارحل.
- اسكت.
- قم.
- لا تفعل ذلك.

فكانت أول الاقتراحات اقتراح مبدأ التأدب، لضمان تحليل عبارات الرقة والمهادنة الخطابية بعيدا عن نمذجة الخطابات وقولبتها في قالب مباشرة على شاكلة ما فعل صاحب مبدأ «التعاون» لمحاولة استيعاب أنواع أخرى من أصناف الكلام وصروف الخطابات الخاضعة لمميزات الفعل الإنساني عامة، حيث يتسم كل فعل إنساني بأربعة أقطاب من منطلق أنها فردية مؤطرة جمعيا، وهي: **معرفة الفعل** **Savoir faire**، الرغبة في الفعل **Vouloir faire**، استطاعة الفعل **Pouvoir faire** ووجوب الفعل **Devoir faire**، والتي تعدّ قاعدة للقدرة التداولية للإنسان تعمل على إنتاج وتأويل الأفعال الخطابية المختلفة ضمن إوالتين "داخلية (إرادة الفعل ومعرفة الفعل) وخارجية (استطاعة الفعل ووجوب الفعل)"<sup>(2)</sup>، فإرادة الفعل ومعرفة الفعل؛ وإوالتان داخليتان خاضعتان لشخصية الفرد ومميزاته العقلية الذاتية ومجموع المعارف التي يستضمها في مخزونه الذهني حول واقعة أو موضوع معيّن (موضوع التخاطب)، في حين أن الإوالتان الخارجيتان فتنبعان من منطلق علاقة الفرد بغيره وحدود حرية تصرفاته وحيزها وكذا قيمة فعل التخاطب في حدّ ذاته فيها.

## I. 2-1 - مبدأ التأدب:

تفاديا للثغرات التي ظهرت على قصور منهج مبدأ التعاون في تأطير العملية التواصلية، دأب فلاسفة اللّغة على وضع مبادئ آخر منها، مبدأ التأدب، المؤطر للناحية الأخلاقية للمتخاطبين (الإوالية الخارجية لفعلهم الخطابية).

1- بعيّش (يحيى): نحو نظرية وظيفية للغة العربية، ص 174.  
2- أزابيط: الخطاب اللساني العربي، ج2، ص 422.

مبدأ التأدب ثاني مبادئ تأطير العملية التواصلية لإدارة المحاور أي التخاطبية، وضعته "روبين لاكوف" (1973- Robine lakoff) في مقالها «منطق التأدب»<sup>(1)</sup> وصيغة هذا المبدأ:

- لتكن مؤدبا.

بموجب هذا المبدأ يعمل المتخاطبون على احترام مبادئ الآداب العامة والسلوكيات اللغوية، مثلما يحترمون التعاون التخاطبي، ما يجعلهم أبعد عن الخداع أو الإسفاف في إنتاج الخطابات.

وقد فرّعت "لاكوف" على هذا المبدأ مجموعة من القواعد التهذيبية:

أ- قاعدة التعفف Formality : وهي قاعدة الآداب العامة، وصيغتها :

- لا تفرض نفسك على المخاطب.

ما يحّد المتكلم على فرض قصديته، وحشر نفسه فيما يخص مخاطبه، مما يمكن أن يتسبب في الحرج أو الغضب له، والحكم عليه كمتكلم بأنه قليل الأدب، صفيق ، لا يزن مقامه من مقام محدثه، والمسالة القائمة بينهما. هذا ما جعل "طه عبد الرحمن" يختار لها ترجمة "التعفف" أي أنّ المتكلم يتعفف على الاتصاف بسمات الصفيق الوقح، اللّجوج على إقحام أنفه في شؤون الآخرين<sup>2</sup>.

ب- قاعدة التشكيك:

بمقتضى هذا المبدأ لا يفرض المتكلم على المخاطب قصديته الخطابية، أو يلزمه باعتقاداته عنوة، وللمخاطب حرية التفاعل مع الخطاب إن إيجابا أو سلبا، وصيغة هذه القاعدة:

- لتجعل المخاطب يختار بنفسه.

يضمن هذا المبدأ للمخاطب حرية قصدية يتصرف بموجبها وفق ما يقدر ملاءمته للواقعة الخطابية وفحوى خطاب مخاطبه.

ج- قاعدة التودد: وهي قاعدة تحضير المخاطب عقليا (قصديا) لقبول المشاركة والتفاعل في العمل التخاطبي، وصيغتها:

- لتظهر الودّ للمخاطب.

1- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي، ص 240.

2 - أنظر المصدر نفسه: ص 240.

وفق هذا المبدأ يقوم المتكلم بالتقرب من مخاطبه، مشعرا إياه بالندبة، من منطلق قصدية التواضع منه، ويتجلى دور تفعيل هذه القاعدة في حال إذا كان المتكلم أعلى درجة أو أرفع منزلة من مخاطبه، ويعمل على التودد له والتقرب منه، "مستعملا لذلك الأدوات والأساليب والصيغ التي تقوي علاقات التضامن والصدقة بينهما نحو ضمير المخاطب والاسم والكنية، واللقب، أنيس به المخاطب أنسا واطمأن إطمئنانا إلى ما يبديه له المتكلم من ثقة وعناية"<sup>(1)</sup> بعيدا عن الفضول أو الوقاحة.

### I. 1-2-1- تحليل وتعقيب حول مبدأ التأدب:

إن مبدأ التأدب ارتكز بالدرجة الأولى على إيلاء الفرد للجانب الجمعي للخطابات قيمة كبيرة، ذلك أنه حاول التأسيس لتفعيل الإوالتين الخارجيتين من منطلق أنهما تحكمان مستوى العلاقات القائمة بين المتخاطبين فيما بينهم وعلاقتهم بالخطابات في حد ذاتها، وتتسم قواعده بالترج في القوة، وليست عبارة عن قواعد تنظيمية متضاربة كما هو الحال في مبدأ التعاون لإنجاح العملية التخاطبية، في مبدأ التأدب على المتكلمين انتهاج إحدى القواعد حسب ما يقدرونه تداوليا عبر تفعيل وجوب الفعل أو عدم وجوبه واستطاعة الفعل أو عدم استطاعته. وجوب الفعل ← قاعدة التعفف

إن قاعدة التعفف توجب على المتكلم مجافاة استعمال الخطابات الرافعة للكلفة أو اللاغية للمسافات الأدبية بين الأشخاص المتحاورين، كما تفرض على المتخاطبين تجنب الخطابات الجارحة أو المحرجة في الحالات الوجدانية أو الحساسة اللامسة للمشاعر، الحاملة لأوامر صعبة أو مرفوضة، أو الطلبات المعجزة أو المزعجة أو غير المرغوب فيها.

أما قاعدة التشكيك فيلجأ إلى احترامها في حالات تجنب التصريح المباشر بالخطابات خاصة التوكيدية والتقريرية منها، والاستعاضة عنها بالخطابات الاستفهامية على سبيل التشكيك والتخير.

### I. 1-3- مبدأ التواجه:

لقد أزر مبدأ التأدب مبدأ التعاون في تفعيل قصدية الواقعة التخاطبية في إطار أخلاقي عام، إلا أن جانبه العملي بقي قاصرا ما استدعى وضع مبدأ ثالث هو مبدأ التواجه، إذ يعد مبدأ اعتبار العمل<sup>(2)</sup> يعمل على تفعيل الإوالية التداولية الداخلية لفعلهم الخطابية (الإرادة و المعرفة)، ووضع هذا المبدأ كل

1- طه (عبد الرحمن): المصدر السابق، ص 241.

2- المصدر نفسه، ص 243.

من "براون" (Penelope brown) و"ليفنسن" (stephen levenson) (1978) في دراسة مشتركة لهما بعنوان: «الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب»، منطلقين من "مقولات عالم الاجتماع "ايرفنج جوفمان" (Goffman) حول صياغة الانطباعات وتشكيلها، وكذلك الكتابات المؤسسة لـ "أوستين" و"سيرل" و"جرايس" (1)، وصيغة هذا المبدأ:

- لتصن وجه غيرك.

وفق هذا المبدأ يمكن للمتكلم من أداء مختلف الأدوار التواصلية دون استثناء ففكرة التواجه تعطيه القدرة على المواجهة والمدافعة على حقوقه، "وينبني هذا المبدأ على مفهومين أساسيين، أحدهما مفهوم «الوجه» والثاني مفهوم «التهديد» الذي هو نقيض «الصيانة» (2)، ومفهوم الوجه هو عبارة عن شخصية التي يختارها المتكلم لنفسه، ويقدم بها نفسه في جماعته اللغوية، ويختار الفرد إما وجهها؛ رافضا أو تأدبا سلبيا (Negative Politeness)، معارضا يقصد صاحبه دفع كل إعتراض قد يتعرض له في جماعته، وإما أن يختار الفرد وجهها مستبشرا متسامحا أو تأدبا إيجابيا (Positive Politeness)، يقصد صاحبه معاملة غيره بشيء من اللين، محاولا بذلك جلب الرضى والثناء والاعتراف بإيجابية فاعليته في عملية التخاطب والحياة الجمعية داخل جماعته بصفة عامة.

أما مفهوم «التهديد» فهو ما ضمنه هذا المبدأ بالنظر لمبدأي «التعاون» و«التأدب» اللذان يحدان نوعا ما المشاركة السلبية أو التعنيفية في العملية التخاطبية وفق مبادئ "الصيغة" و"الصدق" و"التعفف"، فضمن هذا المبدأ لمفهوم الوجه يعطي الفرد الفرصة لاختيار وجه من الوجهين المفترض إنتاجهما في العملية التخاطبية، ذلك أن المتخاطب لا يتبنى دائما قصدا واحدا أو يتفاعل بالحالات القصدية الإيجابية دائما.

إذ يضمن له هذا المبدأ، إختيار الوجه الأكثر ملاءمة للواقعة الخطابية حال الحدوث فالوجه الدافع يمكن أن يؤدي به المتكلم مجموعة من الأفعال الخطابية التي قد تتسم عامة بالسلبية و إمكانية اختيار كل متخاطب لوجه دون آخر يعرض مفهوم التهديد أي تحديد الوجه المختار للوجه المقابل

1 - مزيد: تبسيط التداولية، ص63.

2- المصدر نفسه، ص 243

لمخاطبه إذ إختيار المتكلم للوجه الدافع يهدد الوجه الجالب لمخاطبه، ويمكننا أن نلخص تهديد بعض الأفعال الخطابية لوجوه المتخاطبين في الجدول التالي:

المخاطب		المتكلم	
الوجه الدافع	الوجه الجالب	الوجه الدافع	الوجه الجالب
الذم، السخرية الاستهزاء، الجحود الإساءة، التعرض وقطع الكلام	الأمر، الطلب النصح، التنكير، الإنذار التحذير، الوعيد، العرض، الوعد، التهنتة، الإعجاب	الاعتذار الإقرار التندم الرفض	الشكر قبول الشكر الموافقة، التأييد
أفعال تشعره بالإثارة والغضب فتهدد وجهه الجالب	أفعال تحدّ قدرته أو قوته أو تلزمه بالقيام بها أو يحفظها ويقبل فعل المتكلم لها فتهدد وجهه الدافع	أفعال تثير حفيظته أوغضبه فتهدد وجهه الجالب	أفعال تشعره بالرضى والراحة فتهدد وجهه الدافع

ونلاحظ أن الأفعال الخطابية المهدة لوجوه المتخاطبين، تتغير وتتعدد وفقا للواقعة الخطابية وشخصية أو ذات المتخاطبين، فبعض الأفعال الخطابية التي قد تثير غضب أحد المتخاطبين، قد لا تغضب غيره من الذوات ذلك تبعا لأخلاقه وتصرفاته وقدرته على التحكم في نفسه، بل إن الأفعال الخطابية التي تثير شخصا ما وتهدد وجهه الجالب في واقعة خطابية ما قد لا تفعل ذلك في واقعة خطابية أخرى، ويمكننا ردّ ذلك إلى مختلف العلاقات القائمة داخل الواقعة الخطابية والعلاقات القائمة بين المتخاطبين.

## I.1-3-1- الاستراتيجيات المنتهجة وفق مبدأ التواجه:

إن بناء مبدأ التواجه على الوجه من جهة والتهديد من جهة أخرى، يجعل المتكلم يعمل على إظهار وجهه الذي إختاره مفترضا دفع تهديده مسبقا أو افتراض تهديد مخاطبه مسبقا، لذا وجب على كل من "براون" و "ليفنسن" وضع مجموعة من القواعد (استراتيجيات) للتخفيف من آثار هذا التهديد، وجعلوها خمسا يختار منها المتكلم ما يراه مناسباً لقوله ذي الصبغة التهديدية، وهذه القواعد هي: (1)

- 1- أن يمتنع المتكلم من إيراد القول المهدد (استراتيجية الصمت).
  - 2- أن يصرّح بالقول المهدد من غير تعديل يخفف من جانبه التهديدي (استراتيجية التصريح).
  - 3- أن يصرّح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدافع (استراتيجية التآدب السلبي).
  - 4- أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب (استراتيجية التآدب الإيجابي).
  - 5- أن يؤدي القول بطريقة التعريض، تاركا للمستمع أن يتخّير أحد معانيه المحتملة (استراتيجية التلميح).
- وهذه القواعد الخمس أقرب إلى احتمالات لمختلف الاستراتيجيات التي يمكن للمتكلم انتهاجها أو اختيارها كتصرف حسب ما يرجحه من ما هو أنسب لملاسات وأطر أداء خطابه وإنجاز فعل خطابي معين، مغلبا تفعيل قوة إنجازية دون أخرى سواء انتهج إستراتيجية تفعيل القوة الإنجازية الأصلية أو تفعيل غيرها من القوى الإنجازية غير المباشرة المؤدية للقصدية الخطابية المراد تحققها، وبالمثال يفهم المقال أفضل، سنأخذ كنموذج الفعل الخطابي (النهي عن إصدار الضوضاء).

- 1- قد يتحمل المتكلم ويصطبر على الضوضاء ولا ينة المتسبب فيها، إذا رجح أن هذا النهي قد يضربه (مثلا المتسبب بالضوضاء رئيسه في العمل)، أو يضرّ بالمنهي (مثلا المتسبب بالضوضاء جار ليس من عاداته الإساءة لجيرانه إلا أنه اضطر لإتمام بعض التوصيلات في مطبخه)، أو لعدم جدوى فعل النهي نفسه كأن يكون المتسبب بالضوضاء شخص مجنون.

1- طه ( عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي، ص 244. وينظر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 105.

- 2- قد ينهى المتكلم المستمع عن إحداث الضوضاء دونما استعمال لصيغة تخفف القوة الإنجازية لفعل النهي أو لتلطيف الفعل التهديدي لهذا النهي، كقوله: لا تصدر الضوضاء.
- 3- قد يقوم المتكلم بنهي المستمع، مع تخفيف أثر فعل التهديد فيحفظ الوجه الدافع لمخاطبه، كأن ينجز الخطاب: هلا توقفت عن إصدار الضوضاء، مشعرا إياه بانزعاجه من الضوضاء.
- 4- قد يقوم المتكلم بنهي المستمع، بصيغة تحفظ الوجه الجالب للمخاطب كأن يخاطبه قائلا: ألا ترى أن عدم إصدار الضوضاء شيء إيجابي؟، مشعرا إياه أن الأمر على الخيار إن أراد توقف وإن أبي فلا.
- 5- قد ينهى المتكلم المخاطب عن إصدار الضوضاء بطريقة التعريض، فيخاطبه مثلا قائلا: إن آخر الدراسات العلمية تعدّ الأصوات العالية من أشكال التلوّث وسبب من أسباب الإصابة بالأمراض تاركا لمخاطبه المجال لاستنباط قصدية خطابه غير المباشرة وهي مطالبته له بالكفّ عن إصدار الضوضاء المزعجة والمضرة.

### I. 1-3-2 تحليل وتعقيب حول مبدأ التواجه:

إن مبدأ التواجه مبدأ أقرّ قيمة الفعل الإبلاغي في الفعل التخاطبي، وبموازنتنا للإستراتيجيات التي اقترحها هذا المبدأ مع مبدأ التعاون لـ "جرايس" نجد أن الإستراتيجية الثانية هي الأنسب له، ووجود أربع إستراتيجيات أخرى، يجعلنا نحكم أنه أغنى من مبدأ التعاون لـ "جرايس" في تفعيل قصدية الخطابات وفق الإستراتيجيات الأخرى. وبموازنته لمبدأ التواجه مع مبدأ التأدب عند "لاكوف"، جزم "طه عبد الرحمن" أن "خطة التصريح من غير تعديل مقابلة لقاعدة التعفف) على المتكلم حفظ المسافات)، وتكون خطة التصريح مع التعديل الحافظ للوجه الدافع وخطة التعريض مقابلتين لقاعدة التشكيك، كما تكون خطة التصريح مع التعديل الحافظ للوجه الجالب مقابلة لقاعدة التودد"<sup>(1)</sup> ما جعله يحكم بأفضليته على مبدأ التأدب، وبالتحليل على المسافة أن الإستراتيجية الثانية توازي مبدأ التعفف ذلك أن المتكلم يحافظ على المسافة الموجودة بينه وبين مخاطبه ولا يخضع له بأي شكل من الأشكال كما لا يسعى إلى التقرب منه أو التودد له بانتهاج الإستراتيجيتين الثالثة أو الرابعة الراميتين إلى تخفيف القوة الإنجازية للفعل الخطابى مع الحفاظ على عنصر أداء الفعل الخطابى بمحتواه القضوي، فالإستراتيجية

1- طه (عبد الرحمن) اللسان الميزان والتكوثر العقلي، ص 244

الثالثة والخامسة تضمنان أداء الفعل الخطابى مع ضمان حرية المستمع في قبول أو رفض الفعل الخطابى المنجز، أما الإستراتيجية الرابعة، وهي التصريح مع التعديل الحافظ للوجه الجالب، تجعل المتكلم ينتهج طريقة أقرب إلى مبدأ التودد في مبدأ التأدب لـ "لاكوف" بهذا نجد أن الثلاثة مبادئ لمبدأ التودد تتوزع على الاستراتيجيات الخمس لمبدأ التواجه لـ "ليفنسون" و "براون" مع هذا فمبدأ "التواجه" يفضل مبدأ "التأدب" لاعتباره بأمرين اثنين: - اعتبار الوجه /- انتهاج الإستراتيجية:

1- **إعتبار الوجه:** التي تعطي للمتكلم القدرة على انتهاجه أي إستراتيجية بتغطية الوجه الذي يختاره، والاختيار ينبع أصلا من الإرادة، و"الإرادات المحددة للوجه هي بمنزلة المقاصد التي يستهدف المتكلم والمستمع تحقيقها"<sup>(1)</sup>، فالمُخاطب لحبيب له أو شخص يبتغي منه خيرا أو يلقي منه المودة دائما يحرص دائما على تفعيل وجهه الجالب معه كما يقصد عدم المساس بوجهه الجالب هو الآخر ويعمل على حفظه حبا فيه وحرصا على وصله، أما تفعيل الوجه الدافع فيكون غالبا حال فرض النفس وقصدية الغلبة في وقائع التصادم أو الجدل، من ذلك الخطابات:

- أشكركم على دعوتي، وأتمنى أن أفيد وأستفيد بتواصلتي معكم. (المتكلم يفعل وجهه الجالب بقصدية التعاون الإيجابي والحفاظ على الوجه الجالب لمخاطبيه في حوار يجمع أكثر من شخصية في حصة تلفزية حول موضوع نظام الـ LMD وإصلاح قطاع التعليم العالي في الجزائر بثت علي الجزائرية الثالثة 2015/11/12).

- لا أريد التعامل معك بعد اليوم فأنت لست أهلا للإحترام أصلا. (المتكلم يفعل قصدا وجهه الدافع بقصدية بتر العلاقة الرابطة بينه وبين مخاطبه ولا يحرص على حفظ الوجه الجالب له بالمقابل خدمة لقصدية الباعثة).

2- **انتهاج الاستراتيجية:** وهي بيان الطريقة الأمثل لتنفيذ المتكلم والمستمع عملية التخاطب على الوجه الأنسب والوصول إلى مقاصدهما منتهجين أفضل طريقة لآداء ذلك "ذلك أن المتكلم يحتاج إلى الاستغلال بالمقاصد على الوسائل الكفيلة بتحقيقها، كما يحتاج إلى الموازنة بين مختلف الوسائل الكفيلة

1. طه (عبد الرحمن): المصدر السابق : ص 245.

بتحقيقها، كما يحتاج إلى الموازنة بين مختلف الوسائل حتى يتخيز أفضلها تحقيقاً لهذه المقاصد، إن دفعا للاعتراض أو جلباً للاعتراف<sup>(1)</sup>.

مع كل ما يوفره مبدأ التواجه من استراتيجيات خطابية مختلفة تضمن للمتكلمين أداء مقاصدهم بفعالية كبيرة، إلا أنه يقصر على وصف أو ضمان الجانب الأخلاقي للفعل الخطابي، فالمشاركات الخطابية ليست كلها تتبني فقط على التهديد، إذ العديد من الأفعال الخطابية التي تهدد الوجه الدافع للمتكلم في حال الحوارات التسامحية أو الحوارات بين الأصدقاء والأصدقاء تكون سبباً في حفظ الوجه الجالب له بدل تهديد الوجه الدافع له ما يحفز التواصل الإيجابي، كذا حال الحوارات اليومية المسالمة أو الشارحة أو الحاملة للأخبار السارة والتفاؤلية. مما سبق يمكننا القول أن أساس الجانب التأديبي في مبدأ التواجه هو عمل المتخاطبين على تقليل وقع فعل التهديد في الأفعال الخطابية عامة.

إن سمة افتراض قصدية سوء النية والتصادم الواسم لمبدأ التواجه، يجعل المتكلم يعمل دائماً على السعي للانتصار لأحد وجوهه أما استراتيجياته فيتخذها صيانة لوجه مستمعه حرصاً منه على الحصول على أخف ردود الأفعال السلبية، إلا أنه في الحقيقة فكثير من خطاباتنا اليومية لا نقصد بها انتقاء فعل التهديد في خطابات الآخرين مقابل تخفيفه في خطاباتنا، إذ يحدث أننا نتواصل أو نريد التواصل مع الآخرين أنساً بهم أو حباً لهم، كما نسعى لاستعطافهم أو جلب مودتهم بدل ردّ شرهم أو اتقاء إساءاتهم.

بالنظر لهذه الحقيقة المعاشة في الواقع، نلمس قصور مبدأ التواجه في تفعيل قصدية أفعال خطابية تضمن الجانب المسالم المؤدب من الخطابات ما يجعل الفرد أكثر انسجاماً مع أفراد جماعته وأكثر قبولاً وسطهم، لذا جاء مبدأ جديد يولي هذا الجانب أهميته في استراتيجياته وقواعده.

#### I.1-4- مبدأ التأدب الأقصى:

رابع المبادئ التخاطبية إرساء، يقوم على اعتبار التقرب، فيولي الأهمية لإنتاج أفعال خطابية ايجابية، جاء كضرورة لاستدراك قصور مبدأ التواجه في إبراز الجانب التوددي لدى المتكلمين وهيمنة فكرة أو مفهوم التهديد كسمة للخطابات، وأن الجانب التأديبي فيها يقتصر على التلطف لا على اللطف الواسم

1- طه (عبد الرحمن): المصدر السابق، ص 245.

الفطري للأفعال الإنسانية عامة، فمتى استشرت طغى غيره من الصفات السلبية للبشر، وضع مبدأ "التأدب الأقصى" الفيلسوف اللغوي "ليتش [1983, Leech Geoffrey]" في كتابه "مبادئ التداوليات" والذي يعدّ مكملاً لمبدأ التعاون ويصوغ مبدأه في صورتين اثنتين(1):

1- صورة سلبية: قلل من الكلام غير المؤدب.

2- صورة ايجابية: أكثر من الكلام المؤدب

وتتفرغ عن هذه الصورتين مجموعة من القواعد هي: اللباقة والسخاء والاستحسان والتواضع والاتفاق والتعاطف؛ تضم كل قاعدة منها مبدأين حاول بها "ليتش" تفعيل عمليات التخاطب في اتجاهها الإيجابي:

أ. قاعدة اللباقة: - قلل من خسارة الغير.

- أكثر من ربح الغير.

ب. قاعدة السخاء: - قلل من ربح الذات.

- أكثر من خسارة الذات.

ج. قاعدة الإستحسان: - قلل من ذم الغير.

- أكثر من مدح الغير.

د. قاعدة التواضع: - قلل من مدح الذات.

- أكثر من ذم الذات.

هـ- قاعدة الاتفاق: - قلل من اختلاف الذات والغير.

- أكثر من اتفاق الذات والغير.

و- قاعدة التعاطف: - قلل من تنافر الذات والغير.

- أكثر من تعاطف الذات والغير.

لقد حاول "ليتش" بوضعه لهذا المبدأ تقادي مختلف الثغرات الواردة في مبدأ التعاون، ذلك أنه مبدأ ضمن جوانب: كفاية الخطاب كمياً وصدقته وصيغته المناسبة وملاءمته، إلا أنه لم يعنى بالجانب

1- طه (عبد الرحمن): المصدر السابق : ص 246.

التوددي فيه أو مقتضيات اللباقة وتخفيف وقع الفعل الخطابي، ما جعل "ليتش" يستشعر أهمية مبادئ تضمن اللين والمجاملة ف «خاصة قاعدة اللباقة هي بمنزلة خطط ترفع كل ما من شأنه أن يوقع في النزاع أو يمنع من التعاون»<sup>(1)</sup> وتتجلى فاعلية هذا المبدأ في عديد المواقف التواصلية في حياة الناس، ويحتاجه الكثير من أصحاب الوظائف، التي يتعامل أفرادها مع عدد كبير من الناس بمختلف عقلياتهم وحالاتهم النفسية، ما يجعل أصحاب مثل هذه الوظائف يحافظون دائماً على حالة قصدية أصلية يسعون من خلالها اجتلاب رضى الناس الذين يفترض أن يتعاملوا معهم، من ذلك التجار وموظفو الاستقبال في المؤسسات، موظفو الإدارات ذات الطابع الجماهيري كمكاتب البريد أو البلديات، وعمال السياحة والفنادق، وغيرهم ممن يفترض بهم تحمل مختلف قصود وتصرفات وردود أفعال الأشخاص الآخرين المفروض عليهم التعامل معهم بشكل إيجابي، يضمن التعاون بينهم ولا يتسبب في قطع وإيقاف عملية التواصل، من ذلك الملاطفة وإعمال التقليل من القوة الإنجازية لبعض الأفعال الخطابية كالأمر والنهي والاستفهام، أو تبديلها بأفعال خطابية ذات قوى إنجازية أخرى كالإغراء والتعريض والمدح، أو استخدام أفعال خطابية غير مباشرة بقوى إنجازية مستلزمة، إلى غير ذلك من الاستراتيجيات التي يمكن أن يلجأ إليها المتكلم ضماناً لمبادئ التأدب الأقصى.

### I.1-4-1 تحليل وتعقيب حول مبدأ التأدب الأقصى:

إنّ قصدية الخطابات وفق مبدأ التأدب الأقصى توطر غالباً على وجود التعامل الإيجابي و سيادة أخلاق التسامح في الجماعة الإنسانية، ما يجعلنا نحكم عليه بمجموعة من الملاحظات؛ منها:

- 1- إن مبدأ التأدب الأقصى، مبدأ يسعى للحفاظ على استمرار عملية التخاطب وتقادي ما يمكن أن يتسبب في قطعها أو بترها انطلاقاً من إضمار المتخاطبين لحالات قصدية حقيقية يتفاعلون بها في حين الواقعة الخطابية إن سلبا و إيجابا كل وفق ما يقدر أنه مناسب أو يقصده من إجراء عملية التخاطب.
- 2- إن مبدأ التعاون يضمن تشارك المتخاطبين بكيفية تجعل مساهمة كل منها بالقدر المطلوب منه في عملية التخاطب، في حين أن مبدأ التأدب الأقصى يجعل المتخاطبين أكثر حرصاً وأفضل مساهمة

1- طه (عبد الرحمن): المصدر السابق ، ص 247.

في تفعيل العملية التخاطبية وذلك "أحفظ للصلة الاجتماعية التي هي شرط في التعاون" (1)، بهذا يفضل مبدأ التأدب الأقصى مبدأ التعاون، وهو بهذا يفضل مبدأ التواجه القائم على مبدأي الوجه والتهديد اللذين يجعلان المتكلمين يتعاملون بحالة قصدية سلطوية أكثر منها لبقة أو متواضعة، ما يجعل الحالة القصدية في حال التواضع تجعل المتخاطبين أكثر حرصا على علاقاتهم الاجتماعية.

3- لكن ليست كل الخطابات يقصد بها الفرد الحفاظ على عملية التخاطب وحسن الصلة مثلا: كيف يضمن مبدأ التأدب الأقصى استمرار التعاون في محاوره، ينشئ فيها المتكلم فعلا خطابيا قاصدا إنهاء التخاطب، كخطابات:

- انتهى النقاش.

- يكفي.

- تريح. (درجة جزائية: لن أضيف قولا آخر).

فمثل هذه الخطابات ينتجها فعلا بعض المتخاطبين بقصدية إيقاف التعاون ودفع العملية التخاطبية إلى التوقف بناء على حالة قصدية أصلية قاضية بعدم جدوى عملية التواصل لسبب أو لآخر كل حسب الواقعة الخطابية حال الحدوث..

4- حال حرص المتخاطبين على استمرار تعاونهم في تفعيل المخاطبة بينهم وفق مبدأ التأدب الأقصى، يجعلهم أقرب إلى التصنع، وادعاء حالات قصدية توددية مسالمة قد لا يمتلكونها فعلا، بل يعملون على خداع مخاطبهم والتلبس عليهم، لذا وجب إستدعاء تفعيل حالات قصدية تتسم بشيء من القيم الأخلاقية خاصة الصدق ومجانبة الكذب ولعل هذا ما عمل على ترسيخه مبدأ التصديق.

### I. 5-1 - مبدأ التصديق:

خامس المبادئ التداولية التي عملت على تأطير العمليات التخاطبية في اللغة الطبيعية، يقوم على اعتبار الصدق في الفعل والإخلاص في القصدية الخطابية له، وواضع هذا المبدأ "طه عبد الرحمن" في كتابه «الأسان الميزان والتكوثر العقلي» (1998م)، واستلهمه من مبادئ الشريعة الإسلامية التي تعتمد إلى اعتبار القصد أساس العمل الإنساني (2)، يقول عنه "وقد اتخذ هذا المبدأ الراسخ في

1 - طه (عبد الرحمن): المصدر السابق ، ص 147

2- ينظر، الفصل 1 من هذا البحث.

التراث الإسلامي صوراً مختلفة منها «مطابقة القول للفعل» و«تصديق العمل للكلام»<sup>(1)</sup> فمنبعه مبدأ إنما الأعمال بالنيات، والإخلاص في القول والفعل، فالإنسان ينبغي له أن يلتزم الصدق في فعل الفعل الذي يخلص النية في فعله حقاً فالخطابات شأنها شأن الأفعال الإنسانية الأخرى تستوجب القصد والصدق في إظهار ذلك القصد، وصاغ "طه عبد الرحمن" هذا المبدأ كآتي:

- لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فمك.

ويضمن هذا المبدأ، الجانب الإبلاغي للقول، والجانب التأديبي له على حدّ سواء، وقد صاغ "طه عبد الرحمن" القواعد التواصلية المتفرقة على هذا المبدأ متأسياً بما أورده "الماوردي" [450هـ، 1058م] في كتابه "أدب الدنيا والدين"<sup>(2)</sup> والتي صاغها كما يلي:

- ✓ ينبغي للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما في اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
- ✓ ينبغي أن يأتي المتكلم به في موضعه و يتوخى به اصابة فرصته.
- ✓ ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- ✓ يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

وقد سعى "طه عبد الرحمن" أن يكون هذا المبدأ جامعاً لمبدأ التعاون ومصححاً لثغراته، متجنباً لما ظهر في غيره من المبادئ من تقصير، إذ حاول به تجنب محدودية مبدأ التأديب هي اعتبار العمل، وقوة مبدأ التواضع في اعتبار الوجه وإعمال التهديد، وتمادي مبدأ التأديب الأقصى في إنجاز خطابات تتصنع الملاينة لا تصدق في إظهار حالتها القصدية الأصلية، فمبدأ التصديق يتميز بما يلي:

- 1- يحرك القصد عملية إنجاز الخطابات على اختلاف قصدياتها وأهدافها.
- 2- يحدد الهدف من العملية الخطابية قيمة المساهمة في إنجاز العملية التخاطبية.
- 3- عمل المتكلم على كفاية خطابه لأداء العمل اللغوي المراد.
- 4- حرص المتكلم على ملاءمة خطابه للأطر المنجز فيها.
- 5- عمل المتكلم على دقة أداء الخطاب لأهدافه التواصلية الباعثة له.

1- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي، ص 249.

2- الماوردي (أبوحسن): أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار إقرء بيروت لبنان، ط4، 1985م، ص 283.

6- حرص المتكلم على انتقاء خرج الخطاب المظهر للحالة القصدية المرافقة له (الاعتناء بعناصر خرج الخطاب المعبر بالشكل اللائق، مراعاة للفصاحة والوضوح).

وأتى "طه عبد الرحمن" بمجموعة من القواعد المتفرعة عن مبدأ التصديق لتأطير التعامل الخطابى وفقه، قام باستقراءها من التراث الإسلامى كذلك، وأجملها فى ثلاث، وصاغها على مقتضى قواعد التخاطب المعلومة وهى (1):

أ- قاعدة القصد: لتتفقد قصدك فى كل قول تلقى به إلى الغير .

ب- قاعدة الصدق: لتكن صادقاً فيما تنقله إلى غيرك

ج- قاعدة الإخلاص: لتكن فى توددك للغير متجرداً عن أغراضك

### I. 1-5-1 تحليل وتعقيب حول مبدأ التصديق:

لقد حاول مبدأ التصديق استيعاب ما سبقه من مبادئ بإيجابياتها واجتناب ما سجل فيها من نقائص، كمحاولة للخروج بمبدأ متكامل ينطلق من قصد المتكلم ويعمل على الصدق فيه إلى تصديقه بالفعل المنجز، إن قولاً أو عملاً، فى مختلف أوضاع الوقائع الخطابية.

- استوعب مبدأ التصديق المكون العملى لمبدأ التعاون باستيعابه لقواعده الأربع:

- قاعدة الكم ← يجب أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.
- قاعدة الكيف ← ينبغى للكلام أن يكون لداع يدعو إليه، إما فى اجتلاب نفع أو دفع ضرر.
- قاعدة التودد ← ينبغى أن يأتى المتكلم به فى موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.
- قاعدة الصيغة ← يجب أن يتخير اللفظ الذى به يتكلم.

وتفضل قواعد مبدأ التصديق قواعد مبدأ التعاون بما يأتىك:

- إن اختصار الكلام على قدر الحاجة، يحدّد كم الوارد فى الخطاب، إلا أنّها لا تحد نوعه أو طبيعته فى الطبيعة الخيرية للخطابات اليومية كما فعل مبدأ التعاون.

1- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوشر العقلى، ص 250.

- مجيء الكلام وفق داع، إما جلب منفعة أو دفع ضرر يعطي للمتخاطبين حرية في إمكانية إيراد الاستعارات والتورية، والمهم وجود الهدف، ووجود إرادته.
- مجيء المتكلم باللفظ المتخير، يعطي للمتكلم السعة في إنجاز الخطاب المعبر عن الحالة القصدية التي يمتلكها، سواء طال أو قصر، المهم فيه أنه ينتهج أساليب واضحة القصدية.

بهذا استوفى المبدأ أهدافه بتنظيم عملية التخاطب بالشكل الذي يضمن، أداء القصدية والصدق في آدائها والحرية في آدائها ما يجعل قواعده الثلاث مؤسسة لمنطلقات العمل الإنساني المصدق للخطاب، خالفا تطابق الفعل والقول أو تصديق الفعل للخطاب وفق مبادئه.

- **قاعدة القصد:** تضمن إفاء جانب العمل حقه، سواء من جهة المخاطب أو من جهة المخاطب، ما يسمح بوجود المسافة بين القصدية الخطابية بقوتها الإنجازية الحرفية والمستلزمة، ويبقى الحرص على إيصالها لا على الطريقة التي توصل بها ( خاصة حرصها في الأسلوب المباشر فقط)، فيسمح بانتهاج طرق الاستعارة والتورية والتلميح "فيكون المخاطب مطالباً بتعقبه بمعونة القرائن المقالية والمقامية التي تتعلق بهذا القول، من غير أن يحصل له اليقين بأنه عين المقصود المتكلم، ولا يأمن رد المتكلم له"<sup>(1)</sup>، ذلك أنها تحتمل أكثر من قصدية، وترجيح إحداها رهين القدرة التداولية التطبيقية الآنية للمتخاطبين، سواء تعلق الأمر ببناء المتكلم لها تلميحا وتعريضا، أو تعلق الأمر بتأويل المخاطب لها وفق ما يحتمله مقام التخاطب.

- **قاعدة الصدق:** إن قاعدة الصدق تعطي للقصد قيمته العملية من حيث تأطر جانبه التفاعلي، فالصدق ثلاث صور لإنجاز فعل خطابي ما.
- الصدق في الخبر: فلا يخبر مخاطبه بأشياء مخالفة أو منافية لما يعتقد.
- الصدق في العمل: يصون سلوكه من إشعار المخاطب بما لا يتصف به فعلا.
- الصدق في مطابقة القول للفعل: لا يقع فيما يوحي لمخاطبه بوجود تناقض بين أقواله وأفعاله.

1- طه (عبد الرحمن): المصدر السابق ، ص 251.

ما تكون محصلته إرساء إسهام متعاون وفعال مهما كان مجال التخاطب وموضوعه فـ"متى تحقق المتكلم بالصدق في الخبر والصدق في العمل والصدق في مطابقة قوله لفعله، إنفتح باب التواصل الصادق بينه وبين المخاطب وتزايدت أسباب التقارب بينهما، واندفع كل منهما في طلب التقرب من الآخر، فيحصلان الزيادة فيه إن كان حاصلًا لهما حصولًا جزئيًا"<sup>(1)</sup>، بذلك تضمن قاعدة الصدق ميزة مبدأ التأدب دون الإخلال بالقوة العملية للإنجاز الخطابي التي يضمنها مبدأ التوجه، فالصدق يعطي الفرصة القوية لإعمال التوجه المبني على حسن النية لا على التهديد، بإعمال الصدق بدل الوعيد.

أما قاعدة الإخلاص فهي الضامنة للجانب الأخلاقي التأدبي في الفعل الإنجازي أثناء عملية التخاطب، ذلك أنها تجعل المتخاطبين بعيدين كل البعد عن التصنع والخداع، النابع أصلاً من حرص المتكلم على منفعته بطريقة غالية تستبعد عن تفكيره منفعة شريكه في عملية التخاطب، أما قاعدة الإخلاص "فتقتضي بأن يقدم المتكلم حقوق المخاطب على حقوقه، وليس في هذا التقديم حظ من مكانة المتكلم ولا إضاعة لحقوقه"<sup>(2)</sup>.

## I. 2 - تحليل تعيبي على حضور القصدية في مبادئ التخاطب عامة:

لقد تتبعنا في هذا المبحث وضع وقيمة أهم المبادئ التخاطبية العامة التي عمل عدد من فلاسفة اللغة على وضعها، وبيننا أفضلية كل منها عن سابقه حتى استقرت محاولة "طه عبد الرحمن" الحفاظ على مكاسب كل واحد منها والتغلب على ثغراتها في المبدأ الذي اقترحه متمثلاً في "مبدأ التصديق" الذي استوحاه من مبادئ الدين الإسلامي وبناه على آراء من سبقه من العلماء المسلمين إلا أن أهم ما يؤخذ عليه كما أخذ على غيره أنهم انطلقوا جميعاً من مبدأ التعاون بين أطراف العملية التخاطبية- المخاطب والمخاطب- إلا أنهم عند صياغتهم يحرصون على دور المنجز وما يقوم مساهمته، متناسين دور المتخاطبين حال التلقي.

إن التلقي الخطابي لا يصغر الإنجاز الخطابي أهمية في أي عملية تواصلية كانت فإن كان على المنجز الحرص على إيصال قصده بالشكل التصديقي الصحيح لمتلقيه، فإن ذلك لا يكفي لإنجاز

1- طه (عبد الرحمن): المصدر السابق، ص 252.

2- المصدر نفسه، ص 252.

التواصل، مالم يدرك المتلقي قصد المتكلم، وهذا ما لم يكن خافيا عن "جرايس" عند إرسائه لمفهوم المعنى غير الطبيعي، إلا أنه لم يصغ آلية في مبدئه تضمن للمتلقي حسن التعامل مع الواقعة الخطابية. مع هذا سعى "جرايس" بهذا المبدأ إلى العمل على رصد مواضع مختلف الاستلزامات الخطابية إذ "يسمح بحساب الخرق المسجل في التواصل، هذا المبدأ يسمح بإدراك انسجام معاني الملفوظ مع المقصود من التخاطب"(1).

ولتدارك هذا التقصير في مبدأ التعاون، جاءت مساهمة بعض فلاسفة اللغة في وضع بعض الآليات اللسانية للتأويل، ولعل نهج "سيرل" في تحليل المراحل الاستدلالية لعملية التأويل التداولي من أشهر النماذج التداولية لإتمام ذلك(2)، وإلى جانب محاولة "سيرل" نجد محاولة إرساء نظرية هامة عملت على إيلاء قصد التخاطب أهمية كبيرة عند كل من منتج الخطاب ومتلقيه، تتمثل في "نظرية الملاءمة"، كما أن هناك محاولة عربية قام بوضعها "عبد السلام إسماعيل علوي" متمثلة في مجموعة من قواعد توجيه المرسل. إن المسجل أن كل هذه المحاولات لم تلغ مبدأ التعاون لـ"جرايس" بل قامت بالإضافة له لرأب خلله واستدراك نقصه مع الحفاظ على مكاسبه وإيجابياته، وسنحاول في العنصر الموالي تحليل بعض مقتضياتها.

### I.2\_1\_ نظرية الملاءمة (TEORIE DE LA PERTINENCE):

نظرية الملاءمة (المناسبة) (الإصابية): نظرية لسانية حديثة، تنتمي إلى فرع التداوليات المعرفية، قام بوضعها كل من "سبيربر" و"ولسون" (D. SPERBER D.WILSON) (3)، أما أهم ما يميزها في حقل التداوليات المعرفية، فميزتان هما:

1- انتماؤها إلى العلوم المعرفية الإدراكية .

2- بيانها لموقع التداولية من اللسانيات عامة وخصوصا علم التراكيب وبهذا هي تحقق التجانس بين مفهومين من الصعب دمجهما في نظرية واحدة، إطارها المعرفي النازح للتجريد والقضايا الإدراكية وتفسيرها التطبيقي للخطابات وظواهرها، البنوية(4) فالخطابات ليست مجرد متوالية من الأصوات أو نسقا

1- علوي ( عبد السلام إسماعيل): ما التداوليات؟، دراسة منشورة ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللّغة، ص21.

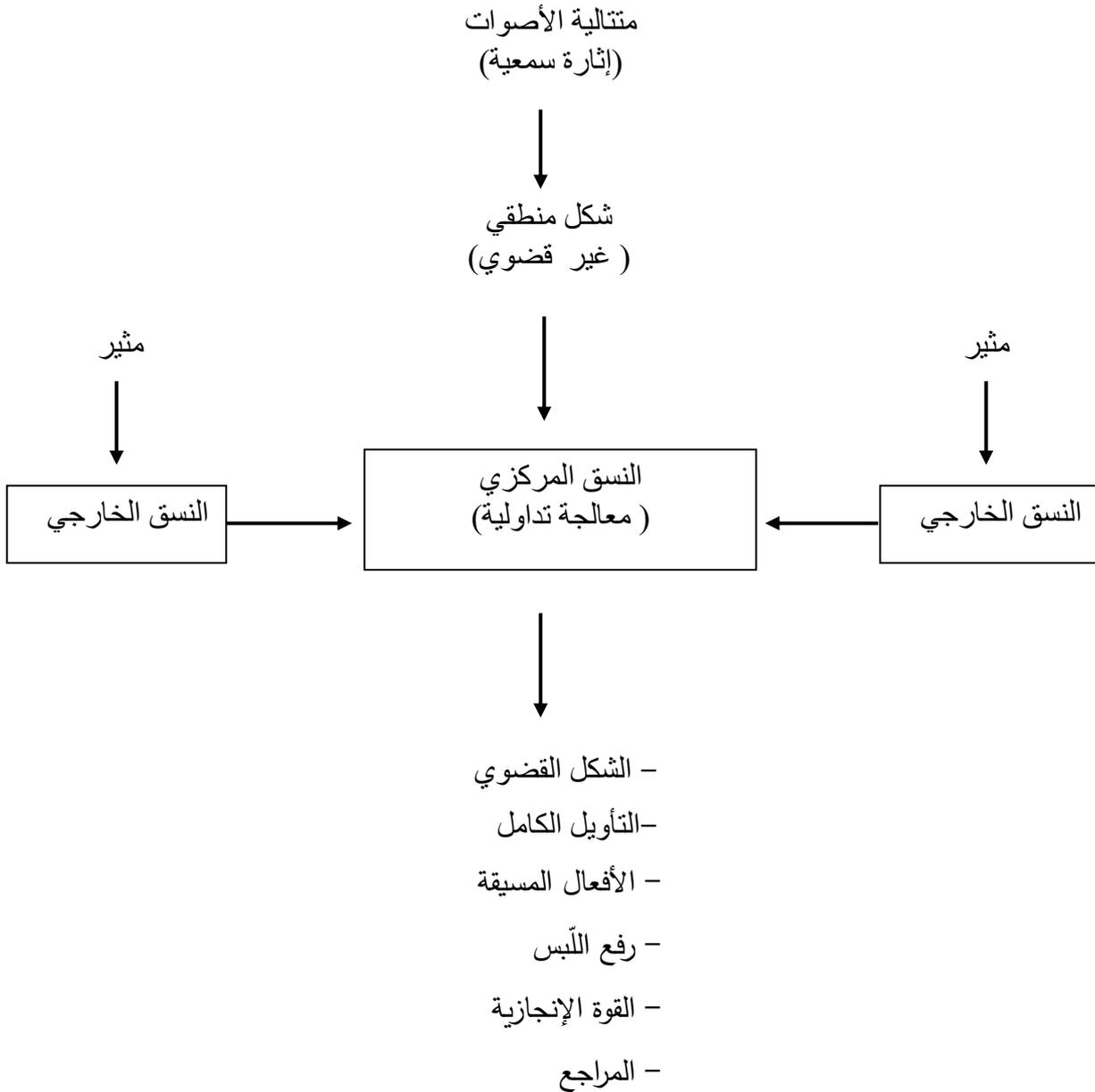
2- سبق التطرق لها في الفصل الثالث من هذا البحث.

3- ريبول (آن) و موشلار (جاك): القاموس الموسوعي للتداولية ، ص143.

4- ينظر صحراوي مسعود: في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ص 48.

من الكلمات (SEQUENCE OF WORDS سلسلة) تستلزم دراسة تركيبية صرفة بل إلى جانب ذلك تتطلب الاهتمام بظروف وملابسات إنتاجها وتأثير القدرات الذهنية والخلفية القصدية الماثلة في المخزون الذهني للمتخاطبين.

ويخلص "إدريس مقبول" عملية التأويل حسب مفهوم الملاءمة في الشكل التالي: (1)



1- مقبول (إدريس): الأسس الإيستيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه ، ص 273.

إذ كل متتالية لسانية حسب نظرية الملاءمة تخضع لنوعين من المعالجة الذهنية وتتم عبر مراحل استقتها من النظرية القالبية "لفودور" (FODOR -1983) فتم المعالجة التأويلية على ثلاث مراحل:

- المرحلة الأولى: مرحلة اللواقط TRANSDUCERS وتتم فيها استقبال وترجمة الإدراكات المباشرة، فتم فيها التقاط متتالية الأصوات.

- المرحلة الثانية: مرحلة أنظمة الدخل INPUT SYSTEMES، أو البعيدة عن المركز (المحيطة) PERIPHERIQUES، وتقوم بمعالجة المعلومات المستقبلية عبر اللواقط، سواء كانت بصرية (قصدية إدراكية بصرية) أو سمعية (قصدية إدراكية سمعية) عن طريق المقصود المصاحبة للحالة القصدية الإنشاء، والهدف منها تكوين الشكل المنطقي للخطاب، منحصرًا في المعلومات اللغوية بشكل عام (دلالة، نسق، صوت).

- المرحلة الثالثة: مرحلة الأنظمة المركزية CONTROL SYSTEME وفيها يعمل على إتمام عملية التأويل بجميع مجموع المعلومات المحصلة في المرحلتين الأولى والثانية، "قصد إنتاج استدلالات غير برهانية" (1).

بهذا تسعى نظرية الملاءمة إلى توصيف عملية التأويل حسب ما يستبطنه المتخاطبون من معلومات ذهنية حول الخطابات وكذا ما يستبطنونه من معلومات ومعارف عامة تساعدهم على إنجاز عملية التأويل، وتتم عملية التحليل والاستدلال حسب وجود وقيمة هذه المعلومات من جهة، وقدرات المتخاطبين على انتقاء وتفعيل هذه المعلومات من جهة أخرى، للحصول على التفسير الأكثر ملاءمة للواقعة الخطابية والخطاب المنجز صريحا مباشرا كان أم ضمنا غير مباشر، والمعلومات المستعملة في عملية التأويل التداولي منها المخزنة، الموجودة بشكل سابق على لحظة تلقي الخطاب تستدعي للحاجة، ومنها الآنية الملتقطة مع الخطاب أو في سياق إنجازها.

- بناء على ما سبق نورد أن نظرية الملاءمة أفادت من نظرية التعاون التخاطبي لـ "جرايس" في إعطاء المناخ التخاطبي العام وفضاء الخطابات أهمية في الوصول إلى قصدية الخطابات بخاصة إذا تعلق الأمر بالخطابات غير المباشرة نظرا لضرورة الوصول الناجح لقصدية الخطابات "فلئن كان اللفظ

1- صحراوي (مسعود): في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر، ص 49.

الإنجازي يتضمن طاقة ضمنية تحقيقية صريحة، فإن التلميح، هو لعبة لغوية مألوفة، يتضمن طاقة ضمنية لا تقل فاعلية<sup>(1)</sup> على متلقي الخطاب سبر أغوارها والاستدلال على مكامن القصدية فيها.

عمليات معرفية عقلية ترميزية. ← القصدية الحرفية للخطاب.

خطاب: ←

عمليات معرفية عقلية استدلالية. ← القصدية غير الحرفية للخطاب.

أما معيار قيمة الملاءمة في الخطابات فهو:

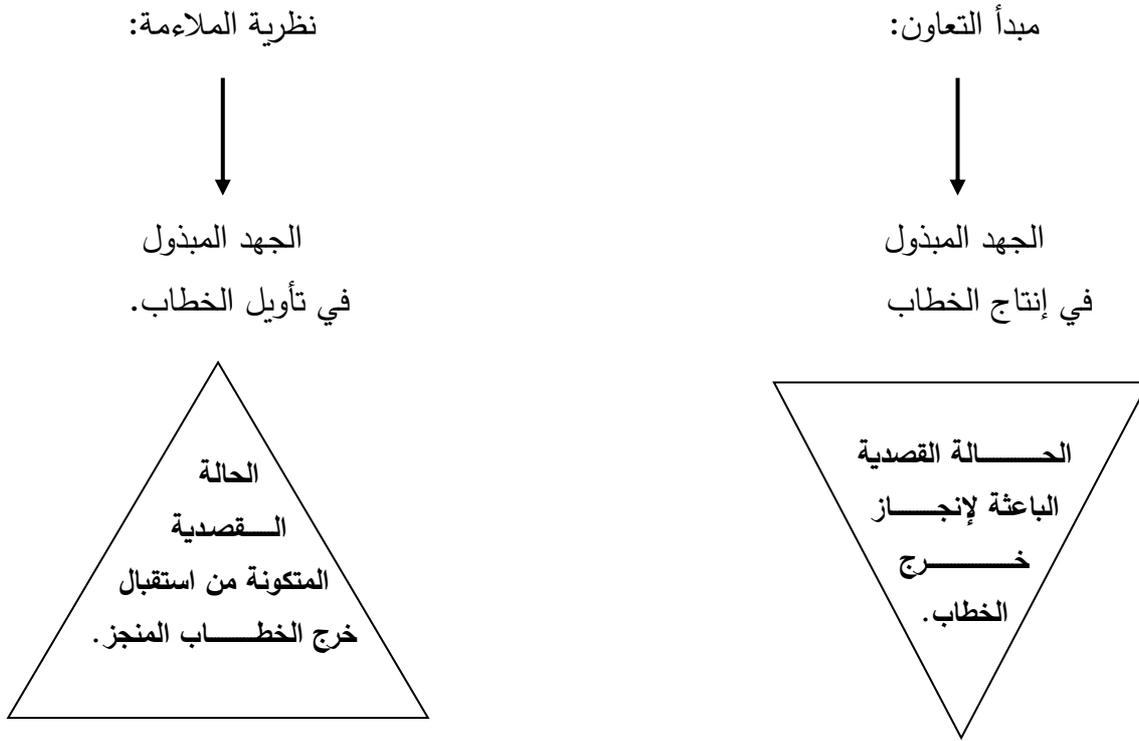
كلما زاد الجهد المعرفي المطلوب في معالجة الخطاب

← كلما قلت درجة ملاءمته للواقعة الخطابية الخاصة به

هذا المعيار هو بالأساس المبدأ الذي قام عليه مبدأ التعاون لدى "جرايس" إلا أن "جرايس" أعطى الأولوية لاشتغال المتكلم منجز الخطاب حتى يقدر بمعارفه مقدار ملاءمة خطاب ما للواقعة فيتخير أنسبها من مجموعة من فرص الخطاب، واختياره هذا يأتي حسب قصديته وهدفه أما نظرية الملاءمة لـ "سبرير" و"ويلسون" فأعطت الأهمية للشق التأويلي للخطاب، فلا قيمة للخطاب إذا لم يؤد قصدياً إنتاجية، وإنما يتم أداء قصدياً إنتاجية بنجاح وصول المخاطب المقصود إلى قصدياً الخطاب والتفاعل معها. لتلخيص المفاهيم الموجّهة المتضمنة في ماسبق ذكره نضع هذا المخطط:

مخطط ممثل لتأصيل إنجاز الخطابات انطلاقاً من قصدياً باعثة وتأويله بشكل تدريجي متراكم تبعاً للمجموعة عمليات عقلية قصدياً.

1- لوسركل (جان جاك): عنف اللغة، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة والمعهد العالي العربي للترجمة، الدار العربية للعلوم- لبنان، المركز العربي- المغرب، ط 1، 2005، ص430.



مخطط: إتجاه عمل القصدية الخطابية بين مبدئي التعاون والملاءمة.

## I.2\_2\_ قواعد تفاعل الإنتاج والتأويل:

إن قواعد توجيه المرسل والمرسل إليه، مجموعة قواعد تأطر عملية التواصل قام بوضعها "عبد السلام علوي" ونشرها في دراسته الموسومة بـ "تداوليات التأويل (2010م)" محاولاً فيها استدراك نقص لاحظته في مختلف المبادئ التواصلية التي عملت على تفعيل مساهمة المرسل وبيان قصدية متناسية دور المرسل إليه ووظيفته في إنجاز عملية التواصل، يقول "عبد السلام إدريس علوي" "ولما كان الأمر كذلك ارتأينا طلب هذا التوجيه في مبدأ عام يستوعب تعقيداً للكيفية التي يتم بها تلقي الرسالة أو الخطاب، علاوة على استيعابه لتعقيد الإنتاج، وقد اعتمدنا في صياغته على أهم ما جاء في تلك المبادئ لتوجيه المرسل، إلا أننا أضفنا إليه بعض القواعد علماً تكون ذات كفاية في توجيه المرسل إليه"<sup>(1)</sup>، إذ لا تصغر أهمية المرسل إليه

1- علوي (عبد السلام إسماعيل) : تداوليات التأويل: ص 234.

أهمية المرسل بأي شكل من الأشكال ذلك أنه شريك عقد السنن، والمسؤول المباشر على فكه، وفق ما يمتلكه من كفاءة تداولية وقدرة تواصلية، ومخزونات إدراكية.

ونصّ المبدأ المقترح: «لتكن مساهمتك في الحدث التواصلي مطابقة لما يقتضيه الغرض منه حيث تشارك فيه باعتبارك مرسلًا، أو لنزاع ذلك للمرسل باعتبارك مرسلًا إليه» وبإعادة الاعتبار لدور المخاطب في عملية التفاعل الخطابي تنتمي الخطابات ويثرى التواصل الخطابي تبعًا، حسب فاعلية وتفاعل عمليتي عقد السنن وفكّه من قبل المتخاطبين بالنظر إلى الدور الموكل لكل واحد منها أثناء عملية التواصل، فالمتخاطبون يتعاونون بشكل من الأشكال لإقامة عملية تخاطبية يفترض سعيهم المسبق لإنجاحها وجني أهداف قصدياتهم من إقامتها، ولإنجاح ذلك عدّ "علوي" مجموعة من المبادئ المشتركة لقواعد مبدأ التعاون، وصاغها في ثلاث مجموعات.

- قواعد توجيه المرسل.

- قواعد توجيه المرسل إليه.

- قواعد توجيه المؤول.

وتقوم المجموعتان الأولى والثانية بتأطير العملية التخاطبية في شقيها الإنجازي والاستقبالي، الإنجازي تؤطره مجموعة قواعد توجيه المرسل، والاستقبالي تؤطره مجموعة قواعد توجيه المرسل إليه، ثم ومتى كان عقد السنن خاص يستدعي التلقي غير المباشر للخطاب دخلت المجموعة الثالثة وهي مجموعة قواعد توجيه المؤول حيز الاعتبار لتعمل على تفعيل عملية التأويل والبحث عن القصدية غير المباشرة للخطاب.

## I. 2-2-1- قواعد توجيه المرسل:

استقاها "عبد السلام العلوي" من قواعد المبادئ الخمسة السابقة الذكر واختار ان يقدمها على منوال "طه عبد الرحمن" تأسيا بسلفهما الحاذق، فقسم المبادئ إلى قواعد للتبليغ وأخرى للتهذيب(1):

1- علوي: المصدر السابق: ص 235.

قواعد التهذيب	قواعد التبليغ
<ul style="list-style-type: none"> <li>- لتتقد القصد من قولك.</li> <li>- لتكن صادقا في قولك.</li> <li>- لتكن متجردا من أغراضك في توددك لغيرك.</li> </ul>	<ul style="list-style-type: none"> <li>- لا تتكلم إلا لداع يدعو لذلك.</li> <li>- لتأت بالكلام في موضعه.</li> <li>- تكلم على قدر الحاجة.</li> <li>- تخير اللفظ الذي به تتكلم.</li> </ul>

### I.2.2\_2\_ قواعد توجيه المرسل إليه:

تعدّ هذه القواعد هي الإضافة التي أثرى بها "علوي" التحليل اللساني للخطابات محاولا تفعيل دور المرسل إليه باعتباره فاعلا في عملية التخاطب في موقعه كسامع لا في حالة تبادله الدور مع المتكلم، وقدمها بالشكل التالي:

- لتراع أنك والمرسل على عقد التعاون.
- راع أن المرسل يبذل أكبر جهد ممكن للبقاء على التعاون.
- راع أن المرسل ينضبط لقواعد التبليغ.
- راع أن المرسل ينضبط لقواعد التهذيب.
- لتأخذ الكلام على محامله.
- لتنتبه إلى ما قد يسجله المرسل من خرق لأي من القواعد.
- لتكن متأدبا في كل ذلك على قدر تأدب المرسل معك أو أكثر.

ثم يجزم "علوي" أن كل هذه القواعد وإن عدت إضافة جاء بها وفق محاولة إجتهدية جديدة له، إلا أنها محتواة ضمنيا في المبادئ السابقة له و ذكره لها يبرره حسب رأيه العمل على الوصول إلى مقاربة للتواصل على أساس المشاركة والتفاعل، فمثلا يمكن أن يلجأ في عملية عقد السنن إلى استعمال أساليب للخرق وانتهاك الوضع اللغوي المؤلف، يواكب ذلك تعقيد عملية الفهم، إذ على المتلقي فك خيوطها والوصول إلى قصديتها "لا باعتماد ما هو معروض، وإنما باعتماد ما هو مقصود، ثم إن السيورة أو العملية التي تخوّل الانتقال بالفهم من عروض الإنتاج إلى مقاصد المنتج، إنّما هي مناط

اشتغال التأويل، وإن ارتيادها ما هو ما يجعل من المرسل إليه مؤولا<sup>(1)</sup> ففي الكثير من خطابات الأشخاص اليومية لا يكون خرج الخطاب مظهرا لقصدية الخطابات، ويستخدم الناس قدراتهم اللسانية للتلاعب ما يستدعي من مستقبل الخطابات تفعيل قدراتهم التخاطبية، الميتالسانية بصفة أخص لتفعيل عميلة التأويل للوصول إلى القصدية الفعلية للخطاب المتلقى، ويدعم هذا التفعيل حس "علوي" إيلاء مجموعة من القواعد الخاصة بالتوجيه المؤول الأهمية بغية إلحاقها بقواعد توجيه المرسل إليه بالدرجة الأولى فصاغها في مرحلتين:

### المرحلة الأولى:

- لتنتبه إلى ما قد يسجله المرسل من خرق لأي من القواعد.

حال تظن المرسل إليه لوجود خرق ما في قواعد الخطاب، يغلب فكرة الخطاب غير المباشر، فيصبح بتفعيله لهذه القاعدة الجديدة مؤولا بدل مجرد مرسل إليه، وحال تحوله هذا يستوجب ذلك عليه مراعاة مجموعة إضافية من القواعد يراعيها في المرحلة الثانية للتأويل:

### المرحلة الثانية:

- تصرف على هدي ما تعرفه عن كفاءة المرسل الإنتاجية.
- تأكيد بأنك حسمت بكون الرسالة تحتاج إلى تأويل.
- لتحسم في أي من تلك المعاني هو المقصود الفعلي.
- تذكر أنك عقدت التعاون لإتمام التواصل وهذا يسمح لك بتحصيل المرسل أكثر مما يقول، فإنه لن يسمح لك بتحميله أكثر مما يقصده.

إن محاولة "علوي" هذه في تفعيل عملية التواصل الخطابية في إطار تعاوني بشكل أساسي، والتي رمى فيها إلى مظهرة عملية التأويل كمرحلة ثالثة لعملية التواصل الخطابية والثانية لعملية التلقي، تفيد في وضع مجموعة من الحقائق التخاطبية بعين الاعتبار وهي:

- 1- أن عمليتي الإنجاز والتلقي الخطابين، عملتين قصديتين لا يمكن أن تبتعدا عن حقيقة تأطير الحالات القصدية للمتخاطبين في تفعيلهما وإنجاح عملية التخاطب بحسن توجيههما قصديا.

1- علوي: المصدر السابق، ص 236.

- 2- عملية التأويل عملية خاضعة لواقع بناء الحالة القصدية المؤطرة له.
- 3- عملية التأويل عملية محددة بظروف وأطراف الواقعة الخطابية، ما يجعل المرسل إليه لا يملك الحرية المطلقة لتأويل الخطابات التي يتلقاها بأي طريقة شاء ولا أن يحملها أي قصدية كانت.
- 4- يعمل المؤول على بناء حالة قصدية مماثلة لتلك التي أظهرها المرسل، لا على تكوين حالة قصدية جديدة خاصة به، فالحالة القصدية الباعثة للخطاب من إنجاز المرسل سعى عن طريقه لتعريف المرسل إليه بها لهدف تواصلية معين.
- 5- يعمل المؤول كمتلقي يسعى إلى الوصول إلى بناء حالة قصدية مماثلة قصدية المتكلم مفعلاً خلفيته القصدية المتعلقة بمرسل الخطاب و المعلومات المخترنة لديه حوله من قبل و علاقتها بالموقف التواصلية ثم الخطاب المنجز من قبله.
- 6- نجاح تطابق الحالتين القصديتين نتيجة حسن بلاء كل من المرسل والمرسل إليه (الباث والمؤول) معا لا أحدهما دون الآخر.

### خلاصة القول:

سعى فلاسفة اللغة إلى تأطير وتفعيل عملية التخاطب اليومي بين الناس بصفة مدمجة، ومختلف المبادئ الخطابية التي اقترحوها في أبحاث فلسفة اللغة، إلا أن ما يؤخذ عليها جميعاً عدا مبدأ الملاءمة أنها حاولت إخضاع المتخاطبين إلى مجموعة من القواعد متى خرقت هذه المبادئ تعرضت عملية التخاطب لاحتمال الفشل ما يستدعي تفعيلاً أكثر توجهها وفاعلية لذا فيمكننا عدّ مبدأ الملاءمة أكثرها مناسبة وملاءمة لاعتبار مبدأ القصد في الأفعال الخطابية والتفاعل الخطابية إلا أنه ينقصه الإلماع إلى احتواء الخطابات للمضمّر .

وحتى وجود المضمّر لا يوجب تعقيد عملية التأويل بشكل خاص وعملية التخاطب عامة فعدد خطاباتنا نتلقى مضمّرها بسهولة أكثر مما لو كانت خطابات مباشرة وهذا فقط رهن الاستعمال وكثرة عادة اللجوء لمثل هذه الخطابات وفق الاستراتيجيات المنتهجة والأهداف الخطابية المرجوة انطلاقاً من الحالات القصدية المبنية والمتكونة عند كل من المخاطب والمخاطب على الترتيب.

## II - القصدية في الخطابات الحجاجية:

يعدّ الحجاج صورة من صور التفاعل الخطابية أو مظهر مخصوصا منه، يبرز في حال الصدام التخاطبية أكثر من حال التوافق - وإن وجد في هذا الأخير - ويرتكز أساسا على سوق دليل أو أدلة عقلية أو نقلية لتدعيم الأفعال الخطاب المنتقاة حال الخطاب للتعبير عن قصد معين، إن إثباتا لرأي ما أو نفيًا له، فيعيّن المتكلمون به موقفهم الخاص من القضايا حال التخاطب، فالحجاج يمثل الطريقة الأفضل لمناقشة الأفكار مهما كانت طبيعتها، صدقها، قوتها، والآلية الأهم في فن محاورة الآخر المشترك معنا في عملية تخاطبية مؤسسة ترتكز على أهداف تواصلية معيّنة ومحاولة الوصول إليها بصفة منظمة، سواء كان ذلك من أجل قصد الحوار أو الإقناع أو التأثير (سلبا أو إيجابا) أو مناقشة الآراء المعتنقة، الآراء محل الشكّ في صحتها ومعارضتها وتأييدها، كذا اقتراح الآراء والأفكار الجديدة، بغية الوصول إلى جواب مقنع وشفاف لمجموعة من القضايا أو المسائل الخلاقية بالدرجة الأولى التي يتجادل عليها المتخاطبون عامة على إختلاف طبقاتهم طبائعهم، وأفكارهم واهتماماتهم.

هذا ما جعل الحجاج موضوعا مهما جدا في فلسفة اللغة، إذ اهتم به الكثير من فلاسفة اللّغة وبقضاياها وكيفية بناء حججه، وظهر تبعا لذلك الكمّ الهائل من الدراسات التحليلية، ولا ينحصر هذا الفكر في العصر الحديث بل إن دراسة الحجاج والحجج قديم قدم التفكير الفلسفي في الفكر الإنساني، يقول "الغامدي" في مقدمة ترجمته لكتاب "بروتون" و"جوتيه" [BRETON PHILIPPE/ GAUTHIER GILLES] أن من أعاد بعثه في الدراسات اللسانية الحديثة كان كتابات "بيرلمان" [PERLMAN] إذ "من الصعب بعد كتابات "بيرلمان" و"تولمن" وكثيرين غيرهم، أن يتم تجاهل هذا العلم القديم الذي أسس له "أرسطو" [ARISTOTE] (1).

أما أهمية دراسته فاعتبارها بابا لمعرفة قدرة الإنسان على الإدراك والتفكير وإعمال العقل وطرق الاستدلال المنطقي، وحتى طرق تركيب الخطط التلاعبية ومعرفة بناء المغالطات، ما جعل دراسة الحجاج بصفة عامة والحجاج المغالط بشكل خاص، من أنجح الطرق لمعرفة الخصائص والقدرات الحيوية للإنسان وعلاقتها التواصلية في إنجاز مهامه التخاطبية.

1- الغامدي (محمد ناجي): مقدمة ترجمة كتاب " تاريخ نظريات الحجاج " لـ " بروتون" و " جوتيه" مطابع جامعة الملك عبد العزيز، مركز النشر العلمي، 2011، ص9.

## II\_1\_ مفاهيم الحجاج وتحديد القصد فيه:

الحجاج؛ مصطلح لساني حديث ثنائي الاستعمال يستخدم للدلالة على مجال مقاربي في اللسانيات الحديثة، أثرته أبحاث فلسفة اللّغة والموضوعه الخطابات للحجاجية أو الحجاج، وهو الاستعمال الثاني له، أي سوق الحجج في عملية التواصل والحجاج ARGUMENTATION يظهر كمصطلح إلى جانب الاستدلال، البرهان، الإقناع، التحاجج، التفاوض، التعارض، التجادل، إلا أنه يلتصق دائما بالقصد، يقول "طه عبد الرحمن" «لا عجب إذ ذاك أن نجد اللفظ العربي "حجّ" يفيد لغة "قصد" فتكون كل حجة (بضم الحاء) بمثابة حجة (بفتح الحاء) أي تكون قصدا، ولما كانت القصدية هي التي تسند للقول قيمة الفعل، اتضح أن الوصف الفعلي ممثل بأعلى مظاهره في الحجة الموجهة»<sup>(1)</sup> ففي القصد مبدأ التوجه والقصدية تعطي الحجاج صفة التوجيه بشكل من الأشكال عبر قوة اللسان وخرج الخطاب، ما يحول إدراك قصد المتكلم الظاهر عبره.

وفي محاولة لتقديم تعريف لمفهوم الحجاج قدّم "عبد الله صولة" رأيا جادا نثمنه، جاء فيه أن للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل، "مفهوما يجعله مرادفا للجدل ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدثين العرب، ومفهوم يجعله قاسما مشتركا بين الجدل والخطابة خاصة نجده عند اليونان ("أرسطو" على سبيل المثال) ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب، وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين، ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئا فشيئا في الاستواء مبحثا فلسفيا ولغويا قائم الذات في العصور الحديثة مستقلا عن صناعة الجدل من ناحية وعن صناعة الخطابة من ناحية أخرى"<sup>(2)</sup>، وأنصار المفهوم الأول يجعلون الحجاج مرادفا لدفع أداء الغير باصطناع حجج قوية مبنية على الفعل والقضايا المنطقية، فهو عندهم سوق الحجج الدافعة المبنية على رفض الآراء والقضايا الواردة، في حين مفهوم الحجاج الثاني دافع عليه من أضافوا للجانب الجدلي في بناء الحجج الراضة لحجة الغير، سوق حجج داعمة لرأيه الخاص، إذ أن المجادل بعد أن يتم هدم حجج غيره يشرع في إيراد الحجج الداعمة لما يراه صوابا أو حقيقة أو حتى ما يراه يخدم مصالحه وأهدافه التواصلية بناء على قصدية.

1- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي: ص 259.

2- صولة (عبد الله): الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان وكلية الآداب والفنون و الإنسانيات ودار المعرفة للنشر، تونس ط2، 2007، ص 8-9.

إلا أن هذين المفهومين يستحضران معا قصدية التعارض ومبدأ التضاد في الوقت الذي قد تستخدم الخطابات الحجاجية بعيدا عن مبدأ التضاد والتعارض في البيان، أي بيان قوة الفكرة وأسبابها أو منابعها بإظهار الحالة القصدية الباعثة لها فحسب، وهذا وارد جدا في الكثير من الخطابات العادية في اللغات الطبيعية كخطابات الشكر والمدح والعرفان وغيرها، أنظر لنص الخطاب الآتي:

”إهداء إلى من تجسدت فيهما لمسة من فضل الله عليّ مع عظم فضله

### ”والدي”

أمي: أحن من حواني وأثار طاقاتي للظهور.

أبي، أعز من حفني بفيض عطائه وحسن توجيهه.

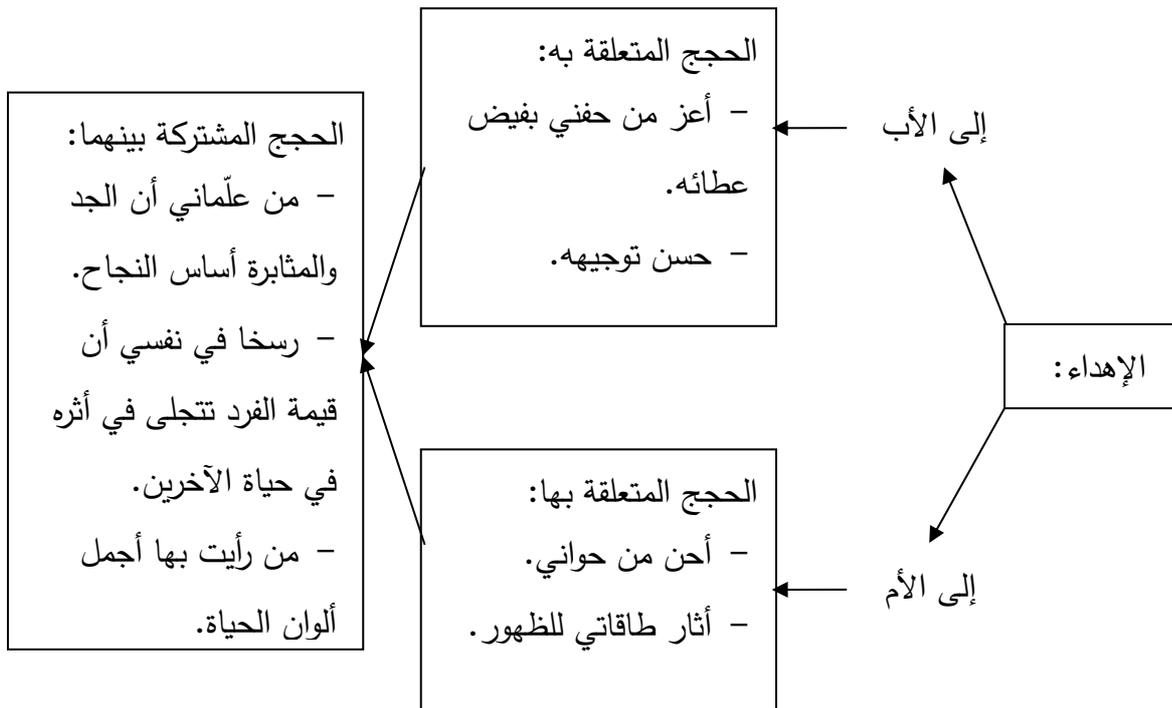
من علماني أن الجد والمثابرة أساس النجاح

ورسحا في نفسي أن قيمة الفرد تتجلى في أثره في حياة الآخرين

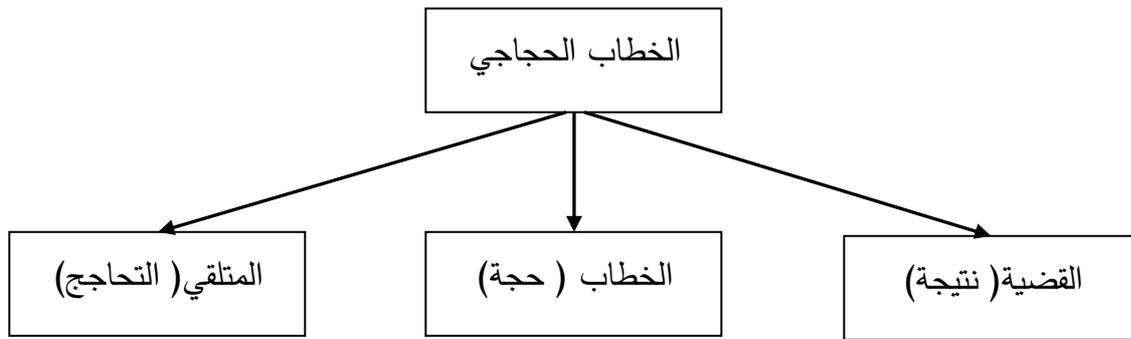
كحل عيني من رأيت بهما أجمل ألوان الحياة

أهدي هذا الجهد، وأسأل الله أن يؤتتهما من فضله خيرا“

إن هذا الخطاب خطاب صيغ حاملا لقصدية الخطاب الإيقاعي أصلا: فهو يوقع فعل الإهداء يلقي في ثناياه مجموعة من الحجج الموضحة لأسباب الإهداء تستلهم من قصدية إنشاء خطابات تعبيرية بدرجة الأولى، إذ لا يوجد منطلقا قصدية التعارض أو التضاد في هذا الخطاب وأمثاله ذلك أن لا أحد يعارض أو يرفض فعل الإهداء أو أفعال مماثلة له:



بهذا ساق صاحب الخطاب أكثر من سبع حجج للتعبير عن تقديره لوالديه وعرفانه بجميل تعهدهما له بالرعاية و التأديب، و لا يعارض فيه غيره ولا يصادونه برأي آخر، مع هذا فقد بني هذا الخطاب على مجموعة من الحجج، لذا عدّ "صولة" الحجاج، أخذ شيئاً فشيئاً الاستواء مبحثاً فلسفياً ولغوياً قائم الذات بعيداً عن صناعة الجدل أو صناعة الخطابة، فكل حجاج يمكن أن يضم الجدل، أو الخطابة بنفس قدر إمكانية الاستقلال عنهما إلى ما سواهما من قضايا العقل واللّسان، "وعليه يعرف "بيرلمان" الحجاج [كمنهج تحليلي] بأنه دراسة التقنيات الخطابية التي تسمح بإثارة الأذهان أو زيادة تعلقها بالأطروحات التي تعرض من أجل أن تقبلها"<sup>(1)</sup> ومن منطلق هذا التحديد لموضوع نظرية الحجاج، يتضح أنّ غاية الحجاج كعملية تخاطبية ما يلي: "غاية كل حجاج أن يجعل العقول تدعن لما يطرح عليها أو يزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجح الحجاج ما وفق في حدّة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (لإنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة"<sup>(2)</sup>، مع جزم "صولة" ببعده الحجاج في بعض الخطابات عن التعارض والتضاد والتصارع إلا أنه يقرُّ بـُعدّ القضايا وحججها في جميع الخطابات الحجاجية على ذهن المرسل إليه، وذلك هو دافع منشئ الخطاب الحجاجي له في الأصل، كما أن بروز معنى "الإذعان" يشير بشكل من الأشكال على القوة القصدية التي بينها منجز الخطاب الحجاجي في خطابه لممارسة سلطة ما باتجاهات ثلاث، اتجاه القضية، اتجاه الخطاب، اتجاه المتلقي.



1- بروتون ( فيليب) و جوتيه ( جيل): تاريخ نظريات الحجاج، ص 42

2- صولة ( عبد الله) : في نظريات الحجاج- دراسات وتطبيقات، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2011، ص 13.

إن التحجاج يحمل سمة المشاركة والمساهمة فالحجاج فعل تعاوني بالدرجة الأولى يتجه به عقل إنساني إلى عقل إنساني آخر بقصد ما، سواء كان ذلك القصد إعلاما بقضية ما والعمل على التصديق أو التعريف بها، أو تثبيثا لقضية هي موجودة أصلا يعمل على إثباتها والدفاع عليها عنده أو على النقيض من ذلك يعمل على نزعها ودحضها وإلغائها، وفي كل الأحوال يتم ذلك عبر دعم قضيتها بمجموعة من الحجج يصوغها ويرتبها حسب إستراتيجية تواصلية معينة يراها الأنسب لذلك، والقضية في الحجاج هي النتيجة التي يروم المتكلم ترسيخها أما الحجج فتمثل وسائله المنهجية لذلك؛ "يغدو الحجاج سمة في الخطاب وطابع فيه ووظيفة له ووسيلة لتحقيق هدفه، وهذا الشيء الذي أدى بالبلاغة الجديدة للاهتمام بالحجاج"<sup>(1)</sup> بوصفه يضم كل خطاب هادف إلى الاقتناع سواء انطلق من التنازع والتضاد أم لا.

ويكون مضمون التحليل في البلاغة الجديدة تبعا للحجاج وأهميته خاصة تقنياته، حيث يتم بسطها وفق محورين كبيرين "محور الخطاب ذاته، خاصة بيانات الحجاج الموضوعة موضع التنفيذ، ومن جهة أخرى محور تأثير هذا الخطاب على المتلقي، وذلك في علاقته بقصدية منتج الخطاب"<sup>(2)</sup>، إذ يعمل المقارِبون في المحور الأول يعملون على تحليل الحجج وتنميطها وتصنيفها كما يهتمون بطريقة بنائها وعواملها المؤثرة، أما المشتغلون في المحور الثاني فيهتمون بمقاربة فاعلية هذا البناء وتلك العوامل في الموقف التواصلي المستعملة فيه يمثل حدث الحجاج "Acte" "d'argumenter"، إلا أن ارتباط الحجاج الخطابى بالموقف التواصلي المنجز فيه جعل "برلمان" ينبّه بشدة إلى المخاطرة التي يمكن أن يمر بها التحليل عند عزل "حلقة من الحجاج خارج السياق وبعيدا عن الموقف الذي ترتبط به"<sup>(3)</sup>.

فالحجاج ينطلق في الأصل من التفاعل بين الذوات والمواقف، في إطار تعاون في مستويات متنوعة إن البعد الاجتماعي لأطراف العملية التخاطبية فيه تتحدد قصديات المتكلم وأحكامه وطريقة سنه

1- حشاني (عباس): مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر - أبحاث في اللغة والآداب الجزائري، جامعة بسكرة، الجزائر، ع9، 2013، ص 270.

2- بروتون (فيلب) وجوتيه (جيل): تاريخ نظريات الحجاج، ص 46.

3- المصدر نفسه: ص 46.

القصدية الباعثة لخطابه، ومنزلة متلقي الخطاب وارتباطه بالموضوع (القضية) ودرجة قابليته ومقابلته لها بالمعرفة إن قبولاً أو رفضاً.

إن وعي "طه عبد الرحمن" بهذه الحقيقة هو ما جعله يميّز بين ثلاثة من النماذج التواصلية الحجاجية، ثم يجزم بأفضلية الثالث منها<sup>(1)</sup>، وتبرز الصيغة الحجاجية فيها وفق أطر الواقعة الخطابية المنشئة لها؛ وهي:

• **النموذج الوصلي:** يجرد الخطابات الحجاجية من الخلفيات القصدية ويجعلها مجرد إواليات دالية مجردة من كل قصدية إنسانية.

• **النموذج الإيصالي:** يبرز دور منجز الخطاب الحجاجي، وأهميته في الفعالية الخطابية، فيركز على القصدية الخطابية من حيث ارتباطها باللّغة من جهة، تكونها من طبقات قصدية، متباينة ومتراكمة، فيجعل الخطابات الحجاجية بيّنة دلالية موجّهة من المتكلم إلى متلق.

• **النموذج الإتصالي:** يهتم بالأدوار المتفاعلة لكل من المتكلم والمتلق معا في الواقعة الخطابية، ويبرز أهمية التزاوج القصدي والوظيفي والسياقي، "ودور الممارسة الحيّة التي تتبني على الأخذ بالمعاني المجازية والقيم الأخلاقية، مستندا في ذلك إلى نظرية الحوار تطويرها، فتكون ثمرة هذا الاشتغال المزدوج بالمتكلم والمستمع إحياء الحجاج وجعله بنية تداولية يجتمع فيها التوجيه المقترن بالأفعال والتقييم المقترن بالأخلاق"<sup>(2)</sup>

ولعل إعطاء النموذج الاتصالي لكل جزء من أجزاء العملية التواصلية وزنه في تحليل العملية التخاطبية وبناء الخطابات، وقيمة الحجج وورودها، وطريقة رسو العناصر الخطابية على قصدياتها الحجاجية، ذلك ما يجعل "طه عبد الرحمن" يجزم بأفضليته وعدّه مبررا لخصائص الخطابات التواصلية الحجاجية على حقيقتها، والمكانة التي تحتلها فيها، من منطلق

1- ميّز طه عبد الرحمن: بين ثلاثة أنواع من نماذج التواصل اليومي العادي، تبعا لاستعمالاته في: **النموذج الوصلي:** يعامل الحجة معاملة البناء الاستدلالي المستقل الذي تكون عناصره موصولة وصلا تاما. **النموذج الإيصالي:** يجعل الحجة فعلا استداليا يتوجه به المتكلم والمستمع، دون اعتبار قصدية المستمع **النموذج الاتصالي:** ينظر في الحجة بوصفها فعلا مشتركا بين المتكلم والمستمع، جامعا بين توجيه الأول وتقييم الثاني، أنظر: **طه (عبد الرحمن): التواصل والحجاج**، مكتبة المعارف الجديدة الرباط، المغرب، دط، 1994، ص6.

2- المصدر نفسه: ص23.

أن «الحجة حقيقة تفاعلية وأن تفاعلها يتجلى في صورتين: إحداهما صورة التزاوج في القصد والتكلم والاستماع والسياق، والثانية صورة الممارسة الحيّة التي تورث الحجة بنية مجازية وحقيقية يتسع معها العمل والعقل»<sup>(1)</sup>، ما يؤكد ذلك تأثير الحجاج الحوارية وعمليات التخاطب المختلفة في التأثير في المتخاطبين بين بمختلف عقائدهم وطبقاتهم ومعارفهم، حتى يمكننا القول أن هدف أي عملية تخاطبية مهما كان مستواها وموضوعها- إنما هو توجيه معتقدات وذهنيات المتخاطبين بشكل من الأشكال، فالإخبار أو الأمر أو الحوارات السجالية وحتى الخطابات التعبيرية كلها تنقل المتخاطبين من حالة ذهنية إلى حالة ذهنية مُحدثة إما بالمشاركة والإذعان أو بالمواجهة والإجبار على تطوير وتغيير المعتقدات أو على الأقل تعديل وتجديد بعضها وفق ما تقتضيه العملية الحوارية والواقعة التخاطبية، لذا فالحجاج والخطابات الحجاجية هي السبيل الأمثل لذلك في إطار التفاعل الخطابي دائما.

ما جعل البلاغيين الجدد (خاصة مدرسة "بروكسل" - (بلجيكا)) أمثال: "برلمان" و "ميان" [Meyer michel] يتبنون فكرة المطابقة بين البلاغة والحجاج، انطلاقا من فكرة أن كل خطاب ينطلق من قصد تدعيم وضع وتغيير آخر وخلق ثالث وإيجاد موقف في قضية ما، سواء كان ذلك الموقف مع أو ضد ما يتوفر من مقدمات ومعطيات، بهذا يصبح الحجاج عندهم معقود بركنين متضافرين "ركن البلاغة بمختلف وجوهها خاصة المجاز وركن العلاقات الخطابية القائمة على مبدأ أساسي هو إلغاء الاختلاف وتأكيد الاتفاق أو العكس"<sup>(2)</sup>، ومنطلقاتهم الفلسفية سارت وفق فكرتين أساسيتين يظهران خلفيتها كونها عملية إنسانية تنطوي على السرّ الأكبر للبشر ألا وهو اللسان، والفكرتين متضافرتين لا انفصال بينهما:

1- وجودية ظاهرانية: تنطلق من مقولة "هدغر" الذي اعتبر فيها اللّغة هي الوجود.

2- تأويلية: تنطلق من اللغة المرسلّة في المقام التواصلية الخاص، وتعمل على تفكيكها

بغية الوصول إلى خصائصها الإنسانية.

1- طه ( عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي، ص 269.

2- القارحي ( محمد علي): البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميان، دراسة منشورة ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم-لفريق البحث والبلاغة والحجاج، جامعة منوبة، تونس، إشراف: حمادي صمود، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص400.

أنظر للقراءة المتبصرة "للزركشي" والتي أوردها "صولة" للتحليل الحجاجي لطريقة انتقاء ألفاظ القرآن الكريم، إذ يقول الأول "قد يكون للشخص اسمان، فيقتصر على أحدهما لنكته، منه قوله تعالى في مخاطبته المتأبين "يا بني إسرائيل" ولم يذكر في القرآن إلا بهذا دون "يا بني يعقوب" وسره أن القوم لما خوطبوا بعبادة الله، وذكروا بدين أسلافهم، موعظة لهم، وتبئها من غفلتهم، سمو بالاسم الذي فيه تذكرة بالله"<sup>(1)</sup>، ويقول الثاني تحليلاً لرأي "الزركشي": "إن الخطاب القرآني باستخدامه هذه التسمية يدعو بني إسرائيل إلى أن يحاسبوا أنفسهم في ضوء ما تثيره هذه التسمية من نصوص توراتية (سفر الخروج أساساً) نائمة في زوايا أذانهم، مغلقة بغبار الغفلة والتهاون والنسيان"<sup>(2)</sup>، فللخطابات الحجاجية حال الانتقاء والإيراد أسباب ومواطن ولمعناها الخالد مبعث كما لمختلف قصدياتها الاستعمالية تحميلات قصدية بانية مرتكزة وجودياً متجددة تأويلياً، لذا عاد "صولة" بتحليل الخطابات الموجهة لليهود إلى مختلف الأسفار التي ألفوا قراءتها وصدقوا بما فيها واستخدم تراكماتها القصدية في قراءة وفهم ثم تحديد القصدية الحجاجية للخطابات القرآنية المتضمنة اسم "بني إسرائيل" دون "اليهود"، "بني يعقوب" يستعمل الناس مثل هذه الخصائص الحجاجية للخطابات، المتضمنة في مخزونهم الذهني انطلاقاً من معناها الخالد الوارد في مجمعهم الاجتماعي أو من مختلف استعمالاتهم المترابطة عبر الزمن مثال ذلك الخطابات:

- أضيئي المصباح، يا "نبراس".
- "كوثر" اسقيني ماء.
- لقد نفعني "نافع".
- إنه الفاتح.

وعلى متلقي الخطاب إدراك قصديتها بالقراءة التأويلية للصبغة الحجاجية للخطاب أو أحد أجزائه المدعمة لقصدية المتكلم، فاختيار اسم "نبراس" دون "كوثر" مع العلم أن الذات المقصودة بالاسمين واحدة، يخدم هدف التواصل وقصدية الخطاب الحجاجية بإصاق صفة الإنارة والإضاءة لمن يقترن اسمها بالمصباح والنبراس من مبدأ "لكل نصيب من اسمه" فمن تدعا "نبراس" أجدد وأحق وألزم

1- الزركشي البرهان في علوم القرآن نقلاً عن صولة (عبد الله): الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائص الأسلوبية، ص 223.

2- صولة (عبد الله): المرجع نفسه، ص 226-227.

بانارة المكان ممن تدعا "كوثر"، وإنّ من تدعا "كوثر" ويقرن اسمها هذا حجاجيا بأعمالها إذا اتصل ذلك بمواقف السقي والإرواء والماء انطلاقا من شيوع تأويل اسم "كوثر" باسم نهر في الجنة على أكثر الأقوال، بهذا يكون الانتقاء الحجاجي للخطابات أو أحد عناصرها اللسانية ينطلق من قصدية منجزها أصلا وفق فكرتين باعثتين؛ ظاهراتية تأسيسية، وتأويلية تخضع لظروف إنجاز وتلقي الخطاب واستعمالاته القصدية.

### خلاصة القول:

الحجاج مصطلح متعدد الاستعمالات القصدية، يقصد به المجال أو الحقل المعرفي الذي يعي بتحليل الخصائص الحجاجية أسلوبية كانت أو وظيفية للخطابات الحجاجية، كما يقصد به فعل التحاجج، المنطلق من قصدية قبلية لفعل التحاجج.

- ارتبط قصد التحاجج بشكل مباشر بالخطابات الجدلية والخطابية، إلا أن الأبحاث اللسانية الحديثة استطاعت رصد السمات الحجاجية في عديد الخطابات ذلك أن منطلقات إنشاء الخطابات الحجاجية قصدية بالدرجة الأولى.

إن ارتباط القصدية بالصبغة الحجاجية في التواصل اليومي يجعلنا نميز مع "طه عبد الرحمن" ثلاثة نماذج للحجاج، وصلي، إيصالي، اتصالي.

- يعكس النموذج الاتصالي قدرة كبيرة على فهم وتحليل الخطابات الحجاجية، بصورة أكثر فاعلية لأنه لا يعزل الحجج عن المناسبة التخاطبية التي أنشئت فيها والسياق الذي عمل على ظهورها.

- تنطلق عملية بناء وفهم الحجج التخاطبية من فكرتين أساسيتين:

- وجودية ظاهراتية: تكفل التطبيق اللساني للقصديات التخاطبية الحجاجية.

- تأويلية: تكفل ربط العناصر اللسانية المرسله بالمقام التخاطبي الخاص، المطبقة فيه.

## II-2- قيمة القصدية في بناء الخطاب الحجاجي:

إن عملية التحاجج عملية تفاعلية من الدرجة الأولى، يقوم فيها المتخاطبون بإنجاز خطابات متوالية مؤطرة بالواقعة الخطابية الضامة لكل من المتكلم والمستمع، اللذان يتبادلان الأدوار، ففي الواقعة الواحدة يصبح المستمع متكلمًا والمتكلم مستمعًا حسب مقتضيات المتتاليات اللسانية المنجزة المظهرة لمجموعة من التسلسلات الخطابية ذات الطابع الاستنتاجي، حيث تظهر بعضها الحجج وتظهر الأخرى

النتائج المستنتجة منها، ولاستعمالها مجالات واسعة تصل إلى التفاوض الاجتماعي والسياسي في أعلى مستوياته، وبناء الحجج كظاهرة خطابية تداولية، في الخطابات التواصلية العادية اليومية تصطبغ بعدد من السمات الهامة جدا، إذ تتسم بالخصوصية والسياقية والنسبية من جهة وبالتفاعلية وعلاقية من جهة أخرى.

## II-2-1- المنطلقات القصدية للحجج بين الذاتية والموضوعية:

إن البحث في أصول التفكير في الحجج وصوغها، وكيفية استخدامها في عملية التحاجج، قد يسيل الكثير من الحبر، إلا أننا سنحاول تتبع أساس منطلقاتها على اختلاف أهدافها، فالخطابات الحجاجية العادية كما الخطابات التفاوضية ذات الاستراتيجيات المعدّة مسبقا لها حالات قصدية باعثة، "والتي قد تكون مبنية على الخبرة والإحساس بعملية التفاوض، أو مبنية على العلم والتعليم والتدريب على تقنيات عملية التفاوض"<sup>(1)</sup>، ففعل التحاجج حاله حال كل الأفعال الإنسانية للكفاءة دور في إيقاعه مبدئيا وملاءمته، وتظهر في تمازج الوعي الأبيستيمولوجي (المكوّن المعرفي) المسبق والتفاعل الآني الواقعي (المكوّن السياقي)، الأطراف المتخاطبة على اختلاف مشاربهم ومشاعرهم ينطلقون في بناء حججهم من مخزونهم الذهني الخاص، الذي كونه حسب قدراتهم وخبراتهم الإنسانية الخاصة، بهذا يظهر حجاجهم حال التخاطب، وفق منطلقهم الثقافي الخاص، وإشباع حالة قصدية داخلية متكونة لديهم، وإليك المقطع الحوارية التالي بين:

1- الهادي شلوف: رئيس الجمعية الأوروبية العربية للمحامين القانونيين في باريس (لبيي

الأصل).

2- محمد دركوشي: نائب رئيس إتحاد كتاب سوريا (سوري الأصل).

والذي بثّ على قناة "الجزيرة" في برنامج الإتجاه المعاكس " يوم 14 جويلية 2015":

1- وجيه (حسن محمد): مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1994، ص 22.

- شلوف: الشعوب الأخرى خرجت لأن ثقافتها تختلف عنّا،...، الكمبوديون بطبيعتهم قالوا نحن مع المصالحة وبناء الدولة ونسيان ما حصل من الماضي، والسير إلى المستقبل، متى سيصل تفكيرنا إلى الإبتعاد عن الحقد، الإبتعاد عن الانتقام، وبناء الدولة، وهذا طبعا يحتاج أيضا إلى إعادة نظر في المفاهيم، المفاهيم الدينية، نحن لدينا مفاهيم دينية من الطرف السنّي ومن الطرف الشّيعيّ تدعو إلى الحقد وتدعو إلى الكراهية، تدعو إلى عدم التسامح، تدعو إلى عدم بناء الدولة، فالشيعي يولد شيوعي وهو يحمل الحقد للسنّي، والسنّي يولد يحمل الحقد للشيعي.
- دركوشي: لم يكن السنّي يحمل الحقد على الشيعي، كنا نعلق صور "نصر الله" في بيوتنا.

إن مساهمة "شلوف" في التحايج بهذه المداخلة، بنى فيها نتيجة غياب ثقافة التسامح في المجتمع الإسلامي، على جملة من الحجج محصلتها التنشئة الدينية العنيفة، منها: تنشئة الفرد المسلم على الحقد والانتقام والكراهية منذ الولادة، ولا فرق عنده إن كان ذلك المسلم ينتمي إلى طائفة الشيعيين أم إلى طائفة السنّيين.

في حين جاءت مساهمة "دركوشي" بهذه المداخلة لاغية للنتيجة التي ساقها "شلوف" إذا تعلق الأمر بالجانب السنّي، ونشأة السنّي على الحقد والانتقام وكراهية الشيعي بشكل تطرفي وساق لتدعيم فكرته حجة واقعية بسيطة قائلا: "كنا نعلق صور "نصر الله" في بيوتنا"، و"نصر الله" كما هو معلوم الأمين العام لـ "حزب الله" حزب شيعي لبناني، فبصفته سنّيًا سعى "دركوشي" إلى ردّ نتيجة غياب ثقافة التسامح في المجتمع الإسلامي بدحضه لحجّة تربية السنّي على الحقد والكراهية للشيعية؛ لمجرد انتمائهم إلى هذه الطائفة، وتصدير مداخلته بالنفي بـ (لم) قارئًا إيها بفعل الكينونة في صيغة "المستقبل" (يكن) يعكس حالته القصدية المنطلقة من صدق اعتقاده بما يختزنه السنّيون من فكر إسلامي معتدل تجاه الطائفة الشيعية، أما حجّة موقفه فهو حقيقة احتفاء السنّيين بانتصارات "حزب الله" ضد الصهاينة واعتبارهم لـ "حسن نصر الله" رمز للمقاومة الإسلامية بمختلف طوائفها وفكر التحرر عند العرب عامة أيضا، وترجمهم لهذا الاحتفاء بتعليقهم لصوره في بيوتهم.

لقد سعى "شلوف" إلى بيان كفاءة حاجية بسوقه لمجموعة من المعلومات واستخدامه لمجالات مختلفة منها، الثقافية، كالمعرفة بأحوال وشؤون الشعوب الأخرى وثقافتهم.

- تاريخية، كالجوءه إلى بعض الأحداث والوقائع التاريخية الخادمة لموقفه.

- ثقافية، كسوقه لمعلومات وأحكام حاجية عن المجتمعات أو الطوائف وخلفياتهم المعرفية.
- لسانية؛ كتوظيفه للخطابات غير المباشرة، منها ( متى سيصل تفكيرنا إلى الابتعاد عن الحد) فهو يحمل خطابه قوة إنجازيه مستلزمة هي الإنكار.

إن استخدام حقائق ومعلومات تاريخية وثقافية في قوالب لسانية معينة يعني إصرار "شلوف" على دمج كل الطروح المعرقله أو الراضة لفكرة التصالح في المجتمعات الإسلامية، أي أن عليها إرساء ثقافة تسامحية يعمل من خلالها الجميع إلى العودة إلى العيش في مجتمع السلم والأمن العام، خدمة لسعيهم للمصالحة، إن مداخلته قدمت حججا متعددة للواقع المشحون للمجتمعات الإسلامية، دفعت "دركوشي" إلى التفاعل كمتلق مقصود بالخطاب الحجاجي، فأثارت سعيه إلى البحث عن حجج كافية لدفع نتيجة "شلوف" على الأقل على الطائفة السنّية التي ينتمي إليها، يقول "نظيف محمد": "إن الحجاج كظاهرة خطابية تداولية يعرف بعض الملامح الخصوصية حينما يتعلق الأمر بحجاج يعني فئة معينة دون سواها، وكذلك حينما يكون حجاج يخص إطارًا معينًا دون سواه"<sup>(1)</sup>، وهذا بالضبط ما ظهر في التدخل الجانبي لـ "دركوشي" القائل «نحن نعلق صور "نصر الله" في بيوتنا» منطلقًا من حالة قصدية مشحونة بمشاعر الرفض لما جاء في خطاب "شلوف" المهاجم للثقافة الإسلامية العدوانية ومحاولة إرسائها كحقيقة عامة، ما دفع "دركوشي" إلى نفيها نفيًا قاطعًا عن الطائفة السنّية من منطلق أنهم لم ينشؤوا على كره الشيعة منذ الصغر أو الحقد عليهم كطائفة، بل أن حقيقة ما يجري في سوريا حاليًا هو وليد مخططات سياسية لا غير، وتشتمل مداخلته على نتيجة وحجة النتيجة ( لم يكن السنّي يحمل الحقد على الشيعي) أما حجته فواقعية مشحونة بعواطف الأسف والتأثر (كنا نعلق صور "نصر الله" في بيوتنا) وهي حجة استقرائية لحادثة واقعية لجأ إليها سريعًا، إلا أن فاعلية الاستقراء كحجة يكون حسب "برلمان" في حالة القصور الذاتي، "التي نجد أنفسنا فيها عندما نبحث عما هو منتظم في الواقع، هذا القصور هو الشيء الذي يمكن للمتلقي المهتم بالتنقيد أن يعارضه، كما يستطيع إيجاد أمثلة معاكسة تلغي صلاحيتها القاعدة العامة، وهي حجج تجبر على التخلي أو علي الأقل تعديل القاعدة"<sup>(2)</sup>، وهذا بالضبط ما قام به "شلوف" عند ما ردّ بأن تصرّف السنّة هذا كان مدفوعًا بوجود مصلحة مشتركة وأن

1- نظيف (محمد): الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، ص 152

2- بروتون (فيليب) وجوتيه (جيل): تاريخ نظريات الحجاج، ص 53.

حقيقة وجود المصالح المشتركة تفرض المصالحة في المجتمعات وإن كان فيها ما يدعو للخصام والتناحر إليك رد "شلوف".

- شلوف: عند ما تجتمع مصالحنا، عندما تكون مصالحنا مشتركة، عندما يكون الدرزي والعلوي والمسيحي وغير المسيحي كلهم يرتبطون، حتى الذي لا يؤمن بالأديان، عندما يرتبط بالإنسانية، عندما يعرف أن مصالحهم موجودة عند الطرف الآخر سيعيش مع الطرف الآخر وبتسامح، وهذا ما وجد في العالم الآن المتقدم، حيث أن الحروب انتهت، وأنا يجب علينا بناء صفحة جديدة.

لقد استثمر "شلوف" حجة "دركوشي" لصالح مساره الحجاجي، حيث قام بتذكيره استقرائيا أيضا أن مثل هذه التصرفات إنما تنطلق عندما يكون للأطراف المتصارعة مصالح مشتركة يلتقون لأجلها، وساق تأكيدا لذلك حججه منتهجا الإشارة الموضوعية لمثل هذه الحقائق بعيدا عن الحماس الذاتي المدفوع بالعواطف فمهما كانت هوية المتصارعين والمتخاصمين، فهم يلتقون حول مصالحهم، وإن كانت مشتركة وجب التعاون بينهم لتحصيلها، إن الاستعمال الحجاجي لذكر مجموعة من الطوائف المكونة للمجتمع العربي يخدم الجانب الموضوعي للنتيجة الحجاجية التي انطلق منها، فإن كان التخاصم بين السنّي والشيوعي قائما وهم مسلمون فإنهم لما تتسع بينهم الدائرة للدرزي والمسيحي وغير المسيحي وحتى من لا يؤمن بالأديان يكون الصراع أكبر والخصام أدها وأوقع، إلا إذا جمعتهم مصالح تخرجهم من دواعي الصراع إلى دواعي الصلح والوئام، وهي بذلك تتبني على ربط موضوعي للحجج التي تخدم صدقية رؤيته وتقوي دعوته لنبذ التناحر والتحارب في المجتمعات العربية عامة.

إن بناء المتكلم للحجج إنما ينطلق من مقدمات أو مسلمات يفترض مسبقا تسليم المتلقي بها- سواء كان المتلقي هو الخصم المتخاطب والمتفاوض أو كان مجموعة كبيرة من الجمهور حال الخطباء أو المتحدثين عبر وسائل الإعلام خاصة في الحوارات السياسية- وكفاءة المتكلم في اختيار المقدمات وأسلوب صياغة خرجها فضلا عن تأسيسها وفقا لأهداف قصدية مبنية ذهنيا حسب الخطة الحجاجية المنتهجة، فالمتكلم "باستخدامه المقدمات منطلقا لحججه وأسأ له إنما يعول على تسليم الجمهور بها وإن كان هذا الجمهور قد يرفضها إما لكونه لا يسلم بهذا الذي جاء به الخطيب (المتكلم) ينطلق منه معتبرا إياه من المسلمات أو لكون هذا الجمهور يفتن للبعد الأحدي الذي قام عليه اختيار هذه المقدمات أو

لكون هذا الجمهور قد أدرك النوايا التي بينها الخطيب من إتيانه بهذه المقدمات<sup>(1)</sup>، فيكون ما يستضمره المتكلم في ذهنه أهم عنصر في العملية الحجاجية، إذ يمثل المخزون الحجاجي المتاح للاستعمال وعلى المتكلم التصرف فيه حسب حالته القصدية حال التحاجج والنتائج ومن طرق عرض الحجج ما أورده "صولة" في عرضه لكتاب "برلمان" "مصنف في الحجاج البلاغة الجديدة"<sup>(2)</sup>، بالحرص على استثمار الوقت المتاح، وعدم تشتيت انتباه الشخص المتلقي، كما على المتكلم أن يقسم كلامه حسب أهميته لدى متلقيه، فيبرز بعضه ولا يهتم ببعضه الآخر ويتخير أسلوبه بين الإيجاز والإطناب خدمة للتأثير على المتلقي والموضوع المطروق ومنها اعتماد التكرار لإبراز شدة حضور الفكرة المقصود الاتصال والتأثير بها، واستخدام الأواليات اللسانية مع تنغيمات وتبوير معين والتلوين الصوتي لبعض مقاطع الخطابات دون أخرى، وتعد محاولات التأثير النفسي والعاطفي على المتلقي من الأساليب المنتهجة للتأثير فيه وحمله على الإذعان للخطابات الحجاجية المنجزة: أنظر لمداخلة "شلوف"؛ إذ عمل فيها على تتبع مسار حجاجي مسطر، مُتتبع خطوات فاعلة عاملا فيها على التأثير على شركائه في المحاوره، ولنحاول إبراز ذلك وفق المخطط الموالي:

#### مخطط بناء الحجج في واقعة خطابية معينة:

1- صولة (عبد الله): الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه، دراسة منشورة ضمن كتاب : أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص 308.

2- ينظر المرجع نفسه: ص 317.

قام "شلوف" بحشد مداخلته بمجموعة من الحجج وهو يوزع نظره  
 بين "فيصل القاسم" و"دركوشي" في محاولة لقراءة حالتهم النفسية  
 وتقبلهم للحجج واستعدادهم لاستقبال المزيد.

الاستثمار

التقسيم

مبدأ التسامح مبدأ إسلامي.  
 مبدأ التسامح مبدأ إنساني.  
 واقع الحقد والكراهية والانتقام، واقع متطرف.

الواقع المتطرف — في محاولة منه إلى تغيير اعتقاد محاججه  
 بصحية هذا الوضع لإقناعه وجعله يذعن لرأي ضرورة المصالحة  
 والتسامح من أجل حياة أفضل.

التركيز

استخدمه للإشعار بصدق دعوة للمصالحة، ونبذ مشاعر الحقد والتناحر:

التكرار

الابتعاد

الابتعاد

الابتعاد

كما استخدمه بقصدية إبراز وترسيخ حدة تقاوم وضع التصارع والتناحر  
 وعزة كل طرف لראيه:

تدعو

تدعو

تدعو

تطريز الإواليات

للاشعار بخطورة الوضع: إعادة نظر في المفاهيم، المفاهيم  
 الدينية، نحن لدينا مفاهيم...

التأثير العاطفي

إصراره أن الوضع يشترك فيه الجميع إن خيرًا وإن شرًا وجاء  
 خطابه مشحونًا بهذه الحالة القصدية "متى... نحن...."

تبقى لدينا نافلة من القول في إيراد التضمينات والإضمار في الخطاب الحجاجي ومنطلقاته  
 القصدية وكيفية تفعيلها، فلا حجاج دون قضية، مما يستدعي أعمال الكفاءات اللازمة في إبرازها وتحليلها  
 تقوية أو تضعيفًا حسب الواقعة وأهداف الحجاج، وللإضمار أو التضمين دور في تعديد قصدية

الخطابات، ولعل أهمها على الإطلاق "القول دون القول" وفاعليته تكمن في التلميح خصوصا لذا يعد التلميح أحد الاستراتيجيات الأساسية في الحجاج، وفي بناء الخطابات الحجاجية، حالها حال الخطابات الأخرى، إن «المضمر تنحصر مرحلته عند الـ "أنا" المتكلم **Sujet parlant** لأنه هو المعني بقوله هذا المضمر دون قوله على حدّ تعبير "أوزوالد دكرو" [Ducrot Oswald] وكذلك بإثبات الاستنتاج"<sup>(1)</sup>، لكن دون أن يتحمل مسؤولية القول صراحة أو ينطلق من عدم امتلاك السلطة الكافية للقول الصريح.

في محاولة دائمة للمهادنة ابتعد "شلوف" على اتهام الأطراف العربية المتناحرة بالسعي لتحقيق مصالحها على اختلاف منطلقاتها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية، مستخدما الإضمار في عدم توافق مصالحها، إذ ذكر أن مصالحها غير مشتركة، مضمرا وجود المصالح الخاصة (عندما تجتمع مصالحنا عندما تكون مصالحنا مشتركة،...، سيعيش مع الطرف الآخر ويتسامح)، ويتعلق استخدامه الإضماري هنا، حال الاستخدامات الإضمارية في الخطابات. بتفعيل مجموعة من الكفاءات، ما يستدعي تحلي الطرف المتلقي بمثل هذه الكفاءات للتلقي الناجح للخطابات، "والكشف عن مضامينها التي تكلؤها الدوافع اللغوية والميثالوغوية لتتمخض عن ذلك سبل التأويل، وطرق الاستكشاف، التي تؤدي بالفعل إلى تحسين معاني الخطاب اللغوي وتحقيقه، كما تؤدي في الوقت نفسه إلى سبر أغوار توليد المعاني العامة، والمعاني المضمرّة الاقتضائية والإنجازية والاستلزامية وغيرها خاصة"<sup>(2)</sup>، إذ الوقائع والمجالات قد تجدد وتعدّد إحداث الخطابات الحجاجية لأسباب سياسية، اقتصادية، اجتماعية، أخلاقية وحتى أبنستيمولوجية، إلا أن سمة المواجهة في الخطابات الحجاجية تجعل من انتهاج إستراتيجية المضمر عملا متطلبا لكفاءات أكثر فاعلية لإيقاع التفاعل الهدف.

## II -2-2- القصدية والتفاعل الحجاجي:

إن الخطابات الحجاجية بصبغتها التداولية، خطابات اتصالية ما يعني ربطها بين طرفين اثنين على الأقل، الأول منجز الخطاب الحجاجي، وثان متلق، على أن مجالات التحاجج كثيرة جدا بدء من

1- نظيف (محمد): الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، ص 166.

2- أزابيط (عيسى): الخطاب اللساني العربي، ج 2، ص 224.

الذات إلى الخطابات السياسية وحشد الجماهير مبررا بالخطابات المؤثرة، كأفعال التفاوض والإشهار والإعلان، بل لا يكاد يخلو التواصل الإنساني من فعل الحجاج بشكل ما من أشكاله.

## II -2-2-1- التفاعل الحجاجي وتصديق مقدمات الخطابات الحجاجية:

إن المتكلم حال تحاججه، يتوجه إلى متلق ما يضعه في حسابه، يقول "برلمان": "إن معرفة أولئك الذين تنوي إقناعهم شرط مسبق لأي حجاج فعّال"<sup>(1)</sup>، حتى في حال محاسبة الذات بالفرد منا يسوق الحجج حسب الفئات والإيمان والتوجه الذي يراه الأنسب، كذلك مع غيره فالحجج القوية بالنسبة لشخص ما قد لا تمثل شيئاً لشخص آخر، تبعا لمعتقداتهم الثقافية، سياسية كانت أو اجتماعية أو دينية أو حتى فيما يتعلق بالعادات والتقاليد، فالخطاب:

- لا أشرب الخمر لأنه حرام.

خطاب حجاجي يحمل حجة لا ترد ولا تضحض، لكن بالنسبة لمجتمع إسلامي يؤمن بتحريم شرب الخمر شرعاً، في مجتمعات أخرى لا تحريم بالنسبة لها في شرب الخمر يبحث المحاجج (المتكلم) عن حجج أكثر إقناعاً وأكثر دفعا للمستمع للإذعان، مثلاً:

- لأنه مضر بالصحة.

- أعاني مرضاً بالكبد.

- لدي عمل أريد إنجازه.

- هو غال الثمن.

- ...

فالحجج تساق مبدئياً حسب ثقافة المتلقي، وأهداف التحاجج معه، لذا إذا أردنا تحليل و"رصد" الصور الأسلوبية في الخطاب الحجاجي أو الصور البنائية الاستدلالية، فإننا مبدئياً سنكون بصدد أفعال كلامية لها مرجعية مقالية ومقامية مشتركة بين المتكلم والمستمع، أو بين المخاطب والمخاطب"<sup>(2)</sup>، ما يلزمنا برصد الحجج وفق قواعد بنائه ودواعيه، ثم استعدادات تلقيها ومقبوليتها، لتتمكن من تحليلها وبيان خصائصها.

1- ينظر: بروتون (فيليب) وجوتيه (جيل): تاريخ نظريات الحجاج، ص 45.

2- الرقبي (رضوان): الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، بحث منشور في مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، أكتوبر، ديسمبر 2011، ع2، م40، ص 68-69.

مما سبق نخلص إلى حقيقة ثانية في بناء الحجج، بعد أطرافها، ألا وهو طريقة بنائها وشروط إيقاعها لبلوغ الفاعلية والتفاعل المقصودين من سوقها وطلب التصديق بها، وذكر "صولة" أن لمقدمات الحجج سمة أساسية تتمثل في درجة التصديق بها؛ تجعل درجة مقبوليته وفاعليته تتفاوت، من ذلك الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وهرمية ترتيبها والمواضع<sup>(1)</sup>، ف«تمثل هذه المقدمات على اختلاف أنواعها منطلقاً للمحاجة يعتمد الحس المشترك **le sens commun** الذي لمجموعة لسانية معينة، فهو جماع معتقداتها ومناطق موافقاتها **Accords**، بل ومناطق موافقة كلِّ عاقل. وتسمى المحاجة في هذه الحال المحاجة الموجهة للإنسان عامة **Argumentation ad humanitatem**، وتوجد... الموافقات خاصة بأهل إختصاص من الاختصاصات العلمية أو التقنية أو القانونية وغيرها»<sup>(2)</sup>، وتأتي من المواضع العامة الحاكمة لإنجاز الخطابات داخل الجماعة اللسانية حسب خلفياتهم القصدية، لسانية كانت أم موسوعية، يعمل المتكلم على بناء حججه انطلاقاً منها ومن درجة تصديق المتلقي بها، أنظر للخطاب الحجاجي الذي أداره "محمد قاسم" في برنامج "الاتجاه المعاكس"، لقد كان موجهاً توجيهين متناقضين حول قضية واحدة جدوى عملية الوئام والمصالحة في البلدان العربية التي تشهد حروباً أهلية أو ما يعرف اصطلاحاً "بلدان الربيع العربي"؛ وجاءت مداخلات "شلوف" انتصاراً لقضية ضرورة المصالحة من أجل عيش أفضل في ظل الأمن كمطلب رئيسي في المقابل جاءت مداخلات "دركوشي" رافضة لأي مصالحة مع "الأسد"، فالخطابات الحجاجية لكل واحد منهما موجهة توجيهها قصدياً نحو جمهور معين، فالأول يتجه إلى إقناع رافضي المصالحة بجدواها وتعزيز قناعة الموافقين عليها بها، في حين اتجه الثاني إلى هدم كل الحجج التي تدعو إلى المصالحة وتعزيز قناعة التصارع والمواجهة المسلحة مع الأنظمة الحاكمة لتغيير الوضع الفاسد السائد حسبه منذ عقود، ولكل واحد منطلقاته وخلفياته

1- المقدمات هي؛ أ- الوقائع: كل ما هو مشترك بين الأشخاص المتحاجة أو بين جميع الناس، مثل: إنّه فصل الحرارة

ب- الحقائق: تأتي للربط بين الوقائع، مثل: لأنه الصيف، الحرارة عالية.

ج- الافتراضات: تساهم في إذعان المستمع، متى كان الاتفاق حولها مدعوماً بعناصر أخرى تقويه، كإتساء المتحاجين إلى نفس الجماعة العرفية.

د- القيم: تبرز أهميتها في الحجج القانوني، الفلسفي، السياسي وفي مجال سوق الرقائق والمثُل.

هـ- هرمية القيم: وتتغير حسب الجماعة الإنسانية، فما يعد في مجتمع فضيلة قد لا يُكبر في جماعة أخرى، بل قد يعدّ رذيلة في مجتمع ثالث.

و- المواضع: هي أعم من القيم، وهي سمات للاختصاصات أو للجماعات الإنسانية.

ينظر: صولة (عبد الله): في نظرية الحجج، من ص 24 إلى 29.

2- المرجع نفسه: ص 29.

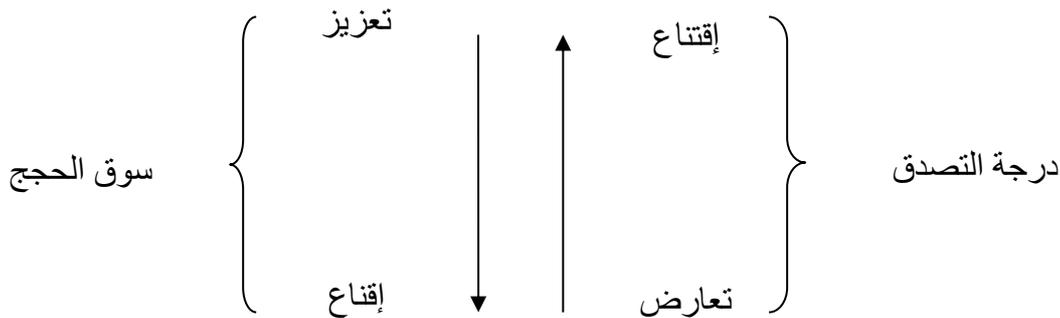
القصدية، فالأول بوصفه رجل قانون يغلب العقل والتعقل والثاني بوصفه سوريا يغلب العاطفة والتحمّس، وهما بهذا يديران الحوار على خلفياتهما من أجل هدف قصدي معين ومرسوم مسبقا تبعا للشريحة المستهدفة من التحاجج، ألا وهي الشعوب العربية وما يظهر مثلا في تراتبية مداخلاتهما حسب دوران الحوار يقول "شلوف":

- "أنا والدي قتله نظام "القذافي"، فهل أن سأنتقم الآن من أسرة "القذافي" أو ممن كانوا ينتمون للقذافي، لا بالعكس أنا سألجؤ إلى صفحة جديدة وأدعو إلى حوار صادق فيما بين الجميع، أدعو إلى حوار فيما بين المسلمين، أدعو إلى حوار صادق بين جيراننا كدول عربية، أدعو إلى حوار صادق بين السنة والشيعة، وإعادة هيكلة الدين أساسا، نحن معلوماتنا وتفكيرنا مبني على تفكير مبني على الحقد والانتقام... "

جاءت هذه المداخلة ردا على "دركوشي" المفعم بمشاعر الغضب على "الأسد" وأتباعه، وقوله بأنّ "الأسد" أوغل في محاربة الشعب السوري عامة وليس المسلحين منه فقط، وقصد "شلوف" التأكيد على أن خيار المصالحة والعفو خيار مركزي على كل عربي التصديق به والسعي إلى إرسائه.

إذن: كلما بُعد احتمال تصديق أحد أطراف التحاجج بالقضية، سعى المدافع عنها إلى ترسيخه، وكلما ضعف تصديق الجمهور بالقضية، كلما تطلب من المحاج ضرورة البحث عن حجج أقوى بمقدمات أكثر دعما، لتكون أكثر ملاءمة لحال المتلقي ومخزونه الذهني، حالها حال الخطابات عامة، ففي الوقت الذي يتطلب المقتنع حجج تعزيز، يحتاج المعارض إلى حجج إقناع وبينهما درجات يتحكم فيها مبدأ الملاءمة الحجاجية سواء كانت الحجج منطقية أو عاطفية كونها كلها قصدية:

«كلما زادت درجة التصديق قلّ جهد بناء الحجة وسهل الحمل على الإذعان»



بهذا تصبح عملية بناء الحجج عملية عقلية قصدية، يُوَظَرها المتحاجون وفق مصالحهم، ويتعدّد بذلك بناؤهم وسوقهم للحجج، فعلى أي أساس يقوم المتحاجون بتنسيق وترتيب حججهم حال الوقائع الحجاجية ودّية كانت أم تفاوضية أو حتى صدامية، هذا ما سيحاول المطلب الآتي تناوله بالتحليل.

## II -2-2-2- التفاعل الحجاجي ووضوح القصدية في التراتب الحجاجي:

يسير فعل الإذعان لقصدية الحجج لدى المتلقي تبعاً لظروف إنجاز الحجج قصداً ومقاماً، انطلاقاً من متكلم معين، والحجج تتفاوت في الوقوع ما يجعل التسليم بها نسبياً تبعاً لنسبة إنشائها، ويحدث أن يسوق الواحد منّا في الخطابات الحجاجية الطبيعية مجموعة من الحجج تسند نتيجة واحدة، ميزة هذه الحجج التآزر في رفع درجة إذعان المتلقي للنتيجة المقصودة بفعل الحجاج، ما يجعلنا نعمل على ترتيبها بطريقة تخدم فعل التحاجج، من هذا المنطلق عُرفت "نظرية السلام الحجاجية"، فالسلم الحجاجي يضم "مجموعة من الأقوال التي يمكن أن تمثل حججا تدعم نتيجة واحدة تتفاوت من حيث قوتها"<sup>(1)</sup>، القوة العاملة على إرساء قصدية الحجة إرساء مباشراً بعيداً عن الشك أو التردد واحتمال ردها ودحضها، أي ما يضمن إذعان المقصود بها بقصدياتها أنظر للحجج التالية، إذا أعطيت حججا عن مدى تقدّم الطالبة "وسام" في تحرير أطروحتها:

ح1- فقد كتبت الفصل الأول.

ح2- لقد كتبت الفصل الثاني.

ح3- إنّها أتمت كتابة الفصل الثالث.

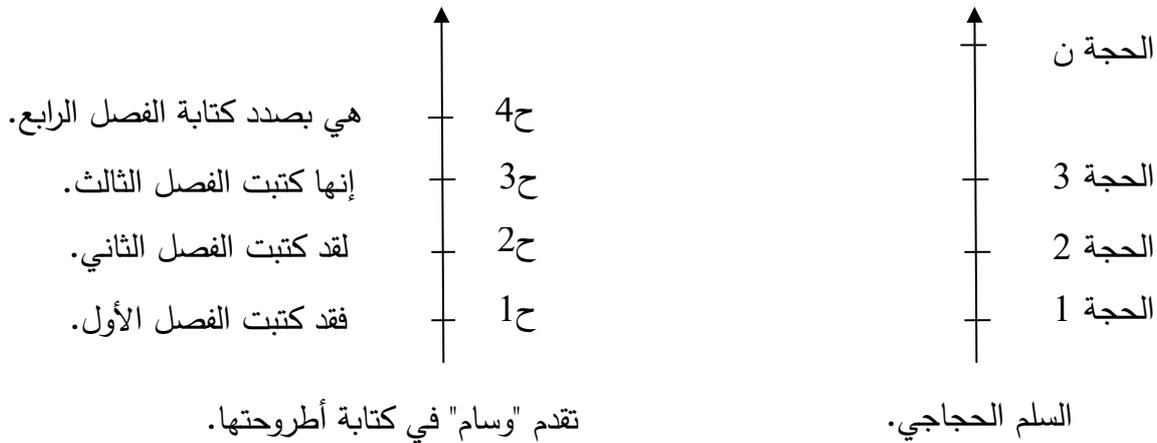
ح4- هي بصدد تحرير الفصل الرابع حالياً.

إن مثل هذه الخطابات يمكن أن تعطي حججا لنتيجة واحدة، تقدم "وسام" في تحرير أطروحتها، إلا أنّها تتفاوت بشكل ملحوظ في الإقناع بهذه النتيجة، فأقواها (ح4- هي بصدد تحرير الفصل

1- المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللّغة، دراسة منشورة ضمن كتاب "أهم نظريات الحجاج"، ص363-364، ويقول "طه عبد الرحمن": "مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة تراتبية وموفية بشرطين: - كل قول يقع في مرتبة ما يلزم ما يقع تحته... - كل قول كان في السلم دليلاً على مدلول معين، كان ما يعلوه دليلاً أقوى عليه." ينظر: طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان، ص 277 وفي أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 105.

الرابع حالياً) وأضعفها خدمة للنتيجة (ح1- فقد كتبت الفصل الأول) معنى هذا أن الحجج لا تتساوى في إيفاء القصدية الحجاجية للخطابات بل تتمايز وتتفاوت ما يجعلها قابلة للترتيب من أقواها (الأكثر إظهاراً لقصدية النتيجة) إلى أضعفها (الأقل إظهاراً لقصدية النتيجة)، فمنطقياً عندما تكون "وسام" بصدد تحرير الفصل الرابع، تستوعب هذه الحجة أنها كتبت الفصل الأول وكتبت الفصل الثاني وكتبت الفصل الثالث أيضاً.

أما إذا قلنا أنها كتبت الفصل الأول فلا نقصد فيها بأي حال من الأحوال أنها أحرزت التقدم في الكتابة حتى الفصل الرابع، في الوقت الذي تخدم الحججتين (ح2) و (ح3) بشكل متوسط قصدية النتيجة فهما تفضلان الحجة (ح1) إلا أنهما منطقياً مضمندان في الحجة (ح4) فمن تكتب الفصل الثاني كتبت منطقياً الفصل الأول وإذا كتبت الفصل الثالث فقد كتبت الفصل الثاني وكتبت الفصل الأول قبلاً، نوضح هذه المفاهيم في الشكل الموالي المبين لتراتب القصدية في هذه الحجج، كما يلي:



فالحجج 1، 2، 3، 4 حجج متفاوتة القوة في قصدية الوصول إلى النتيجة المتحاج لأجلها، ويحدث أن يظهر المتكلم نفسه تراتبية قوة حججه لفائدة النتيجة، أنظر الخطابات:

1- شارفت وسام على إنهاء كتابة أطروحتها، لقد كتبت الفصل الأول والثاني والثالث وجزء من الفصل الرابع.

2- شارفت وسام على إنهاء كتابة أطروحتها، لقد كتبت الفصل الأول، ثم الثاني بل وأنهت كتابة الفصل الثالث، وهي حالياً تحرر الفصل الرابع.

إن الفرق بين الخطابين أن المتكلم في الخطاب (2) رتب حججه الأربع بحيث جعل (ح4) أقواها لتصديق النتيجة، لأن إيفاء الحالة القصدية لشروط تصديقها في (ح4) يستلزم منطقيا استقاء شروط (ح3) و(ح2) و(ح1) على الترتيب ذلك أن "السلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجّهة"<sup>(1)</sup>، تكون الحجة الأقوى فيها لخدمة النتيجة متضمنة بشكل من الأشكال للحجج الأقل قوة منها في السلم الحجاجي، إلا أن توجيه السالام الحجاجية حسب قصدية المتكلم لا يتم لأسباب المنطقية فقط، إذ من السالام الحجاجية ما يوجه توجيهها قصديا صرفا أي لا علاقة للعلاقات المنطقية به "كعلاقة الكم" (أكبر، أصغر)، وقد اهتم بهذا النوع من التوجيه (التوجيه القصدى للحجج) "ديكرو" و"أنسكومبر"<sup>(2)</sup>.

إن ارتباط توجيه السلم الحجاجي توجيهها قصديا صرفا يجعل المتكلم يبتعد به عن المعايير والمنطلقات القصدية المنطقية إلى أخرى خاصة و خاصة جدا تحتكم لقصدية المتكلم و ما يضمنه من حالات قصدية وقدرات عقلية خاصة به، ولعل ذلك ما يستدعي من المتلقي قدرات وكفاءات تخاطبية أكثر مرونة وقابلية للإستقبال المتأني للحجج، ف"المسألة الحجاجية تصير أكثر تعقيدا لما ترتبط بنية أو قصدية المتكلم... لذا يتحدث "ديكرو" عن ما سماه بـ "L'intention argumentative" أي "قصدية الحجاج" أو "القصدية الحجاجية" وهي مواقف غير لغوية يجب أن تؤخذ بالحسبان أي علاقة العناصر اللغوية بالعناصر الأخرى غير اللغوية"<sup>3</sup>، ذلك أن مثل هذه الخطابات الحجاجية إنما تحكمها بالدرجة الأولى الخلفيات القصدية للمتخاطبين في المواقف التواصلية الخاصة بها، مثال ذلك الخطاب: - أخاف الفئران وتفزعني الحشرات.

حيث تسوق فيه المتكلمة - ولتكن أنسة- حجتين عن خوفها الشديد من بعض المخلوقات، الحجتان بمثابة مرتبتين متفاوتتين فيما بينهما بموجب قصديتها الخاصة حول المخلوقات المخيفة في الوقت الذي

1- العزاوي: اللّغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص 21.

2- طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان، ص 275

3- بوساحة (فريدة): التقويم والقياس، التقويم والأهداف وظائف التقويم، دراسة منشورة ضمن كتاب: تقويم الطرائق التعليمية في التعليم الثانوي بين النظرية والتطبيق، تأليف: بعيطيش (يحيى) وشلوف (حسين) وبوساحة (فريدة) وفلكاوي (رشيد)، مخبر اللغات والترجمة مجمع تيجاني هدام، قسنطينة، الجزائر، 2014م، ص 247.

قد لا تخيف الفئران والحشرات أشخاصا آخرين أو تخيفهم الفئران أما الحشرات فلا، وتوجيه الخطابات قصديات في السلام الحجاجي "يتجاوز الألفاظ إلى الجمل، لأنه قد يكون قصد المتكلم عاملا في تحديد اتجاه المراتب التي تنزلها هذه الجمل"<sup>(1)</sup>، إذ بالنظر إلى حجم الخطر المخشى تتفاوت خطورة كل من الفئران والحشرات (فالغأر ناشر للطاعون، وذبابة تسيثسي تسبب الملاريا) ويختلف توجيه الخطابات الحجاجية حولها وحول نتائجها باختلاف قصدية الناس تجاهها و تجاه تقدير حجم أذاها (اتصاف المتكلمة بالخوف الشديد)

إن خضوع تراتيبية الحجج المنتمية إلى حقل حجاجي واحد إلى قصدية المتكلم، لتجعلها خاضعة حالها حال الخطابات الأخرى إلى مفهومي الخلفية القصدية للمتجاجين من جهة والأعراف الحجاجية من جهة أخرى، فتخضع لمجموعة من القوانين؛ التي تجعلها أكثر تحديدا، وللسلم الحجاجي ثلاثة قوانين « قوانين الخفض » « قانون التبديل » « قانون القلب ».

أ- قانون تبديل السلم: يقوم على مبدأ النفي وأساسه:

- "إذا كان قول ما "أ" مستخدما من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة فإن نفيه (أي -أ) سيكون

حجة لصالح النتيجة المضادة"<sup>(2)</sup>، مؤدى هذا أنه إذا كانت لدينا حجة (ح1) لنتيجة ما (ن) فإن نفي الحجة (ح1) يفيد لا محالة نفي النتيجة حيث:

- (ن): ح - ن و (ن): ح - ن. أنظر الخطابين:

1- سنصل مبكرا فالسيارة سريعة.

2- لن نصل مبكرا فالسيارة ليست سريعة.

فقبولنا حجية الخطاب (1)، توجب علينا قبول الحجاج الوارد في الخطاب (2)، إذ القصد في الحجاج الأول أن الوصول مبكرا سيكون رهينة إسرار السيارة فإن لم تكن السيارة تتمتع بميزة السرعة الأكيد أن الوصول باكرا سيكون غير ممكن.

1- الرقبي (رضوان): الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 92.

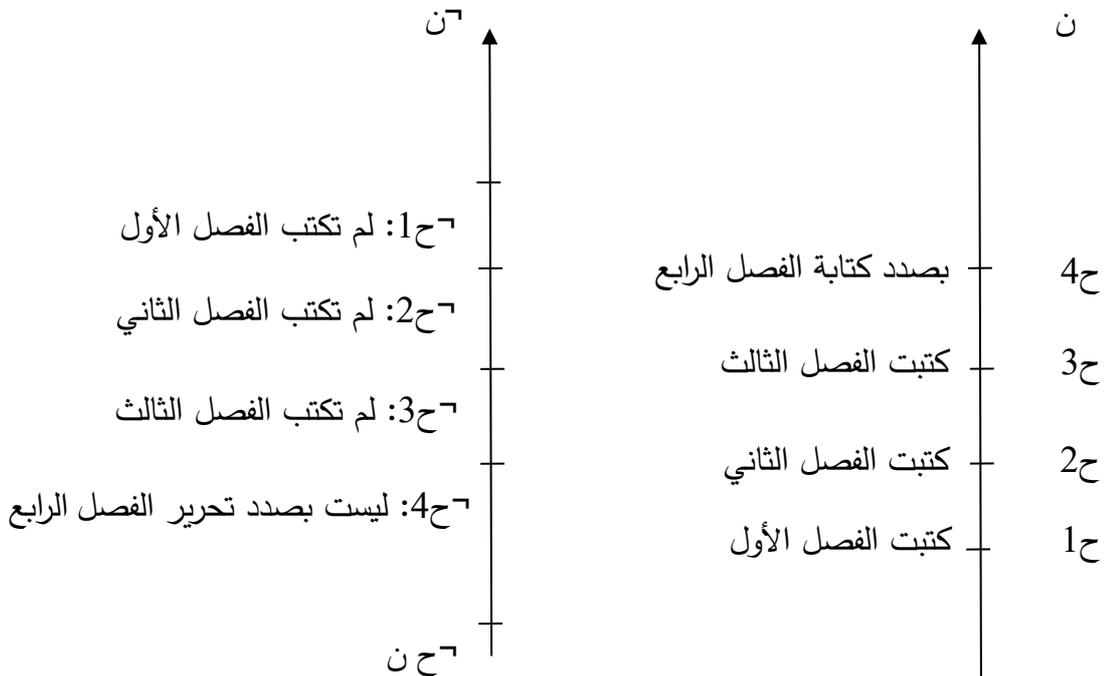
2- ينظر **ducrot: les échelles argumentatives**

العزاوي (أبو بكر): الحجاج والمعنى الحجاجي، دراسة منشورة ضمن كتاب "التحاجج: طبيعته، مجالته، وظيفته، وضوابطه"، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م، ص60.

ب- قانون القلب: يقوم على أساس أن النفي إذا تم في حال وجود مجموعة من الحجج المنتمية إلى حقل حجاجي واحد فهذا يعني قلب ترتيب الحجج في السلم الخاص بالنفي، "إذ أنه كان أحد القولين أقوى من الآخر في التدليل على مدلول معين، فإن نقيض الثاني أقوى من نقيض الأول في التدليل على نقيض المدلول"<sup>(1)</sup>، ويمكننا صوغه وفق المعادلة:

$$[(ن - 2 ح) < (ن - 1 ح)] \vdash [(ن - 1 ح) < (ن - 2 ح)]$$

حيث : 2 ح حجة ثانية للنتيجة ن و 2 ح أقوى لإفادة للنتيجة ن ، في المثال السالف، وفقا لهذا نحصل على سلم حجاجي لنفي النتيجة ( تقدم " وسام" في كتابة أطروحتها) نمثل له بالشكل:



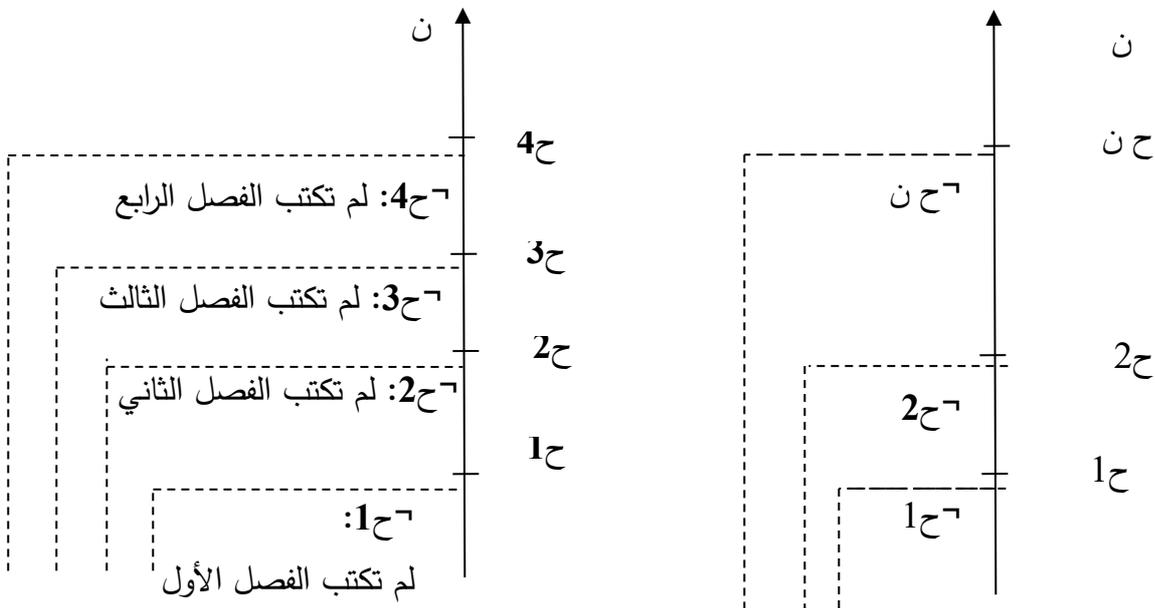
فالحجة (ح<sup>4</sup>) أقوى في الإفادة إلى قصدية النتيجة (ن)، أما نفيها فيعد الأضعف بين الحجج التي تفيد نفي النتيجة (ن)، وبتحليلنا للقانون الثالث "قانون الخفض" للسلم الحجاجي يتجلى لماذا تترتب تراتبية القصدية الحاجاجية في الحجج المنتمية إلى مجموعة واحدة وتعكس قصدية نفيهم في الوقت نفسه قصرها في الخطابات الحاجاجية الطبيعية.

1- طه ( عبد الرحمن): اللسان الميزان، ص 278

ج- قانون الخفض: **loi d'abaissement** ينطلق من "الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويا للعبارة، "moinque" (1)، فالمتكلم عندما ينفي حجة تراتبية في سلم حجائي لنتيجة ما هو لا ينفي الحجج التي قبلها إنما يخفض درجة قوة الحجج حجة واحدة في السلم الحجائي لها، أي "إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحته" (2) فإذا جاء الخطاب:

- لما تشارف "وسام" على إنهاء كتابة أطروحتها، فهي ليست بصدد كتابة الفصل الرابع هذا لا يعني بشكل من الأشكال قصدية أنها: لم تكتب الفصل الأول، والفصل الثاني والفصل الثالث، فما تم نفيه هو فقط تحريرها لأجزاء من الفصل الرابع وبذلك انخفضت تراتبيه القصدية في السلم الإثبات للنتيجة بحجة واحدة فقط وبقي غيرها مثبتا:

- تشارف "وسام" على إنهاء كتابتها لأطروحتها، فلم يتبق لها إلا الفصل الرابع.



سلم خفض: تقدم وسام في كتابة الأطروحة.

سلم خفض حجج النتيجة

1- الغزاوي (أبو بكر): اللغة والحجاج، ص 24، والحجاج والمعنى الحجائي، ص 62  
2- طه (عبد الرحمن): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 105 - 106

هنا نوضح كيف يكون (ح 4) هو أضعف الحجج في تراتبية السلم الحجاجي لنتيجة (ح ٦)، إن أقوى حجج (ن) (نقدم "وسام" في تحرير أطروحتها) ح 4، فكتابتها للفصل الرابع يعني كتابتها للأجزاء الأول والثاني والثالث، ما يخدم قصدية إتمامها، إن (ح 4) يقصد به أنها لم تكتب الرابع وفي نفس الوقت لا ينفى كونها كتبت الأجزاء 1، 2، 3، ما يعني خفض عتبة الحجج دركة ل (ن)، أما (ح ٦) فتخدمه وأقوى الحجج بالنسبة له الحجة التي تقصد إلى نفي كتابة أصغر جزء من الرسالة، ولما كانت حجة عدم كتابة الفصل الأول هي الأصغر فهي الأكثر نفعاً لحال نفي التقدّم معنى هذا أنها الأكثر قوة في إفادة قصدية (ح ٦) (عدم التقدم في الكتابة)، إذ عدم كتابتها للفصل الأول ينفى كتابتها للفصل الثاني والفصل الثالث، وبذلك كتابتها للفصل الرابع أولى بالنفي.

$$(ح 1) < (ح 2) < (ح 3) < (ح 4).$$

و (ح 4) بالنسبة لإفادة قصدية (ن) لا ينفى باقي الحجج التي أقل منها قوة إذ يمكنها أن تكون كتبت الأجزاء، الفصل الأول والفصل الثاني والفصل الثالث ولم تكتب الفصل الرابع فقط.

## II -2-2-3- الرابط الحجاجي وتفعيل قصدية الخطابات الحجاجية:

سبق أن وصلنا إلى أن الخطاب الحجاجي، خطاب تداولي، منطلقة الصلات الخطابية إلا أن للنسق الخطابي فيه اشتغال، بعد عمدة العملية الحجاجية، فلا عبرة بالنتيجة الجليّة إذا لم تسق لها الحجج بخروج خطاب يكفل ويفعل الغاية من صوغه أصلاً، فلا حجاج دون قصدية التأثير في متلق ما مقصود مسبقاً، ويعمد المتكلم في نسج خرج خطابه إلى كفاءته في رصف وحدات وعناصر خطابية عاملة على تفعيل قصدية التحاجج بإقناع وإذعان المقصود بالخطاب الخطابي، فيستخدم هذه العناصر الخطابية كروابط وعوامل حجاجية لما لها من قيمة حجاجية في إظهار قصدية مثل هذه الخطابات و"الحجاج لما كانت وجهته هي المستقبل كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية"<sup>(1)</sup>، التي تعمل كأدوات تسهّل تحديد قصدية خرج الخطابات الحجاجية خدمة لغايتها، عبر آليات لسانية محضّة، تمظهر الخطابات.

1- صولة (عبد الله): في نظريات الحجاج، ص 19.

يذكر "الناجح" أن "قيقليون" [Ghiglione Rodolphe (1995)] تدرج في محاولته تعريف العامل الحجاجي من كونه "علامة" إلى "أداة وآلة" ثم "عماد عملية التواصل أو محركها الرئيسي"، وأن تدرجه هذا جاء لإلحاحه "على أن غاية كل خطاب إنما هو الإقناع فلا وجود لخطاب دونما غاية إقناعية منه، ولا تتحدد هذه الغاية المركزة إلا بهذه العوامل"<sup>(1)</sup>، ثم ركن "قيقليون" في تصنيفها ودراسة أقسامها إلى دورها في عملية الإقناع المرتبطة أصلا بالواقعة التخاطبية ككل والإستراتيجية التي ينتهجها المتكلم في نسج خرج خطابه، وبين ذلك في جدولين، الأول حدد فيه تبعية العوامل الحجاجية للأهداف المحركة لإنتاج الخطاب، في حين ضمن الثاني عملا إحصائيا للعوامل الحجاجية لكل هدف منها، على أن هذه القوائم حسبه ليست مغلقة، و لها قيمة حجاجية عندما تستخدم في التواصل، يأخذ "الناجح"<sup>(2)</sup> في تحليله لمجهود "قيقلون" عليه عدد من المآخذ منها، اتسامها:

- بكونها منطقية، وبعيدة على دراسة الخطابات العادية.

- حصر العوامل الحجاجية في صرافم "les morphèmes".

- دمج للعوامل الحجاجية والروابط.

فيرفض الرأيين الأولين ويثبت الثالث، و كان هذا رأيه مبنيًا على نظر تداولي يرتكز على استعماله العناصر اللغوية، فلا شك أن للقصدية فيه أثر نحاول الوقوف عليه بشيء من التحليل والتعقيب.

حصر "قيقليون" العوامل الحجاجية في الصرافم ، في حين يرى "الناجح" أنها تتسع و"يمكن

أن تمتد إلى الأبنية التركيبية والظواهر البلاغية وغيرها"<sup>(3)</sup>، ونزيد أن من العوامل الحجاجية عوامل تداولية صرفة، حالها حال الدلائل غير اللسانية للقوة الإنجازية للخطابات<sup>(4)</sup>، أنظر الخطابات :

1- هكّه (دارجة جزائرية: هكذا).

2- نافلة القول، شكر المحسن من تمام المروءة.

3- أنظر لمكانتك (إرتق وارقى).

1- الناجح (عز الدين): العوامل الحجاجية في اللّغة العربية، ص 17.

2- المرجع نفسه: ص 17-23.

3- نفسه، ص 21.

4- سبق ورأينا ذلك، أنظر الفصل 3، المبحث 2 من هذه الرسالة

فالخطاب (1) يستعمل كثيرا كحجة لإفحام المتطفلين فلا تعطى أصلا لهم حجة معينة قوية كانت أضعيفة، منطقية كانت أو قصدية، فيكفي تداوليا أن يرد المتضايق من أسئلة الفضوليين بقوله "هكه" أي أنا حر في ما أفعل أو أعتقد، ف "هكه" عامل حجاجي محكوم بظروف تداولية استعماله خاصة؛ أهمها ارتفاع صاحب الخطاب منزلة على متلقيه المقصود به، وفي ظروف أخرى قد لا يصلح هذا العامل الخطابي ويصبح المتكلم ملزما بصوغ حجة ما، فهو عامل حجاجي رهين ظرف الواقعة الخطابية المنجز فيها، والخطابان (2)، (3): العامل الحجاجي فيها تركيب خطابي يرقى عن الصرف "ناقلة القول"/"أنظر لـ" فالأول، جملة اسمية والثانية جملة فعلية وكلاهما يستخدم في الحجاج اليومي والخطابات الطبيعية، معنى هذا أن الروابط والعوامل الحجاجية فعلا لا تنحصر في الصرافم فقط فيمكن أن تأتي في أشكال لسانية ذات بيانات تركيبية أو بلاغية أو حتى إشارات جسدية بالجسم أو بنى معرفية (سياقية بالدرجة الأولى).

أما دمج العوامل الحجاجية والروابط، فيوجد في الدرس اللساني الحديث قولان في هذه القضية: الأول يميز بين الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية، والآخر لا يرى في هذا التمييز جدوى بل يرى بأن لهذا التمييز تعقيدا منهجيا لا يخدم تحليل الخطابات الحجاجية عامة، وسنحاول بسط القول فيها بعض الشيء:

**القول الأول:** ينتصر أصحاب هذا القول بالتمييز بين مجالات اختصاص استخدام كل منها، من منطلق أن ما يحكم استخدام كل منها إنما يتمثل في مبدأ الاقتضاء "ويستتبع هذه المبدأ قانونا يحدد ترابط الأقوال مفاده أن استئناف الكلام لا يكون إلا انطلاقا مما قيل لا مما ضمن فيه وهذا الربط مقيد من جهة أخرى بما في القول من تعليمات وتوجيهات سواء أوقعت هذه التعليمات داخل الجملة (العوامل الحجاجية) أم وقعت بين الجمل (الروابط الحجاجية)"<sup>(1)</sup>، أي أن ظهورها في خرج الخطاب خاضع لقصدية الخطاب المباشر قبل القصدية غير المباشرة، ذلك أنهم يعدونها عناصر بنيوية بالدرجة الأولى.

فالعوامل تظهرها العناصر الصرفية داخل الخطابات، أما الروابط فتربط بين الخطابات فيما بينها، وممن ميزوا هذه التمييز "ديكرو" إذ عد النوع الأول، "ما يربط بين الأقوال من عناصر نحوية

1- المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللغة، ص 371.

مثل أدوات الاستئناف ( الواو، الفاء، لكن، إذن...) ويسميه بروابط حجاجية، وأما النوع الثاني فهو ما يكون داخل القول الواحد من عناصر تدخل على الإسناد مثل الحصر والنفي أو مكونات معجمية تحيل في الغالب إحالة غير مباشرة مثل "منذ" الظرفية وتقريباً وعلى الأقل... إلخ، ويسميه عوامل حجاجية<sup>(1)</sup>، إلا أن التحليل اللساني في مستوى الخطاب يقرن العناصر النحوية بشكل قوي بالوظائف التداولية لها بعيداً عن الاعتبارات البنيوية، ما يجعل التحليل المبني على مجرد الاعتبار البنيوي (نحوياً كان أم صرفياً) لا اعتبار له في مستوى تحليل الخطابات إن لم يقرن بوظائفها في الخطاب.

مع هذا نجد من الدارسين من يجزم بتصنيف بعض الروابط في الروابط النحوية، إذ نجد "الرقبي" يقول: "يمكن أن نشير إلى نوعين من الروابط: الروابط النحوية مثل: الواو والفاء و... والروابط التداولية الحجاجية نحو بل ولكن وحتى..."<sup>2</sup>، حاصراً دور بعض الصور في اللغة العربية (لوحدة معجمية) في الربط النحوي بين أجزاء من الخطابات (ربط بين الجمل)، وذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر، الواو والفاء و... إلخ

ويمكننا أن نقول أنه قد جانب الصواب في طرحه هذا، إذ لا يقتصر دور مثل هذه الروابط على الربط النحوي فالرابط في الخطابات الطبيعية العربية لا يتأتى دون تحميل قصدي سابق لدورها التداولي، أي أنه لا وجود لدور نحوي دون دور تداولي مقصود مسبقاً، وحجتنا في ذلك نسوقها من كلام "الرقبي" ذاته للتقوية -على أن مصنفات علماء اللغة العربية قديماً وحديثاً تعجّ بمثلاتها-، إذ يورد "فالرابط يأخذ معنى روابط أخرى يشاركها في المعنى والوظيفة، لذلك كان السياق التداولي هو المحدد الذي يحدّد لنا المعنى الحقيقي للرابطة"<sup>3</sup>، بهذا ينفي "الرقبي" رأي وجود روابط نحوية دون توجيه دلالي تداولي قصدي سابق لها، ما يجعلها سيان في تحديد دلائلها التداولية الحجاجية.

أما فيما يخص تصنيف العوامل الحجاجية، فكل وحدة معجمية تدخل على الإسناد (البنيّة النواة، والعامل الحجاجي "خلافاً للرابطة الحجاجي، لا يربط بين متغيرات حجاجية (بين

1- المبخوت (شكري): المرجع السابق، ص 376-377.

2- الرقبي: الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، ص 103.

3- المرجع نفسه : ص 108.

حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج...) ولكنه يقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون لقول ما<sup>(1)</sup>، إذ تجمع كوحدة لسانية إلى أدوارها النحوية أدوارا تداولية حجاجية بالدرجة الأولى هي سبب وجودها في اللغات الطبيعية أصلا، إذ لا وجود لوحدة لسانية ما دون قصدية وجودها للتعبير عن حالة قصدية أصلية متكونة في ذهن الإنسان، ولا يقتصر دور العوامل الحجاجية هي الأخرى على الربط النحوي بين أجزاء الجمل، فتحديد دورها لا يتأتى إلا عبر التحميل القصدى السابق لدورها التداولي، أنظر للعامل الحجاجي "حتى"؛ أنظر الخطابات:

- 1- قرأت الكتاب حتى الفهارس.
- 2- قرأت الكتاب حتى الفهارس.
- 3- قرأت الكتاب حتى الفهارس.

حيث يأخذ العامل الحجاجي (حتى) ثلاثة أدوار تداولية متميزة تؤثر في الأدوار التداولية للموضوع الذي يليها موقعا، فقد جاء في (1) بقصدية الغاية، أي إلى الفهارس، مضمنا خطابه تحديد توقفي في القراءة عند الفهارس فلم أقرأها، وفي الخطاب (2) استعملت بقصد الاستئناف، أي حتى الفهارس مقروءة، أما في الخطاب (3) فاستعملت (حتى) بقصد العطف على الكتاب فؤكد بأنني قرأت الفهارس أيضا أثناء قراءتي لباقي أجزاء الكتاب.

فالعامل الحجاجي في هذه المجموعة من الخطابات واحد إلا أن خدمته أو تدليله على القوة الحجاجية في الخطابات اختلفت مؤثرة في أجزاء أخرى من الخطاب تبعا للقصدية الباعثة لاستعماله وفق الموقف أو الواقعة الخطابية والوظيفة الحجاجية الموكلة إليه بيانها، شأنه شأن وحدات الخطاب الأخرى الخاضعة لقصدية الخطاب وأعراف إنجازها، وأن ما يساهم في إدراك التوجيه الحجاجي للحجاج المتضمن في خطاب ما إنما يتأتى عبر رصد "الروابط والعوامل الحجاجية والمقتضيات والمعاني المضمرة التي يتم

1- الرقبي: المرجع السابق : ص 103.

إدراكها بواسطة التحليل السلمي لبنية الجمل ونوع العلاقات الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب، إضافة إلى مقام التخاطب والمعرفة المشتركة للمتخاطبين»<sup>(1)</sup>.

مما توصلنا إليه ندعم تثنين "الناجح" لرأي "قيليون" القاضي بعدم جدوى دعوى التمييز بين العوامل والروابط، فارتباط العوامل والروابط على حدّ سواء بدورها التداولي في إبراز الحمولة القصدية للخطاب الحجاجي، إضافة إلى هذه الحجة ندعم رأينا بحجة أخرى نحسبها أكثر ظهوراً و فاعلية تتمثل في وجود بعض الروابط في اللغات الطبيعية تعمل على ربط الوحدات المعجمية للخطابات (عوامل) بقدر ما تعمل في خطابات أخرى كروابط تربط بين أجزاء الخطاب النحوية، ولنا في اللغة العربية أمثلة عديدة مثال ذلك:

- إن "أبرار" فرحة اليوم، لقد حملت دميته ومشبك شعرها واتجهت نحو عمتها.

- قرأت حتى الهوامش حتى أفهم رأي الأستاذ جيداً.

- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا

فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) ﴿ [المائدة 83]

فالوحدات الخطابية(و)، (حتى)، (من) تقوم بدور العوامل في الموقع الأول من الخطابات، وتقوم بدور الروابط في المواقع الثانية منها، ما يجعلنا نجزم بأن الفصل بينها إنما جاء وليد التعقيد المنهجي لا علاقة له بالتحليل التداولي للخطابات، فالروابط والعوامل إذن هي عبارة عن دلائل حجاجية حالها حال دلائل القوة الإنجازية في الخطابات عامة ولها في الخطابات الحجاجية خصوصية دلالتها على القوة الإنجازية الحجاجية للخطابات لذلك يُقترح مصطلح دلائل القوة الإنجازية الحجاجية بدل التفرع المصطلحي العوامل الحجاجية والروابط الحجاجية، فمهما كان دور العنصر اللساني الدال على القوة الإنجازية الحجاجية يبقى دالاً عليها، إن كان عند ربطه للوحدات أو ربطه للأجزاء التركيبية.

## خلاصة القول:

- إنَّ تفعيل قصدية الخطابات الحجاجية يتمّ عبر تحميل بعض العناصر الخطابية لحالات قصدية حجاجية؛ تخدم الحالة القصدية الباعثة لفعل التحاجج، ما يجعل هذه العناصر مؤطرة من جهة ومظهرة من جهة أخرى لعمل العقل وفق قصدية المتحاجين.
  - وتتوزع هذه العناصر بين روابط وعوامل حجاجية، ترجع طبيعتها إلى الصبغة اللسانية أو غير اللسانية حسب شكل خرج خطابها.
  - ما يوحد بين الروابط و العوامل؛ سمة دلالتها على القوة الإنجازية الحجاجية للخطابات لذا يمكننا عدّها دلائل قوة إنجازية حجاجية في الخطابات الحجاجية.
  - لا تنحصر أشكال العوامل و الروابط الحجاجية في الصرافم أو الوحدات المعجمية في الألسنة الطبيعية بل تتعداها إلى التراكيب أو الأجزاء الخطابية وحتى الإشارات الجسدية لدورها الداعم والموضح لقصدية الخطابات الحجاجية.
- بهذا يترسخ لدينا دور التفعيل القصدى للخطابات الحجاجية مهما كان الغرض منها، الحمل على الإذعان؛ الإقناع أو التعزيز، ولبلوغ ذلك يعمد المتخاطبون إلى اختيار نمط خطابهم وفحواه حسب خلفيتهم القصدية وأعرافهم الاجتماعية، قيمية كانت أو نفعية. هذا ما سيتطرق له المبحث المقبل رامياً إلى إبراز القيمة القصدية لمختلف الخيارات والمنطقات المفعلة للآليات التفاعل الخطابية.

## III – القصدية ولغة الشطط:

إن هذا المبحث يختص بدراسة قسم مهم جدا من أقسام استعمال الخطابات اليومية، القائمة في اللغات الطبيعية على أحوال المتخاطبين ومخزونهم الذهني، في جانبين هامين منه الجانب المعرفي والجانب الأخلاقي، إذ هما المحدد لطبيعة الشطط في الخطابات، فالتخاطب بين التماثل والتفاضل والتماثل والتفاضل والصراع وغيرها من مجالات التفعيل القصدية للخطابات، تشهد وتعد خيارات متعددة لمستعملي الخطابات تتدرج من الصدق إلى الكذب، مروراً بمراتب الغلطة والمغالطة، تتعلق بخيارات مستعملي اللغة حسب الوقائع التواصلية انطلاقاً من كفاءاتهم الموسوعية واللسانية والنفسية والاجتماعية وغيرها، ما يجعلنا في تحليل الخطابات نوسّع دائرة الأحكام بعيداً عن مقياس الصدق/ الكذب ومبدأ النجاح والإخفاق، فقد استقر لنا إمكانية تداخلهما في الفصل السابق، من هذه الرسالة، خضوعاً لمبدأ القصدية في استعمال الخطابات في واقعة خطابية معيّنة.

وإذا كان المبحث السابق حاول تجسيد علاقة القصدية بالخطابات في بعدها المنطقي والقصدية وصبغتها التوجيهية والتفاعلية، مقارنة وتطبيقاً، فهذا المبحث سيتناول بشيء من التحفظ، الأحوال التي يبعد فيها هذا التفاعل عن مرتكزات حقيقية قيمية بالدرجة الأولى، إلى ما دونها من مستويات الشطط.

وحمل المبحث مصطلح "الشطط" في محاولة اجتهادية لجمعه أشكال متباينة من الخطابات، الخطابات الناتجة عن مختلف المعاملات والتعاملات بين أفراد الجماعة اللغوية إذ تحدث أن تشط (تبتعد) هذه الخطابات فتجنح إلى المغلطة أو المغالطة أو الكذب.

إن عملية التخاطب من التعقيد بما يجعلها من أسرار الكائن البشري الذي يرام كشفه، فكثيراً ما يجنح كل منا إلى نسج خطابه ملاءمة لما يضره وما يريد الوصول إليه في آن واحد، وتتباين به المواقف وتتعدد به الخطابات، في تجدها الاستعمالي دائماً، ويؤدي الفرد بالخطابات أفعالاً لا تحصى، في مواقف متباينة تباين أحداث حياته ودقائقها.

ولما كان التأثير في الآخرين هدف كل عملية تخاطبية، فمن المفترض أن توجيه الكلام ينطلق من شروط نظرية وظروف عملية، على أنها تراعي التطابق بين المفهوم والمقصود، ولقاعدة النزاهة ومبدأ التصديق باع في ذلك، إلا أنه يحدث أن ينتهج المتخاطبون سبلاً أخرى، يقول "لوسركل": "فاللغة لا تعمل بهذه الطريقة، إذا كان علينا أن نضفي مسحة من الكمال على الموقف، فلماذا لا نطور قواعد

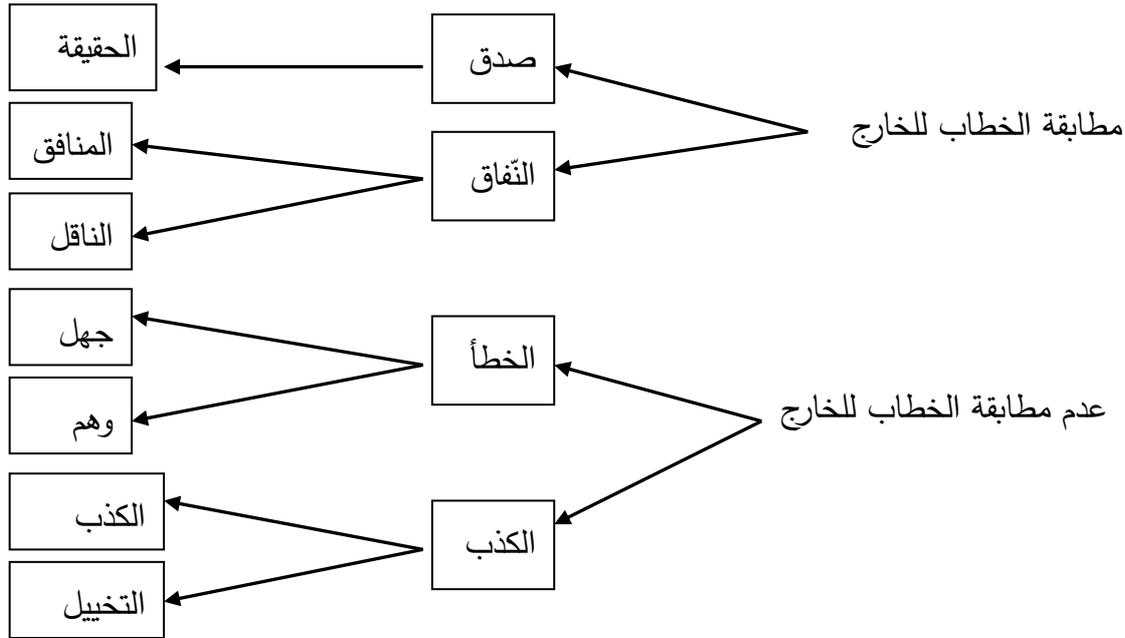
المخاصمة للمشادات الكلامية؟ فقد لا تقول ما في نفسك، أو قد لا تعني ما تقول، قد تكذب، قد تحارب بالناب والمخلب، طالما كانت تلك الأساليب الكلامية تناسب مصلحتك، التي هي في تأكيد موقفك على حساب الخصم، وأن تضعه في موقعه وتضع نفسك في موقعك<sup>(1)</sup> فيصبح سعي المتكلم للظفر والإقناع وحمل الآخر على الإذعان مبعث سلوك المتخاطبين مسالك شتى في إبلاغ وتأويل الخطابات في مواقفها الاستعمالية، فيشطّ إليه عملا على الوصول إلى هدفه من التواصل، فكيف تؤثر القصدية في مثل هذه الموقف الشاطّة عن الحقيقة والنزاهة وصدق تطابق القصديات الأصلية والقصدية المشتقة المنجزة في خرج الخطابات بين الغلط والتغليب والكذب؟ إذ لا ريب أن للقصدية فيها دور، وأن منطق الصدق فيها واه، قد يظهر وهنه في كيفية استعمال خرج خطابه، أو في طريقة بنائه، وفي عمليات القياس والاستدلال المنتهجة لتأويله، إذ "تتم عملية التأويل بنجاح كامل حين يحصل مماثلة بين العناصر الثلاثة التالية: فهم المتلقي، دلالة العبارة (الخطاب)، قصد المتكلم"<sup>(2)</sup>، بالمقابل تلعب عملية بناء الخطابات وفق ما ينسبه المتكلم للمتلقى من قصديات دورا، بدفعه إلى انجاز خطابات أو استخدام حجج بمقدمات يحدث أن يعلم عدم صحتها ويشك في دقتها، أو يعتمد إلى نقل أخبار مزيفة جزئيا أو كليا، فيرسم بذلك عبر خطابه خارجا وفق إستراتيجية تأويلية محددة في إطارها.

إن رسم ذهن المتكلم لخارج الخطاب - الخارج الذهني والخارج الواقعي - عبر خطاب ما إنما يميزه مبدأ المطابقة وإيفاء شروط التحقق، وفق اتجاه المطابقة الخاص بها، واستثمارا لما تضمنته خلاصة القول من المطلب الثالث في المبحث الثاني من الفصل الثالث، تستقر حقيقة ارتباط الخطاب بالخارج الخطابى وفق ما يتصف فيها ذهن المتكلم:

- \* **الصدق:** مطابقة الخطاب للخارج الخطابى مع مطابقته لقصد المتكلم.
- \* **النفاق:** مطابقة الخطاب للخارج الخطابى مع عدم مطابقته لقصد المتكلم.
- \* **الخطأ:** عدم مطابقة الخطاب للخارج الخطابى مع مطابقته لقصد المتكلم.
- \* **الكذب:** عدم مطابقة الخطاب للواقع مع عدم مطابقته لقصد المتكلم.

1- لوسركل: **عنف اللّغة**، ص 434.

2- أيت أوشان (علي): **اللّسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي**، مطبعة النجاح، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1998، ص 148.



وفي الوقت الذي نفترض انتماء أغلب الخطابات للحالة الأولى من الخطابات تفاعلاً وأخذا بالظن الحسن، تنتمي واقعيًا عديد الخطابات اليومية إلى الأحوال الثلاث الأخرى، وفيما يأتي محاولة لتحليل مثل هذه الخطابات بشيء من التحفظ كما سبق الإشارة إلى ذلك لتشعب مثل هذا الموضوع ومجاذبته لكثير من الآراء والدراسات، فما جهدنا هذا إلا محاولة من وجهة نظر أخرى.

### III-1- مطابقة الخطاب للخارج مع عدم مطابقته لقصد المتكلم:

إن الأساس الذي ننطلق منه أن خارج الخطاب في النهاية إما الواقع الملموس أو المخزون الذهني المجرد، والخطاب إنما في إحالته على الواقع يمرّ عبر التصورات الذهنية المتكوّنة حوله، وفقا للخصائص المعرفية والإدراكية للإنسان، حيث «أن عمل المتكلم باللّغة يجعله قائما على نظام مغلق أهل الإنسان عبر التاريخ للتعامل مع الكون الخارجي بحسب خصائص تؤكد جميعا أن إحالتنا على الكون غير مباشرة»<sup>(1)</sup> بإقصائنا لباقي الحالات فإن منطلق "المبخوت" مقبول لما يتعلق الأمر بوجود مرجع مزدوج للخطاب، الأول في المخزون الذهني والآخر في العالم الواقعي وغالبا، مطابقة الخطاب للخارج الواقعي دون الخارج الذهني ينتج عنه حالتين توقعنا في المفارقة والمغالطة.

1- المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللغوية، ص100.

## III-1-1- الحالة الأولى: مغالطة المنافق:

إن الخطابات حال إنجازها تنتزّل في مستوى التخاطب إلى صورة خرج خطابي (صوت، كتابة، إشارة)، حيث للمتكلم فيها اشتغال، يعمل فيها على تجسيد قصدية أصلية إن خبرا أو إنشاء وفق إستراتيجية محدّدة للتخاطب، "لذلك فإن التمييز بين فعل المتكلم والحالة الذهنية والصيغ اللفظية تمييز مهم في بيان تكوّن الأعمال اللغوية ومهمّ بالخصوص في إبراز حركيتها وضروب التعامل معها"<sup>1</sup>، ولا يمكننا التوصل إلى التمييز بين القصدية الأصلية للخطابات وشروط تحقيقها في ذهن المتكلم منشئ الخطاب عندما يقرّر التلاعب بالعلاقة الموجودة بين الخطاب (كصورة خرج) وبين الحالات القصدية المؤطرة له، لينجز أفعالا خطابية ملائمة مباشرة كانت أو غير مباشرة.

إن التلاعب القصدى لمنشئ الخطاب بالعلاقة القائمة بين الخطاب (القصدية المشتقة) والحالة الذهنية لمنشئه (الحالة القصدية الأصلية للخطاب)، ومحض التلاعب، عدم وجود حالة الصدق أو عدم احترام مبدأ الكيف وفق مبادئ "جرايس" التعاونية، فالتلاعب يخلص بالمتكلم إلى إنجاز خطاب يطابق الخارج الواقعي ولا يطابق الخارج الذهني، فيوقع صاحبه في مفارقة النفاق، "ووجه المفارقة أن مضمون الخبر (الخطاب عامة) مطابق للواقع ووصف المنافقين بالكذب يعود إلى أن هذا المضمون غير مطابق لما في اعتقاداتهم"<sup>2</sup>، فيكفي ذلك لأن يشط الخطاب -الحالة القصدية الأصلية للمتكلم- إلى حالة قصدية منشؤها التلاعب والعمل على إخفاء الحالة القصدية الأصلية، عمداً، أي قصداً، ما يجعلنا لا نكدّب الخطاب في هذه الحالة وإنما نكدّب صدق اعتقاد المخاطب به، واستعمال مصطلح الكذب هنا إنما يقع من باب التوسّع في تحميل المصطلح قصدية الاستعمال الشائع فالصحيح أن المنافق يوقع النفاق وليس الكذب؛ أي إظهار حالة قصدية أصلية عبر الخطاب عكس الحالة الأصلية الحقيقية التي يضمها، أو عندما "يقوم شخص ما بالتصريح بشيء

1- المبخوت: المصدر السابق، ص 139.

2- المصدر نفسه: ص 140.

يتناقض مع ما صرح به من قبل، أو في مقام آخر، أو في حالة حدوث تناقض بين ما نقوم به وبين ما نقول بوجوب القيام به<sup>(1)</sup>، بهذا تستوعب مثل هذه الخطابات، نمط التعبيرات عموماً ذلك أن الأصل فيها صدق الخارج الواقعي في الأصل إلا أنها تخضع لمفهوم تطابق الخارج الواقعي مع الخارج الذهني وهي أكثر مجالات التلاعب الذهني للمتكلمين، كما تستوعب من الأنماط الأخرى للخطابات كالتوكيدات حسب شخصية المتكلم وحظوته أو سلطته أو نفوذه، التي تمثل دعائم أداء مغالطة المنافق أداء ناجحاً، وغالباً ما تستخدم فيها المشاعر وتستغل فيها عواطف المتلقي وتستثمر حالها حال نسب حالات قصدية لها والتعامل وفق استراتيجياتها المنتهجة، ومن خطابات هذه المفارقة:

- لست أهلاً لنصي [ إذا قيلت للتهرب من إصابة الناصح ] (أهل النصح) .
- أتمنى نجاحك [ إذا قالها شخص يعرف طموح المتلقي للنجاح ويعمل على عرقته ] (تمنى النجاح) .
- أنت نعم الناس [ يستخدمها من يعمل على استمالة المتلقي عاطفياً لينال منه منافع ] (الخيرية) .

لاحظ أن هذه الأفعال الخطابية، أفعال تؤدي في الحقيقة أغراضاً غير الظاهر من أعمالها، فالأول والثالث فعلاً توكيدات يستخدم أمثالهما بقصديات شتى كالتهرب من مسؤولية أو محاولة جلب منفعة أو درء ضرر أو المحافظة على مكتسبات، كما تعمل مثل هذه الخطابات على تحسين صورة صاحبها في مجتمعه اللساني، وحصول مقبوليته فيه، حتى وإن كان مغالطاً منافقاً أما الخطاب الثاني فقد يستعمل للتصوير أو التجوز في الموقف كما قد يستعمله المنافق للإغابة والسخرية والتشتم.

### III. 1-2- مفارقة الناقل "حكاية الخطاب":

إن حكاية الخطابات، هي نقل شخص ما، لخطاب ما على أنه يبلغ كما قيل، حال تعذر إبلاغ صاحبه له بنفسه، إلا أنه في هذه الحالة يظهر مبدأ الفصل بين الخطاب كخطاب وبين الحالة القصدية الباعثة لمبلغه، فالخطاب ينشأ انطلاقاً من حالة قصدية باعثة لصاحبه، وحكاية الخطاب، فعل خطابي، لكنه لا يحمل الحالة القصدية المطابقة له، و إذا كان تقديم أي فعل كلامي يستند إلى حالة

1- الباهي: المغالطات في الخطاب اليومي مقارنة تداولية، دراسة منشورة ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، ص 409.

قصدية مطابقة له في ذهن منتجه يمثل مبدأ في إنتاج الخطابات إلا أنه يحدث أن "توجد بعض الحالات التي يتم فيها استثناء هذا المبدأ، وبخاصة حيث يفصل المرء بين فعل الكلام ونفسه" (1)، معنى هذا أن لحكاية القول حالة قصدية باعثة للحكاية لا لفعل الفعل الخطابى، فالمخاطب يتصدر إلى إحداث الفعل الخطابى، لكن لا ينطلق من قصدية هو، ولا ينوي التلاعب فيها أو التدليس، إنما هو يقصد إلى نقل حالة قصدية ينسبها لغيره، ويعمل على نقلها بصدق إلا أنه لا يلزم نفسه في جميع الأحوال بالحالة القصدية الأصلية لها، فكثيرا ما ينطلق من مبدأ "ما على الرسول إلا البلاغ"، من ذلك الخطابات:

- من واجبي أن أبلغك: أنك فزت في المسابقة. (ـ الفوز)

- حكم النائب العام، أنت موقوف (ـ النائب العام حكم بالتوقيف)

- إنه يطلب منك أن تسامحه (طلب المسامحة)

- قال رئيس النادي: "أنا مستقيل" (ـ خبر الاستقالة)

ففي مثل هذه الخطابات ينقل المتكلم، خرج خطاب، من إنجاز شخص آخر يختلف عن شخصه، ما يجعله ينقله لهذا الفعل الخطابى مثلا (أنت موقوف) مؤديا الفعل التلفظى (مجموع الأصوات المكونة للفعل الخطابى)، والفعل القضوي (الأمر بوقف المخاطب)، دون أن تكون له السلطة على إنجاز الفعل وفق قوته الإنجازية الأمر، فهب أن من قام بحكاية القول هو محامي المخاطب فالطبيعى أن من يأمر بوقف شخص ما هو النائب العام وليس المحامي، أما المحامي فإنما يقوم بنقل الفعل الخطابى بالقوة الإنجازية الخبر وليس الأمر لأنه يقوم بإعلام موكله بقرار وقفه للتحقيق معه مثلا، وفي الخطاب الثالث ينقل المتكلم طلب صاحب الفعل الخطابى من مخاطبه الصلح، وذلك لكونه وسيط بينهما، ينقل طلب الأول على سبيل إخبار الشخص المتلقي به، ونقل رغبة الصلح له وكون الناقل التزم الأمانة في النقل الحرفى للفعل الخطابى لا تعني أنه أنجزه، إنما يعدّ فقط مبلغا، لمزيد التوضيح أنظر للخطابين:

1- أنا مستقيل.

2- قال رئيس النادي: "أنا مستقيل"

إن الخطاب (1) فعل خطابي تصريحي، إيقاعي، يصبح بموجبه صاحب منصب الرئيس مستقيلاً فعلاً، أما في الخطاب (2)، فيقوم المبلغ بتبليغ إيقاع الرئيس لفعله الإنجازي، وإيفاء شروط الفعل الخطابي المتضمن في الخطاب (1) نقارنها بالمصدق أي تحققها يحدث فعلاً في الواقع باستقالة الرئيس، أي هي تتعلق بالمصادق في حين أن شرط استيفاء صدق الخطاب (2) تكون مفهومية باستقرار خبر استقالة الرئيس في ذهن المتلقي للخطاب بأن المبلغ نقل له قول الرئيس فعله هو، أي تتعلق شروط استيفاء صدق حكاية الخطاب بالمفهوم فإذا صدق الخطاب (1) يكون الرئيس مستقيلاً (فـ"القضية الأصلية قد تكررت ولذلك كانت حاضرة بصورة واضحة، بينما القوة الأصلية في الكلام ليست متكررة وإنما فقط تم التبليغ عنها" (1) فإذا صدق الخطاب (2) يكون الرئيس قد قال : "أنا مستقيل" والتي نقلها المبلغ للمتلقي.

ونكر "سيرل" أحوالاً للمبلغ عند نقله لحكاية الخطابات، حسب درجات التزامه بتكرارها، ولتوضيح ذلك ساق جملة من الخطابات وجاءت كالتالي:

1- قال الشريف الكلمات التالية: "الأستاذ هوارد رجل شريف".

2- قال الشريف "إن الأستاذ هوارد رجل شريف".

3- قال الشريف "الأستاذ هوارد شريف".

4- قال الشريف من قبل، وأقول الآن أيضاً "الأستاذ هوارد رجل شريف".

وحللها على النحو التالي:

- في العبارة (1): "المبلغ ملزم بتكرار فعل المتحدث المنطوق، وغير ملزم بتكرير فعل القضية وفعله المتضمن في الكلام<sup>2</sup>"، أي أن المبلغ حاكاً الأصوات التي نطق بها المتحدث دون نقل المقصود منها أو بها، ولفهم هذه الحالة نمثل لها بمن ينقل عبارة من لغة أخرى، هب أن المتحدث يتكلم لغة أخرى غير لغة المبلغ، فيكرر المبلغ عبارته مستقراً عن قصديتها، طالبا من المخاطب أن يترجمها له أي أن يعلمه بمضمونها القضيوي وقوتها الإنجازية (ماذا أراد المتحدث أن يمرر عبرها).

1- ينظر: سيرل: المصدر السابق: ص 229.

2- المصدر نفسه: ص 234.

- في العبارة (2) المبلغ "ملزم بتكرير فعل القضية الخاص بالمتحدث، وغير ملزم بتكرار فعله المنطوق أو فعله المتضمن في الكلام"<sup>(1)</sup>، إذ يحدث أن يحكي المبلغ المحتوى القضوي للفعل الخطابي دون أن يلتزم بنقل صيغة خرج كما قالها المتحدث، ودون أن يلتزم نقل الفعل الإنجازي له، ونجد مثل هذه الخطابات في حال نقل الخطابات حسب القصد أو المعنى الخالد لها، أو حسب معرفة المبلغ اللسانية على سبيل التوسع، يمكننا التمثيل لهذا النوع من الالتزام بالحكاية، حالات الترجمة الفورية، أو نقل التصريحات والأقوال مع شيء من التصرف (بالتلخيص أو التقليل أو إعادة الصياغة..).

- في العبارة (3) "يلتزم المبلغ بتكرير فعل المتحدث المنطوق وفعل القضية، وغير ملزم بفعله الكلامي (الفعل المتضمن في الكلام)"<sup>(2)</sup>، وفيه يلتزم المبلغ بصورة خرج الخطاب ومحتواه القضوي، إلا أنه ليس عليه الاعتقاد أو مطابقة أصلية مغايرة للحالة الأصلية للخطاب، مثال ذلك الخطاب:  
- قال: "كيف حدث هذا؟"

فحكاية المبلغ لهذا الخطاب لا تلزمه، أن ينجز فعل الطلب المنجز من قبل المتحدث، فقد يكون المبلغ يحكي هذا الفعل الخطابي على سبيل الاستتكار، منكرًا على المتحدث أصلاً فعل الطلب هذا لكونه قد تعدى به قاعدة من قواعد الأعراف الخطابية في الواقعة الخطابية المذكور فيها أصلاً، وقد يكون المبلغ لا يحتاج لهذا الطلب وإنما ينقله تهكماً أو استعاضة أو نقلاً لحال المتحدث الحائرة مثلاً. وتحدث مثل حالات هذه الحكاية للخطابات في حالات خطابات الوسطاء التجاريين، أو الوسطاء في التفاوض، أو حال المنازعات وجلسات الصلح، أو الجوسسة أو نقل الأخبار.

- في العبارة (4): "يلتزم المبلغ بتكرير فعل القضية وفعل المتحدث الكلامي أو المتضمن في الكلام وغير ملزم بالضرورة بتكرار فعله التعبيري أو المنطوق"<sup>(3)</sup>، وتتمثل هذه في الحقيقة، في التزام المبلغ بتكرار الفعل الخطابي مصداقاً له عبر النقل تلك، إذ يحكم على الخطاب بالصدق وينقله على سبيل التأكيد له، أو التأكيد به على قول له ساقه، كأن يستخدم حكاية الخطاب كحجة في عملية التحايج مع غيره، وغالباً ما يكون المتحدث الخطاب

1- سيرل: المصدر السابق: ص 234.

2- المصدر نفسه: ص 234.

3- المصدر نفسه: ص 234.

الأصلي، شخصا ذا حضوة أو سلطة أو قبول لدى المتحاجين لذا يلجؤ إليه المبلِّغ ولقوله لتحاج على نتيجة يريد الانتصار لها وحمل المخاطب على الإذعان لفحواها، من ذلك الخطاب:

- سافر يقول "الشافعي" أن في السفر خمس فوائد،<sup>(1)</sup> تفريح لهم والغنى والعلم والأدب وصحبة الأختيار.

فلجؤ حاكمي القول هنا إلى تبليغ قول "الشافعي" إنَّما جاء لتعزير رأيه في جدوى السفر ومزاياه، أثناء محاولته إقناع مخاطبه بذلك.

ولأن ذكر "سيرل" هذه الحالات على وجه التعميد فإنَّه لم يفته الإشارة إلى إمكانية وجود حالات «يكون المبلِّغ ملتزما فيها بتكرار الأنواع الثلاثة، أي أفعال النطق وأفعال القضايا والأفعال المتضمنة في الكلام»<sup>(2)</sup>، وهي الحكاية التصديقية التي يهدف بها المتكلم استثمار الحالة القصدية الأصلية للفعل الخطابى لأنها تخدم مصالح خاصة له بنفس الوقت، ومنها الخطابات:

- كما يقول أبي: "العافية ديما والبلا ساعات". ( دارجة قسنطينية: العافية دائما والبلاء يقع أحيانا).

- كما تقول أمي: "اللهم إني أعود بك من نار جهنم وما قرَّب إليها من قول وعمل".

فالأول: خطاب مفاده إظهار حالة قصدية الحث على الحذر، أما الثاني فيوقع فعلا تقريريا يوقع القوة الإنجازية الدعاء، وكلا الخطابين ينجزهما المبلِّغ وهو يلزم نفسه بأداء الأفعال الخطابية فيهما كاملتا كما لو أن صاحبهما الفعلي هو من يقوم بذلك، بهذا يستثمر المبلِّغ خطابا من مخزونه و فرص خطابه معبرا عن حالة قصدية أصلية خاصة به هو نفسه.

1- الشافعي: أبو عبد الله بن إدريس، إمام الشافعية الأول، (150هـ / 204هـ).

ويقول: تغرب عن الأوطان في طلب العلا ❁ وسافر ففي الأسفار خمس فوائد.

تَفَرُّجُ هم، واكتساب معيشة ❁ وعلم، وآداب، وصحبة ماجد.

الشافعي: ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، ص 61.

2- سيرل: القصدية، ص 234-235.

بهذا يستقر لنا إمكانية امتلاك صاحب مفارقة حكاية الخطاب للحالة القصدية الأصلية لصاحب الخطاب (المنجز الأصلي له)، أما عظم المفارقة في بيان الحالة القصدية للمتحدث والمبلغ معا حال خطاب حكاية القول فتظهر في حال الخطاب التالي:

- إنها تقول: "أنا لم أقل شيئا".

فحكاية هذا الخطاب في كل الأحوال المذكورة سالفا تجعلنا في مواجهة مفارقة حكاية الخطاب، فالفعل القضوي له يحمل إنكار القول بينما تؤكد الحكاية وقوع الإنجاز الخطابى بأي شكل من الأشكال سواء من المبلغ أو من المتحدث حسب الحالة التي نفترضها ونقوم بتحليلها، معنى هذا أن للحالة القصدية الخاصة في كل حالة دخل في تحديد أو تعديد قصدية هذا الخطاب بالذات خطاب حكاية الخطاب بصفة عامة.

### III -2- عدم مطابقة الخطاب للخارج مع مطابقته لقصد المتكلم:

ينطلق المتخاطبون في إنجاز خطاباتهم من حقيقة أن عملية الإنجاز هذه عملية تداولية خاضعة لأطر إنجازها ومقتضياتها، فينجزون بذلك خطابات بناء على ما في أذهانهم من قصدية تواصلية، إلا انه يحدث أن يصطدم المتكلم بمتلق ينفي وينكر عليه مضمون خطابه، رغم أن المتكلم يعتقد صدقه، أي أن الخارج الذهني لخطابه مطابق لقصدية خطابه، فإذا أثبت المنكر عدم مطابقة الخارج الواقعي للخارج الذهني إنما ينبه المتكلم إلى عدم مطابقة الخارج الواقعي للخارج الذهني عنده، إذ من المفترض أن كل إنسان إنما يمر في إحالته على الواقع عبر التصورات الذهنية القصدية التي كوّنّها عنه من قبل.

إذا عدم مطابقة الخارج الواقعي للخارج الذهني تتمثل في وجود تصورات خاصة بتصديقات لا تصدق عليها، ومطابقة الخطاب للخارج الذهني دون الخارج الواقعي تجعلنا أمام مفارقتين منشئهما إما الغلط المنطقي أو الغلط الاعتقادي، فيضعنا الأول أمام مفارقة الجاهل، أما الثاني فيضعنا أمام مفارقة الواهم، وسيتطرق المطلب الموالي للحالة الأولى منها على أن يتناول المطلب الذي يليه الحالة الأخرى.

## III -2-1- مفارقة الجاهل:

تنطلق هذه المفارقة من كون الجاهل، إنّما ينطلق من حكم له على الأشياء، "فإذا كان الصدق مطابقة الخبر (الخطاب) للواقع فلأن هذه المطابقة جزء من سلسلة المقتضيات التي تجعل المتكلم المخبر يوقع حكما بالإيجاب أو السلب يملك عليه اليقينة والدليل من تصوّر قائم في ذهنه أو من مشاهدة له في الخارج العياني"<sup>(1)</sup>، فينطلق من خلفية قصدية له ذلك الموضوع حتى يتكوّن حوله لديه تصور ما سواء كان تصورا تصديقيا أو مفهوميا.

غير أن هذه المعرفة أو هذا التصور قد يجانب الحقيقة المنطقية للأشياء، وغنما يعد صاحبه جاهلا إذا لم يعتمد التدايس أو التلبيس من منطلق الخداع الأخلاقي، بل غلب على معرفته ما ظهر في خرج خطابه، ومثل هذه الحالة تصحّح بإظهار الخطأ للمخطئ يقول "المبخوت": "تتصل هذه المفارقة بما يعرف في متون البلاغة بالإسناد وتقسيمه إلى حقيقة عقلية ومجاز عقلي"<sup>(2)</sup>، إذ هي أحوال منجزي الخطابات في اللغات الطبيعية، فنجد "القزويني (ت 739هـ)" يعرف الحقيقة العقلية في الخطابات الطبيعية بقوله: "أما الحقيقة فهي إسناد الفعل، أو معناه، إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، والمراد بمعنى الفعل نحو المصدر واسم الفاعل"<sup>(3)</sup>، فصياغة الخطاب الطبيعي على مبدأ الإسناد العقلي الحقيقي يرجعه المتخاطبون إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، أي في الواقع، مما يطابق اعتقاده كصاحب للخطاب أو غير مطابق.

وقد ذكرنا من قبل أن كل من مفارقتي المنافق و مبلغ القول تتصلان أيضا بمقتضى علاقة الإسناد الخطابي إلى خارجين الأول خارجي والثاني ذهني، أما ما يتصل بمفارقة الجاهل، فإن الخارج الذي لا يطابقه الخطاب إنّما هو الخارج الظاهر الواقعي دون الخارج الظاهر الذهني، ما ينطبق مع الحالة الثالثة التي قال بها "القزويني": "ما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل "شفى الطبيب المريض" معتقدا شفاء المريض من الطبيب"<sup>(4)</sup> فالمتكلم بقوله هذا إنّما ينسب شفاء المريض إلى الطبيب

1- المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 109.

2- المصدر نفسه، ص 109.

3- القزويني: (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الملقب بـ: الخطيب): الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص 31-32.

4- المصدر نفسه، ص 32.

المعالج إلا أن الشافي هو الله، ما يجعل المتكلم جاهلاً لحقيقة عقدية واقعية مفادها أن الشفاء إنّما يكون من الله عز وجل.

فيستقر الفرق بين قول الجاهل وقول الكاذب؛ في أن الأول إنّما ينجز خطاباً غير مطابق للخارج الواقعي إلا أن منجزه يعتقد صدق قصدية خطابه مما يغلب على عقله من الإدراكات، ويقول مصداقاً لكونه صادقاً، على سبيل الظن لا على سبيل التعليل، أو التدليس والتلبيس، "وإذا قلبنا الأمور على وجوهها وجدنا هذه الظاهرة، أي مطابقة الاعتقاد دون مطابقة الواقع بسبب ما يكون بين الفعل وما يلبسه، منتشرة في اللغة انتشاراً"<sup>(1)</sup>، أخذاً بالتوسع والمجاورة في عناصر الخطابات أمثلة ذلك من الخطابات اليومية:

- بنى "أحمد" داراً.

فالحقيقة في الوقع أن أحمد ليس بناء أو عاملاً بالبناء حتى يبني الدار وإنما من قام ببنائها هم البناءون أو العملة، إلا أن أحمد هو صاحب الدار المبنية فنحن تجوّزاً نقول أن أحمد بنى الدار، لما للعمال من نياية عن أحمد في عملية بناء الدار، وهذا من باب ملايسة بناء أحمد للدار كسبب لبناء العمال للدار كفعل. وعلى كثرة مثل هذه الخطابات وانتشارها في اللغات الطبيعية، نذكر وجود حالات آخر لخطابات الجاهل منها جهله بحقيقة الأمور أصلاً فيعمل على وزنها حسب ما يتصوره هو أو ما يتوهمه وذلك ما سنفرد له المطلب الموالي، أما قبل ذلك فسنعتمد إلى مجال آخر، من مجالات خطابات الجاهل، فيما يتعلق بصياغته للخطاب في حدّ ذاته، وذلك ما يوقعه في الغلط أيضاً، فإذا كان الجاهل في خطاب (بنى أحمد داراً) يلبس فعل أحمد بفعل العمال، فالجاهل بصياغة الخطاب، إنما يلبس قصدية مفردة أو عنصر لساني معيّن بقصدية عنصر لساني آخر، فيكون الخطأ في تحيز العناصر اللسانية المظهرة لقصدية الخطاب بدل الخطأ في فعل الإسناد بينها، فمن "الشائع عندما يتكلم الناس أن يخطئوا في العثور على المفردة التي يريدونها في معجمهم الذهني، حيث أن الكلمة كوحدة لغوية أو مفردة معجمية (LEMMA) من الممكن على سبيل المثال أن تستدعي مفاهيم دلالية مختلفة"<sup>(2)</sup> فالمتكلم بوصوله إلى مرحلة الصياغة يقوم بالبحث في مخزونه الذهني على المفردات الأكثر ملاءمة لحالته

1- المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 111.

2- سكوفل: علم اللغة النفسي، ص 186.

القصدية المراد التدليل عنها بخرج الخطاب قيد الإنجاز فينتقي منها وفق المعايير والتقارير القصدية التي أنشأها حول الحالة القصدية ويريد تفعيلها بالقصد المصاحب أن نطق بخرج الخطاب، ولذاكرته ونشاطها وحالتها العملية دور في ذلك، إذ كثير ما نقول "فلان خانته الكلمات" والكلمات لا تخون، بل قدراته الذهنية واستدعاؤه لمخزونه الذهني لحظة ذاك من يحدد الكلمات المنتقاة دون غيرها، حتى تظهر في خرج الخطاب، يقول "سكوفل": "هناك ثلاثة أنواع رئيسية من اختيار المفردات الخاطئة: التعويض (Substitution)، المزج (Blend)، الإبدال (Exchange)، وفي جميع هذه الحالات يتم تفعيل مفردة معجمية غير مستهدفة أو غير مقصودة مما يؤدي إلى إنتاج مفردة غير صحيحة"<sup>(1)</sup>، حيث يتم بالتعويض بين الوحدات اللسانية ذات الصلة في معناها الخالد كمفردة معجمية، أما المزج فتتسبب فيه تداخل التقارير القصدية لعدد من الحواس في اللحظة التي يتم فيها إنجاز الخطاب، خاصة في مرحلة إنتاج الكلام أما الإبدال فينتج عن تداخل عمليات الإدراك فتستدعي مفردة ما مجموعة من المفردات المرتبطة بها دلاليا مما يوجه المتكلم إلى اختيار مفردة ما دون أخرى، من ذلك نجد في الخطابات اليومية:

1- أعطيني جوز ولوز وفسق، ( أقصد كاوكاو (فول سوداني)).

2- إنني أوصلت الملف للمكتب، أسأل عنه عمر (محمد). / حيث عمر صديق المتخاطبين دخل للتو عليهما لحظة نطق المتكلم للخطاب فذكر اسمه استبشارا و ترحيبا مازجا له مع اسم الموظف.

3- سقط غصن من السقف على الشجرة.

فالخطاب الأول قامت بإنجازه سيدة تخاطب بأع مكسرات، إلا أنها أخطأت في اسم النوع الثالث من المكسرات الذي تريده لغلبة العادة أن يقترن اسم الجوز واللوز بالفسق في الحلويات الشامية في حين أنها تريد الفول السوداني وهو نوع آخر من المكسرات، أما الخطاب الثاني فسبب الخطأ فيه التباس قصدية العنصر اللساني (محمد) بمفردة أخرى استحضرها مقام التحدث وحال المتكلم لحظة الإنجاز الفعلي أي أثناء تطبيق القصد المصاحبة الموقعة لقصدية الخطاب على سبيل المزج الفعلي، أما الخطاب الثالث فيظهر فيه ارتباط مفاهيم السقوط والغصن والشجرة والسقف إلا أن إبدال (السقف) مكان (الشجرة) و(الشجرة) مكان (السقف) في خرج الخطاب هو ما جعل قصدية الخطاب لا تطابق الخارج

1 - سكوفل: المصدر السابق: ص186.

الواقعي للخطاب في حين أن المتكلم يعتقد أنه جاء بالخطاب على الشكل الذي يمثل حالته القصدية الأصلية.

بهذا تجعلنا مفارقة الجاهل نأخذ في الاعتبار الفاعلية التخاطبية لمثل هذه الخطابات بعيدا عن خارجها الواقعي، إذ أن الوظائف التخاطبية أساس للعملية التخاطبية وعمل المتخاطبين على إتمامها بشكل ناجح إنما هو من باب التعاون حال التخاطب وهذا ما أكد عليه "جرايس" وكذا التفاعل الإيجابي معها على محمل الملاءمة التأويلية يجعل في كثير من الأحوال الخطأ في الخطابات اليومية أمرا متجاوزا ويمكن تلافيه، والمرور بالعملية التخاطبية إلى مزيد التفاعل والفاعلية تغليباً لمبادئ التخاطب الفعال وحسن الظن والتعاون.

### III -2-2- مفارقة الواهم:

إذا كان منطلق المفارقات والمغالطات، تداوليا بالدرجة الأولى، فإن للإحالة وأحوال بنائها الدور الرئيسي في بيان تلك العلاقة، فالإحالة في السمة الرابطة بين الذهن والواقع في الخطابات الطبيعية، وفي حال الواهم يكون منشؤ الإحالة خاصا في خطابه إحالة بنائية صرفة، على متلقي الخطاب استيعابها في أطرها، ويعمل الواهم على إنجاز خطابه وفق مخزونه الذهني الخاص، أي أن خطابه يطابق الخارج الذهني له في حين غالبا ما لا يطابق الخارج الواقعي له لأن إحالته ذاتية بعدت عن صبغتها التداولية في الخارج الواقعي، ويمكننا في اللغات الطبيعية التمييز بين نوعين من الخطابات الواهمة، الأولى ذاتية خاصة جدا ومنشأها الحالة النفسية الخاصة لفرد ما، أما الأخرى فيمكن أن تتعدى الفرد الواحد إلى جماعة لغوية، إذا ما سيطرت عليهم فكرة أو اعتقاد أو موقف إيديولوجي ما، وهذا النوع أكثر تأثيرا في الوقائع الخطابية في الخطابات الطبيعية وللخطابات السياسية منه قسم كبير، يقول "محمد محمد داود" عن دور مثل هذه الخطابات في الحقيقة، في دراسة قدّمتها حول اللّغة العسكرية التي سادت أيام حرب العراق (2003-04/03) إذ يتحدث عن خطاباتها ورموزها اللّسانية قائلا: "وبتأمل هذه الرموز (تحرير - دمار - ديكتاتورية) ومالها من رصيد في عقولنا ونفوسنا يمكن الوقوف على الأثر الخطير لها، فالتحرير رمز لغوي فيه ترغيب في الأمل القادم مع التعطش الشديد إلى الحرية لدى شعب ظل يعاني من القهر والاستبداد عشرات السنين، ومن جانب آخر فإن ظهور أمريكا في ثوب المدافع عن الحرية أمر له أثره

على جماهير الشعوب التي ترفض هذه الحرب<sup>(1)</sup>، فوظفت الخطابات توظيفاً إيديولوجياً وفق اعتقاد وتوجه خاصين بأحد أطراف الصراع في مواجهة الطرف الآخر، طلب للإقناع والإذعان تبعاً لأفكار وتوجهات مسيطرة، فتعمل بذلك على تحضير المتلقي عقلياً ونفسياً لقبول ذلك الوهم على أنه حقيقة ماثلة لا جدال فيها ويعزز عمل مثل هذه الخطابات قدرات المتكلم التداولية التي يعمل بموجبها على استثارة المشاعر وتوجيه عقول المستمعين،<sup>(2)</sup> وهكذا يمكن عن طريق اللغة تشكل الأزمنة والحدث على الوجه المطلوب مع انتقاء الكلمات والتعبيرات التي تحظى برصيد وافر في عقول الجنود والجماهير<sup>(2)</sup> ويتصرف المتكلم في عملية انتقاء عناصر الخطاب وفق الحالات القصدية المتكونة لديه ويود أن يمررها للجمهور عامة (مؤيد ومعارض)، وكذا جنوده الذين يرمي إلى شحنهم بالحالات القصدية اللازمة لبعث روح القتال والدفاع عن أفكاره ومعتقداته.

أنظر للخطابات التي يستخدمها كلا الطرفين، ففي الوقت الذي يدعو الأمريكيون جنودهم بـ "الأبطال" و "المغاوير" شاع على لسان "الصحاف" - وزير الإعلام العراقي - تسميتهم بـ "الأوغاد" و "العلوج" و "المرتزقة" إذ اختلاف عناصر الخطابات في مثل هذه الخطابات حول شيء ماصدقي واقعي واحد (الجنود الأمريكيون) إنما جاء تبعاً لقصدية كل طرف وتصديقه بها وفق معتقداته وأفكاره وتوجهاته النسبية و المختلفة من جماعة إلى أخرى ما يجعل الخطابات الواهمة خاضعة لقدرات المتكلم التداولية في نقل حالة الوهم لمتلقي خطابه فإذا نجح في ذلك فإنه يمرر معتقداته ويقنع غيره بها للإذعان له، فيظهر بذلك دور الخطاب في خدمة القضايا والأحداث والحالات القصدية الباعثة له، فـ "إن اللغة على لسان الإعلامي لا تقل خطورة عن السلاح في يد العسكري، ألم يبعث "الصحاف" الأمل في 100 مليون عربي على الأقل، بأن "الأوغاد" الأمريكيين قد سقطوا في مستنقع حرب المدن والشوارع، وأن "العلوج" الأمريكيان الجبناء والطراير الأمريكيان ينتحرون على أسوار بغداد (المعنوية)"<sup>(3)</sup>، وقد رأينا ونرى يوماً مثل هذه الخطابات الفاعلة في عقول الناس فعل السحر، منها ما يقنع الأشخاص بالأمور

1- داود (محمد محمد): حرب الكلمات في الغزو الأمريكي للعراق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، مصر، ط 1، 2003م، ص 11.

2- المرجع نفسه: ص 11.

3- المرجع نفسه: ص 8.

الإيجابية شاحنا عزيمتهم ومفعلاً إرادتهم، إلا أن أكثرها يعمل على هدم قيم أو أفكار جماعة ما، ما يجعلها أسهل للاختراق والتفكيك ثم القود.

إذا للخطابات اللغوية أعظم الأثر إذا ما أحسن اختيارها وفق توجه ما للإقناع باعتقاد ما، خاصة من أجل كسب مؤيدين حال الصراعات والحروب، ف”نجاح لغة الحرب النفسية يعتمد -أيضاً- على مدى التوفيق واستثارة الرموز اللغوية القادرة على إثارة الجماهير والقوات نحو الهدف المقصود: مقاومة، صمود، استسلام، انهيار.. إلخ“<sup>(1)</sup>، وكل طرف إنما يعتقد ويدافع عن إعتاده مفعلاً قدراته في ذلك حتى لو كان مخطئ فيكفيه أنه هو مقتنع ومصداق بتلك القضية ليستثمر قدراته للدفاع عنها والعمل على إذعان لها، وهذا ما يجعله واهماً، لا صادقاً ولا كاذباً. أما حال الكاذب فهو ما سيتناولها المطلب الموالي.

### III-3- عدم مطابقة قصدية الخطاب للخارج مع عدم مطابقته لقصد المتكلم:

حدّدنا فيما سبق نسبة قصدية الخطاب إلى خارجين خارج واقعي ما صدقي، وخارج ذهني مفهومي، ولمطابقة قصدية الخطاب لكليهما الأثر الأول في الحكم على الخطاب بالصدق والنجاح، ومطابقة قصدية الخطاب للخارج الواقعي دون الخارج الذهني يعطي الخطاب صبغة السلبية القيميّة أي النفاق، وعند انتفاء تطابق الخطاب مع الخارجين حكمنا على الخطاب بالكذب.

إنّنا هنا بصدّد تحليل حالتين الأولى الكذب في الخطابات الحقيقية أي الحاصلة من الحقيقة العقلية الواقعية (المتجسّدة واقعيًا)، والأخرى الخطابات الناتجة عن المجاز والتخييل الخطابيين.

### III-3-1- الخطابات الكاذبة قيّمياً:

إن الحكم بكذب خطاب ما، نرجعه أساساً إلى عدم مطابقة قصدية الخطابات للخارج الواقعي والخارج الذهني، واستيفاء شروط صدق الحالة القصدية لخطاب ما، إنما تحصل باستيفاء شروط صدق الحالة القصدية الأصلية له، وهنا نجد أنفسنا أمام قضيتين: الأولى هي ماالشروط المنطقية لاستيفاء

1- داود (محمد محمد): المرجع السابق: ص 10.

شروط صدق حالة قصدية ما؟، والأخرى هل استيفاء شروط الصدق متعلقة فقط بالخبر دون الإنشاء أم أن الخطابات كلها تخضع لمعيار الصدق والكذب؟.

- **القضية الأولى:** الشروط المنطقية لاستيفاء شروط صدق الحالة القصدية الباعثة للخطاب ما. لاستيضاح هذه القضية نعود لكلام "سيبويه" الذي أوردناه في الفصل الأول من هذه الرسالة (1)، حيث قسم كلام العرب إلى مستقيم ومحال وكذب وقبيح، وجعل معياره ذلك مطابقة الكلام لقصدية منشئة، وما يستتبعه من مفاهيم حول المعقولات في الحقيقة، وحكم بأن الكذب منه نوعان: مستقيم كذب، ومحال كذب فالمستقيم الكذب ما يصح لفظاً لا يفسد بعض عناصر خرجه قصدية البعض الآخر مع ذلك فهو يحمل قصدية كاذبة كذبا منطقياً، مثال ذلك الخطابات:

- حملت الجبل.

- شربت كل ماء البحر.

ومثل هذه الخطابات في الوقائع الخطابية في الحياة اليومية كاذبة إذ قصد بها المتكلم قصدية الخطاب على حقيقتها (معنى عناصرها الخالد)، فمنطقياً لا يمكن حمل الإنسان للجبل، أو شرب كل ماء البحر، ما يجعل مثل هذه الخطابات كذبا.

أما المحال الكذب، فما حمل من الخطابات كذبا منطقياً وضرب بعض عناصره البعض الآخر من ذلك الخطابات:

- أتيتك غدا. ← إذا قصد بها الإخبار لا الوعد.

- سوف أشرب ماء البحر العام الماضي.

ومثل هذه الخطابات في الحياة اليومية ينفي كذبها، قصدية استعمال المتكلم لها بقصدية المجاز لا الحقيقة، فإذا استُخدمت لقصدية الحقيقة ظهرت حقيقة كذبها دون شك، فما حمل من الخطابات كذبا منطقياً أو الاستحالة المنطقية لقصدية الخطاب كان كذبا لا محالة لما يحمل قصدية لا تصدق شروط استيفاء منشئها أبداً مع علمه بذلك، والمعاش أن قسماً كبيراً من الخطابات الكاذبة لا يكون مصدر الكذب فيه منطقياً مقصوداً به المفارقة، فما مرد الكذب فيها إذا؟

1- ينظر: الفصل الأول، المبحث الثالث من هذا البحث.

إن الخطابات الكاذبة على تعددها تعود في كذبها إلى الحكم على اعتقاد صاحبها، فلا يتصور الحكم على خطاب صادق منطقياً بالكذب إلا إذا كان صاحبه يتلاعب بالحالة القصدية الأصلية له، تلاعباً يهدف إلى إخفائها، إدارة منه للواقعة التخاطبية وفق أسباب واستراتيجيات ومنافع يضمورها في مخزونه الذهني ويتصرف تبعاً لتقديره لها، ويظهر هذا في مواقف ووقائع متعددة داخل الجماعة اللغوية، تخاطب، إشهار، إعلان، تحاور، تحاجج، تنازع، تفاوض، تملص... .

ويتفق خطاب الجاهل والواهم مع خطاب الكذاب في عدم مطابقتها للخارج الواقعي المتعلق به إلا أن الجاهل والواهم لا يعتمد عدم المطابقة هذه، أي لا يقصد أصلاً التلاعب في إظهار غير ما يضمرة من حالة قصدية أصلية، في حين أن الكذب يخرق قاعدة من قواعد التخاطب خاصة وقواعد القيم الإنسانية عامة تتمثل في قيمة الصدق، ذلك أن القيم لها "مفهومها مجرداً ضمناً، غالباً يعبر عن الفضل أو الامتياز، أو درجة الفضل الذي يرتبط بالأشخاص أو الأشياء أو المعاني أو أوجه النشاط" (1)، ما يجعل القيم القاسم المشترك بين الأفراد والجماعات لقبول تصرف أو عمل ما أو رفضه، لذا عدت قيمة الصدق في عمليات التخاطب من معايير الفصل بين الخطابات للحكم عليها بالقبول والرفض، ثم الحكم على صاحبها بحسن الصحبة أو العزل، ومن ذلك الصدق في مجال التفاوض؛ إذ يعدّ من دعائمه الأساسية، ف"من المعلوم أن عدم التزام المفاوض بقيم محددة متفق على صلاحيتها في المجتمع والحياة يفقد الثقة فيه، ويصبح موضع شك في كلامه، وما يعدّ به الطرف الآخر" (2)، ما قد يجرّ المتخاطبين معه أو أطراف التفاوض إلى تكذيبه ورفض كلامه والطعن في صحته نظراً لتلاعبه بميزان قيمه الجماعية معهم، فالكذب أو التكذيب بهذا يصبح حكماً في الاستعمال راجع إلى مخالفة المتكلم لاعتقاده ووقوف المخاطب على هذه المخالفة بما استجمع من المعلومات والمعارف والمقارنات استناداً إلى دلائل وقدرات تداولية تتيح له ذلك، يقول "المبخوت": "حل المفارقة عندنا يعود إلى أن الكلام مبني على الصدق أما الكذب فعارض، إذ تقضي قواعد الاستعمال أن المتكلم صادق إلى أن يثبت خلاف ذلك" (3)، فحبذا لو كان للناس طريقة أو معياراً سهلاً لتحديد الكذب أو انتفاء قيمة صدق في الخطابات اليومية حتى تصطلح

1- إبراهيم إسماعيل (نبية): البعد النفسي للتفاوض، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ط1، 2007، ص 92.

2- المرجع نفسه، ص 97.

3- المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 109.

تعاملاتهم نسبياً، وحبذا لو كان هناك دليل واضح على ذلك على غرار "أنف بينوكيو"<sup>(1)</sup>، إلا أن الأمر أعقد من ذلك بكثير.

ومع احتكام حكم الصدق والكذب للملابسات التداولية في لوائح الخطابية نجد من الخطابات ما يظهر كذب صاحبها وتضاربها انطلاقاً من طريقة انتقاء عناصرها المكونة، مثال ذلك الخطابان الصادران على لسان أخوة سيدنا "يوسف" إذ قالوا:

- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ (17)﴾ [يوسف 17].

- ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ (81) وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (82)﴾ [يوسف 82].

1- ولو كنا صادقين.

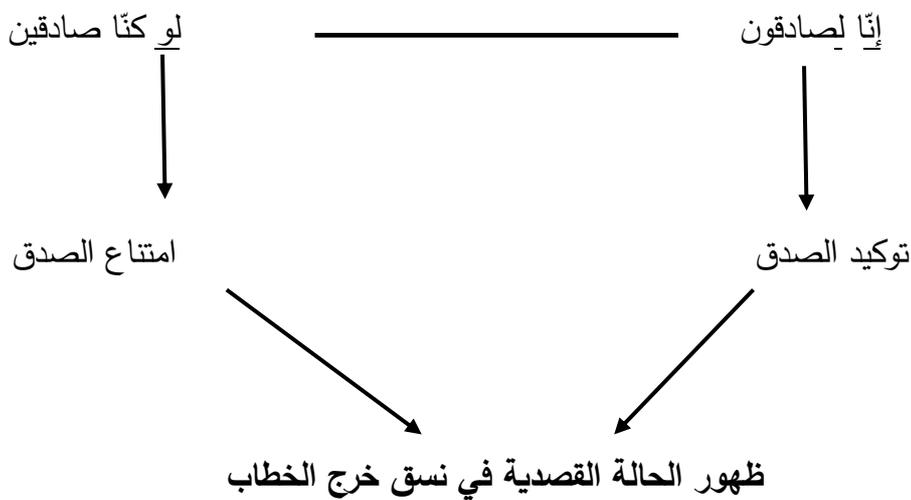
2- وإنا لصادقون.

لقد حكم سيدنا "يعقوب" على خطاب أبنائه الأول بالكذب، لما غلب على علمه من أمرهم، فقد جاؤوا بالحجة التي خافها وحذرهم منها (الذئب)، ما يومئ بأنهم اتخذوها ذريعة فقط على سبيل الحجة الظاهرة الحاضرة، وما عزز حكمه هذا، مناقضة حجتهم لأفعالهم فهم لما أتوا بالقميص ملطخا بالدم لم يكن ممزقا أبداً، ما جعله يستنتج أن ابنه "يوسف" لم يفترس بل أمر آخر والله المستعان؛ جاء في تفسيرها: "...ليس مصدقا لنا على كل حال حتى في حالة الصدق، لما غلب عليك من تهمتنا وكراھتنا في "يوسف"، وإنا نرتاد له الغوائل، ونكيد له المكائد وأوهموا بقولهم: ولو كنا صادقين أنهم صادقون في أكل الذئب "يوسف"، فيكون صدقهم مقيدا بهذه النازلة، أو من أهل الصدق والثقة عند "يعقوب" قبل هذه النازلة، لشدة محبتك لـ "يوسف"، فكيف وأنت سيء الظن بنا في هذه النازلة غير واثق بقولنا فيه"<sup>(2)</sup>، فتناقض كلامهم مع فعلهم وضرب بعضه بعضاً يؤكد كذبهم في قصة الذئب، أما خطابهم

1- بينوكيو: شخصية تخيلية شهيرة في الأدب العالمي، تميزت بأنف بارز، يزيد طول أنفه في حالة إنجازها لخطاب كاذب أمام مخاطبه. كتب الروائي الإيطالي كارلو كولودي (لورينزيني) قصته سنة 1880، ترجمت لعدد من لغات العالم منها اللغة العربية، كما حوّلت إلى أفلام. للإستزادة أنظر: كولودي (كارل): مغامرات بينوكيو، المركز القومي للترجمة، طبع مصر للطيران، القاهرة، مصر، ط2، 2009.

2- أبي حيان الأندلسي الغرناطي (أثير الدين محمد بن يوسف): تفسير البحر المحيط، حقق أصوله وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج5، ص 376.

الثاني (وإننا لصادقون) فقد نبع من صدقهم في الحادثة الثانية وأن ما حصل لأخيهم "بنيامين" كان فوق طاقتهم وبعيدا عن تدبيرهم، إلا أن اتهامهم فيه بالكذب وارد أيضا على سبيل التآمر وإلا كيف عرف عزيز مصر أن السارق في دين "أبناء يعقوب" يُرَقُّ لو لم يخبروه هم أنفسهم مع هذا نجد في خطابهم ما يبرز الحالة القصدية الأصلية لهم في الموقفين فالأول لما كانوا عارفين بأنهم يكذبون على أبيهم وتتنفي عليهم سمة الصدق جاء خطابهم مصدر بـ (لو) كعنصر موجب لترابط عناصر الخطاب كونها هنا "شرطية" وهي في هذا الموضع لبيان تحقق ما يفيد الكلام السابق من الحكم الموجب أو المنفي على كل حال مفروض من أحوال المقارنة له على الإجمال بإدخالها على أبعدها منه وأشدها منافاة له ليظهر بثبوتها أو انتقائه معه ثبوته أو انتقائه مع غيره من الأحوال بطريق الأولوية ولا يذكر معه شيء من سائر الأحوال المغيرة لها عند تعددها، وكنا كان واسمها وصادقين خبرها" (1)، وقد ظهر كذب أصحاب الخطاب في أجزاء ومقابلتها بالوقائع، فحرف الشرط (لو) حرف امتناع لامتناع، فلما كانوا يدركون كذب خطابهم، أرادوا تثبيت حجة صدقهم بأن أباهم لا يصدقهم أبدا، مهما كان حالهم ولو كانوا صادقين؛ فأوجبوا بذلك عدم تصديقه لهم وهم كاذبون وذلك أولى وأوجه، فنفيهم لتصديقهم منه في حال صدقهم يؤكد عدم تصديقه لهم وهم كاذبون، ما يستنتج منه أنه لن يصدقهم في حالهم هذه وما يؤكد غلبة حالتهم القصدية على خرج خطابهم، أنهم في الحالة الثانية كانوا صادقين لذلك جاء خطابهم بحرف التوكيد (إن) بدل حرف الشرط الموجب للامتناع للإمتناع ليؤكدوا صدقهم، وهو حالهم في هذه المرة:



1- الدرويش (محي الدين): إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ودار ابن كثير بيروت، لبنان، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سورية، ط3، 1992، م4، ص 462.

إلا أن مثل هذه الحالة لا تكون ولا تظهر غالبا إلا في خطابات الناس الذين يغلب على طبيعتهم الصدق والتزام القيم، فإذا حدث وكذبوا ظهر حالهم الباطن الصادق في الخطاب، وهو ما حصل لإخوة سيدنا "يوسف" فهم أنبياء وصادقون في طبيعتهم إلا أن خطأهم وزلتهم هذه كانت حسب ما يذكر لسوء تقديرهم وغيرتهم من جهة، وحبهم لأبيهم وحرصهم على وصله من جهة أخرى، لذا يذكر الدارسون وحتى رجال الدين أن هناك حالات خاصة للكذب يتدرج فيها من القبح والرفض إلى الجواز والاستحباب، من ذلك ما يطلق عليه عرفا "الكذب الأبيض" (المباح، الجائز)، ويعرف في كثير من الثقافات و الجماعات اللسانية بالإباحة، يسميه الفرنسيون الكذب المعذر، ويسميه الألمان الكذب الاضطراري أو الكذب الرسمي، "والأصل في إباحة هذا الضرب من الكذب أن يحقق عملا طيبا"<sup>1</sup>، كأن نصرح لمريض بغير طبيعة مرضه على الحقيقة، أو عندما نتخلص من موقف محرج أو خاص جدا، و كأن ننكر وجود شيء لدينا لشخص ما ويطلبه المخاطب منا فننكر وجوده لدينا أصلا لأننا لا نملك الحق باعطائه له من جهة ولا نريد رفض طلبه صراحة من جهة أخرى، "وقد وردت السنة بإرخاص الكذب في الحرب وإصلاح ذات البين على وجه التورية والتأويل دون التصريح به فإن السنة لا ترد بإباحة الكذب لما فيه من التنفير وإثما ذلك على طريق التورية والتعريض"<sup>(2)</sup>.

- **القضية الثانية:** هل استيفاء شروط متعلقة فقط بالخبر دون الإنشاء أم أن الخطابات كلها تخضع لمعيار الصدق والكذب.

سبق وأكدنا تداخل مفهومي الخبر والإنشاء في الخطابات ما يجعل الخطاب إنجازا في الأخير خيرا كان أو إنشاء، ما يتولد عنه تداخل معياري الصدق والكذب والنجاح والإخفاق، فكيف يمكن الحكم على الإنشاء بالصدق والكذب؟ أنظر المحاورتين التاليتين:

- |  |     |
|--|-----|
| <p>أ- أعيدي لي كتاب "المتوكل"</p> <p>ب- الكتاب ليس عندي بل عند "نوال".</p> | } 1 |
| <p>أ- أخاف أن لا تحضري وليمتي.</p> <p>ب- أعدك أنني سأكون من الحاضرين.</p>  | } 2 |

1 - وجيه (حسن محمد): مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، 1994، ص210.

2 - الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص274.

إن الفعلين الخطابيين في هتين المحاورتين تختلف طريقة التكذيب لها، ففي المحاوراة الأولى: الفعل الخطابى ( أعيدى لى كتاب "المتوكل" ) ينتمى للتوجيهيات، محتواه القضىوى (طلب كتاب "المتوكل")، إلا أن طلب شىء ما من شخص ما يقتضى منطقيا أن الطالب يعلم حيازة المخاطب (المطالب) للشىء المطلوب، ما يعنى أن المتكلم يعلم حيازة المخاطب لكتاب "المتوكل"، إلا أن المخاطب ينفى حيازته للكتاب ما يدل على تكذيب المخاطب للمتكلم فى إيرادها لمعلومة مستلزمة فى قصدية الفعل الخطابى، إلا أن هذا التكذيب لىس تكذيبا قيمياً، فمضمون الطلب طلب الكتاب ( الكتاب لىس عندى بل عند "نوال" )، فقد نفى حيازته للكتاب مما يعنى سقوط شرط من شروط الطلب وهو قدرة المخاطب على تلبية وإيقاع فعله من المخاطب (1)، إلا أن هذا لا يعنى أن المتكلم لم يتم الفعل الخطابى لذا يقول "المبخوت": "إن عدم مطابقة القول الإنشائى للخارج لا يعنى عدم إيقاع الإنشاء" (2)، فقد أحدث المتكلم الفعل الخطابى الطلب مع مخالفة مقتضاه للخارج الواقعى القول:

أعيدى لى كتاب "المتوكل" ————— للمقتضى: كتاب "المتوكل" عندك.

إذاً للأفعال الخطابية جميعاً خارجاً قد تطابقه أولاً تطابقه، وكذب المتكلم فيها يعود لعلاقة ما يقتضيه خطابها من حكم ، وموازنته مع قصدية المتكلم إن كان على سبيل النفاق أو الجهل أو الوهم أو الكذب القيمى، والاحتكام إلى الوقعة الخطابية ومكونها التداولى يدل على ذلك.

أما فى المحاوراة (2): يختلف الوضع، فلا نحتكم للخارج الواقعى أو ملابسات الوقعة الخطابية، للحكم على صدق أو كذب الفعل الخطابى بل نحتكم إلى الخارج الذهنى لصاحب الخطاب، فصدق الفعل الخطابى (أعدك أنني سأكون من الحاضرين) يتعلق بقصدية المتكلم إيقاع الوعد مع نية الحضور الفعلى، أى الالتزام بالتصرف مستقبلاً بطريقة تضمن الوفاء بالوعد، ذلك أن الشرط التحضيرى لفعل الوعد - قدرة المتكلم على إنجاز الوعد، وشرط الصدق فيه - قصد المتكلم إنجاز الوعد.

فكفى الحكم بكذب الفعل الخطابى (الوعد) أن لا يتحقق شرط الصدق فيه وعدم اعتزام المنجز له بالصدق فى الوعد بل ينطقه مجارة للموقف أو مجاملة أو تلميحاً ما يجعل فعل الوعد كاذباً، ويكون

1- ينظر شروط إيقاع التوجيهيات والوعديات، فى الفصل الثالث من هذا البحث.

2- المبخوت: دائرة الأعمال اللغوية، ص 108.

كذبه قيميا كوننا نحكم بعدم مطابقته للخارج الذهني لقصدية الفعل الخطابي، فالمنجز للوعد الكاذب لا يقوم بفعل الوعد بل يتلاعب بالخطاب ويضمر خداع المخاطب، ولا دليل في الخطاب هنا على كذبه كما لا يمكن الجزم بذلك والحكم على الوعد بالكذب دائما إلا على خلفية معرفة المتخاطبين لأخلاق وظروف بعضهم بعضا، مع ذلك لا يمكن الحكم حكما جازما على ذلك، فقد يصدق المتكلم في الوعد ثم لا يفي به.

### خلاصة القول:

إن الحكم بصدق الخطابات أو كذبها، يعود إلى مطابقتها أو عدم مطابقتها لخارجي الخطاب، وتختلف أحكام الصدق والكذب على قصدية الخطابات من خطاب لآخر، ذلك فإن كل خطاب ينفرد بحالة قصدية أصلية خاصة به، وتتساوى الخطابات الإنجازية خبرية كانت أو إنشائية في الخضوع لمعيار الصدق والكذب، ومطابقتها وعدمها يعودان إلى استيفاء شروط الصدق فيها أو عدم الاستفاء وفق المقتضيات الإنجازية للخطابات في الوقائع التخاطبية المنشأة فيها، مع هذا لا ينفى عدم استيفاء الخطابات الإنجازية لشروط صدقها حقيقة إيقاع الفعل الخطابي المنشئ بخروج خطابها.

### III-3-2- القصدية ولغة التخيل:

إن القاعدة الاستعمالية للخطابات العادية في الحياة اليومية تفرض تلازما بين الخطابات خارجها (الواقعي، الذهني أو هما معا)، ما يجعلنا نطبق اتجاهات مطابقة تخضع لطبيعة الخطابات، إلا أن قسما عظيما من خطاباتنا ينطلق من قصدية خاصة جداً بعيدة عن مطابقة خارج ما، إذ أنها وليدة عمليات عقلية تخيلية تعمل بالخطابات على خلق واقع خاص بها خصوصية خاصة جداً، إذ تعد بعض حالاتنا القصدية ضربا من الخيال، تنتج خطابات خيالية، يتسع لها فضاء العقل والتخيل من تشبيهات واستعارات وكنايات ومجاز...، يقول "سيرل": "حقيقة تعد بعض حالاتنا القصدية ضربا من الخيال والتخيل ولكنها لا تختلف إطلاقا عن بعض أفعالنا الكلامية الخيالية وطالما أن إمكانية الخطاب الخيالي تعد في حد ذاتها نتاجا للتخيل والخيال، فإنها لا تفرض علينا أن تكون فئة الموضوعات المشار إليها أو "الموصوفة"

مختلفة عن موضوعاتنا العادية“<sup>1</sup>، فالإنسان يتمثل ذهنيا عديد الموضوعات سواء كانت الموضوعات ماصدقية (واقعية) أو مفهومية (تصورية)، وله القدرة العقلية على التوجه نحوها وبناء حالات قصدية تجاهها، ما تخول له إمكانية التعبير عنها بخرج خطاب موافق لها، إلا أن الخطاب التخيلي يحتوي أفعالا خطابية تملك مضمونا قصديا ولها شروط تحقق، والفرق بين الأفعال الخطابية في الخطابات العادية والخطابات التخيلية جوهري جدا يتمثل في كون الأخيرة تتكوّن من “سلسلة من الأفعال الكلامية المزعومة، وبالتالي يخرج من معيار الأحكام العادية أي معيار المطابقة بين “الكلمة والعالم”. لا يلتزم المتكلم بصواب عباراته الخيالية مثلما يلتزم بصدق أحكامه العادية.“<sup>2</sup> إن اختلاف معيار المطابقة بين الخطابات التخيلية والخطابات الإخبارية الحقيقية هو ما يؤكد أن الخطابات التخيلية لا يحكم عليها بالصدق والكذب القيمي فهي كاذبة إنشاء ( لكونها غير حقيقية) صادقة تخيلا (تخضع للأفكار والآمال) و”هذه الخلاصة التي انتهى إليها كثير من الباحثين في الخطاب الأدبي“<sup>3</sup>.

إن حالة التخيل ينتج خطابات قد تطرح إشكالا محددا ودقيقا، أ توجيه مثل هذه الخطابات يفهم حسب القصيدة المباشرة لخرج عناصره، أم إلى مدلول آخر تقتضيه قصدية التخاطب (الإنجاز)؟، كون الخطاب قد ينتهي إلى تحويل قصديته من المعنى الخالد لعناصره إلى إثرائه [تكوثره كما يسميه “طه عبد الرحمن”] قصديا وتحمله حالات قصدية غير مباشرة. يقول “علوي” أنه “لما يكون الخطاب عاديا ويكون الدافع تواصليا إنسانيا محضا، ويثبت أن التمثيل اللغوي لا يستنفذ التمثل الذهني، فإنه ولا بد تقوم الحاجة إلى التأويل، وهذا يثبت في معظم أحيان التخاطب“<sup>4</sup>، حيث أن التأويل في هذه الحالة من باب الضرورة لا الترف الفكري. والتأويل بهذه الحالة يدفع إلى اللجوء إليه البحث عن قصدية الحقيقة المنوطة في الخطاب وأن هذه القصدية أساسية في رصد الخطاب وإيقاعه للقصد التواصلية منه بنجاح، والقصد من أي تواصل إنما يكمن في إحداث تأثير لا يحدث إلا إذا فهم الخطاب، ولا تستدعي التأويل إلا الخطابات الحاملة لتمثل ذهني لا تستوعبه العبارة اللغوية التي تظهره، فتمتد بذلك مساحة قصدية الخطابات التخيلية بين قصدية الإنشاء غير المباشر وقصدية التأويل والقراءة الثانية ثم فاتحة المتعة، لذا

1- سيرل : القصيدة، ص40.

2- المصدر نفسه: ص41.

3- مفتاح (محمد): تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، ص145.

4- علوي (عبد السلام إسماعيل): تداوليات التأويل، ص214.

حدّد "فيركلييف" [Fairclough 1995]<sup>(1)</sup> أبعاد التحليل النقدي للخطابات التخيلية على غرار أبعاد تحليل الخطابات العادية في:

- الخطاب بوصفه لغة مكتوبة، أو منطوقة: خرج الخطاب شكلا.
- الخطاب بوصفه بلاغة وظروف إنتاج الخطاب وتلقيه، المكوّن التداولي للخطاب.
- الخطاب بوصفه فعلا اجتماعيا: الإنجاز الفعلي للخطاب وأشكال إيقاعه المتعدّدة.

بهذا ينتهج مسار تحليل الخطابات التخيلية نفس مسار التحليل المطبّق على الخطابات المباشرة، في محاولته لاكتشاف تجليات القدرة الذهنية للمتخاطبين فيه، شكلا وإيقاعا، فتخير الألفاظ والتراكيب والعبارات الجاهزة وغيرها، كلّها بحسب قصدية المتخاطب، وتوجيه الخطاب تابع لتوجيه القصدية المكوّنة له.

لخصّ "البوعمراني" المنطلقات العرفانية لإنتاج المتخاطبين للاستعارات كشكل من أشكال المطرّدة من الخطابات التخيلية في خمس أسس:

- الاستعارة طبيعتها تصوّرية، وما الاستعارة اللّغوية إلا تجل من تجلياتها. [لها تجليات آخر كالرسم...]
- النظام تصوّري للمتخاطبين قائم على الاستعارة. [التقريب الذهني للمفاهيم بالموازنة والمقارنة]
- الاستعارة حاضرة في كل مجالات حياة المتخاطبين وممارساتهم. [العادية منها والفنّية والخاصة]
- وظيفة الاستعارة التمثّل الأفضل للمفاهيم وليس فقط الرقي بقيمة الفنّية الجمالية للغات. [الفاعلية العقلية لقصدية الوجود]
- الاستعارات التي نحيا بها هي نتاج تصوّراتنا الثقافية وأي استعارات خارج هذه التصورات الثقافية التجريبية قد تؤدي إلى تعطيل عملية الفهم والتواصل<sup>2</sup> [ارتباط عملية التخيل بالخلفية أو المكوّن المعرفي ارتباط أساسي لفاعلية تفعيل عملية الاستعارة]

ما يجعل المنشأ الأساسي للخطابات التخيلية قصدي بالدرجة الأولى له وظيفة المبادلة العقلية للتصورات والمفاهيم بين المتخاطبين، أي أن الخطابات التخيلية إنّما تعطي فرصا جديدة ومتعدّدة لفهم

1- مزيد: تبسيط التداولية، ص110.

2- البوعمراني (محمد صالح): دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس،

ط1، 2009م، ص 124.

قضية واحدة، فالخطابات التخيلية تعكس عمليات عقلية تصورية للمفاهيم تبعا للعقول المختلفة للمتخاطبين وفق قصدياتهم بها والوظائف التي تتجزها، ومن ذلك ما ناقشه "بويد" [Richard Bayd] في بحثه «الاستعارة وتغير النظرية»؛ مهتما بالفرق بين دور الاستعارات في اللغة العلمية و دورها في الأدب، والكيفية التي تستعمل بها في كل مجال، ثم أشكال إرسائها "فرأى أن هناك مستوى مهما من الاستعارات يلعب دورا مهما في تطوير النظريات العلمية ووظيفتها هي نوع من الاستعارات الضرورية Catachrsis التي تبتكر مصطلحا علميا لم يكن موجودا من قبل مثل الثقب الدودي Worm holes وسحابة إلكترونية Electron cloud...."1 إذن الاستعارات في لغة العلوم تنتج بقصدية تكييف اللغة مع البنية السببية للعالم، ما يقرب الفهم ويسهم في تطوير العلوم، وأنها لاتتم فاعليتها في مجال العلوم إلا إذا حصل الاتفاق المسبق حولها بين عدد كبير من العلماء، "وهي لا تُدرك من خلال عمل واحد شأن الاستعارات الأدبية، بل من خلال جيل أو أكثر من العلماء، ويرى ["بويد"] في استعارات الأدب جانبين جانب إنتاج الاستعارة وجانب تفسيرها الذي هو مهمة النقد الأدبي، أما في العلم فإن مهمة الاستعارة هي تقديم أفضل تفسير ممكن للمصطلح المراد توظيفه"2، ما يعني أن الاستعارات العلمية يمكن إعادة تفسيرها باللغة الطبيعية الحرفية، بحيث تتيح لنا الاستعارة العلمية الإيجاز وتقريب الفهم للأذهان، فتعمل بذلك على تسهيل تكوين حالة قصدية جديدة حول ظاهرة أو واقعة في العالم الخارجي، وتمرّ عبر حالات قصدية مصاحبة تقريبية لإرساء ذلك، وشتان بين هذا القصد من الاستعارات العلمية، وبين، القصد من الاستعارات الأدبية، ذات المنشئ القصدي الخاص جداً المظهر لطريقة فهم أو تمثيل الظواهر والتصورات ثم التمثيل لها عبر حالة قصدية مشتقة ذات قصدية فنيّة، أنظر الخطابات الاستعارية التالية:

- السحابة الإلكترونية.

- الويل لي من خنجر طعن المودّة.

فالخطاب الاستعاري الأول (السحابة الإلكترونية) يستعمل بقصد تقريب الفهم حول ظاهرة واقعية في العالم، تواضع على استخدامه في ميادين العلوم التجريبية لوصف مجموعة الإلكترونات المتموضعة حول نواة الذرة في أي عنصر كيميائي، فالسحابة كظاهرة طبيعية ناتجة عن تجمع ذرات بخار الماء في

1- صبرة (أحمد حسن): التفكير الاستعاري، مكتبة الوادي بدمنهور، مصر، ط2، 2002م، ص14.

2- المرجع نفسه: ص14-15.

الطبقات العليا من الجو، ظاهرة طبيعة معروفة يتمثلها أغلب الناس منذ الطفولة في حالة قصدية خاصة، لذا استعيرت لتعبير عن تمثّل تجمع الإلكترونات (الشوارد ذات الشحنة السالبة) حول نواة الذرة، فتجمعها لما شُبه بتكاثف ذرات بخار الماء في الجو؛ استعمل الخطاب (سحابة إلكترونية) في مجال العلوم لتمثيل ذلك التمثّل خطابياً.

أمّا الخطاب الآخر، فخطاب حُملٍ قصدية فنيّة، يبرز سعة خيال الشاعر عند تمثّله لفكرة مبادلة مشاعر الحب بالإساءة ( الويل لي من خنجر طعن المودة)، وبني الخطاب على استعارة تبين سعة تمثّل الشاعر، حيث وازنها (أثر مشاعر الجحود) بخنجر يطعن المودّة، ما يقصد أنّ المودة متشخصة يصيبها خنجر الجحود فيعطبها أو يجرحها وكلّما قوى الخنجر كان الجرح أكبر وأغور، والأكيد أنّه لا شك أنّ مثل هذا التمثيل الخطابي، لهذا التمثّل الذهني لا يشترط ذبوع أو شيوخ مثل هذه الاستعارة لاستعمالها بل إنّ قيمتها الفنيّة استعمالياً تعظم مع خصوصيتها وتفرّد صاحبها في استعمالها واستعمال مثيلاتها من التمثيلات الخطابية، وقد سبق إيراد رأي "الرجاني" في ذلك، إذ عدّ اتفاق الشعراء في إنجاز الخطابات لا يكون في مستوى القصدية المشتقة إنّما يكون في عموم الغرض، ولكل شاعر الحالة القصدية الأصلية النابعة من طريقة فهمه وتصوره للحياة والواقع ولكل منهم تمثلاته الذهنية الخاصة التي تظهر على خرج الخطاب تميزاً وإبداعية، هذا بالضبط ما أراد بيانه "سيرل" لما عدّ الأسلوب المقياس الثاني عشر من مقاييس تصنيف الأفعال الخطابية مباشرة كانت أو غير مباشرة؛ أنظر الخطابات التالية:

- الويل لي من خنجر طعن المودة.
- جحودك يعصر قلبي.
- ما أمر طعم الجحود.
- من تصغر نفسه يصغر عرفانه بالناس.
- لا تطعن بالصدر قلب من أحسن إليك.
- أحسب أسوء البشر الذئب اللئيم.
- إنّ الجحود مرارة وجمر.
- ....

فكل هذه الأفعال الخطابية إنّما تؤدي غرض (وصف بشاعة خلق الجحود)، إلا أنّ منجزى مثل هذه الخطابات يتفاوتون في الحالات القصدية المشتقة المظهرة له عبر أفعال خطابية مختلفة نتيجة لذلك

التفاوت، ما يجعلهم يحتلون مراتب تفاضلية في الشاعرية. أما فهم مثل هذه الخطابات فمَنوط بالقدرات المختلفة التي يفعلها المتلقي لتأويل مثل هذه الخطابات حالها حال الخطابات الحاملة لقوى إنجازية مستلزمة.

تبقى من نافلة القول الإشارة إلى لمحة لمعة كون لغة التعارض تحمل قصديتين في آن واحد تستعملان معا ولا تطغى احدهما على الأخرى، ولتتميز مثل هذه الخطابات بهذه الميزة دور مهم في تسيير مواقف تواصلية كثيرة تمتاز أغلبها بصعوبة التصريح إيديولوجيا، ما يجعلها خطابات ذات سمة خاصة تعد حقيقية وتخيلية في الآن نفسه ويلجأ إليها من يتجنب الكذب ويلتزم الصدق مبدأ أساسيا في خطابه، «كالذي حكى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه فلتقاه العرب وهم يعرفون أبا بكر ولا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا بكر من هذا فقال: هادٍ يهديني السبيل فظنوا أنه يعني هداية الطريق وهو إنما يريد هداية سبيل الخير فصدق في قوله وورى عن مراده»<sup>1</sup>، فالمتكلم في مثل هذه الخطابات ينتقي عناصر خطابه من مخزونه باحثا عن العناصر التي تتحمل تحمّل أكثر من حالة قصدية، فبعض العناصر الخطابية تحتل أكثر من معنى خالد، من منطلق الشيوخ والأعراف العامة المحترمة داخل جماعة لغوية وهذا ما يميز خطابات الكناية التورية والتعمية<sup>2</sup> بشكل أخص، وإنما يربط بين المعاني الخالدة لها القديمة والجديدة مجموعة من العلاقات تتفاوت بين البساطة والتعقيد حسب اشتغال منشئها العقلي عليها، وذلك ما يبرر مراتب الشعرية والإبداعية والتميز وبه يتفاوت المتخاطبون بين مبدع وناقل وسارق، وتلك العلاقات ليست بالضرورة علاقات منطقية صرفة رغم أنّ أغلبها كذلك، بالمقابل يقوم المتلقى بمجموعة عمليات عقلية استدلالية في محاولته إدراك قصدياتها الباعثة، يقول "أزاييط": "ويشكل الاستدلال سلسلة من العمليات المنطقية التي ليست بالضرورة أن تكون منطقية بل قد تكون تحليلية أو تداولية أو تجريبية، يقوم بها

1- الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص274.

2- التعمية: (Encipher) عملية تشفير خاصة للخطابات تتفاوت في درجات تعقيدها، القصد منها إخفاء قصدية النص الأصلي عن الناس عامة إلا الشخص الذي يعرف كيفية حلّ التعمية، فهي «عملية تحويل نص واضح إلى نص غير مفهوم باستعمال طريقة محددة، يستطيع من يعرفها أن يعود ويفهم النص». ينظر: علم التعمية و استخراج المعنى: تأليف جماعي؛ محمد مراياتي و يحيى مير علم و محمد حسان الطّيان، تقديم: شاكِر الفحام، بحوي تحقيق مجموعة رسائل للعلماء العرب القدماء في التعمية وحل المعنى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دط، 1987، ج1، ص28.

المخاطب المستمع ليصل إلى المعنى المضمّر المقصود<sup>1</sup>، وعلى اختلاف منطلقاتها هي كلّها قصدية كون العقل المنشئ لها يقصد إنشاءها لهدف أو أهداف تواصلية.

### خلاصة القول

الخطابات التخيلية خطابات قصدية لا يحكم عليها بالكذب القيمي، وقصدية إنجازها تكون لهدف تواصلية معيّن وإنّما تتجزّ عبر خلفية مفهومية صرفة إلاّ أنّها تؤدي أهدافاً خطابية محدّدة بشكل سابق، متعدّدة القصدية اللاحقة. ويمكن أن يقرن المتكلم أكثر من حالة خطابية أصلية فيظهرها في شكل خطابي واحد، فيقوم بإظهارها بخرج خطاب واحد، ويحمّل هذا الخطاب في هذه الحالة مرجعيتين الأولى ماصدقية ظاهرة قريبة والثانية مفهومية بعيدة. المرجعية المفهومية في مثل هذه الخطابات التخيلية -الحاملة لأكثر من حالة قصدية- هي الأصل في إنشاء الخطاب، حالها حال القوة الإنجازية المستلزمة في الخطابات غير المباشرة.

1- أزابيط: من تداوليات " المعنى المضمّر"، ص62.

## ❖ خلاصة القول في الفصل الرابع.

- ضم هذا الفصل مفاهيم تطبيقية بالدرجة الأولى لطرق تفعيل فاعلية القصدية الخطابية في الخطابات حال التفاعلات الخطابية آناء الوقائع الخطابية ، ومما توصل إليه ما يأتي:
- للقصدية الخطابية نسبتين خارجيتين وأولى داخلية أمّا الداخلية فنسبتها إلى الخطاب نفسه وما يتكون منه من أجزاء وعناصر أمّا الخارجيتان؛ فأحدها نسبته إلى متخاطبين لا منجزه فقط، فدور المتلقي لا يصغر بأي حال من الأحوال دور المنجز في تحديد وتعدد قصدية، والأخرى نسبتها إلى الواقعة الخطابية حال الحدوث، ذلك أنّها توطر عبر الأعراف العامة إيقاعها.
  - وضع فلاسفة اللّغة مجموعة من النماذج أو القواعد التخاطبية، عملت كلّها على أساس مبادئ توطر عملية التخاطب لبلوغ القصدية التواصلية، وعلى اختلاف منطلقاتها اتفقت على دور قصدية المتخاطبين في تفعيل عملية التفاعل الخطابي.
  - تخضع عملية قياس شطط الخطابات بمدى مطابقتها لخارجين للخطاب الخارج الذهني والخارج الواقعي، ويحكم عليها بالخطأ أو الوهم إذا لم تطابق الخارج الواقعي مع مطابقتها للخارج الذهني للمتكلم، ويحكم عليها بالكذب أو النفاق إذا لم تطابق الخارج الذهني للمتكلم، ويستثنى من ذلك لغة الخيال لعدم خضوعها لمعيار الكذب القيمي أصلاً.

الفتاوى:

### خاتمة:

لقد أسس هذا العمل على قاعدة بيان أهمية "القصدية" في تمظهر الخطابات كأفعال قصدية إنسانية يتميز بها كل واحد منّا داخل جماعته، وإثبات دورها في تعدد الخطابات في الوقائع التواصلية، فتجلى لنا عبره مجموعة من المرتكزات أظهرت قوامه وتمظهره، ومما استقر لنا من مرتكزاته ما توصل إليه هذا الجهد القاصر في بابين أساسيين؛ المفاهيم الخاصة بالقصدية في فلسفة اللّغة، وتحليل التطبيقات القصدية للخطابات في مقاربة النحو الوظيفي اللّسانية ، نذكر منها:

### I. المفاهيم الخاصة بالقصدية في فلسفة اللّغة:

- 1) - عرض محاولة متواضعة للكتابة في مجال فلسفة اللّغة العادية، وتقديم دراسة وظيفية للخطابات اليومية بمختلف قصدياتها، ومختلف تطبيقاتها التواصلية في الواقع.
- 2) - تأكيد أهمية خوض غمار مقاربات في فلسفة اللّغة، بالنظر إلى افتقار المكتبات العربية إليها، خاصة إذا رما منها ما يرتبط بدراسة مقاربات لسانية تطبيقية خاصة بالخطابات العربية في اللّغة الطبيعية.
- 3) - إظهار دور الحالات القصدية في مختلف الأفعال الإنسانية، وخاصة الأفعال الخطابية منها.
- 4) - إن دراسة الخطابات دراسة منطقية احتلت الصدارة في ميادين فلسفة اللّغة لعهد غير قصير، رامية إلى إيجاد لغة منطقية تصلح لدراسة وتحليل الاستعمال اللّغوي، إلا أن روادها والمشتغلين بها توصلوا إلى قناعة لمحدودية جدواها.

## خاتمة البحث:

- (5) - إن ارتباط الخطابات بقصدية المتخاطبين كانت من معيقات إيجاد لغة منطقية تسمح بدراسة الخطابات العادية.
- (6) - إنَّ القصدية هي السمة الأساسية للعقل البشري التي تخوّله للتوجه إلى الأشياء في العالم ومنها الإنجازات الخطابية خصوصاً.
- (7) - الشخص المالك للحالات القصدية الأصلية يجلبها لغيره عبر أشكال قصدية كثيرة ومختلفة تعدّ كلّها مشتقة كونها تنطلق من الحالات القصدية الأصلية ولا تكون دون سبق هذه الأخيرة لها.
- (8) - إنَّ من صور القصدية المشتقة لدى الإنسان الحركات الجسمية والتشكيلات الصوتية المختلفة سواء كانت بأعضاء جسمه أو بأدوات أو آلات يستعين بها؛ كالأصوات والمقطوعات الموسيقية، والخطوط والرسوم التي يخطها أو يرسمها فوق سطح ما؛ كالخطابات المكتوبة أو اللوحات الفنية، والأشكال والأجسام التي يشكلها من أي مادة أو خامة ما؛ كأعمال النحت أو المجسمات والتحف وغيرها مما يتخذها وسيلة للتعبير عن حالاته القصدية الأصلية.
- (9) - إنَّ الإنجازات الخطابية صورة من صور تمظهر بعض الحالات القصدية الأصلية ما يجعلها إحدى مظاهر القصدية المشتقة. فخرج الخطاب يمثل حالة من الحالات القصدية المشتقة الكثيرة التي يظهر بها الفرد ما يملكه من حالات قصدية أصلية تنطلق من قصدية ما عبر قصدية ما لبلوغ قصدية ما، على من يروم التعامل معه الوقوف عليها والعمل على معرفة حقيقتها حتى يتسنى له التعامل الموفق معها ومع متعلقاتها في واقعة خطابية معينة.
- (10) - يرتبط نجاح الوقوف على كنه الحالات القصدية المرتبطة بخطاب ما بالشخصين الفاعلين في الواقعة الخطابية المنجز فيها، فلمنجز الخطاب دور في إيصال القصدية الخطابية لخطابه وعلى عاتق المتلقي السعي إلى الوصول إلى القصدية الخطابية للخطاب الذي يتلقاه.
- (11) - ينجح الخطاب في أداء دوره المظهر للقصدية متى تقاربت الحالتان القصديتان لكل من المجز والمتلقي في شأن الإنجاز الخطابي وموضوعه حال التعامل.
- (12) - يحتمل المكوّن الخرج للخطابات مظاهر غير لسانية، تأتي لصيقة بالخطابات ولها وزنها في تجلية قصديتها في الوقائع الخطابية المختلفة في اللغة العادية، من ذلك مختلف الإشارات والحركات الجسمية المظهرة لمجموعة من الحالات القصدية المصاحبة حال إنجاز الخطابات.

## خاتمة البحث:

13) - يعدّ المكوّن الخرج في الخطابات المكوّن المظهر لقصدية الخطابات وفق نموذج مستعمل اللّغة الطبيعي الذي أقرته مقارنة النحو الوظيفي المعاصرة ممثلة في طروحات نظرية "نحو الخطاب الوظيفي" و"نحو الخطاب الوظيفي الموسع"، في الوقت الذي تعمل فيه باقي المكوّنات على التشكيل الموفق لخرج خطاب مطابق للحالة القصدية الأصلية الباعثة له.

## II. تحليل التطبيقات القصدية للخطابات في المقاربة اللسانية الوظيفية:

- 1) - تُعدّ القصدية دافع إنجاز الخطابات في الوقائع التواصلية، وركيزة تكوين اللغات سواء كانت طبيعية أو حتى صناعية، إذ تتحكم القصدية في ذلك نسقا ومضمونا.
  - 2) - تُعدّ القصدية القوى الإنجازية المطبّقة في خطاب ما، ما يجعل هذا الأخير رهين القصدية الأصلية المنشئة له، فتربطه بمنشئه من جهة وبالواقعة التخاطبية المنشئ فيها من جهة أخرى.
  - 3) - أقرّ كل من "هنخفلد" و"ماكنزي" (2008 م) اتفاق كثير اللغات الطبيعية في القدرة على استعمال حوالي اثني عشرة قوة إنجازية أصلية، يخرج بها المتخاطبون حالاتهم القصدية الأصلية في شكل خطابات قوتها الإنجازية أصلية.
  - 4) - أقرّ "المتوكل" تسع قوى إنجازية للغة العربية من بين القوى الواردة في قائمة "هنخفلد" و"ماكنزي"، وهي: الخبر والاستفهام والأمر والنهي والتمني والدعاء والتحضيض والتحديد والاستغراب.
- وأضاف "المتوكل" ثلاث قوى إنجازية أصلية للغة العربية، هي: الإغراء والترجي والإنكار، ثم ألمح إلى إمكانية إضافة كل من التثبيح والاستفتاح.
- ذكر "المتوكل" أنّ اللّغة العربية لا تتوفر على ثلاث قوى إنجازية أصلية متضمّنة في قائمة "هنخفلد" و"ماكنزي" (2008 م) العامة: هي النصح، الائتماس والالتزام.
- ثم حاولنا نحن مقارنة إضافة قوى إنجازية أصلية في اللّغة العربية من منطلق مبدأ القصدية؛ بلفتنا النّظر إلى أصلية ست قوى إنجازية أصلية آخر، هي: الالتزام والنداء والاستغاثة والقسم والمدح-الذم وصيغ العقود.

## خاتمة البحث:

- (5) - تتعدّد أشكال الخطابات تبعاً لقصدياتها وإن حافظت الخطابات على مكوّن خرج واحد فينتج؛ خطاب يُحمّل أكثر من حالة قصدية شأنه شأن ما عرف بالمشارك اللفظي في المقاربة الدلالية.
- (6) - يحصل أن تتعدّد أشكال الخطابات لحالة قصدية واحدة ويفعلها قدرات منجز الخطاب على ذلك إلى جانب الاستراتيجية أو المبدأ التخاطبي الذي يختار نسج خرج خطابه وفقه، شأنه شأن ما يعرف في المقاربة الدلالية بالترادف.
- (7) - إنّ التحايج عملية قصدية تفاعلية تحركها منطلقات قصدية وتعمل على تفعيلها قصدية بناء الحجج وصوغها.
- (8) - تتحكم القصدية في صوغ وترتيب مجموعة من الحجج تنتمي إلى سلم حجاجي واحد، كما تتحكّم في تحديد قوة خدمتها للنتيجة المرجوة من التحايج.
- (9) - تحدّد القصدية الخطابات الشاطة بردها إلى خارجين الخارج الذهني والخارج الواقعي. وأجدّد الدعوة للباحثين العرب خاصة لإثراء المكتبات العربية ببحوث في هذا المجال؛ لضرورة البحث الجاد في كثير من القضايا المطروحة في هذا البحث، والتي ما تزال تستحق الفحص والتحليل والمبادرة لوضع نماذج تأخذ بعين الدراية الإمكانيات الهائلة للسان العربي في إظهار الحالات القصدية للمتخاطبين به انطلاقاً من خصيصتين مميزتين له، القاعدة اللفظية الثرية له والقدرة الاشتقاقية المرنة التي يتصف بها، وكطرح أولي يمكننا اقتراح بعض من الميادين، منها:
- البحث في تعدّد أساليب اللّغة العربية في تحمّل القوة الإنجازية الأصلية للأفعال الخطابية.
- البحث في واقع إهمال استعمال بعض القوى الإنجازية الأصلية في اللّغة العربية، وكذا بالمقابل الظهور والنماء المتجدّد للقوى الإنجازية الأصلية في اللّغة العربية تبعاً للاشتغال الذهني و التوجه القصدي للمتخاطبين.
- بحث يخدم مجال إحياء ووضع المصطلحات العلمية الحديثة في عصر يشهد التدفق الجارف لهذه الأخيرة مع احتشام البحوث العربية الفاعلة.
- النهوض بمجال النقد الأدبي بما يدعم آليات النقد التقليدية بالنظريات اللسانية الحديثة خاصة نظرية "نحو الخطاب الوظيفي".

## خاتمة البحث:

في الأخير أتمنى أن يساهم جهدي هذا في فتح باب النقاش والتدارس في مجال فلسفة اللّغة بما يخدم الدرس اللّساني عامة ودراسة اللّغة العربية بشكل خاص وينعكس إيجابا على فهم آليات المتخاطبين في استعمالهم للغة كأداة للتواصل. وأحسب بحثي هذا توصل لترك بصمة إيجابية في المكتبة العربية متى حرك أقلاما جادة للكتابة في هذا الميدان وعيا منها بأهمية ذلك وضرورته، خدمة للسان العربي والمستعملين له، ونهوضا بالدراسات اللّسانية العربية الحديثة.

تقبلوا منّي أسما أي الاحترام والله من وراء القصد

مع مودتي

عبد  
بوفابوز



تبیہ مسلمانانہ البیہ .

## ثبت مصطلحات البحث:

### ثبت مصطلحات: إنجليزي ← عربي

#### A

Argumentation	الحجاج
Argumentation ad humanitatem	المحاجة الموجهة للإنسان عامة
Articulation	نطق الكلام/ تمفصل
Artificiel language	اللغة الصناعية
Assertive acts	الأفعال التوكيدية

#### B

Background intentionality	الخلفية القصدية
Background knowledge	المعرفة الخلفية
Blend	المزج

#### C

Commissifs	ضروب الإباحة (أفعال التعهد) (الإلتزام)
Commissive Acts	الأفعال الإلزامية (الوعديات، الإلتزامات)
Conditions of satisfaction	شروط التحقق

#### النجاح/ Success ، الصدق/Truth

Conceptualization	تأطير الأفكار اللغوي للكلام
Constatifs.	الأوضاع السلوكية / (أفعال السلوك) Conductif.
Constituent.	خطابات وصفية/ (إخبارية، تقريرية).
Competence.	التكوينية.
	مقدرة.

## ثبوت مصطلحات البحث:

Cooperative.	تعاونية.
Control système.	الأنظمة المركزية.
Conversational maxims.	القواعد التخاطبية.
Convention.	الاصطلاح.
Conventional Signs.	العلامات الاصطلاحية.

### D

Declarative Acts .	الأفعال التصريحية/ التصريحيات.
Declarative Acts .	الإدلاءات /الإيقاعات.
Direct Speech Acts .	الأفعال الكلامية المباشرة.
Direction of fit.	اتجاه المطابقة .
Direction of intention.	اتجاه القصد .
Directive acts.	الأفعال التوجيهية(الطلبات، التوجيهات، الأمرات)
Derived Intentionality.	حالات قصدية مشتقة .

### E

Encipher .	التعمية.
Exchange .	الإبدال .
Expositifs.	المعروضات الموصوفة (التوضيحيات)(العرضيات).
Exploitation of maxims.	استغلال القوانين التخاطبية.
Expressive Acts.	الأفعال التعبيرية (التعبيريات).
Extension.	الماصدق.

### F

First intentions.	الحالات القصدية الأولى.
Floutings of maxims.	الاستخفاف بالقوانين الخطابية.
Formulation.	مرحلة صياغة الكلام.

## ثابت مصطلحات البحث:

### I

Ideal language	اللغة المثالية
Illocutionary Acts	قوة فعل الكلام
Illusion	الوهم
Indirect Speech Acts	الأفعال الكلامية غير المباشرة
Individual intentionality	القصدية الفردية
Input Systemes	أنظمة الدخل
Intension	المفهوم
Intentionality	القصدية
Intention	القصد
Intention-but	القصد الهدف
Intention-projet	القصد المشروع
Intonation	تنغيم
Intentional States	الحالات القصدية
Intrinsic Intentionality	حالات قصدية أصلية

### J

juncture	مفصل
----------	------

### L

Loaded word	الألفاظ الملقمة / المشحونة
Locutionary Acts	فعل الكلام
Logically Perfect language	اللغة الكاملة منطقيا

## ثابت مصطلحات البحث:

### M

Maxim Manner	قاعدة الصيغة
Maxim of Formality	قاعدة التعفف (الرسميات)
Maxim of quality	قاعدة الكيف
Maxim of quantity	قاعدة الكم
Maxim relevance	قاعدة ورود وملاءمة الخطاب للقصد التواصلي
Meta language	اللغة العليا
Metaphor	الاستعارة

### N

Natural language	اللغة الطبيعية
Natural meaning	المعنى الطبيعي
Natural Signs	العلامات الطبيعية
Negative Politeness	التأدب السلبي
Non Natural meaning	المعنى غير الطبيعي

### O

Occasion meaning	معنى في المناسبة
Ordinary language	اللغة العادية

### P

Positive Politeness	التأدب الإيجابي
Parsmony semantic	الاقتصاد الدلالي
Perlocutionary Acts	لازم فعل الكلام
performance	الأداء
performatifs	خطابات أدائية (إنجازية، إنشائية)
préma-intention	العني الأول

## ثبوت مصطلحات البحث:

### R

Rational activity	الفعالية العقلية
Reflexa-intention	العني التأملي(الثاني)
Reguelative	القياسية

### S

Second intentions	الحالات القصدية الثاني
Self – monitoring	مرحلة المراقبة الذاتية للكلام
Sequence Of Words	نسق من الكلمات
Substitution	التعويض

### T

The theory of functional disourse grammar	نظرية نحو الخطاب الوظيفي
The theory of functional grammar	نظرية النحو الوظيفي
Timeless meaning	معنى خالد
Transducers	اللواقط

### U

Utterer's meaning	معنى لدى الناطق
-------------------	-----------------

## ثبت مصطلحات البحث:

### ثبت مصطلحات: فرنسي ← عربي

#### A

Acte d'argumenter حدث الحجاج

Ancrage textuel رسو نصي

#### D

Devoir faire وجوب الفعل

#### L

Le sens commun الحس المشترك

Marquer de force illocutionaire دليل القوة الإنجازية

#### P

Pouvoir faire استطاعة الفعل

#### S

Savoir faire معرفة الفعل

#### T

Teorie de la pertinence نظرية الملاءمة (المناسبة،  
الإصابية)

#### V

Vouloir faire الرغبة في الفعل

قائمة المصادر والمراجع:

## قائمة المصادر والمراجع:

### قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم. 

المعاجم و القواميس و الموسوعات: 

1. الجوهري (إسماعيل بن حماد): الصحاح - تاج اللغة و صحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 4، 1990م.
2. الخليل (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي): العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، مصر، ج 5.
3. الزمخشري (جار الله محمود بن عمر) (ت 538هـ): أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1998 م.
4. السابق (جروان): معجم اللغات الوجيز: (ثلاثي: انجليزي، عربي، فرنسي)، منشورات دار السابق، بيروت، لبنان، ط1، 1974م.
5. الشربيني (لطفي): موسوعة شرح المصطلحات النفسية، إنجليزي-عربي، دار النهضة العربية، لبنان، ط1، 2001م.
6. صليبيا (جميل): المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط1، 1971م.
7. علوش (سعيد): معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، لبنان، وشوسبريس، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1985م، ص76.
8. غالي (وجدي رزق): معجم المعاجم العربية، مكتبة لبنان ناشرون لبنان، ط1، 1993م.

## قائمة المصادر والمراجع:

9. ابن فارس(أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا)(395هـ): مقاييس اللّغة، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، دط، 1979م.
10. الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت لبنان، دط، دت، (معناه )، ج 4.
11. الفيروز أبادي الشيرازي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، وبهامشه تعليقات وشرح، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301 هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، دت، 1979 م.
12. مانغونو (دومنيك): المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، والدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط2008، 1 م.
13. منغونو (دومينيكا) وشارودو (باتريك) : معجم تحليل الخطاب، ترجمة عبد القادر المهيري وحمّادي صمود، مراجعة صلاح الدين الشريف، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، دط، 2008م.
14. مطلوب (أحمد): معجم المصطلحات البلاغية و تطورها -عربي -عربي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.
15. ابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري): لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، 1994م، ط3، م3.
16. ابن منظور(محمد بن مكرم الإفريقي المصري) (ت 811هـ) : لسان العرب، طبعة محققة ، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 2005 م.
17. موشلار(جاك) و ريبول (آن): القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية بإشراف: عز الدين المجذوب، مراجعة: خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا - المركز الوطني للترجمة، تونس، 2010م.

## قائمة المصادر والمراجع:

18. وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت: الموسوعة الفقهية، دار المقهوي الأولى، الكويت، ط3، 2009م.

### الكتب باللّغة العربية (عربية ومترجمة):

19. أشار (بيار): سوسيلوجيا اللّغة، تعريب: عبد الوهاب ترّو، منشورات عويدات، لبنان، ط1، 1996م.

20. إبراهيم إسماعيل (نبية): البعد النفسي للتفاوض، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، ط1، 2007م.

21. إبراهيم (عبد الفتاح): مدخل في الصوتيات، دار الجنوب للنشر تونس، د ط، د ت.

22. إسماعيل (صلاح): التحليل اللّغوي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

23. إسماعيل (صلاح): فلسفة العقل - دراسة في فلسفة جون سيرل، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2007م.

24. إسماعيل (صلاح): نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

25. أرمينكو (فرانسواز): المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986م.

26. أزييط (عيسى): الخطاب اللّساني العربي - هندسة التواصل الإضماري - (من التجريد إلى التّوليد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2012م، ثلاثة أجزاء.

27. الأعشى (ميمون بن قيس): ديوان الأعشى، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجمازية، المكتبة النموذجية، الحلمية الجديدة، مصر، دط، دت.

## قائمة المصادر والمراجع:

28. أمير (عبد العزيز): دراسات في علوم القرآن، دارالشهاب، باتنة الجزائر، ط 2، 1988م.
29. أنيس (إبراهيم): دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط5، 1984م.
30. أوركيوني (كاترين كبريات): المضمرة، ترجمة: ريتا خاطر، مراجعة: جوزيف شريم، المنظمة العربية للترجمة، ومؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، بيروت لبنان، ط1، 2008م.
31. أوركيوني (كاربريات): فعل القول من الذاتية في اللغة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط 1، 2007م.
32. أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات، ترجمة: عبد القادر قينيني، أفريقيا الشرق الدار البيضاء، المغرب، دط، 1991 م.
33. أولمان (ستيفن): دور الكلمة في اللغة، ترجمة: كمال بشر، مكتبة الشباب للنشر، القاهرة، مصر، ط1، 1975م.
34. أيت أوشان (علي): اللسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
35. إيكو (أمبرتو): العلامة - تحليل المفهوم وتاريخه، ترجمة: بن كراد (سعيد)، راجع النص: الغانمي (سعيد)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 2، 2010 م.
36. إيفيتش (ميلكا): اتجاهات البحث اللساني، ترجمة عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، لبنان، ط2، 2000م.
37. باديس (نور الهدى): المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، منوبة، تونس، ط1، 2009م.
38. الباهي (حسان): اللغة والمنطق - بحث في المفارقات، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ودار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2000م.
39. باي (ماريو): أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط8، 1998م.

## قائمة المصادر والمراجع:

40. بتنام (هيلاري): العمل والصدق والتاريخ، ترجمة: حيدر حاج إسماعيل، مراجعة: هيثم غالب الناهي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط 1، 2012م.
41. بروتون (فيليب) وجوتيه (جيل): تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناحي الغامدي، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، ط1، 2011م.
42. بشر (كمال): الأصوات اللغوية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2000م.
43. بغورة (الزواوي): الفلسفة واللغة-نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
44. بلانشيه (فليب): التداولية من أوسين إلى غوفمان، ترجمة: صابر حباشة، دارالحوار للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.
45. بوشنسكي: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزت قرني، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م.
46. البوشيخي (عز الدين): التواصل اللغوي مقارنة لسانية وظيفية (نحو نموذج لمستعملي اللغات الطبيعية)، مكتبة لبنان ناشرون لبنان، صائغ لبنان، ط1، 2012م.
47. بورر (جون ر.) و ينجر (ميلتون جولد): الفلسفة وقضايا العصر مقالات وأبحاث جمعها: جون ر. بورر و ميلتون جولد ينجر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1990م، دراسة استخدمت في البحث: جود (سيريل أدوين): العقل كشيء متمايز عن الجسم.
48. البوعمراني (محمد صالح): دراسات نظرية وتطبيقية في علم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، ط1، 2009م.
49. بعيطيش (يحيى) وشلوف (حسين) وبوساحة (فريدة) وفلكاوي (رشيد): تقويم الطرائق التعليمية في التعليم الثانوي بين النظرية والتطبيق، تأليف: مخبر اللغات والترجمة مجمع تيجاني

## قائمة المصادر والمراجع:

هدام، قسنطينة، الجزائر، 2014م، الدراسة المنشورة في هذا الكتاب المستعملة في البحث:

- بوساحة (فريدة): التقويم والقياس، التقويم والأهداف وظائف التقويم.
- 50. تشومسكي (نعوم): أفاق جديدة في دراسة اللّغة والعقل، ترجمة: عدنان حسن، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 2009م.
- 51. تشومسكي (نعوم): المعرفة اللّغوية-طبيعتها وأصولها واستخداماتها، ترجمة: محمد فتّيح، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1993م.
- 52. الجابري (محمد عابد): بنية العقل العربي - دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط9، 2009م.
- 53. الجابري (محمد عابد): الخطاب العربي المعاصر - دراسة تحليلية نقدية، مركز الدراسات الوحدة العربية، لبنان، ط5، 1994م.
- 54. الجرجاني (عبد القاهر) (ت 474 هـ): أسرار البلاغة في علم البيان، صححها وعلّق عليها: السيد محمد رشيد ظاظا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1988م.
- 55. الجرجاني (عبد القاهر) (ت 474 هـ): دلائل الإعجاز، قرأه وعلّق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، دت.
- 56. ابن جني (أبو الفتح عثمان) (ت 392 هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، القاهرة، مصر، ط1، دت.
- 57. جود (سيريل أدوين): العقل كشيء متميز عن الجسم، دراسة منشورة ضمن كتاب: الفلسفة وقضايا العصر، مقالات وأبحاث جمعها: جون ر. بورر وميلتون جولد ينجر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1990م.
- 58. جوديث (قرين): التفكير واللّغة، ترجمة: عبد الرحيم جبر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1992م.
- 59. الحباشة (صابر): مغامرة المعنى من النحو إلى التداولية، دار صفحات للدراسة والنشر، دمشق، سورية، ط1، 2011م.

## قائمة المصادر والمراجع:

60. حسان (تمام): اللّغة العربيّة معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1994م.
61. أبو حميدة (محمد صلاح زكي): الخطاب الشعري عند محمود درويش-دراسة أسلوبية-، مطبعة المقداد، غزة، فلسطين، ط1، 2000م.
62. أبي حيان الأندلسي الغرناطي (أثير الدين محمد بن يوسف): تفسير البحر المحيط، حقق أصوله وعلق عليه وخرج أحاديثه: عبد الرزاق المهيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
63. خوري (أنطوان): مدخل الي الفلسفة الظاهرية، سلسلة الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، لبنان، ط1، 1984م.
64. داود (محمد محمد): حرب الكلمات في الغزو الأمريكي للعراق، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
65. الدرويش (محي الدين): إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع ودار ابن كثير، بيروت، لبنان، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، سورية، ط3، 1992، 4م.
66. الرازي ( فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين ) ( 544 هـ - 606 هـ):المحصول في علم الأصول، دراسة وتحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
67. ريبول (آن) وموشلار (جاك): التداولية اليوم علم جديد للتواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ط1، 2003م.
68. ريكور (بول): نظرية التأويل -الخطاب وفائض المعنى، ترجمة : سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2006 م.

## قائمة المصادر والمراجع:

69. ريكور (بول): من النص إلى الفعل -أبحاث التأويل، ترجمة: محمد برادة وحسان بورقيّة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر، ط1، 2001م.
70. الزمخشري (جار الله محمد بن عمر) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق: محمد مرسي عامر، دار المصنف، القاهرة، مصر، ط2، 1977م.
71. الزناد ( لزهري): دروس في البلاغة العربية -نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، لبنان ، العربية للنشر، صفاقس، تونس، ط1، 1992م.
72. الزيتوني (كمال): ظاهرة الإلتباس في اللسان العربي - بحث في التأويل الدلالي والتداولي لنحو العربية ومعجمها، عالم الكتب للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2013م.
73. زيدان (محمود فهمي): في فلسفة اللغة، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1985م.
74. السامرائي (فاضل صالح): الجملة العربية تأليفها وأقسامها، دار الفكر ناشرون وموزعون، الأردن، ط2، 2007م.
75. السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن محمد) (626هـ): مفتاح العلوم، حققه وقدم له وفهرسه: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م.
76. سكوفل (توماس): علم اللغة النفسي، ترجمة: عبد الرحمن بن عبد العزيز العبدان، مركز السعودي للكتاب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1998 م.
77. السويسي ( محمد بن يونس ) : مجال النية في الفقه الإسلامي - متبوعا بتحقيق كتاب الأمنية في إدراك النية للقرافي، دار بن حزم، لبنان ، ط 1، 2010م.
78. سيبويه (أبو بشر عمر بن عثمان ابن قنبر) ( ت 180 ) : الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 3، 1988م.

## قائمة المصادر والمراجع:

79. سيرل (جون)(1995م): بناء الواقع الإجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، ترجمة: حسنة عبد السميع، مراجعة: إسحاق عبيد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر 2012م.
80. سيرل (جون)(1983م): القصديّة - بحث في فلسفة العقل، ترجمة: أحمد الأنصاري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
81. سيرل (جون)(2004): العقل -مدخل موجز، ترجمة: ميشيل حنا متياس، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر 2007م.
82. سيرل (جون)(1998م): العقل واللغة والمجتمع - الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، منشورات الاختلاف الجزائر، المركز الثقافي العربي المغرب، ط1، 2006م.
83. السيوطي (عبد الرحمن): المزهري في علوم اللغة العربية وأنواعها، ضبطه وصحّحه ووضع حواشيه: فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998م، ج1.
84. الشافعي: ديوان الإمام الشافعي المسمى الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، إعداد وتعليق وتقييم: محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، مصر، دط، دت.
85. شمس الدين (جلال): علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياها، مؤسسة الثقافة للطبع والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2003م، ج2.
86. الشهري (محمد بن ظافر): استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
87. الصافي (خديجة محمد): نسخ الوظائف النحوية في الجملة العربية، دار السلام للنشر والتوزيع والترجمة، مصر، ط1، 2008م.
88. صالح (بهجت عبد الواحد): الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1993م.

## قائمة المصادر والمراجع:

89. صبرة (أحمد حسن): التفكير الاستعاري، مكتبة الوادي بدمنهور مصر، ط2، 2002م.
90. صحراوي (مسعود): التداولية عند العلماء العرب-دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.
91. الصرّاف (علي محمود حجي): في "البرجماتية"؛ الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة - دراسة دلالية ومعجم سياقي-، مكتبة الآداب، مصر، ط1، 2010م.
92. صمود (حمادي): أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، تأليف جماعي لفريق البحث والبلاغة والحجاج، جامعة منوبة، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس؛ دراسات منشورة في الكتاب مستخدم في البحث:
- صولة (عبد الله): الحجاج: أطره ومنطقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكاه.
  - القارحي (محمد علي): البلاغة والحجاج من خلال نظرية المساءلة لميشال ميار.
  - المبخوت (شكري): نظرية الحجاج في اللغة.
93. صولة (عبد الله): الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائص الأسلوبية، دار الفارابي، لبنان وكلية الآداب والفنون والإنسانيات ودار المعرفة للنشر، تونس، ط2، 2007 م.
94. صولة (عبد الله) : في نظريات الحجاج- دراسات وتطبيقات، الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم، تونس، ط1، 2011.
95. بوطاجين (السعيد): الترجمة والمصطلح، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2009م.
96. طه (عبد الرحمن): التواصل والحجاج، مكتبة المعارف الجديدة، الرباط المغرب، دط، 1994م.

## قائمة المصادر والمراجع:

97. طه (عبد الرحمن): في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م.
98. طه (عبد الرحمن): اللسان الميزان والتكوثر العقلي: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م.
99. عاشور (المنصف): ظاهرة الاسم في التفكير النحوي - بحث في مقولة الإسمية بين التمام والنقصان. سلسلة اللسانيات، منشورات كلية الآداب منوبة، تونس، 1999م، المجلد 12.
100. ابن عبد ربه الأندلسي (أحمد بن محمد) (ت 328هـ): العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.
101. العبد (محمد): المفارقة القرآنية - دراسة في بنية الدلالة -، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2، 2006م.
102. العبد (محمد): النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.
103. عبد الوهاب (نبيل): مهارات في اللغة والتفكير تأليف جماعي مع: عبد العزيز أبو حشيش وخالد عبد الكريم بسندي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 2009م.
104. العبيدي (رشيد عبد الرحمان): معجم الصّوتيات، سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، العراق، دط، 2007م.
105. عتيق (عبد العزيز): في البلاغة العربية - علم المعاني - البيان - البديع، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، لبنان، دط، دت.
106. عرار (مهدي أسعد): ظاهرة اللبس في العربية - جدل التواصل والتفاصيل، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2003م.
107. العزاوي: اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م.

## قائمة المصادر والمراجع:

108. العسكري (الحسن بن عبد الله أبو هلال): الفروق اللغوية، ضبط و تحقيق: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.
109. عشير (عبد السلام): عندما نتواصل نغير -مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2006م.
110. عكاشة (محمود): الدلالة اللفظية، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، دط، 2002م.
111. علام (عبد العاطي غريب): دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، ط1، 1997م.
112. علوي (حافظ إسماعيل): التداوليات علم استعمال اللغة، كتاب فيه مجموعة دراسات، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م. الدراسات المنشورة ضمن الكتاب مستخدمة في الرسالة:
- بعيطيش (يحيى): الفعل اللغوي بين الفلسفة و النحو - عرض و تأصيل لمفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي.
  - الزهري (نعيمه): الإنشاء وأساليبه بين ألفية ابن مالك والنحو الوظيفي.
  - السيساوي (يوسف): المقاربة التداولية للإحالة.
  - صحراوي (مسعود): في الجهاز المفاهيمي للدرس التداولي المعاصر.
  - العبد (محمد): تعديل القوة الإنجازية دراسة في التحليل التداولي للخطاب .
  - علوي (عبد السلام إسماعيل): ما التداوليات؟
113. الغذامي (عبد الله) : ثقافة الأسئلة، دار سعاد الصباح، الكويت، ط 2، 1993م.
114. الغزالي: إحياء علوم الدين، مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الغزالي وفلسفته في الإحياء بقلم: بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياضه فوترا" سماندونيسيا، دط، دت.
115. الغزالي: إحياء علوم الدين: سلسلة تقريب التراث - إعداد ودراسة: إصلاح عبد السلام الرفاعي، إشراف ومراجعة: عبد الصبور شاهين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، مؤسسة الأهرام، القاهرة، مصر، ط1، 1988م.

## قائمة المصادر والمراجع:

116. الغزالي: معيار العلم، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1961م.
117. الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد): الحروف، حققه وقدم له وعلق عليه: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت لبنان، ط2، 1990م.
118. الفارابي (أبو نصر محمد بن محمد): الألفاظ المستعملة في المنطق، حققه وقدم له وعلق عليه محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 1982م.
119. فاركلوف (نورمان): تحليل الخطاب - التحليل النصي في البحث الاجتماعي، ترجمة: طلال وهبة، مراجعة: نجوى نصر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، بدعم من مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، وتوزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.
120. ابن فارس بن زكريا الرازي (أحمد أبو الحسين): الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993م.
121. فتغنشتاين (لودفيك) (1953م): تحقيقات فلسفية، ترجمة وتقديم وتعليق: عبد الرزاق بنور، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
122. فريجة (جوتلوب): المعنى والمرجع، دراسة ضمن كتاب: المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ط 1، 1988م.
123. القرافي (أحمد بن إدريس المالكي): الأمنية في إدراك النية، تحقيق: محمد يونس السويسي، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ودار ابن حزم، لبنان، ط 1، 2010م.
124. القزويني: (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد، الملقب ب: الخطيب)، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، وضع حواشيه: إبراهيم شمس الدين، منشورات علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

## قائمة المصادر والمراجع:

125. قيس بن الخطيم : ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت لبنان، دط، 1967م.
126. بن عبد الكريم سالم (عبد الجليل): التأويل عند الغزالي، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط 1، 2004م.
127. كشاش (محمد): اللّغة والحواس، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
128. لاند (أندريه): العقل والمعايير، ترجمة: نظمي لوقا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1979 م ، ص 14 .
129. لاينز (جون): اللّغة والمعنى والسياق، ترجمة: عباس صادق الوهاب، مراجعة: يوثيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط 1، 1982م.
130. لوسركل (جان جاك): عنف اللّغة، ترجمة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة والمعهد العالي العربي للترجمة، الدار العربية للعلوم - لبنان، المركز العربي - المغرب، ط2005، 1م
131. ليونز (جون): اللّغة واللّغويات، ترجمة : محمد عناني، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009م.
132. بن مالك (يمينه) وآخرون: الأمثال الشعبية في المجتمع القسنطيني-دراسة لغوية دلالية، مخبر الدراسات اللّغوية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، دط، دت.
133. الماوردي (أبوحسن): أدب الدنيا والدين، شرح وتعليق: محمد كريم راجح، دار إقرء بيروت، لبنان، ط4، 1985م.
134. المبخوت (شكري): دائرة الأعمال اللّغوية - مراجعات ومقترحات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ليبيا، ط 1، 2010م.
135. المتنبي ( أبو الطيب أحمد بن الحسين الجعفي) (965م-354هـ): ديوان المتنبي، دار بيروت للنشر والتوزيع، لبنان، ط1، 1983م.
136. المتوكل (أحمد): التركيبات الوظيفية، قضايا ومقاربات، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2005م.

## قائمة المصادر والمراجع:

137. المتوكل (أحمد): الخطاب وخصائص اللّغة العربية - دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، ط1، 2010م.
138. المتوكل (أحمد): قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية-بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط، المغرب، 2001م.
139. المتوكل (أحمد): قضايا اللّغة العربية في اللّسانيات الوظيفية-بنية المكونات أو التمثيل الصرفي - التركيبي، دار الأمان للنشر والتوزيع ، الرباط، المغرب، 1996م.
140. المتوكل (أحمد): اللّسانيات الوظيفية المقارنة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، دار الأمان، المغرب، ط1، 2012م.
141. المتوكل (أحمد): المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي - الأصول والإمتداد، مكتبة دار الأمان، الرباط، المغرب، ط1، 2006م.
142. المتوكل (أحمد): الوظيفة بين الكلية والنمطية، دار الأمان المغرب، ط1، 2003م.
143. محمود (يوسف): المنطق الصّوري -النّصوّرات، التصديقات-، دار الحكمة، الدوحة، قطر، ط1، 1994 م.
144. مختار عمر (أحمد): علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط5، 1998م.
145. مخلوف (سيد أحمد): اللّغة والمعنى-مقاربات في فلسفة اللّغة، مؤلف جماعي، إعداد وتقديم: مخلوف سيد أحمد، الدار العربية للعلوم ناشرون لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010 م. دراسة منشورة فيه مستعملة في البحث:
- بلبولة (مصطفى): لدفيج فينجنشتين من لغة الكون إلى لغة الإنسان.
146. مرياتي (محمد): علم التعمية واستخراج المعنى: تأليف جماعي؛ مع يحيى مير علم و محمد حسان الطيّان، تقديم : شاكر الفحام ،يحوي تحقيق مجموعة رسائل للعلماء العرب القدماء في التعمية وحل المعنى، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دط، 1987م.

## قائمة المصادر والمراجع:

147. مصطفى (عادل): المغالطات المنطقية - طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي (فصول في المنطق غير الصوري)، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2007م.
148. معتوق (أحمد محمد): ظاهرات لغوية (الترادف، المشترك اللفظي، التضاد السجع)، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط1، 2008م.
149. مفتاح (محمد): تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط3، 1992م
150. مقبول (إديس): الأسس الإبتيمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبيويه عالم الكتب الحديث، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، الأردن، ط1، 2006 م.
151. منيسي (رضوان): الفكر اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث - أبو عبيدة-، دار النشر للجامعات، مصر، ط1، 2007م.
152. موريس (تشارلز): رواد الفلسفة البراجماتية، ترجمة: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2011م.
153. نايل (حسام): أرشيف النص - درس في البصيرة الضالة، دار الحوار للنشر والتوزيع. سورية، ط1، 2006م.
154. نحلة (أحمد محمد): آفاق جديدة للدرس اللغوي العربي، دار المعرفة الجامعية، مصر، ط1، 2002م.
155. نجيب محمود (زكي): قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، لبنان، ط1، 1936م.
156. نظيف (محمد): الحوار وخصائص التفاعل التواصلي، دراسة تطبيقية في اللسانيات التداولية، أفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 2009م.
157. النقاري (حمو): التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2006م. الدراسة المنشورة فيه المستخدمة في البحث:
- العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي.

## قائمة المصادر والمراجع:

158. نهر(هادي): علم الدلالة التطبيقية في التراث العربي، دار النشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2007م.
159. أبو النور (أحمد أنور): المنطق الطبيعي -دراسة في نظرية الاستنباط الأساسية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.
160. هابرماس (يورغن): الفلسفة الألمانية والتّصوف اليهودي، ترجمة: نظير جاهل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1995م.
161. هديسون: علم اللّغة الاجتماعي، ترجمة: محمود عياد، مراجعة: نصر حامد أبو زيد ومحمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، مصر، ط3، 2002م.
162. بن هدوقة (عبد الحميد): الأشعة السبع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981 م.
163. هسيرل (إدموند): فكرة الفينومينولوجيا، ترجمة: إنقزو فتحي، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2007م، ص93.
164. الهشيري (الشاذلي): الضمير بنيته ودوره في الجملة، منشورات جامعة منوبة تونس، سلسلة اللسانيات، المجلد 17، 2003م.
165. هول (إدواردتي): اللّغة الصامتة، ترجمة: لميس فؤاد اليحيى، مراجعة وتدقيق: محمود الزواوي، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، ط1، 2007م.
166. وجيه (حسن محمد): مقدمة في علم التفاوض الاجتماعي والسياسي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1994م.
167. يوسف (أحمد): سيميائيات التواصل وفعالية الحوار المفاهيم والآليات منشورات مخبر السيميائيات وتحليل الخطابات، جامعة وهران، الجزائر، ط1، 2004م.
168. يوسف (جمعة سيد): سيكولوجية اللّغة والمرض العقلي، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1990م.

## قائمة المصادر والمراجع:

169. يونس (محمد محمد علي) : علم التخاطب الإسلامي - دراسة لسانية لمنهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.
170. يونس علي (محمد محمد): المعنى و ظلال المعنى-أنظمة الدلالة في العربية-، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007م.

## الكتب باللغات الأجنبية:

171. Austin (John Langshaw): Quand dire, c'est faire, introduction traduction et commentaire: Gilles Lane, edition du Seuil, Paris, France, 1970.
172. Grice (H. Paul): Logic and Conversation, Licensed of use at University college London for The pragmatic theory Onlin Course, permission granted, January 2004.
173. Jacob Pierre: L'Empirisme Logique -ses antécédents ,ses critiques-, edition MINUIT , Paris, France, 1980.
174. QUINE ( Willard Van Orman ) : Word & Object, Massachussts Institute of Technology, Cambridge , Fifte Printing , 1970.
175. Searle (John. R.) : consciouness and lauguage: cambridge univercity press, First published 2002.
176. Searle ( John. R.) : les Actes de langage -Essai du philosophie du langage, tra, Hélène Pauchard, Collection Savoir, Herman, Paris, France.
177. Traverso(véronique ) : L'analyse des conversations, Armand Colin, Paris, France, impression4, 2009.

## المقالات والمجلات:

## قائمة المصادر والمراجع:

178. اسحالية (عبد الحكيم): الخطاب بين الدرس اللغوي العربي القديم  
واللسانيات ، دراسة منشورة في مجلة "حوليات التراث" ، جامعة مستغانم  
الجزائر، العدد 9 ، 2009م.
179. حشاني (عباس): مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، دراسة منشورة في مجلة  
المخبر- أبحاث في اللغة والآداب الجزائرية، جامعة بسكرة، الجزائر، ع9، 2013م.
180. الرقبى (رضوان): الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله-  
دراسة منشورة في مجلة عالم الفكر المجلس الوطني للثقافة والفنون  
والآداب، الكويت، أكتوبر، ديسمبر، ع2، م40، 2011م.
181. فرحة (محمد): المفهوم الفيونولوجي للنظرية القصدية عند هسرل، مجلة  
جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية- سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، اللاذقية  
سورية، م31، العدد1، 2009م.
182. قادري (عليمة): التداولية وصيغ الخطاب من اللغة إلى الفعل التواصلية، مداخلة  
منشورة ضمن فعاليات الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي" ، جامعة  
"محمد خيضر" بسكرة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الأدب  
العربي، 15-17 نوفمبر 2008م،
183. مقبول (إدريس): في تداوليات القصد، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ( العلوم  
الإنسانية)، المركز الجهوي لمهن التربية و التكوين، مكناس، المغرب، المجلد28  
(5)، 2014.

## قائمة المصادر والمراجع:

---

184. بعيّش (يحيى): نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، أطروحة دكتورا دولة في اللسانيات الحديثة، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، نسخة مرقونة، مكتبة جامعة قسنطينة، 2006م.
185. كادة (ليلي): المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية - ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجا، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان العربي، نسخة مرقونة، جامعة باتنة، الجزائر، 2012م.

فہرست موضوعات

البیت:

فهرس الموضوعات

أ-ك.....	مقدمة.....
26-1.....	المدخل التمهيدى.....
03.....	توطئة.....
05.....	I. ماهية الخطابات.....
14.....	II. الخطابات بين النسق الشكلى والتفاعل الخطابى.....
18.....	II. 1. إطار المخاطب والمخاطب.....
19.....	II. 2. إطار النسق والقصد.....
20.....	II. 3. إطار السنن والحرية.....
21.....	II. 4. إطار الزمان والمكان.....
22.....	II. 5. إطار التراكم والتجدد.....

- ❖ خلاصة القول من المدخل التمهيدي.....25
- الفصل الأول : الجهاز المفاهيمي لمصطلح "القصدية".....27-95
- تمهيد.....29
- I. أصل مصطلح "القصدية".....30
- I. 1. المفهوم اللغوي لمصطلح "القصدية".....30
- I. 2. المفهوم الاصطلاحي لمصطلح "القصدية".....36
- I. 3. تأصيل مصطلح "القصدية" في الفلسفة.....40
- II. مفهوم " القصدية" في فلسفة العقل.....46
- II. 1. طبيعة الحالات القصدية ومميزاتها.....46
- II. 2. أنواع الحالات القصدية.....52
- II. 3. مفاهيم ومصطلحات مصاحبة لمصطلح "القصدية".....54
- III. القصدية في الفكر الإسلامي.....63
- III. 1. القصدية في الفكر اللغوي الإسلامي.....65
- III. 2. القصدية في الفكر الفلسفي الإسلامي.....74
- IV. موطن القصدية في جسم الإنسان.....84

- 84.....IV. 1. موطن القصدية في جسم الإنسان في الفكر الغربي
- 89.....IV. 2. موطن القصدية في جسم الإنسان في الفكر الإسلامي
- ❖ خلاصة القول من الفصل الأول.....93
- الفصل الثاني : القصدية ولغة الحقيقة.....194-95
- تمهيد.....96
- I. توصيف الاستعمال اللغوي في فلسفة اللغة.....99
- I. 1. توصيف الاستعمال اللغوي في تيار اللغة المنطقية.....99
- I. 2. توصيف الاستعمال اللغوي في تيار اللغة العادية.....107
- II. العمليات الخطابية.....114
- II. 1. الكفاءات الخطابية.....114
- II. 2. الإنتاج الخطابي والتلقي الخطابي.....117
- III. قضايا فلسفية تساهم في تأطير التفاعل الخطابي.....136
- III. 1. اسم العلم.....136
- III. 2. الإحالة.....152
- IV. قضايا لغوية في تساهم تأطير التفاعل الخطابي.....163
- IV. 1. الظواهر الصوتية والظواهر النسقية.....164
- IV. 2. الظواهر الدالية والظواهر التداولية.....181

- ❖ خلاصة القول من الفصل الثاني.....194
- الفصل الثالث: القصدية والأفعال الخطابية.....195
- تمهيد.....197
- I. أصل نظرية أفعال الخطاب.....198
- I. 1. أساس نظرية أفعال الخطاب عند "أوستين".....198
- I. 2. شروط إنجاز الأفعال الخطابية عند أوستين وأصنافها.....201
- II. مرحلة الفعل الخطابي عند "سيرل".....211
- II. 1. مفهوم الفعل الخطابي في أعمال "سيرل".....211
- II. 2. سمات الأفعال الخطابية عند "سيرل".....214
- III. مقاييس وتصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل".....234
- III. 1. مقاييس تصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل".....234
- III. 2. تصنيف الأفعال الخطابية عند "سيرل".....242
- IV. القصدية والأفعال الخطابية غير المباشرة.....248
- IV. 1. مفهوم المعنى غير الطبيعي عند "جرايس".....251
- IV. 2. تحليل "سيرل" وتحليل "جرايس".....263
- V. تفعيل قصدية القوة الإنجازية للفعل الخطابي غير المباشر.....268

- V. 1. مراحل الإستراتيجية الاستدلالية للأفعال الأولية.....269
- V. 2. قصدية الفعل الخطابي بين النمط الجملي والقوة الإنجازية.....273
- ❖ خلاصة القول من الفصل الثالث.....305
- الفصل الرابع: القصدية وفاعلية التفاعلات الخطابية....307-405
- تمهيد.....309
- I- حضور القصدية الخطابية واحترام مبادئ التواصل الخطابي.....309
- I- 1 - القصدية في المبادئ التخاطبية.....311
- I- 2 - تحليل تعقيبي على حضور القصدية في مبادئ التخاطب.....335
- II- القصدية في الخطابات الحجاجية.....345
- II- 1- مفاهيم الحجاج وتحديد القصد فيه.....346
- II- 2 - قيمة القصدية في بناء الخطاب الحجاجي.....353
- II- 3 - الرابط الحجاجي وتفعيل قصدية الخطابات الحجاجية ..... 370
- III- القصدية ولغة الشطط.....377
- III- 1- مطابقة الخطاب للخارج مع عدم مطابقته لقصد المتكلم.....379
- III- 2- عدم مطابقة الخطاب للخارج مع مطابقته لقصد المتكلم.....386

III-3- عدم مطابقة قصدية الخطاب للخارج مع عدم مطابقته لقصد المتكلم..392

❖ خلاصة القول في الفصل الرابع.....405

- الخاتمة.....407-412

- ثبت المصطلحات.....413-419

- ثبت المصادر والمراجع.....420-440

- فهرس الموضوعات.....441-447

تم بحمد الله

وحده هو من وراء القصد

## الملخص:

إنّ موضوع هذا العمل يندرج في إطار مقارنة لسانية وظيفية حديثة، تحت عنوان "القصدية وتعدد الخطابات"؛ أهم أهدافه محاولة فتح مجال النقاش حول اللغة الذهنية، وكنتهما، وطريقة تأثيرها في تعدد تأليف الخطابات المنتجة واستيعاب الخطابات المستقبلية، عبر دراسة دور القصدية في ذلك، من منطلق أن القصدية هي السمة الأساسية للعقل البشري، التي يتوجّه بموجبها إلى الأشياء في العالم.

لقد حاول هذا البحث التأسيس لهذه القضية في إطار فلسفة اللغة العادية (تداولية الدرجة الثالثة)، مُظهرا محدا من القضايا الجدلية فيها، بشيء من التحليل، خاصة منها المفاضلة بين اللغة المنطقية واللغة العادية، وما انبثق عنها من قضايا فلسفية، في أعمال أعمدة فلسفة اللغة العادية كـ "أوستين"، "سيرل" و"جرايس"، وذكر محدا من أطاريح كيفية بناء وفهم الخطابات، ثم وقف عند أكثرها إجابة وأقربها إلى المبادئ التأسيسية لمقاربة نظرية "نحو الخطاب الوظيفي" الحديثة متمثلة في نموذج "لافليش" الذي أعطى أهمية عظمى لمرحلة المراقبة الذاتية في إنتاج الخطاب.

كما بيّن البحث مجموعة أخرى من القضايا اللسانية المتصلة بدور القصدية في تعدد الخطابات حال التطبيق بشيء من التحليل ومحاولة التجريب، بالتعديل من ذلك ما اتصل منها بسمات الأفعال الخطابية بشكل خاص، ومنها ما اتصل بالقوة الإنجازية للخطاب؛ الأصلية منها خاصة، ثم جلى بالأمثلة التطبيقية في خطابات متنوعة دورها في تفعيل التفاعل الخطابى حال التخاطب داخل الوقائع التواصلية على اختلاف أطرها وأهدافها كالمحاورات والتجاج والخطابات الشاطة عن الحقيقة.

## الكلمات المفتاحية:

القصدية، فلسفة العقل، سيرل، فلسفة اللغة العادية، الخطابات، الأفعال الخطابية، التفاعل الخطابى، القوة الإنجازية للخطاب.

## **Abstract.**

This thesis rhetorically examines a modern functional linguistic approach of “**Intentionality and discourse multiplicity**”. The main objective is the motivation of Arab researchers to initiate topics about cognitive language, its nature, its role in communicative events, and its effect on **discourse** creativity in order to produce and to understand the received discourse. In this study, we tried to emphasize the influence of intentionality on the cognitive language area; focusing on intentionality as the essential base of human reasoning. Therefore, our hypothesis was established in the context of **natural language philosophy** (the pragmatics of the third degree) where we compared the equivalence between logical language and natural language. The hypothesis answer was established in the theoretical proposal produced by the pioneers of natural language philosophy such as ‘*Austin*’, ‘*Searle*’, and ‘*Grice*’. Moreover, we mentioned various perceptions on discourse production and comprehension focusing on the most practical approaches tackling the new structure of functional discourse theory. The research practically highlighted other linguistic proposals linked to the role of intentionality in the multiplicity and the enrichment of daily life people discourse. We tried especially to propose interpretations and even some amendments about the properties of **discourse acts**, and **illocutionary discourse force**. Ultimately, this research showed with examples of actual speech the influence of individual and common intentionality on the motivation of **discursive interactions** involved within different cases, arguments, interviews, and even speeches paralogues.

## **Key words:**

Intentionality, *Searle*, philosophy of natural languages, Discourse, discourse acts, discourse interactions , Illocutionary discourse force.

## Résumé.

Le sujet de cette thèse s'insère dans le cadre de l'approche linguistique fonctionnelle moderne, sous le titre de **"l'intentionnalité et la multiplicité des discours"**, son objectif principal est d'essayer d'aborder le débat de langue mentale, son essence, son impact sur la multiplicité des discours produits et sur l'assimilation des discours reçus, à travers l'étude du rôle de l'intentionnalité dans ce domaine. On se base sur le concept de l'intentionnalité qui est le caractère principal du cerveau humain, et qui à travers laquelle, il se dirige au monde et à ses composants. Cette thèse a essayé de fonder une base à cette notion dans le cadre de **la philosophie de la langue naturelle** (La pragmatique de la troisième degré), présentant plusieurs propositions notamment l'équivalence entre la langue logique et la langue naturelle, et les propositions philosophiques produites par les pionniers de philosophie de la langue naturelle: *"Austin"*, *"Searle"* et *"Grice"*, ce travail a évoqué un nombre d'hypothèses de la méthode d'établir et de comprendre les discours, il s'est arrêté sur la plus pratique et la plus proche des principes fondateurs de «la théorie du grammairien fonctionnel du discours» qui se présente dans le modèle de *"levelt"*, qui a donné une grande importance à la phase de l'autocontrôle lors de la production du discours. Cette recherche a également mis en évidence autres propositions linguistiques liées au rôle de l'intentionnalité dans la multiplication des discours pendant la pratique en les analysants et en tentant de les rapporter quelques modifications, spécialement ce qui est relié aux **actes de discours**, et à **la force illocutionnaire de discours**, la force illocutionnaire essentielle en particulier, et elle a démontré le rôle de l'intentionnalité sur la motivation des interactions discursives au cours des différents événements communicationnelles; interlocutrice, argumentaire, et même les discours paralogismes.

## Mots clés:

Intentionnalité, *Searle*, Philosophie de langue naturelle, Discours, Les actes de discours, Interactions discursives, La force illocutionnaires de discours.